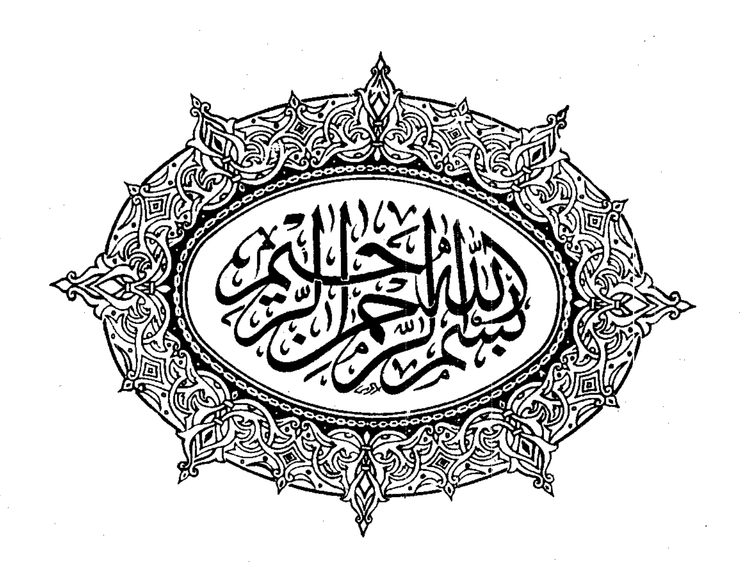
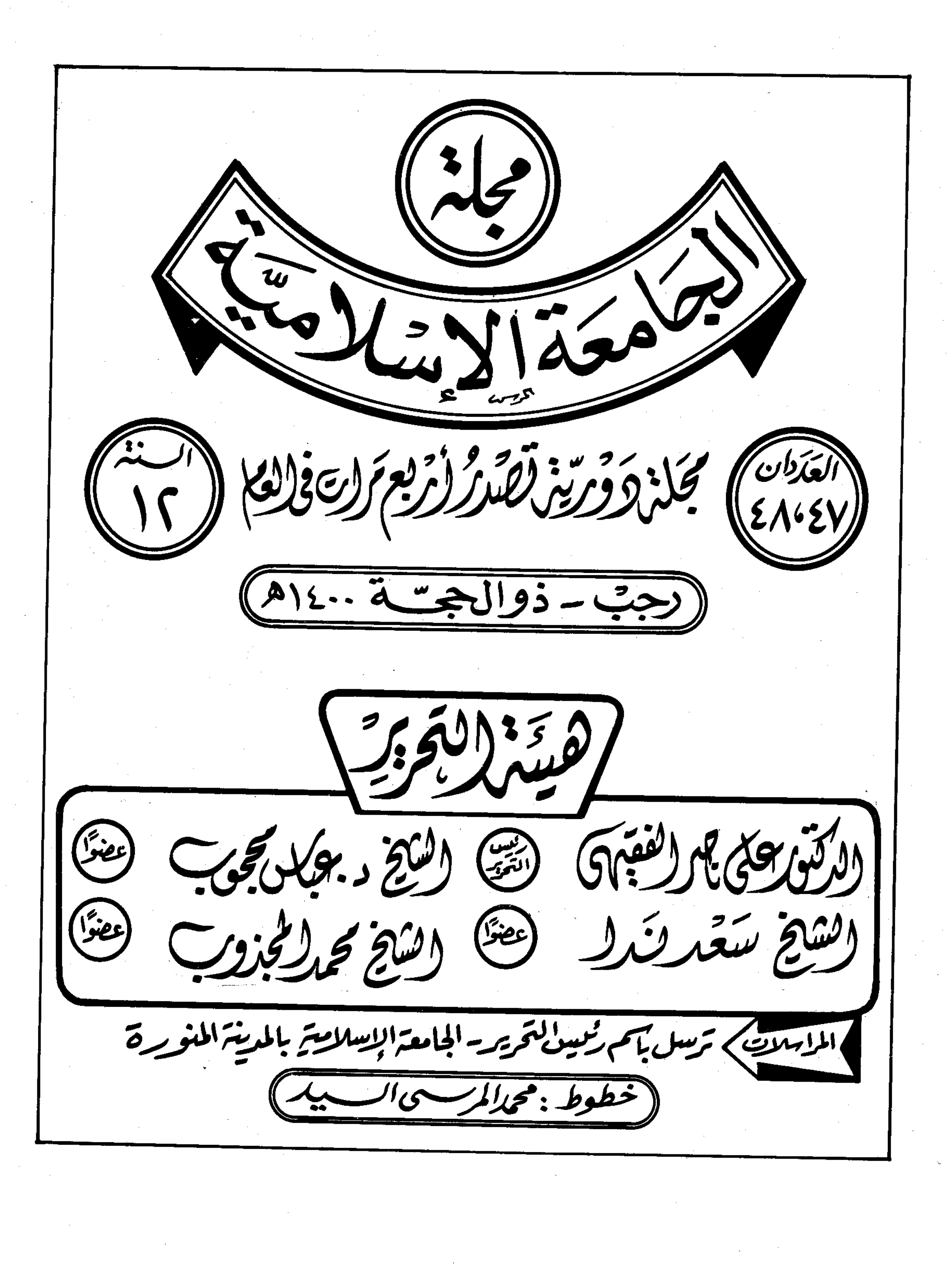
مجلة
الجامعة الإسلامية

رجب - ذو الحجة ١٤٠٠هـ

العددان
٤٧، ٤٨


بسم الله الرحمن الرحيم


مجلة
الجامعة الإسلامية
العددان ٤٧، ٤٨
مجلة دورية تصدر أربع مرات في العام
السنة ١٢
رجب - ذو الحجة ١٤٠٠هـ
هيئة التحرير
الدكتور علي ناصر الفقيهي رئيس التحرير
الشيخ د. عباس محجوب عضواً
الشيخ سعد ندا عضواً
الشيخ محمد المجذوب عضواً
المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير - الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
خطوط: محمد المرسي السيد



إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ
أُمَّةً وَاحِدَةً
وَأَنَا رَبُّكُمْ
فَٱعْبُدُونِ.

(سورة الأنبياء. آية ٩٢)



المؤمنون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ويسعى بذمتهم أدناهم

رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه



«كُلُّ مَنْ آثَرَ ٱلدُّنْيَا مِنْ

أَهْلِ ٱلْعِلْمِ وَٱسْتَحَبَّهَا

فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ

غَيْرَ ٱلْحَقِّ فِي فَتْوَاهُ وَحُكْمِهِ

فِي خَبَرِهِ وَٱلْتِزَامِهِ»

(الإمام ابن قيم الجوزيه)

كلمة التحرير

مؤتمر القمة الإسلامي وآمال المسلمين

د. عباس محجوب
أستاذ مساعد بكلية الدعوة

نأمل أن يكون مؤتمر القمة الإسلامي المقام في مكة من أهم أحداث هذا القرن الجديد وبداية الخطوات الجادة في سبيل عودة المسلمين إلى ربهم وإلى منهج الله وكتابه وشريعته بعد أن جربوا طوال السنوات الماضية شرائع البشر ومناهجهم ، وأهمية هذا المؤتمر الذى يرفع شعار التضامن الاسلامى أنه يعقد في مكة المكرمة مهبط الوحى ومنبع النور وقبلة المسلمين في الأرض ، مكة التى اختارها الله مكانا لبيته الذى يتجه إليه المسلمون كل يوم خمس مرات سائلين الله وحده عابدين له دون سواه .

ولقاءات القمة هى أحدث أساليب الاتصال والتفاهم والترابط بين أمم الأرض فضلا عن أمة الاسلام التى يربط بعضها ببعض أقوى الروابط وأمتن الصلات وهى رابطة العقيدة ثم اللغة والنسب والهموم المشتركة والأهداف الالهية الواحدة والرسالة الخالدة والتاريخ المشرق النابض في الماضى الخالد والحاضر الحى والمستقبل الملىء والموعود بجد العمل وإخلاص العبادة وجمال العودة إلى منهج السماء وشريعة الله الخالدة وكتابه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

إن عقيدة التوحيد هى التى حققت أول وحدة في تاريخ البشرية قامت على أسس سليمة وهى الوحدة القائمة على إفراد الله بالربوبية والألوهية والحاكمية والولاء والقبلة .

ويأتى هذا المؤتمر والعالم يعيش في ظلام دامس وتخبط وضلال وكفر وابتعاد عن الله وافتقاد للقيادة الرشيدة التى تخلى المسلمون عن القيام بأعبائها وتحمل مسؤولياتها وقد وصفهم الله سبحانه وتعالى بقوله « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ، ولأن الأمم الاسلامية لم تستخدم مقدراتها ولم تستفد من مقومات القيادة في دينها وعلمها وتاريخها تخلت عن مكانها في قيادة البشرية وأصبحوا أتباعا يسيرون في ذيل التاريخ ويأكلون من فتات المعرفة ، وانتقلت القيادة إلى الغرب تقود البشرية كما تريد ، وأصبح العالم يعانى فقرا في القيادة وإفلاسا في التوجيه وانقسمت القيادة نفسها إلى شرقية في الدول الشيوعية وغربية في دول الغرب .

أما المجتمع الاشتراكى فهو يعانى من عدم سلامة المنهج وثبات المبدأ ، إذ تهدمت مبادىء الشيوعية كلها تحت معاول الهدم والتطبيق والتغيير وواجه الفكر الشيوعى زعزعة في المبادئ فلم يعد العالم الاشتراكى يؤمن بدكتاتورية الطبقة العاملة أساس النظام الماركسى وتعددت المدارس الاشتراكية في العالم متمردة على تعاليم ماركس وانجلز ولينين وأصبحت المقولات الشيوعية المحفوظة مثار سخرية وتندر وأصبح الاستعمار الشيوعى أكثر شراسة مما عرف البشر من أنواع الاستعمار وانتشرت جيوش الشيوعية المفلسة تحتل البلدان عنوة في المجر وبلغاريا والحبشة وأفغانستان أما الاستعمار الأمريكى فهو ناعم الملمس خبيث المقصد يحتل البلدان حسب أنظمة الحكم فيها ويستعمل ألوانا من التهديدات والعقوبات الاقتصادية ، والضغوط السياسية مع أنه يعانى من ضعف قيادته للمجتمع الأمريكى الذى يعانى من مشكلات الجنس والمخدرات وهوس الشباب وتمرده .

إن العالم الغربى يستغل معطيات الحضارة في نشر البغى والاعتداء واستنزاف مقدرات الشعوب ، ولا مخرج للعالم من غياب القيادة المؤمنة الرشيدة إلا بالرجوع إلى الله واتخاذ الشريعة منهجا للحياة وعبادة الله وحده ، ولا يتم ذلك إلا بالدعوة الصادقة لزعماء المسلمين وقادتهم وأغلبهم لا يطبقون شريعة الله ولا يتبعون منهجه ولا يأخذون بالاسلام كنظام صالح لقيادة البشرية وتوحيدها وتحكيم شريعتها حتى يمكن أن تقدم نماذج للحكم الإسلامى والاستقرار النفسى والمادى والأمن والطمأنينة ونحوها من ألوان السعادة التى تتم باتخاذ القرآن والسنة دستورا للحياة .

إن المسلمين يواجهون مشكلات عصيبة وتحديات خطيرة نتيجة عدم تحكيمهم لكتاب الله وعلى رأس هذه المشكلات التى أخذت السنوات من عمر المسلمين معركتنا الدائمة

مع اليهود والتى أخبرنا الله سبحانه وتعالى أنها معركة دائمة ومستمرة واليهود لم يحققوا أهدافهم إلا في ظروف غياب الخلافة الاسلامية ووحدة المسلمين وتجريد أهم قضاياهم من الصبغة الاسلامية وأقرب مثال لذلك قضية فلسطين التى استطاع أعداء الله في الشرق والغرب جعلها قضية عربية حتى وصل الأمر الى اقتناع « منظمة التحرير الفلسطينية » بذلك فاعتنقت الدعوة إلى قيام دولة علمانية في أرض فلسطين وشردت القضية في ذلك في متاهات القومية والمذهبية والعنصرية وأبعد عنها دول إسلامية لها ثقلها المادى والمعنوى ، والمعركة في الحقيقة معركة بين العقيدة الإسلامية والدعاوى اليهودية . ومالم يجدد قادة المسلمين هوية هذه القضية الدينية ويعودوا إلى الله يطلبون العون ويأخذون بأسباب النصر فسوف تتحقق مطامع اليهود في اسرائيل الكبرى وسيرنو اليهود إلى مقدسات الإسلام الأخرى بعد أن التهموا المسجد الأقصى وعاثوا فيه فسادا وأحرقوه بالنيران عام ١٩٦٩ م .

إن على قادة المسلمين أن يوجهوا الشعوب الإسلامية إلى تنفيذ أمر الله الدائم « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم » والا فسوف يتحقق فيهم قول الله تعالى « وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » أو « سيأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم » .

إن الاتجاه الى الاعتراف بإسرائيل ضمن حدود ١٩٦٧ م وتدويل مدينة القدس اتجاه خطير على قادة الشعوب الإسلامية ألا يقبلوه والبديل لذلك رفع راية الجهاد وفتح باب التطوع للشباب المسلم وإطلاق الحريات العامة للشعوب المسلمة وايقاف المجازر والتقتيل للمسلمين وإغلاق السجون المفتوحة للدعاة إلى الله .

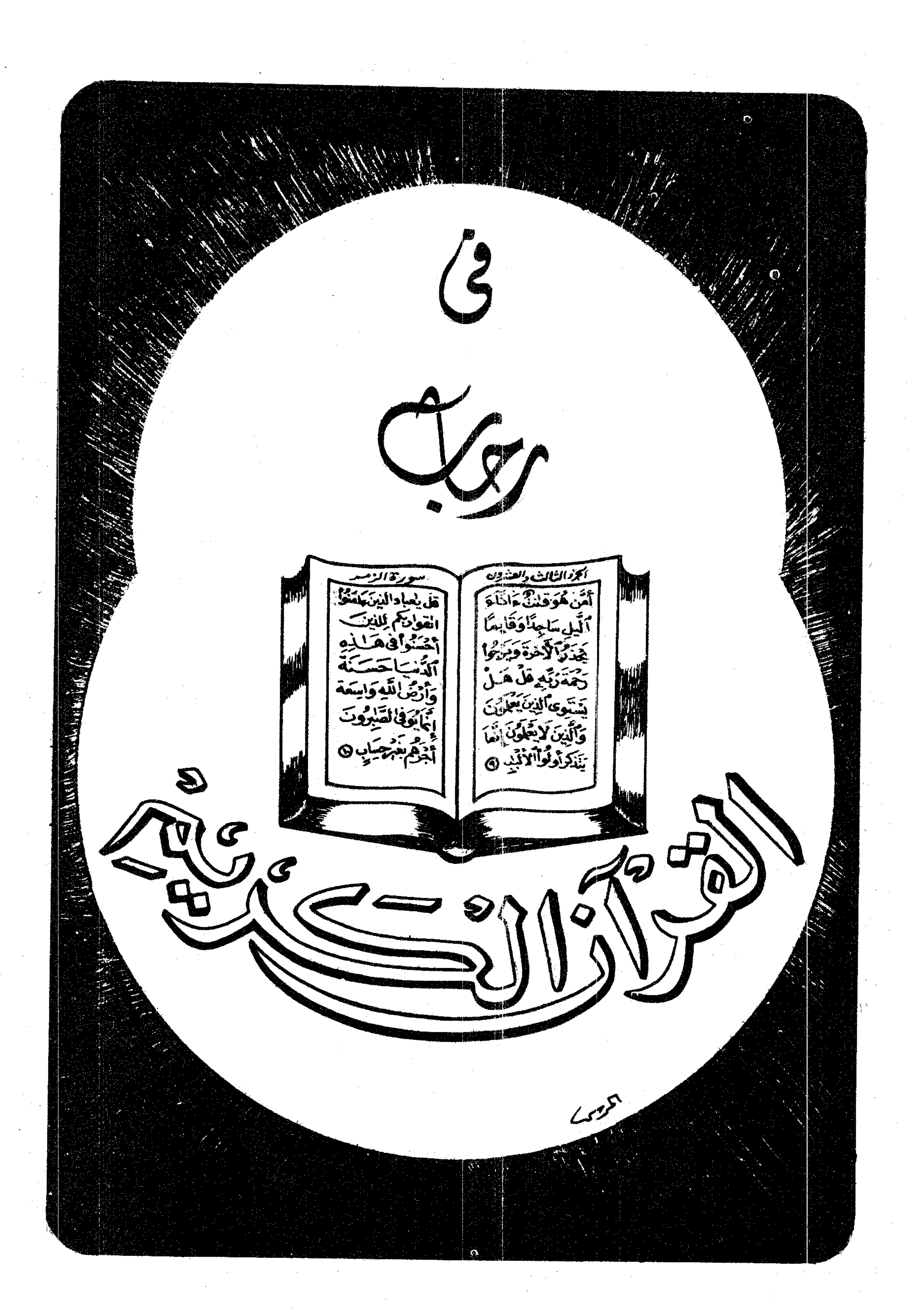
أما قضية أفغانستان فيجب ألا تكون المواقف المتصلبة للغرب هى الدافعة لمواقفنا بل علينا اتخاذ المواقف التى يمليها علينا ديننا وحق إخواننا المسلمين في مؤازرتهم وإعدادهم وتزويدهم بالمال والسلاح والرجال إعلاء لكلمة الله وتلبية لداعى الجهاد للكفر والإلحاد .

إن الحرب الإيرانية العراقية حرب بين المسلمين تستنزف دماءهم وتدمر قوتهم وتثير الضغائن وتلهب نار العصبية وكل ذلك ليس في سبيل الله ولا نصرة لدينه والخاسرة هى الشعوب الإسلامية التى تقاد إلى طرق لا تريد أن تسلكها وعلى قادة المسلمين أن يؤازروا المساعى التى بدأتها المملكة في سبيل اجتماع قطبى البلدين لوضع حد للحرب الدائرة بينهما ضمن إطار إسلامى .

إن علينا أن نضع الحلول للمشكلة اللبنانية ومشكلات المسلمين الذين يبادون في الفلبين وتشاد والحبشة وسوريا ونيجيريا وغيرها من البلاد حتى تشعر الأمم الإسلامية أن قادتها يجتمعون على مصالحها ويرعون الله في أماناتها .

إن قوة المسلمين في قيام منظمة وحدة إسلامية على أسس إسلامية ونوايا صادقة وإخلاص لله وعلى تحقيق صور التعاون الاقتصادية والتكامل واستثمار أموال المسلمين في الدول الاسلامية وعلى الاعتصام بحبل الله المتين ونوره المبين والتمسك بكتاب الله تنفيذا له وعملا بما جاء به والعمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتقيد بها « ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين » .

د. عباس محجوب


في
رحاب
الجزء الثالث والعشرون
أمن هو قانت ءاناء
الليل ساجدا وقائما
يحذر الآخرة ويرجوا
رحمة ربه قل هل
يستوى الذين يعلمون
والذين لا يعلمون إنما
يتذكر أولوا الألباب ⑨
سورة الزمر
قل يعباد الذين ءامنوا
اتقوا ربكم للذين
أحسنوا في هذه
الدنيا حسنة
وأرض الله واسعة
إنما يوفى الصبرون
أجرهم بغير حساب ⑩
القرآن الكريم



يسرّ أسرة مجلة الجامعة الإسلاميّة ، بالمدينة النبويّة أن تنقل الى العالم الإسلامى نبأ وإعلان أكبر مسابقة ، وأعظم جائزة . تلك التى تقام بين المسلمين في كل رمضان وتوزع جوائزها على الفائزين يوم العيد أول يوم من شوال .

صـورة الإعـلان :

وهذه صورة الإعلان عن المسابقة كما ورد إلى المجلة :

بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ،

وبعـــد :

أيها المسلم العزيز ! يا أخى عبدَ الله ووليّه !

هل لى أن أتشرف بإبلاغك ؟ هل لى أن أسعد بإعلانك ؟
هل تعلم يا ابن الإسلام والحسام؟ هل تدرى يا حائز المجد ووارث الشرف ؟
هل تدرى يا وصىَّ الله على البشريّة ماذا أبلّغك ، وبم أعلمك ؟؟

إنها البشرى السارة . إنها الفرحة الكبرى العميمة ، إنها تلك المسابقة الإسلاميّة التى تبتدىء بأول ليلة من رمضان ، ولا تنتهى الا بآخر ليلة منه .

فاستعد يا سليل المهاجرين والأنصار ، وتهيّأ يا حفيد الفاتحين ، استعد ـ يا أخى ـ لأكبر فرصة في عامك ، وأبرك موسم في سنتك .

إنها المسابقة العظمى التى أعلن عنها الملك العظيم في كتابه الكريم بقوله الحق المبين :

« سابقوا الى مغفرةٍ من ربِكم ، وجنةٍ عَرْضُها كعرض السماء والأرض ، أعدت للذين آمنوا بالله وَرُسُله »

إن جائزة هذه المسابقة لأكبر جائزة والله ، إنها الجنّة ، الجنة التى عرضها السموات والأرض ، والتى فيها من النعيم المقيم ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ، وفيها من المتع الروحيّة واللذائذ الجسديّة ما لم تره عين ، ولم تسمع به أذن ، ولم يخطر على قلب بشر .

وهل بعد الجنة أيها العاقل اللبيب من مطلب لأصحاب السمو الروحى والكمال النفسى من مطلب سوى رضوان الله ، والنظر إلى وجهه الكريم ؟

واسمح لى الآن أصف لك ميدان المسابقة ، وأفصل لك شروط المسابقة حتى يمكنك اللحاق بحلبتها والمشاركة على بصيرة فيها .

ميدان المسابقة

إن ميدان المسابقة أيها المسلم الكريم هو شهر رمضان المبارك شهر أمة الإسلام الذى تفتح فيه أبواب الجنات ، وتغلق فيه أبواب النيران ، ويصفّد فيه مردة الجان والشيطان .

شروط المسابقة

إن من يمن هذه المسابقة وبركتها قلة شروطها ، إنها تقام على شرطين اثنين فقط وهما :

١ ـ أن يتخلى المتسابق عن كل محرم أو مكروه كان يأتيه في حياته قبل دخوله هذه المسابقة ، وذلك بأن يرّد الحقوق إلى أصحابها ، وأن يتجنب الباطل والشر والفساد في أىّ شكل كان أو صورة ، وأن يترك سماع الأغانى والمزامير ودقات الطبول وأن لا يسمح به في بيته ولا دكانه أو محل عمله أو جلوسه . وأن يترك لعب الورق وكل آلات الميسر والقمار ، ويبتعد عن مجالسه ، كما يبتعد عن سماع الغيبة والكذب والنميمة وقول الزور وشهادته . وأن يطهر لسانه من قول الفحش والبذاء وسماعه مطلقا . وأن يطيّب فَمَه ومجلسه بترك المكيفات من تبغ وشيشة ونحوهما .

٢ ـ أن يقبل بعزم وتصميم صادقين على ما يلى :

ا ـ أن يعلن عن توبته لله تعالى كأن يقول : اللهم إنى أستغفرك من كل ذنوبى ، وأتوب إليك من كل معتقد وقول وعمل تكرهه ولا يرضيك · فاغفر لى وتبْ عليّ إنك أنت التواب الغفور ·

ب ـ أن يعمل الصالحات الآتية :
١) أداء الصلوات الخمس في بيوت الله مع جماعة المسلمين بحيث لا تفوته صلاة منها ·
٢) قراءة القرآن الكريم آناء الليل وأطراف النهار طوال شهر رمضان ·
٣) الإكثار من نوافل الصلاة في الليل والنهار شهر رمضان كله ·
٤) الإكثار من الصدقات بالمال أو الطعام أو الشراب أو اللباس بحسب فقره وغناه ·
٥) الإكثار من الدعاء والاستغفار وقت السحر من كل ليلة من رمضان ·

وَبعـدُ : فهذه هى المسابقة بشروطها قد بُيّنت لك مفصّلَة فهل لك يا ابن الأبطال في السبق ؟

هل لك في الفوز بالحور العين ؟
هل لك أن تضيف إلى عمرك عمراً جديداً ؟ وإلى رأس مالك نصيباً موفوراً ؟
هل لك أن تعلم أنك بدخولك هذه المسابقة الإسلامية الكبرى تعمل على إضافة أعمال ثلاثة وثمانين عاما وأربعة أشهر صياما وقياما ؟

إذاً فإرم أيها المسلم البطل بجواد عزمك في حلبة هذه المسابقة وسابق واستعن بالله تعالى ثم بما يلى : احفظ سمعك من الغناء والزمر والتطبيل ، ومن الغيبة والفحش في القول · وصن يديك من أن تتناول بهما محرّماً وقيّد رجليك أن تمشى بهما إلى لهو أو باطل · وكفّ لسانك من ان تقول به غيبة أو نميمة أو كذباً أو زوراً ، أو فحشا أو بذاء · واصرف قلبك عما لا يعنى ، وأخْلِه من التفكير فيما ليس لك فيه ضرورة أو حاجة ·

الله أكبر · الله أكبر أقدم أيها البطل المتسابق ، وابسط يديك بالعطاء · تصدّق فهذا أوان الصدقة ، اعتكف في بيت ربك راغباً فيه ، راهبا منه ، لازم بيت مولاك لا تخرج منه إلا لحاجة حتى يغفر لك ويتوب عليك ·

مكانك يا أخا الإسلام ، وبطل السباق ، مكانك في الصفوف الأولى . لا تفوتك تكبيرة الإحرام من كل صلاة أبداً . كتاب الله رتل آيه وتدبر معانيه . إياك أن يمضى رمضان وتنتهى المسابقة ولم تختم قراءته ثلاث مرات . ولتكن قراءتك له محفوفة بالتدبر والدعاء والخشوع والدموع .

وسلام عليك في المتسابقين ، وبارك الله فيك وعليك في الفائزين

وإلى أعظم الجـوائز

إنه بسم الله ولىّ المؤمنين ، ومتولى الصالحين . وبسم الله رب العاملين والعالمين ، وبسم الله المنعم بأوسمة القبول على السابقين الأولين والآخرين ، يُعلن لجماهير المتسابقين من المؤمنين والمسلمين ، أن غداً توزع فيه جوائز السابقين لقريب جد قريب .

إنه يوم العيد السعيد الذى لم يبق عليه إلا أن تحترق فحمة آخر ليلة من ليالى السباق ليالى رمضان المشرقة العِذاب ، ليالى الأنس والشوق إلى الحبيب القريب ، الله أكبر الله أكبر الله أكبر .

أيتها الجماهير المتسابقة ، أيتها الفئات المؤمنة الآملة . أيتها المواكب الراكبة إلى الله الراكضة الى المشهد ، الى مصلى العيد . هلموا هلموا ... خذوا بطاقات الحضور من بيوت إماء الله تعالى وعبيده الفقراء والمساكين بدفع صدقاتِ فطركم إليهم ، ثم يمموا المشهد آملين راجين ، وبذكر ملككم العظيم لاهجِين : الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله الا الله ، الله أكبر الله أكبر ، ولله الحمد .

لا تزالوا أيها الفائزون مكبرين مهللين كذلكم حتى ساحة المشهد الفيحاء خذوا أماكنكم من الساحة الطاهرة مترنّمين بتسبيح مليككم : السبوح القدوس ، ربّ الملائكة والروح . قائلين :

سبحان الله والحمد لله ، ولا إله إلا الله والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

واسمعوا هذه القائمة تتلى بأسماء الفائزين في هذه المسابقة العظيمة .

أيها الحفل الكريم في المشهد العظيم إليكم هذه الطائفة بأسماء الفائزين في هذه المسابقة العظيمة :

١) عبد الله الذى كان لا يشهد صلاة الجماعة صبحا ولا ظهراً ولا عصراً ، ولا مغربا ولا عشاء فأصبح يشهدها كلها لا تفوته ركعة منها ، بل ولا تكبيرة الإحرام مع الإمام .

٢) عبد الحق الذى كان بينه وبين أحد أقربائه عداوة وشحناء فأزالهما وصافى قريبه وبرّه وأحبه لله في الله ·

٣) عبد الرحمن الذى كان يؤذى جيرانه فترك أذاهم وأحسن إليهم تقرّباً إلى الله تعالى ·

٤) ولىّ الله تعالى الذى كان يستهويه الطرب فيسمع الأغانى ، ويقضى جزءاً كبيرا من يومه وليله حول المذياع ، أو شاشة التلفاز يسمع أصوات الشياطين ومزاميرهم فتاب من ذلك وأصبح إذا سمع صوت طرب أدخل أصبعيه في أذنيه حتى لا يسمع خوفا من الله وتزلفا إليه ·

٥) عبد الخالق الذى كان يأتى المساجد بيوت الله ورائحة فمه متغيرة بنتن التبغ والشيشة فاستحى من الله تبارك وتعالى ، وترك ذلك تطهيرا لبيت ربّه وتطيباً لفمه الذى يذكر به اسم ربّه ·

٦) عبد العليم الذى كان بعض أصدقائه يدعونه إلى السمر على لعب (الكيرم) والورق فكان يأتيهم ويلهو ويلعب معهم فترك ذلك نهائيا خوفاً من الله وطلبا لمرضاته ·

نكتفى بذكر هذا الذى ذكرنا من أسماء الفائزين ، وذكر الله تعالى : قائلين الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، ولنستمع إلى هذه الهتافات الرفيعة :

- هنيئاً لمن سابق فسبق !
- هنيئاً لمن تاب وأناب فتيب عليه وقُبل !
- هنيئاً لمن أحبّ الله فأحبه ، وأحب فيه محبيه إلى أوليائه !

تعزيـة وتسلية

وأنتم أيها المتخلفون عن ركب الفائزين لا تيأسوا من روح الله ، ولا تقنطوا من رحمته إن مليككم جل جلاله وعظم سلطانه يناديكم ويقول : « يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم ، وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتكم العذاب ثم لا تنصرون » ·

إنه تعالى قد هيأ لكم فرصة أخرى للمسابقة والفوز فاقبلوها ، ولا تضيّعوها إنها تبتدىء بيومكم هذا ولا تنتهي إلا بسبقكم وفوزكم ، فارموا بخيول العزم في ميدان السبق ، واستعينوا بالصبر والصلاة · استعينوا على ترك الآثام بخوف المقام ، وتقوّوا على الطاعة بذكر الساعة ، وتغلبوا على الرذائل بكرهها وحب الفضائل ·

ثم احذروا أيها المتسابقون الأبطال من العائق الأكبر ، احذروه أن يعيقكم كما أعاق من قبلكم ٠ احذروه إنه حبّ الدنيا وكراهية الموت ٠ فأحبوا الآخرة بالإكثار من الزكاة والصلاة ، واكرهوا الدنيا بتقليل الرغبة فيها وبالتجافى عن شهواتها وملاذها ، إلا ما أذن لكم فيه ولزم ٠

هذا والى اللقاء معكم ساعة توزع الجوائز وتوضع الموائد بعد سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ٠ وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين ٠




مع
الهدى النبوي



ابن ماجـــة : ـ

هو الامام أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة الربعي القزويني الحافظ . ولد سنة ٢٠٩ هـ . وصفه أبو يعلى الخليلي بقوله : ابن ماجة ثقة كبير متفق عليه ، محتج به ، له معرفة وحفظ ، وله مصنفات في السنن والتفسير والتاريخ ، وكان عارفاً بهذا الشأن ، ارتحل الى العراقين ـ البصرة والكوفة ـ ومكة والشام ومصر (١) .

وقال عنه الحافظ ابن كثير : صاحب كتاب السنن المشهورة وهي دالة على عمله وعلمه ، وتبحره واطلاعه ، واتباعه للسنة في الأصول والفروع (٢ وكانت وفاته لثمان بقين من رمضان سنة ٢٧٣ هـ (٣) .

منزلة سنن ابن ماجة بين كتب الستة

قال الحافظ السلفى : اتفق على صحتها ـ أي الكتب الخمسة (٤) ـ علماء الشرق والغرب . ولم يضموا اليها . سنن ابن ماجة لتأخر مرتبتها عنها . وأول من جعلها سادس الكتب الستة الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر بن على بن أحمد القيسراني المقدسي المتوفى سنة ٥٠٧ هـ في كتابه (أطراف الكتب الستة) ورسالته شروط الأئمة الستة) (٥)

---

(١) انظر : تذكرة الحفاظ ج ٦٣٦/٢ . وتهذيب التهذيب ج ٥٣١/٩ ، والمنتخب من الارشاد في علماء قزوين .

(٢) انظر : البداية والنهاية لابن كثير . ج ٥٢/١١ .

(٣) انظر : المصادر السابقة .

(٤) أي صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود والنسائي وجامع الترمذي . والمراد بالصحة . صحة أصولها . انظر : التقييد والايضاح ص ٦٢ .

(٥) انظر : البحر الذي زخر في شرح الفية الأثر ورقة (٦٥ ـ أ ـ) حيث نسبه ابن عساكر الدمشقى لابي الفضل اضافته للكتب الستة .

ثم تابعه الحافظ عبد الغنى بن عبد الواحد المقدسي المتوفى سنة ٦٠٠ هـ في كتابه (الكمال في أسماء الرجال) ثم تابعهما أصحاب كتب الأطراف ، وأسماء الرجال والمتأخرون في تصانيفهم ٠ وانما قدم هؤلاء سنن ابن ماجة على موطأ مالك ٠ لكثرة زوائده على الكتب الخمسة بخلاف الموطأ فان أحاديثه ـ الا القليل منها ـ موجودة في الكتب الخمسة مندمجة فيها ، فهذا هو السبب في عدهم السادس سنن ابن ماجة دون الموطأ (١) ٠

وقد عدّ بعض الحفاظ موطأ مالك في درجة الصحيحين بل منهم من قدمه على الصحيحين كالامام ابن عبد البر المتوفى سنة ٤٦٣ هـ ، والامام ابو بكر بن العربي المتوفى سنة ٥٤٣ هـ ٠

وقال ابن حجر : لم يرو ـ أي الامام مالك ـ فيه الا الصحيح عنده (٢) ٠ ومن الذين قدموا الموطأ على سنن ابن ماجة أبو الحسن أحمد بن رزين السرقسطى المتوفى سنة ٥٣٥ هـ في كتابه (التجريد في الجمع بين الصحاح) وتابعه على ذلك أبو السعادات مبارك بن محمد المشهور بابن الأثير الجزرى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ وكذا غيره (٣) ٠ ومن الحفاظ من عدّ سادس الكتب كتاب الدارمي ٠

قال طاهر الجزائرى : ولما كان ابن ماجة قد أخرج أحاديث عن رجال متهمين بالكذب وسرقة الأحاديث ، قال بعضهم : ينبغي أن يجعل السادس كتاب الدارمي فإنه قليل الرجال الضعفاء ، نادر الأحاديث المنكرة والشاذة ، وان كانت فيه أحاديث مرسلة وموقوفة فهو مع ذلك أولى منه (٤) ٠

وقال الذهبى : سنن أبي عبد الله كتاب حسن لولا ما كدره أحاديث واهية ليست بالكثيرة (٥) ٠

وقال الحافظ ابن رجب عند كلامه عن طبقات الرواة عن الزهرى في الطبقة الخامسة : قوم من المتروكين والمجهولين كالحكم الايلى ، وعبد القدوس بن حبيب ، ومحمد ابن سعيد المصلوب ، وبحر السقاء ونحوهم ٠ فلم يخرج لهم الترمذى ولا أبو داود ، ولا

---

(١) انظر : توجيه النظر ص ١٥٣ ٠

(٢) انظر : تعجيل المنفعة ص ٩ ٠

(٣) انظر : توجيه النظر ص ١٥٣ ٠

(٤) انظر : توجيه النظر ص ١٥٣ ومقدمة ابن الصلاح ص ٣٤ ـ ٣٥ حيث ذكر السبب في تأخر المسانيد عن مرتبة الكتب الخمسة ومنها مسند الدارمي ، وانظر كلام ابن رشيد في حاشية سنن النسائى ج ١١/٨ ٠

(٥) انظر : تذكرة الحفاظ ج ٦٣٦/٢ ٠

النسائي ، ويخرج لبعضهم ابن ماجة . ومن هنا نزلت درجة كتابه عن بقية الكتب ، ولم يعده من الكتب المعتبرة سوى طائفة من المتأخرين (١) .

وقال الحافظ ابن حجر : كتابه في السنن - أي ابن ماجة - جامع جيد ، كثير الأبواب والغرائب ، وفيه أحاديث ضعيفة جداً . حتى بلغنى أن السريّ كان يقول : مهما انفرد بخبر ، فيه أحاديث كثيرة منكرة والله تعالى المستعان . ثم وجدت بخط الحافظ شمس الدين محمد بن على الحسينى مالفظه : سمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزيّ يقول : كل ما انفرد به ابن ماجة فهو ضعيف (٢) يعنى بذلك ما انفرد به من الحديث عن الأئمة الخمسة انتهى ما وجدته بخطه وهو القائل : يعني ، وكلامه هو ظاهر كلام شيخه .

لكن حمله على الرجال أولى وأما حمله على أحاديث فلا يصح (٣) .

عدد كتب سنن ابن ماجة ، وأبوابه ، وأحاديثه

قال الذهبى : عدد كتب سننه - أي ابن ماجة - اثنان وثلاثون كتابا (٤) .

وقال أبو الحسن القطان صاحب ابن ماجة (٥) : في السنن ألف وخمس مائة باب ، وجملة ما فيها أربعة آلاف حديث (٦) :

ولقد قام الأستاذ المحقق محمد فؤاد عبد الباقي - رحمه الله - باحصاء أحاديث سنن ابن ماجة بصورة علمية متقنة فكان جملة أحاديثها (٤٣٤١) أربعة آلاف وثلثمائة وواحد وأربعون حديثا من هذه الأحاديث (٣٠٠٢) اثنان وثلاثة آلاف حديث أخرجها أصحاب الكتب الخمسة كلهم أو بعضهم . وباقي الأحاديث وعددها (١٣٣٩) ألف وثلثمائة وتسعة وثلاثون حديثا هى الزوائد على ماجاء بالكتب الخمسة ، وهذه الزوائد هى التى عرض لها

---

(١) انظر : شرح علل الترمذي ص ٢٩٤ . ومحمد بن سعيد المصلوب لم ينفرد ابن ماجة باخراج حديثه في السنن بل شاركه أيضاً الترمذي في الجامع . انظر : ميزان الاعتدال ج ٥٦١/٣ ، وخلاصة تذهيب الكمال ج ٤٠٧/٢ .

(٢) وقال ابن حجر في الفهرسة : أنه قال الحافظ المزي : أن الغالب فيما انفرد به ابن ماجة الضعف . انظر : توضيح الأفكار للامير الصنعانى ج ٢٢٣/١ .

(٣) انظر : تهذيب التهذيب ج ٩ /٥٣١ - ٥٣٢ ، وفي البحر الذى زخر للسيوطي ورقة (٦٥ - أ -) (قال الحافظ ابن حجر فيما كتبه بخطه على حاشية الكتاب مراده - أي المزي - من الرجال لا من الأحاديث فان في افراده صحاحاً) ا هـ .

(٤) انظر : تذكرة الحفاظ ج ٦٣٦/٢ .

(٥) هو الحافظ الامام القدوة أبو الحسن على بن ابراهيم بن سلمة بن بحر القزوينى ، محدث قزوين وعالمها (٢٥٤ - ٣٤٥ هـ) . انظر : تذكرة الحفاظ ج ٨٥٦/٣ - ٨٥٧ .

(٦) انظر : تذكرة الحفاظ ج ٦٣٦/٢ .

الحافظ الشهاب البوصيرى في (مصباح الزجاجة) (١) ومن هذه الزوائد : (٤٢٨) أربعمائة وثمانية وعشرون حديثا رجالها ثقات صحيحة الاسناد ، ومنها (١٩٩) تسعة وتسعون ومائة حديثاً حسنة الاسناد ، ومنها (٦١٣) ثلاثة عشر وستمائة حديثاً ضعيفة الاسناد ، و (٩٩) تسعة وتسعون حديثا ما بين واهية الاسناد أو منكرة أو مكذوبة (٢) .

تبين لنا من خلال احصاء الأستاذ محمد فؤاد أن عدد كتب سنن ابن ماجة (٣٧) سبعة وثلاثون كتابا عدا المقدمة . وعدد أبوابه (١٥١٥) باباً. وعدد أحاديثه (٤٣٤١)حديثاً(٣) .

ويبدو أن الاختلاف في عدد الأحاديث نجم عن اختلاف النسخ ، فالنسخة التى كانت عند أبي الحسن القطان تختلف من حيث عدد الأبواب والأحاديث عن النسخ التى طبعت ووقف عليها الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي (٤) . ولعل أبا الحسن القطان - رحمه الله - لم يدخل مقدمة سنن ابن ماجة ضمن أحاديث الكتب الأخرى ابتداءً من كتاب الطهارة وسننها حتى نهاية كتاب الزهد . ولو أسقطنا أحاديث المقدمة والتى مجموعها (٢٦٦) حديثاً يبقى الفرق بين العدد الذى ذكره فؤاد عبد الباقى وبين ما ذكره أبو الحسن القطان (٧٥) حديثاً ولعل تعبير ابن القطان - وجملة ما فيها - يدل على أنه لم يذكرها بالضبط والدقة حديثاً حديثاً ابتداءً من المقدمة حتى نهاية كتاب الزهد .

وكذلك يقال عن الأبواب فالفرق بين عدد الأبواب التى ذكرها فؤاد عبد الباقي وبين ما ذكره أبو الحسن القطان (١٥) خمسة عشر بابا . عدّ فؤاد عبد الباقي في المقدمة (٢٤) أربعة وعشرين بابا .

---

(١) (مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة) لاحمد بن أبي بكر ابن اسماعيل الكناني البوصيري المتوفى سنة ٨٤٠ هـ توجد نسخة منه في دار الكتب المصرية رقم (حديث ٤٤٢) وقد اطلعت عليه . وانظر : تاريخ التراث العربى ج ٣٨٠٨ ط ١ . وأفرد هذه الزوائد أيضاً نور الدين أبو الحسن على بن أبي بكر بن سليمان الهيثمى المتوفى سنة ٨٠٧ هـ باسم زوائد على الكتب الخمسة . توجد نسخة منه في الآصفية رقم (حديث ٤١٠) . انظر : تاريخ التراث ج ٣٨٠٨ .

(٢) انظر : سنن ابن ماجة . ج ١٥١٩/٢ - ١٥٢٠ .

(٣) انظر : سنن ابن ماجة ج ١٥٢٤/٢ .

(٤) اعتمد الأستاذ فؤاد عبد الباقى على نسخة مطبوعة بالمطبعة العلمية بمصر سنة ١٣١٣ هـ وعليها حاشية الامام أبي الحسن محمد ابن عبد الهادي الحنفي نزيل المدينة المنورة المتوفى سنة ١١٣٨ هـ . وهذه النسخة كما يقول فؤاد عبد الباقي لم يراع فيها شيء من الدقة . لا في تحري صحة المتن ولا في أسماء رجال السند .

والمطبوعة الثانية طبعت عام ١٨٤٧ ميلادية : نصفها في المطبع الفاروقي في الدهلى بالهند بتصحيح مولانا مولوي محمد طاهر . والنصف الآخر في مطبع مجتبائى في الدهلى بالهند بتصحيح مولوي عبد الأحد .

ولعل أصح النسخ المروية عن ابن ماجة هى النسخة التى تداولتها أيدى الحفاظ المتقنين من المقادسة وغيرهم طبقة بعد طبقة والمحفوظة بالخزانة التيمورية (رقم ٥٢٢) بدار الكتب المصرية .

أما عدد الكتب ففيه اختلاف كذلك فذكر الذهبى انها (اثنان وثلاثون) كتابا بينما عددها حسب احصائية فؤاد عبد الباقي (سبعة وثلاثون) كتاباً . ولو وقف الاستاذ فؤاد عبد الباقى على نسخة متقنة مروية بالسند الصحيح عن الامام ابن ماجة لكان عمله أكمل في خدمة هذا المصدر السادس للسنة النبوية ، ويزيل هذا الاختلاف الواقع في عدد الكتب وكذا الأبواب والأحاديث .

قول أبي زرعة في سنن ابن ماجة

قال ابن ماجة : وعرضت هذه السنن على أبي زرعة فنظر فيها وقال : أظن ان وقع هذا في أيدى الناس تعطلت هذه الجوامع أو أكثرها ثم قال : « لعل لا يكون فيه تمام ثلاثين حديثا مما في اسناده ضعف » (١) .

وعقب الحافظ الذهبى على هذا القول في سير أعلام النبلاء بقوله : (وقول أبي زرعة لعل لا يكون فيه تمام ثلاثين حديثا مما في سنده ضعف أو نحو ذلك ان صح ، كانما عنى بثلاثين حديثا ، الأحاديث المطرحة الساقطة ، وأما الأحاديث التى لا تقوم بها حجة فكثيرة لعلها نحو الألف ....) (٢) .

ونقل ابن الوزير في (تنقيح الأنظار) كلام الذهبى هذا وعقب عليه بقوله : (انما أراد الذهبى تقليل الأحاديث الباطلة ، وأما الأحاديث الضعيفة في عرف أهل الحديث ففيه قدر ألف حديث ـ منها ـ كما ذكر في النبلاء في ترجمة ابن ماجة ـ وقدّر الباطلة بعشرين حديثاً) (٣) .

أما الشق الأول من كلام أبى زرعة وهو (أظن ان وقع هذا في أيدي الناس تعطلت هذه الجوامع أو أكثرها) فأراد به ـ والله أعلم ـ ما ذكره ابن طاهر المقدسي المتوفى سنة ٥٠٧ هـ من (حسن الترتيب ، وغزارة الأبواب ، وقلة الأحاديث ، وترك التكرار ، ولا يوجد فيه من النوازل والمقاطيع والمراسيل .....) (٤) .

---

(١) انظر : تذكرة الحفاظ ج ٦٣٦/٢ . وفي معجم البلدان لياقوت الحموي في مادة (قزوين) (عرضت هذه النسخة) وزاد في الخبر بعد قوله في اسناده ضعف (أو قال عشرين أو نحو هذا من الكلام) .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء النسخة المصورة المحفوظة في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية .

(٣) انظر : توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار للأمير الصنعاني ج ٢٢٣/١ .

(٤) انظر : كتاب التقييد لرواة السنن والمسانيد لابن نقطة الحنبلي البغدادي المتوفى سنة ٦٢٩ هـ نسخة المتحف البريطانى ورقة (٤٢ ـ ب ـ) . وانظر : كتاب البدر المنير في تخريج الأحاديث والاثار الواقعة في الشرح الكبير الذي صنفه أبو القاسم عبد الكريم بن أبي الفضل الرافعى المتوفى سنة ٦٢٣ هـ لابي حفص ابن الملقن المتوفى سنة ٨٠٤ هـ ج ٨ ورقة ـ ١٥ ـ

وقال الحافظ ابن حجر : (كتابه في السنن - أي ابن ماجة - جامع جيد ، كثير الأبواب والغرائب ، وفيه أحاديث ضعيفة جداً .....) (١) .

وقال صديق حسن خان عند كلامه عن سنن ابن ماجة (وفي الواقع الذى فيه من حسن الترتيب وسرد الأحاديث بالاختصار من غير تكرار ليس في أحد من الكتب . وقد شهد أبو زرعة على صحته) (٢) .

ولعل الامام الرازي - أبو زرعة - أراد بالجوامع التى صنفها الحافظ في بلاد الريّ ، وقزوين وطبرستان وتلك البلاد . ويؤيد هذا ما قاله ابن طاهر المقدسي عند ذكره سنن ابن ماجة . يقول ابن طاهر : (وهذا الكتاب وان لم يشتهر عند أكثر الفقهاء فان له بالريّ وماوالاها من ديار الجبل وقوهستان ومازندران وطبرستان شأن عظيم عليه اعتمادهم ، وله عندهم طرق كثيرة (٣) .

أو أراد الجوامع المشهورة ومنها الجامع الصحيح للبخارى ، والجامع الصحيح لمسلم من حيث الترتيب والتنظيم وهذا رأيه . ولكل رأيه واجتهاده .

ولقد ذكر بعض المحدثين عدداً أقل من الأحاديث التى ذكرها أبو زرعة ولعلهم أرادوا أن يرفعوا من شأن سنن ابن ماجة ومكانتها .

قال أبو القاسم عبد الكريم بن محمد القزوينى الرافعى المتوفى سنة ٦٢٣ هـ في ترجمة ابن ماجة من تأريخه (وسمعت والدى رحمه الله يقول : عرض كتاب السنن لابن ماجة على أبي زرعة الرازي فاستحسنه وقال : لم يخطئ الا في ثلاثة أحاديث) (٤) .

أقول : هذا الخبر ظاهر الضعف ولعله أراد أن يفتخر بامام بلده ويرفع من شأن سننه - رحمهما الله - . ويحتمل وقوع تصحيف (ثلاثين) الى (ثلاثة) .

وروى ابن نقطة بسنده الى ابن طاهر المقدسي الحافظ انه قال : (رأيت على ظهر جزء قديم بالريّ حكاية كتبها أبو حاتم الحافظ المعروف بخاموش قال أبو زرعة : طالعت

---

(١) انظر : تهذيب التهذيب ج ٥٣١/٩ - ٥٣٢ ، والبحر الذى زخر للسيوطي ورقة (٦٥ - أ -) .

(٢) انظر : الحطّة فى ذكر الصّحاح الستة ص ٢٥٦ ط اسلامي اكادمي ، اردو بازار - لاهور . ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .

(٣) انظر : التقييد لابن نقطة وكذا البدر المنير لابن الملقن . ومن المعلوم أن تلك البلاد برز فيها الكثير من الحفاظ لاسيما في القرن الثالث وصنفوا الكثير من المسانيد ، والسنن وغير ذلك من كتب السنة النبوية . ومن هذه السنن على سبيل الاختصار :

(٤) انظر : كتاب التدوين في ذكر أهل العلم بقزوين النسخة المصورة بدار الكتب المصرية .

كتاب أبي عبد الله بن ماجة فلم أجد فيه الا قدراً يسيرا مما فيه شيء ٠ وذكر قريب بضعة عشر ، وكلاما هذا معناه ٠ قال ابن طاهر المقدسي وحسبك من كتاب يعرض على أبى زرعة الرازى ، ويذكر هذا الكلام بعد امعان النظر والنقد) (١) ٠

وذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق في ترجمة ابن ماجة قول أبي زرعة هذا الى قوله ، وكلاما هذا معناه الا أنه قال فيه (وذكر قريب تسعة عشر ٠٠٠٠) (٢) ٠

الرد على هـــذا القـــــول :

رد الامام ابن رُشَيد

قال الامام أبو عبد الله بن رشيد أثناء كلامه عن منزلة سنن النسائى ، والموازنة بينها وبين كتب السنن : (وأما ما حكاه ابن طاهر ، عن أبى زرعة أنه نظر فيه فقال : لعل لا يكون فيه تمام ثلاثين حديثا مما فيه ضعف فهى حكاية لاتصح لانقطاع سندها ٠ وان كانت محفوظة فلعله أراد ما فيه من الأحاديث الساقطة الى الغاية ، أو كان ما رأى من الكتاب الا جزءاً منه فيه هذا القدر ٠ وقد حكم أبو زرعة على أحاديث كثيرة منه بكونها باطلة أو ساقطة أو منكرة ، وذلك محكي في كتاب (العلل) لأبي حاتم) (٣) ٠ والصواب لابن أبي حاتم ٠

رد الحافظ ابن الملقن

ولقد رد على قول ابن طاهر أيضاً الحافظ ابن الملقن في فصل أفرده لسنن ابن ماجة في كتابه البدر المنير ٠ يقول فيه : (وأما سنن أبي عبد الله بن ماجة القزوينى فلا أعلم له شرطا وهو أكثر السنن الأربعة ضعفا وفيه موضوعات منها ما ذكره في اتيانه بحديث في فضل قزوين لكن قال أبو زرعة فيما رويناه عنه طالعت كتاب أبي عبد الله بن ماجة فلم أجد فيه الا قدرا يسيرا مما فيه شيء وذكر قدر بضعة عشر أو كلاما هذا معناه وهذا الكلام من أبي زرعة رحمه الله ، لولا أنه مروى عنه من أوجه لجزمت بعدم صحته عنه فانه غير لائق لجلالته

---

(١) انظر : كتاب التقييد لرواة السنن والمسانيد نسخة المتحف البريطانى ، وشروط الائمة الستة للحافظ ابي الفضل محمد بن طاهر المقدسي ٠ وقال ابن حجر في تهذيب التهذيب ج ٥٣٢/٩ وذكر ابن طاهر في المسور ـ ولعل الصواب ـ المشهور ان ابا زرعة وقف عليه فقال : ليس فيه الا نحو سبعة أحاديث ٠

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر نسخة المكتبة الظاهرية نسخة منها مصورة محفوظة في معهد المخطوطات لجامعة الدول العربية ٠

(٣) انظر : سنن النسائى (المجتبى) بشرح زهر الربى ج ١/٨ ، والبحر الذى زخر في شرح الفية الاثر للسيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ ورقة (٦٥ ـ أ ـ) مخطوط في دار الكتب المصرية تحت رقم (١٠ حليم مصطلح الحديث) وابن رشيد هو محمد بن عمر بن محمد ابن عمر بن رُشيد ، أبو عبد الله السبتي الفهري المالكى المتوفى سنة ٧٢١ هـ ٠ رحالة عالم بالادب ، عارف بالتفسير والتاريخ ٠ وله (المحاكمة بين البخاري ومسلم) و (مسألة العنعنة) و (ايضاحُ المذاهب فيمن يطلق عليه اسْم الصاحب) و (ترجمان التراجم على أبواب البخارى) لم يتمه وله غير ذلك من الكتب والرسائل ٠ انظر : الدرر الكامنة ج ١١١/٤ ـ ١١٣ ٠

لاجرم أن الشيخ تقى الدين قال في شرح الالمام هذا الكلام من أبي زرعة لا بد من تأويله واخراجه عن ظاهره وحمله على وجه يصح ، وعجيب قول ابن طاهر حسبك من كتاب يعرض على أبي زرعة الرازى ويذكر هذا الكلام بعد امعان النظر والنقد وقوله ولعمرى ان كتاب أبي عبد الله بن ماجة من نظر فيه علم منزلة الرجل من حسن الترتيب وغزارة الأبواب وقلة الأحاديث وترك التكرار ولا يوجد فيه عن النوازل والمقاطيع والمراسيل والرواية عن المجروحين الا هذا القدر الذى أشار اليه أبو زرعة . وروى ابن عساكر عن أبي الحسن بن بالويه قال أبو عبد الله بن ماجة : عرضت هذه النسخة على أبي زرعة فنظر فيه وقال أظن إن وقع هذا في أيدي الناس تعطلت هذه الجوامع كلها أو أكثرها ثم قال : لعله لا يكون فيه تمام ثلاثين حديثا مما في اسناده ضعف ، أو قال عشرين ونحوها من الكلام ، قال : وحكى عنه أنه نظر في جزء من أجزائه وكان عنده في خمسة أجزاء قال الشيخ تقى الدين : لا بد من تأويله جزما ولعله أراد ذلك الجزء الذى نظر فيه أو غيره مما يصح) (١) .

والحق أن سنن ابن ماجة فيها أكثر من هذا العدد المشار اليه من الأحاديث المنتقدة . ولقد ساق الشيخ محمد عبد الرشيد النعمانى في كتابه (ما تمس اليه الحاجة لمن يطالع سنن ابن ماجة) (٣٤) حديثا من أحاديث سنن ابن ماجة والتى ذكرها الجوزى في الموضوعات ثم قال : « فهذه أربعة وثلاثون حديثا قد حكم عليها ابن الجوزى بالوضع وقد تركت من الأحاديث ما أدرجها ابن الجوزي في الموضوعات وشطرها مروى في سنن ابن ماجة أولها شاهد في كتابه ، والحافظ السيوطي ذكر في كتابه (القول الحسن في الذب عن السنن)، ستة عشر حديثا مما أورده ابن الجوزى في الموضوعات وهو في سنن ابن ماجة وأورد في التعقبات على الموضوعات من كتاب ابن الجوزي ثلاثين حديثا فزدت عليه الأربعة ولله الحمد) . وقال النعماني أيضا : ويوجد في كتاب ابن ماجة أحاديث اخر قد حكم عليها بعض الحفاظ بالوضع أو البطلان منها ....) وذكر سبعة أحاديث (٢) .

ولقد جمعت الرجال الذين انفرد ابن ماجة بالرواية عنهم دون أصحاب الكتب الستة وتكلم فيهم الامام أبو زرعة بالضعف أو الكذب أو غير ذلك من ألفاظ التجريح فكانت مجموعة كبيرة اذكرها بعد هذا الكلام مع الاشارة الى المصادر التى نقلت أقوال أبي زرعة فيهم . واضافة الى هؤلاء هنالك من الرجال الذين تكلم فيهم أبو زرعة وقد انفرد بالرواية عنهم ابن ماجة والامام الترمذى دون الائمة الستة ، وكذلك من انفرد بالرواية عنهم ابن ماجة

---

(١) انظر : الجزء الأول من كتاب (البدر المنير في تخريج الأحاديث بالاثار الواقعة في الشرح الكبير) ورقة (١٥) وانظر الخبر أيضا الى قوله في خمسة أجزاء في تاريخ دمشق لابن عساكر في ترجمة ابن ماجة نسخة معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية تحت رقم (٦٠٢ تاريخ) المصورة من نسخة الظاهرية . وابو الحسن هو على بن عبد الله بن الحسن الرازى .

(٢) انظر : ماتمس اليه الحاجة لمن يطالع سنن ابن ماجة لمحمد رشيد الهندي ط الهند ص ٤٤ ـ ٤٥ .

والامام أبو داود دون الأئمة الستة ، وقد أرجأت ذكر هؤلاء الرواة والأحاديث التى رووها الى دراسة موسعة في سنن ابن ماجة أرجو إنهاءها ٠

أسماء الرواة الذين انفرد الامام ابن ماجة في الرواية عنهم في سننه دون رجال الكتب الستة

١ ـ ابراهيم بن محمد بن أبي يحيى ، واسمه سمعان الأسلمي مولاهم ، أبو اسحاق المدني ت ١٨٤ هـ ذكره أبو زرعة في أسماء الضعفاء (١) ٠

٢ ـ ابراهيم بن مسلم العبدي ، أبو اسحاق الكوفي المعروف بالهجرى قال عنه : (ضعيف) (٢) ٠

٣ ـ (خت ق) ابراهيم بن اسماعيل بن مجمع بن يزيد وقيل ابن زيد بن مجمع الأنصاري ، أبو اسحاق المدنى ٠ نقل ابن أبي حاتم عن أبى زرعة أنه قال عنه (لا يسوى حديثه ، وسكت ثم قال بعد ذلك ـ أي أبو زرعة ـ لا يسوى حديثه فلسين) (٣) ٠ وذكره أبو زرعة أيضاً في أسماء الضعفاء (٤) ٠

٤ ـ اسحاق بن ابراهيم بن سعيد الصواف المدنى ، وقيل المزنى مولى مزينة ٠ قال عنه : (منكر الحديث ليس بقوي) (٥) ٠

٥ ـ اسماعيل بن زياد ، ويقال ابن أبي زياد ، السكونى قاضي الموصل ٠ قال البَرْذعي : وسمعته ـ أي أبو زرعة ـ يقول : (اسماعيل بن أبي زياد يروى أحاديث مفتعلة قلت ـ أي البرذعي ـ من أين هو ؟ قال : كوفي حدث عن اسرائيل ، عن أبي اسحاق ، عن

---

(١) انظر : كتاب الضعفاء لابي زرعة حرف ـ أ ـ ، وقال عنه : (ليس بشىء) انظر : الجرح والتعديل ج ١ / ق١ / ١٢٧ ، وكذا في تهذيب التهذيب ج ١٦٠/١ ٠ وقال الذهبى في ميزان الاعتدال ج ٦١/١ (ماخرج له ابن ماجة سوى الحديث الماضى من مات مريضا مات شهيدا) ، انظر : سنن ابن ماجة ج ٥١٦/١ ٠

ملاحظة : اذا ذكر أحد الرواة في أسماء الضعفاء لابي زرعة فاذكر الحرف الذي ذكر فيه ذلك الراوى أما اذا ذكره في الأجوبة ـ أي أجوبة أبي زرعة على أسئلة البَرذَعيِ ـ فسأشير الى رقم الورقة لان الكتاب المخطوط يحتوى على كتاب الضعفاء لابي زرعة مع أجوبته على أسئلة البَرْذَعيِ ٠

(٢) انظر : تهذيب التهذيب ج ١٦٥/١ ٠

(٣) انظر : الجرح والتعديل ج ١ ق ٨٤/١ وفي تهذيب التهذيب ج ١٠٥/١ ، وقال أبو زرعة : سمعت أبا نعيم ـ أى الفضل بن دكين ـ يقول : (لا يسوى حديثه فلسين) ٠

(٤) انظر : كتاب الضعفاء لابي زرعة حرف ـ أ ـ ٠

(٥) انظر : الجرح والتعديل ج ١ ق٢٠٦/١ ، وتهذيب التهذيب ج ٢١٤/١ ، وأسماء الضعفاء لابن الجوزى ، واكتفى الذهبى في ميزان الاعتدال ج ١٧٦/١ بقوله (منكر الحديث) ٠

الحارث ، عن علي في (الكرفس بقلة الأنبياء) (١) .

٦ - (بخ ق) اسماعيل بن سلمان بن أبى المغيرة الأزرق التميمي الكوفي قال عنه : (واهي الحديث ، ضعيف الحديث) (٢) .

٧ - اسماعيل بن محمد بن يحيى الطلحى الكوفي ت ٢٣٢ هـ أو ٢٣٣ هـ قال البرذعي : (وانتهى أبو زرعة في كتاب الفوائد الى حديث اسماعيل بن محمد الطلحي ، عن داود بن عطاء (٣) ، عن صالح بن كيسان (٤) ، عن سعيد بن المسيب (٥) ، عن أبىّ بن كعب (٦) ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، (أول من يصافح الحق عمر) (٧) ، فلم يقرأه ،

---

١ - (ع) الحارث بن عبد الله الاعور ، الهمداني ، الخارفي ، ابو زهير الكوفي ت ٦٥ هـ قال عنه ابو زرعة : لا يحتج بحديثه) انظر : الجرح والتعديل ج ٨ ق ٧٩/٢ ، وتهذيب التهذيب ج ١٤٦/٢ .

والحديث بهذا اللفظ لم اقف عليه الا ان السيوطي ذكر في اللآلىء المصنوعة ج ٢٢٣/٢ كتاب الاطعمة ، وابن عراق في تنزيه الشريعة ج ٢٦٣/٢ عن الحسن بن على ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له « يابني كل الكرفس فانها بقلة الأنبياء » .

(٢) انظر : الجرح والتعديل ج ٨ ق ١٧٦/٨ ، وتهذيب التهذيب ج ٣٠٣/٨ - ٣٠٤ ونقل البرذعى في الأجوبة عن ابي زرعة تضعيفه لاسماعيل . انظر : كتاب الضعفاء لابي زرعة مع أجوبته على اسئلة البرذعي ورقة (١١ - ب -) .

(٣) (ق) داود بن عطاء المزني مولاهم ، ويقال مولى الزبير ابو سليمان المدينى قال عنه ابو زرعة « منكر الحديث » انظر : الجرح والتعديل ج ٨ ق ٤٢١/٢ ، وتهذيب التهذيب ج ١٩٤/٨ .

(٤) (ع) صالح بن كيسان المدني ابو محمد ويقال ابو الحارث قال ابن حبان « كان من فقهاء المدينة والجامعين للحديث والفقه من ذوى الهيئة والمروءة) توفي بعد ١٤٠ هـ انظر : تهذيب التهذيب ج ٣٩٩/٤ - ٤٠٠ .

(٥) (ع) سعيد بن المسيب ، أبو محمد المخزومي الامام أجل التابعين كان واسع العلم وافر الحرمة متين الديانة ، قوّالا بالحق فقيه النفس توفي سنة ٩٤ هـ . انظر : تذكرة الحفاظ ج ٥٤/٨ - ٥٦ .

(٦) (ع) ابَى بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو ابو المنذر المدني سيد القراء كان من أصحاب القضاء من الصحابة ، شهد بدراً والمشاهد كلها ، وكان عمر يسميه سيد المسلمين . انظر : تهذيب التهذيب ج ١٨٧/٨ - ١٨٨ ، والاصابة ج ٢٧/٨ - ٢٨ .

(٧) رواه ابن ماجة في سننه ج ٣٩/٨ قال : ثنا اسماعيل بن محمد الطلحي ، أنبأنا داود بن عطاء المديني ، عن صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبَى بن كعب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أول من يصافحه الحق عمر . وأول من يسلم عليه . وأول من يأخذ بيده فيدخله الجنة) قال ابن كثير في جامع المسانيد : هذا حديث منكر جداً ، وما هو أبعد من أن يكون موضوعا ، كذا في حاشية على سنن ابن ماجة ج ٣٩/٨ . ورواه الحاكم في المستدرك ج ٨٤/٣ من طريق يحيى بن سعيد ، =

وقال : « حديث منكر ، وأمرنا أن نضرب عليه ، ثم قرأه عليّ في كتاب الفضائل بعد أن ألححت عليه » (١) ٠

٨ ـ بشار بن كدام ، السلمي ، الكوفي ، قال البرذعي : (قلت لأبي زرعة : بشار بن كدام ؟ قال : ضعيف الحديث ، حدث عن محمد بن زيد (٢) ، عن ابن عمر (٣) عن النبى صلى الله عليه وسلم (الحلف حنث أو ندم) (٤) ، ورواه عاصم بن محمد بن زيد (٥) ، عن أبيه ، قال : (كان عمر يقول : (اليمين مأثمة) (٦) ، حدثناه أحمد بن يونس ، وجماعة) (٧) ٠

٩ ـ بشر بن منصور الحناط عن أبي زيد ، عن المغيرة ، عن ابن عباس بحديث (أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة ...) الحديث ٠ قال عنه : (لا أعرفه ولا أعرف أبا زيد) (٨) ٠

١٠ـ بشر بن نمير القشيرى البصري روى عن مكحول والقاسم بن عبد الرحمن وروى عنه نسخة كبيرة ساقطة ت ما بين (١٤٠ ـ ١٥٠ هـ) قال البرذعي : وقلت : (حديث صفوان

= عن سعيد بن المسيب ، عن ابي ..... وزاد في أوله « أول من يعانقه الحق يوم القيامة) ولم يذكر « وأول من يسلم عليه » ٠ وقال عنه الذهبى في تلخيص المستدرك ج ٨٤/٣ (موضوع وفي اسناده كذاب) وذكر في ميزان الاعتدال ج ١٢/٢ في ترجمة داود بن عطاء ان الحديث ذكره ابن ابي عاصم في كتاب السنة بنفس سند ابن ماجة واللفظ دون ذكر (وأول من يسلم عليه) وقال عنه : هذا منكر جداً ٠

(١) انظر : كتاب الضعفاء لابي زرعة مع اجوبته على اسئلة البرذعي ورقة (٢٩ ـ ب ـ) ٠

(٢) (ع) محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، القرشى ، العدوي روى عن جده وسعيد بن زيد بن عمرو وغيرهما ، وثقه أبو زرعة وابو حاتم وقال يحتج به ٠ انظر : تهذيب التهذيب ج ١٧٢/٩ ٠

(٣) (ع) عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل ، القرشى ، العدوي ، ابو عبد الرحمن المكي ، اسلم قديما وهو صغير وهاجر مع أبيه واستصغر في أحد ثم شهد الخندق وبيعة الرضوان والمشاهد بعدها ت ٧٣ أو ٧٤ هـ ٠ انظر : تهذيب التهذيب ج ٣٢٨/٥ ـ ٣٣٠ ، الاصابة ج ١٨١/٤ ـ ١٨٨ ٠

(٤) رواه ابن ماجة في سننه ج ٦٨٠/١ من طريق بشار بن كدام ، ورواه الحاكم في المستدرك ج ٣٠٣/٤ وقال (قد كنت أحسب برهة من دهري بشار هذا أخو مسعر فلم أقف عليه وهذا الكلام صحيح من قول ابن عمر) ، ورواه الطبرانى في المعجم الصغير ج ١١٢/٢ ثم قال : لم يروه عن بشار الا معاوية ولا نحفظ لبشّار حديثا مسندا غير هذا ٠ ورواه أبو يعلى ، والعسكرى فيما ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة ص ١٩٣ ٠ وانظر : كشف الخفاء ومزيل الألباس ج ٣٦٥/١ ، ورواه البخارى في التاريخ انظر الجامع الصغير ج ١٥١/١ ، وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال في ترجمة بشار ج ٣١٠/١ بلفظ : (اليمين حنث أو ندم) وقال : اخرجه ابن أبي شيبة ٠

(٥) (ع) عاصم بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب العمري المدني روى عن أبيه واخوته ، وغيرهم قال أحمد وابن معين وأبو داود (ثقة) وقال أبو زرعة : صدوق في الحديث ٠ انظر : تهذيب التهذيب ج ٥٧/٥ ٠

(٦) رواه الحاكم في المستدرك ج ٣٠٤/٤ من طريق عاصم بن محمد الى ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال (انما اليمين مأثمة أو مندمة) وانظر : المقاصد الحسنة ص ١٩٣ ، وكشف الخفاء ومزيل الالباس ج ٣٦٥/١ ٠

(٧) انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة مع اجوبته على أسئلة البرذعي ورقة (٤ ـ ب ـ) ونقل المزي قول ابي زرعة فيه ٠ انظر : تهذيب التهذيب ج ٤٤٠/١ ، وكذلك الذهبي في ميزان الاعتدال ج ٣١٠/١ ٠

(٨) انظر : الجرح والتعديل ج ١ ق ٣٦٥/١ ، وتهذيب التهذيب ج ٤٦٠/١ ٠

ابن أمية (١) (من دُفّى بكفّي) (٢) حديث يحيى بن العلاء (٣) ؟ فكلح وجهه وحرك رأسه وقال : حدثنا به سلمة بن شبيب (٤) ولم يردّ عليّ فيه جوابا كأنه أنكره اذ هو رواية يحيى ابن العلاء وبشر بن نمير . قال أبو عثمان - أي البرذعي - سمعت محمد بن سهل بن عسكر (٥) كذاب رافضي ، يضع الحديث ، وبشر بن نمير أسوأ حالا منه) (٦) .

١١ - بشير بن ميمون الخراساني ثم الواسطي ، أبو صيفي ت مابين (١٨٠ هـ - ١٩٠ هـ) قال ابن أبي حاتم : « سئل أبو زرعة عنه فقال : ضعيف الحديث . ولم يمنع من قراءة حديثه » (٧) .

١٢ - ثابت بن موسى بن عبد الرحمن بن سلمة الضبي ، أبو يزيد الكوفي الضرير العابد ، ت ٢٢٩ أو ٢٢٨ هـ . قال ابن أبي حاتم : « امسك أبي وأبو زرعة الرواية عنه » (٨) .

١٣ - جبارة بن المغلس الحمانى ، أبو محمد الكوفي ت ٢٤١ هـ قال البرذعى : (سمعت أبا زرعة : ذكر جبارة بن المغلس ، فقال : أما أنه كان لا يتعمد الكذب ، ولكن كان يوضع له الحديث فيقرأه) (٩) .

---

(١) (خت م ٤) صفوان بن أمية بن خلف بن وهب الجمحى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم وكان من أشراف قريش في الجاهلية والاسلام . ت ٤١ أو ٤٢ هـ . انظر تهذيب التهذيب ج ٤٢٤/٤ - ٤٢٥ . والاصابة ج ٤٣٢/٣ - ٤٣٤ .

(٢) رواه ابن ماجة في سننه ج٨٧١/٢ - ٨٧٢ من طريق يحيى بن العلاء . أنه سمع بشر بن نمير أنه سمع مكحولاً يقول أنه سمع يزيد ابن عبد الله أنه سمع صفوان بن أمية قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء عمر بن مرة فقال : يارسول الله ، ان الله قد كتب عليّ الشقوة ، فما أرانى أرزق الا من دُفّى بكفيّ ، فأذن لِي في الغناء في غير فاحشة .... وذكر بقية الحديث . وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال ج ٣٢٦/١ في ترجمة بشر بن نمير القشيرى البصري .

(٣) (دق) يحيى بن العلاء البجلى ، أبو سلمة ، ويقال أبو عمرو الرازي ت مابين (١٥٠ - ١٦٠ هـ) قال : عنه أبو زرعة (في حديثه ضعف) . انظر : الجرح والتعديل ج ٤ - ق ١٨٠/٢ ، وتهذيب التهذيب ج ٢٦٢/١١ .

(٤) (م ٤) سلمة بن شبيب النيسابورى ، أبو عبد الرحمن الجحري المسمعي نزيل مكة الحافظ الجوال قال النسائى عنه : (ليس به بأس) ت ٢٤٧ أو ٢٤٦ هـ . انظر : تهذيب التهذيب ج ١٤٦/٤ . تذكرة الحفاظ ج ٥٤٣/٢ .

(٥) (م ت س) محمد بن سهل بن عسكر بن عمارة التميمى مولاهم أبو بكر الحافظ الجوّال روى عن عبد الرزاق وغيره ، وعنه مسلم ، والنسائى ، وأبو حاتم والذهلى وكان ثقة صدوقاً ت ٢٥١ هـ . انظر : تهذيب التهذيب ج ٢٠٧/٩ .

(٦) انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة ..... ورقة (٢٣ - ب -) .

(٧) انظر : الجرح والتعديل ج ١ ق ٣٧٩/١ . وذكره ابو زرعة في كتابه الضعفاء حرف - ب - انظر كتاب الضعفاء لابي زرعة .... ورقة (٢٥ - ب -) .

(٨) انظر : الجرح والتعديل ج ١ ق ٤٥٨/١ ، وتهذيب التهذيب ج ١٥/٢ .

(٩) انظر : كتاب الضعفاء لابي زرعة ... ورقة (١٣ - ا -) . وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ج ١ ق ٥٥٠/١ (كان أبو زرعة حدث عنه في أول أمره وكناه . قال : حدثنا أبو محمد الحمانى ، ثم ترك حديثه بعد ذلك فلم يقرأ علينا حديثه) . وقال : أي أبو زرعة - (قال لى ابن نمير : ما هو عندى ممن يكذب . قلت : ماحاله ؟ كان يوضع له الحديث فيحدث به وما كان عندِي ممن يتعمد الكذب) وانظر : تهذيب التهذيب ج ٥٨/٢ حيث ذكر قول أبي زرعة فيه باختصار .

١٤ ـ جعفر بن الزبير الحنفي ، وقيل الباهلى الدمشقي نزيل البصرة ت ما بين (١٤٠ ـ ١٥٠ هـ) ٠ قال عنه : (لا أحدث عنه ، ليس بشىء) (١) ٠

١٥ ـ جميل بن الحسن بن جميل الازدى العتكي الجهضمي ، أبو الحسن البصرى ، نزيل الأهواز (٢) ٠ سأل البرذعى أبا زرعة عنه فقال : (قد كنت كتبت عنه ٠ وسألت عنه نصر بن على الجهضمي (٣) فقال : اتق الله ، ذاك زفّان (٤) ، يجتمع بالليل مع هؤلاء المغبّرين (٥) يزفن ، ويرقص معهم ٠ قال أبو زرعة : فضربت على ما كتبت عنه » (٦) ٠

١٦ ـ (خدق) جويبر بن سعيد الأزدي ، أبو القاسم البلخي عداده في الكوفيين ، ويقال اسمه جابر ، وجويبرت ما بين (١٤٠ ـ ١٥٠ هـ) ٠ قال ابن أبي حاتم : « سمعت أبي وأبا زرعة يقولان : جويبر بن سعيد كان خرسانيا ليس بالقوى » (٧) ٠

١٧ ـ الحارث بن عمران الجعفري المدني ، قال عنه : « ضعيف الحديث ، واهي الحديث » (٨) ٠

---

(١) انظر : كتاب الضعفاء لابي زرعة ٠٠٠٠ ورقة (١٤ ـ ب ـ) وروى بسنده الى عبد الله ابن المبارك انه اتهم بانه كان يخلط ـ اي في الحديث ـ وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ج ٨/ ق ٤٧٩/٨ « سمعت أبا زرعة يقول : ـ وكان في كتابنا حديث عن جعفر بن الزبير ـ فقال اضربوا عليه ٠ فقلت : ماحال جعفر بن الزبير ؟ اضعيف هو ؟ قال : كما يكون لا أحدث عنه ليس بشىء) وانظر : تهذيب التهذيب ج ٩١/٢ حيث ذكر قول ابي زرعة فيه باختصار ٠

(٢) الأهواز : سبع كور بين البصرة وفارس ، لكل كورة منها اسم ويجمعهن الأهواز ٠ انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي في مادة (الاهواز) ومراصد الاطلاع ج ١٣٥/٨ ٠

(٣) (ع) نصر بن على بن نصر بن على ، أبو عمرو الازدى الجهضمى البصري الحافظ العلامة روى عن سفيان بن عيينة وغيره ٠ قال أحمد : مابه بأس ، وقال النسائى : ثقة وقال أبو حاتم : هو أحبّ الى من الفلاس واحفظ منه وأوثق ت ٢٥٠ هـ ٠ انظر : تذكرة الحفاظ ج ٥١٩/٢ ٠

(٤) الزَّفْنُ : الرَّقْص ٠ انظر : تهذيب اللغة ج ٢٢٤/٣ ، والقاموس المحيط ج ٢٣٣/٤ ٠

(٥) المُغبِّرَة : قوم يغبرون ، يذكرون الله بدعاءٍ وتضرُّع ، وقد يسمّى ما يقرأ بالتّطريب من الشّعر في ذكر الله تعالى تغبيراً كأنهم إذا تناشدوها بالألحان طربوا فرقصوا وأرْهَجوا فسمُّوا مُغبرة بهذا المعنى ، قال الشافعى رحمه الله : أرَى الزَّنادِقَةَ وضعوا هذا التغبيرَ ليصدُّوا الناس عن ذكر الله وقراءة القرآن ٠ وقال أبو اسحاق النحويُّ : سمّى هؤلاء مغبِّرين لتَزْهيدِهم الناسَ في الفانيةِ الماضية وترغيبهم في الغابِرَة ، وهى الآخرة الباقية ٠ انظر : تهذيب اللغة ج ١٢٢/٨ ـ ١٢٣ ، والقاموس المحيط ج ١٠٣/٢ ٠

(٦) انظر : كتاب الضعفاء لابي زرعة ٠٠٠٠٠ ورقة (٢٣ ـ أ ـ) ٠

(٧) انظر : الجرح والتعديل ج ٨/ ق ٥٤١/٨ ، وذكره أبو زرعة في كتاب الضعفاء حرف ـ ج ـ وقال عنه أبو زرعة أيضاً : لا يحتج بحديثه ٠ انظر : كتاب الضعفاء لابي زرعة ٠٠٠٠ ورقة (٣٣ ـ ب ـ) وورقة (٣٩ ـ ب ـ) ٠

(٨) انظر : الجرح والتعديل ج ٨/ ق ٨٤/٢ ، وتهذيب التهذيب ج ٢/ ١٥٢ ٠ واكتفى الذهبى في ميزان الاعتدال ج ٤٣٩/٨ بقوله (واهي الحديث) ونقل الجوزي في أسماء الضعفاء عنه انه قال (ضعيف الحديث واه) ٠

١٨ ـ حيان بن على العنزي الكوفي ت ١٧١ أو ١٧٢ هـ قال عنه : « لين » (١) ٠

١٩ ـ حبيب بن أبي حبيب ابراهيم ، ويقال مرزوق ، ويقال زريق الحنيفي أبو محمد المصري كاتب مالك ت ٢١٨ هـ قال البرذعي : « سمعت أبا زرعة يقول : وقع بمصر رجلان كانا يضعان الحديث ، خالد بن نجيح (٢) ، وحبيب بن رزيق » (٣) ٠

٢٠ ـ حَريش بن الخرّيت ، البصري ، أخو الزبير ٠ قال عنه (واهي الحديث) (٤) ٠

٢١ ـ حصين والد داود بن الحصين الاموي مولاهم ذكره أبو زرعة في أسماء الضعفاء (٥) ٠

٢٢ ـ حفص بن جميع العجلى الكوفي ٠ قال عنه : « ليس بالقوي » (٦) ٠

٢٣ ـ حفص بن عمر بن ميمون ، العدني ، أبو اسماعيل الملقب بالفرخ مولى عمر ويقال مولى على ، ويقال له الصنعاني قال عنه : واهي (٧) ٠

٢٤ ـ حماد بن عبد الرحمن الكلبي ، أبو عبد الرحمن من أهل قنسرين ، وقيل كوفي ، وقيل حمصي : قال عنه (يروى أحاديث مناكير) (٨) ٠

٢٥ ـ حميد بن أبي سويد ، ويقال ابن أبي سوية ، ويقال ابن أبي حميد المكي قال عنه : « ضعيف الحديث » (٩) ٠

---

(١) انظر : الجرح والتعديل ج ٨ ق ٢٧٠/٢ . وتهذيب التهذيب ج ١٧٣/٣ . وميزان الاعتدال ج ٤٤٩/٨ روى له ابن ماجة في السنن حديثاً واحداً ، وآخر في التفسير ٠

(٢) خالد بن نجيح المصرى ، كان يصحب عثمان بن صالح المصرى قال أبو حاتم عنه (هو كذاب كان يفتعل الأحاديث ويضعها في كتب ابن ابي مريم وابي صالح ، وهذه الأحاديث التى انكرت على أبي صالح يتوهم انه من فعله) انظر : الجرح والتعديل ج ٨ ق ٣٥٥/٢ . وميزان الاعتدال ج ٦٤٤/٨ ٠

(٣) انظر : كتاب الضعفاء لابي زرعة ..... ورقة (١٢ ـ أ ـ) . وروى له ابن ماجة حديثا واحداً في البيوع ٠

(٤) انظر : المصدر السابق ورقة (٨ ـ أ ـ) ٠ ونقل المزّي قول أبي زرعة فيه ٠ انظر : تهذيب التهذيب ج ٢٤١/٢ وفي ميزان الاعتدال ج ٤٧٦/٨ اكتفى بقوله . في علل الحديث ج ٤٧/٨ قال ابو زرعة عن حديث رواه : (هذا حديث منكر ، والحريش شيخ لا يحتج بحديثه) ٠ روى له ابن ماجة حديثاً واحداً عن عائشة (كنت أضع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة آنية مخمرة) انظر : سنن ابن ماجة ج ٩٩/٨ ، ١٢٩ ، ج ١١١٩/٢ ، ١١٢٩ ٠

(٥) انظر : كتاب الضعفاء لابى زرعة حرف ـ ح ـ وقال عنه ابن حبان : « كان ممن اختلط في آخر عمره حتى كان لا يدرى ما يحدث به . واختلط حديثه القديم بحديثه الاخير فاستحق الترك » انظر : المجروحين ج ٢٧٠/٨ ٠ روى له ابن ماجه حديثا واحدا في الجنائز ٠ انظر سنن ابن ماجة ج ٤٩٥/١ ٠

(٦) انظر : الجرح والتعديل ج ٨ ق ١٧١/٢ وتهذيب التهذيب ج ٣٩٧/٢ . وميزان الاعتدال ج ٦٥٦/٨ . وأسماء الضعفاء لابن الجوزى ٠

(٧) انظر : كتاب الضعفاء لابي زرعة ..... ورقة (١٠ ـ أ ـ) له عند ابن ماجة حديث واحد من جحد آية من القرآن فقد حل ضرب عنقه ٠ انظر : سنن ابن ماجة ج ٨٤٨/٢ ـ ٨٤٩ ٠

(٨) انظر : المصدر السابق ورقة (١٥ ـ ب ـ) ، والجرح والتعديل ج ٨ ق ١٤٣/٢ ، وتهذيب التهذيب ج ١٨/٢ ٠

(٩) انظر : كتاب الضعفاء لابي زرعة ..... ورقة (٤ ـ ب ـ) ٠

٢٦ ـ داود بن عطاء المزني مولاهم ، ويقال مولى الزبير ، أبو سليمان المديني قال عنه : « منكر الحديث » (١) ٠

٢٧ ـ (قدق) داود بن المُحَبَّر بن مَحْذَم بن سليمان الطائى ، ويقال الثقفي البَكْرَاوي ، أبو سليمان البصرى نزيل بغداد وصاحب كتاب العقل ت ٢٠٦ هـ قال عنه : « ضعيف الحديث » (٢) ٠

٢٨ ـ دهثم بن قران العكلى ، ويقال الحنفى اليمامي الذي روى عن يحيى بن كثير وغيره ٠ قال عنه : (ضعيف الحديث) (٣) ٠

٢٩ ـ الربيع بن حبيب الملاح العبسي مولاهم ، أبو هاشم الكوفي الاحول ت ما بين (١٥٠ ـ ١٦٠ هـ) ذكره أبو زرعة في أسماء الضعفاء (٤) ٠

٣٠ ـ زكرياء بن منظور يقال اسم جده عقبة بن ثعلبة بن أبي مالك ، ويقال زكرياء ابن يحيى بن منظور بن ثعلبة القرضى ، أبو يحيى المدنى قال عنه : « واهي الحديث » (٥) ٠

---

(١) انظر : كتاب الضعفاء لابي زرعة حرف ـ د ـ والجرح والتعديل ج ٨ ق ٤٢١/٢ ، وتهذيب التهذيب ج ١٩٤/٣ ملاحظة : قال إبن حجر في آخر ترجمة داود بن عمر الضبي في تهذيب التهذيب ج ١٩٥/٣ (وحكى ابن الجوزى في الضعفاء ان أبا زرعة وابا حاتم قالا أنه منكر الحديث فيحرر هذا) وكذا فعل الذهبى في ميزان الاعتدال ج ١٧/٢ ، وانظر : اسماء الضعفاء لابن الجوزى ، وعقب ذلك الشيخ المعلمي اليماني في حاشية ج ٨ ق ٤٢٠/٢ (انما قالا ذلك في الآتى ـ اي داود بن عطاء ـ فكأن ابن الجوزى لم يتفطن لاول الترجمة الآتية وتوهم ان ما فيها من الكلام يتعلق بهذا ٠ ونقل ابن الجوزي في ترجمة ـ ابن عطاء ـ عن ابي زرعة قوله (متروك الحديث) والصواب قوله (منكر الحديث) ٠

(٢) انظر : كتاب الضعفاء لابي زرعة ···· ورقة (١٧ ـ أ ـ) ، وانظر : الجرح والتعديل ج ٨ ق ٤٢٤/٢ ، وتهذيب التهذيب ج ٢٠٠/٣ ; وتاريخ بغداد ج ٣٦١/٨ ، واكتفى الذهبي في ميزان الاعتدال ج ٢٠/٢ بقوله (ضعيف) روى له ابن ماجه حديثه عن الربيع بن صبيح عن يزيد الرقاشي ، عن أنس في فضل قزوين وهو منكر يقال أنه أدخله عليه ، قال الذهبي : (لقد شان ابن ماجة سننه بادخاله هذا الحديث الموضوع فيها) وذكر ابو زرعة في كتابه الضعفاء حرف ـ د ـ انظر : سنن ابن ماجة ج ٩٢٩/٢ ٠

(٣) انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة ···· ورقة (١١ ـ أ ـ) وقال الذهبي في ميزان ج ٢٩/٢ في ترجمة دهثم « وقد روى دهثم بن قرَان ، عن نمران ابن جارية ، عن أبيه من بنى حنيفة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم : يأخذ ماء جديداً للاذنين رواه ابن ماجة ولا يصح لحال دهثم وجهالة نمران) ٠

(٤) انظر : كتاب الضعفاء لابى زرعة في حرف ـ ر ـ وقال عنه أيضاً « شيعى » انظر : الجرح والتعديل ج ٨ ق ٤٥٨/٢ ، وتهذيب التهذيب ج ٢٤١/٣ ، وميزان الاعتدال ج ٤٠/٢ ٠ له في سنن ابن ماجة حديث واحد في النهى عن ذبح ذوات الدر ٠

(٥) انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة ··· ورقة (١٠ ـ أ ـ) وكذا في ميزان الاعتدال ج ٧٨/٢ ٠ وروى الخطيب في تاريخه ج ٤٥٢/٨ بسنده الى البرذعى قول ابي زرعة وزاد على واهي الحديث (واهي الحديث منكر الحديث) ، وكذلك نقله المزى كما في تهذيب التهذيب ج ٣٣٣/٣ . أما في الجرح والتعديل ج ٨ ق ٥٩٧/٢ قال عنه « ليس بقوي » ٠

٣١ - السري بن اسماعيل الهمداني الكوفي ابن عم الشعبي ذكره في أسماء الضعفاء (١) ٠

٣٢ - سعّاد (كجبّار) بن سليمان الجعفي ، ويقال التميمى ، الكوفي قال عنه : « ضعيف » (٢) ٠

٣٣ - سعيد بن خالد بن أبي طويل ، القرشي ، الصيداوى روى عن أنس وغيره قال : ضعيف الحديث حدث عن أنس بمناكير (٣) ٠

٣٤ - سعيد بن سنان ، أبو مهدي الحنفي ، ويقال الكندي الحمصى ت ١٦٣ أو ١٦٨ هـ قال ابن أبي حاتم : « سألت أبا زرعة عنه فأومأ بيده أنه ضعيف » (٤) ٠

٣٥ - سعيد بن الجبار الزبيدي ، أبو عثمان ، ويقال أبو عثيم بن أبي سعيد الحمصي ذكره أبو زرعة في أسماء الضعفاء (٥) ٠

٣٦ - سلام بن مسلم ، أبو سليمان ، ويقال أبو أيوب ، ويقال أبو عبد الله وهو سلّام الطويل المدائنى ت بحدود ١٧٧ هـ قال البرذعي : (وذكرت لأبي زرعة في حديث جرى عنده سلام الطويل ؟ فحرك رأسه كالمتعجب من ذكرى له كأن سلاماً الطويل عنده في موضع لا يذكر ومر بحديث في كتابنا ، عنه ، عن قبيصة (٦) ، عن سلام ، فأمر أن نضرب عليه ، وقال : سلّام ما نصنع به) (٧) ٠

٣٧ - أبو بكر الهذلى البصري ، اسمه سلمى بن عبد الله بن سلمى ، وقيل اسمه روح وهو ابن بنت حميد بن عبد الرحمن الحميري ت ١٦٧ هـ قال عنه : « ضعيف » (٨) ٠

---

(١) انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة في حرف - س - ٠

(٢) انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة ····· ورقة (١٥ - أ -) ٠

(٣) انظر : كتاب الضعفاء لابي زرعة ······ ورقة (٣ - أ -) واقتصر الذهبي في ميزان الاعتدال ج ١٣٢/٢ على قوله (ضعفه ابو زرعة وغيره) والمزىّ على قوله (ضعيف الحديث) انظر : تهذيب التهذيب ج ٢٠/٤ ٠

(٤) انظر : الجرح والتعديل ج ٢/ ق ٢٨/١ - ٢٩ وكذا في تهذيب التهذيب ج ٤٧/٤ وذكره ابو زرعة في اسماء الضعفاء حرف - س - ٠

(٥) انظر : كتاب الضعفاء لابي زرعة حرف - س - روى له ابن ماجة حديثا واحدا في الكحل وهو صائم ٠ انظر : سنن ابن ماجة ج ٥٣٦/١ ٠

(٦) (ع) قبيصة بن عقبة بن محمد بن سفيان بن عقبة السوائى ، ابو عامر الكوفي كان ثقة صدوقا كثير الحديث عن سفيان الثورى ت ٢١٣ هـ ٠ انظر : تهذيب التهذيب ج ٣٤٧/٨ - ٣٤٩ ، والجرح والتعديل ج ٣/ ق ١٢٦/٢ - ١٢٧ ٠

(٧) انظر : كتاب الضعفاء لابي زرعة ····· ورقة (٢٢ - ب -) ونقل ابن ابي حاتم في الجرح والتعديل ج ٢/ ق ٢٦٠/١ عن ابي زرعة أنه قال عنه (ضعيف الحديث) ، واكتفى في تهذيب التهذيب ج ٢٨١/٤ - ٢٨٢ بقوله (ضعيف) وكذا في ميزان الاعتدال ج ١٧٥/٢ ٠

(٨) انظر : تهذيب التهذيب ج ٤٥/١٢ - ٤٦ ،، وذكره أبو زرعة في اسماء الضعفاء حرف - س - والجرح والتعديل ج ٢/ ق ٣١٤/١ ٠

٣٨ ـ سليمان بن عطاء بن قيس ، القرشي ، أبو عمرو الجزري ت ما بين ١٩٠ ـ ٢٠٠ هـ قال عنه : (منكر الحديث) (١) ٠

٣٩ ـ سليمان بن يسير ، ويقال ابن أسير ، ويقال ابن قسم النخعي ، أبو الصباح الكوفي ، مولى ابراهيم النخعي قال البرذعي : « قلت : سليمان بن يسير ؟ قال : منكر الحديث ، حدث عنه شعبة (٢) ٠ قلت : شعبة ؟ قال : نعم شعبة ، عن أبي الصباح ، وليس موسى بن أبي كثير (٣) ، عن ابراهيم (٤) مسألة ، قلت : فهو سليمان بن يسير ؟ قال : نعم » (٥) ٠

٤٠ ـ صالح بن عبد الله بن صالح العامرى مولاهم المدنى ذكره أبو زرعة في أسماء الضعفاء (٦) ٠

٤١ ـ طلحة بن زيد القرشي ، أبو مسكين ، ويقال أبو محمد الرقي ذكره أبو زرعة في أسماء الضعفاء (٧) ٠

٤٢ ـ طلحة بن عمرو بن عثمان الحضرمي المكي ت ١٥٢ هـ قال عنه (ضعيف) (٨) ٠

٤٣ ـ عائذ الله المجاشعي ، أبو معاذ ذكره أبو زرعة في أسماء الضعفاء (٩) ٠

---

(١) انظر : كتاب الضعفاء لابي زرعة ···· ورقة (٤ ـ ب ـ) ، وتهذيب التهذيب ج ٢١١/٤ . وذكره ابو زرعة كذلك في اسماء الضعفاء حرف ـ س ـ ٠

(٢) شعبة هو (ع) ابن الحجاج بن الورد ، ابو بسطام الازدى العتكي مولاهم الواسطى الحجة الحافظ شيخ الاسلام قال الثورى : شعبة أمير المؤمنين في الحديث ٠ ت ١٦٠ هـ ٠ انظر : تذكرة الحفاظ ج ١٩٣/١ ٠

(٣) (بخ س) موسى بن ابي كثير الأنصارى مولاهم . ويقال الهمداني ، ابو الصباح الكوفي ، ويقال الواسطي ، المعروف بموسى الكبير ضعفه ابو زرعة بقوله (كان يرى القدر) انظر : تهذيب التهذيب ج ٣٦٧/١٠ ٠

(٤) (ع) ابراهيم بن يزيد بن قيس بن الاسود النخعي ، ابو عمران الكوفي ثقة الا انه يرسل كثيراً ت ٩٦ هـ ٠ انظر : تهذيب التهذيب ج ١٧٧/١ ـ ١٧٨ ٠

(٥) انظر : كتاب الضعفاء لابي زرعة ··· ورقة (١١ ـ أ ـ) وقال ابن ابي حاتم في الجرح والتعديل ج ٢/ ق ١٥٠/١ (سمعت ابا زرعة يقول : سليمان بن يسير واهي الحديث ، ضعيف الحديث) ٠ وانظر كذلك تهذيب التهذيب ج ٢٣٠/٤ روى له ابن ماجه حديثا واحداً في اجر القرض ٠ انظر : سنن ابن ماجة ج ٨١٢/٢ ٠

(٦) انظر : كتاب الضعفاء لابي زرعة حرف ـ ص ـ قال عنه البخارى في الضعفاء الصغير (منكر الحديث) ٠

(٧) انظر : كتاب الضعفاء لابي زرعة حرف ـ ط ـ ٠

(٨) انظر : الجرح والتعديل ج ٢/ ق ٤٧٨/١ ، وتهذيب التهذيب ج ٢٤/٥ ، وميزان الاعتدال ج ٣٤٢/٢ واسماء الضعفاء لابن الجوزى وكذلك ذكره أبو زرعة في كتاب الضعفاء حرف ـ ط ـ ٠

(٩) انظر : كتاب الضعفاء لابي زرعة حرف (ع) ، وذكره العقيلي في الضعفاء وأورد له الحديث الذي أخرجه له ابن ماجه في الاضاحى (وان بكل شعرة حسنة) انظر : سنن ابن ماجة ج ٢ / ١٠٤٥ ٠

٤٤ ـ عاصم بن عمرو ، ويقال ابن عوف البجلى الكوفي الشيعي ذكره أبو زرعة في أسماء الضعفاء (١) ٠

٤٥ ـ (بخ ق) عباد بن كثير الرملى الفلسطيني الشامي بقي الى ما بعد ١٧٠ هـ قال عنه : واهي الحديث (٢) ٠

٤٦ ـ عباس بن الفضل بن عمرو بن عبيد بن حنظلة بن رافع الأنصارى الواقفي ، أبو الفضل البصري ت ١٨٦ هـ قال عنه « كان لا يصدق » (٣) ٠

٤٧ ـ عبد الأعلى بن اعين الكوفي ، مولى بنى شيبان ٠ قال عنه « ضعيف الحديث » (٤) ٠

٤٨ ـ عبد الأعلى بن أبي المساور الزهري مولاهم ، أبو مسعود الجرار الكوفي قال عنه « ضعيف جداً » (٥) ٠

٤٩ ـ (بخ ق) عبد الله بن الحسين بن عطاء بن يسار الهلالى المدني قال عنه « ضعيف » (٦) ٠

٥٠ ـ عبد الله بن خراش بن حريث الشيباني الحوشبي ، أبو جعفر الكوفي ٠ قال عنه «منكر الحديث ، يحدث عن العوام بأحاديث مناكير ...... » (٧) ٠

---

(١) انظر : كتاب الضعفاء لأبى زرعة حرف (ع) روى له ابن ماجة حديثاً واحداً في فضل صلاة الرجل في بيته . انظر : سنن ابن ماجة ج ١ / ٤٣٧ ـ ٤٣٨ ٠ قال ابن أبى حاتم : سألت أبى عنه فقال : « صدوق كتبه البخارى في كتاب الضعفاء » فسمعت أبى يقول : يحول من هناك : انظر : الجرح والتعديل ج ٣ / ق ١ / ٣٤٨ قال عنه البخارى : لم يثبت حديثه ٠

(٢) انظر : كتاب الضعفاء لابي زرعة ... ورقة (٧) ، وانظر : الجرح والتعديل ج ٣/ ق ٨٥/١ . وتهذيب التهذيب ج ١٠٢/٥ ٠ وفي ميزان الاعتدال ج ٣٧٠/٢ نقل عنه قوله (ضعيف) ، وكذا في اسماء الضعفاء لابن الجوزي . وذكره ابو زرعة في اسماء الضعفاء حرف ـ ع ـ وذكره أيضاً في موضعين من كتابه الضعفاء ... ورقة (٣٣ ـ ب ـ) و (٣٩ ـ ب ـ) وقال عنه لا يحتج بحديثه ٠

(٣) انظر : كتاب الضعفاء لابي زرعة .... ورقة (١٥ ـ ب ـ) والجرح والتعديل ج ٣/ ق ٢١٣/١ وتهذيب التهذيب ج ١٢٦/٥ ، واسماء الضعفاء لابن الجوزي ، وكذلك ذكره ابو زرعة في الضعفاء في حرف (ع) ٠

(٤) انظر : كتاب الضعفاء لابي زرعة ... ورقة (٢ ـ أ ـ) ، وذكره مرة أخرى فوهن أمره روى له ابن ماجة حديثا واحداً في آداب الاكل ٠ انظر : تهذيب التهذيب ج ٩٣/٦ ٠

(٥) انظر : كتاب الضعفاء لابي زرعة ..... ورقة (٢ ـ أ ـ) وانظر كذلك : الجرح والتعديل ج ٣/ ق ٢٧/١ ، وتهذيب التهذيب ج ٩٨/٦ ٠

(٦) انظر : كتاب الضعفاء لابي زرعة .... ورقة (١٩ ـ أ ـ) والجرح والتعديل ج ٢/ ق ٣٥/٢ وكذا في اسماء الضعفاء لابن الجوزي ، وميزان الاعتدال ج ٤٠٨/٢ وتهذيب التهذيب ج ١٨٧/٥ وفيه (له عندها في القول عند الخروج من البيت) انظر : سنن ابن ماجة ج ١٢٧٨/٢ ٠

(٧) انظر : كتاب الضعفاء لابي زرعة .... ورقة (١٢ ـ أ ـ) ، وقال عنه أيضا (ليس بشىء ، ضعيف الحديث) انظر : الجرح والتعديل ج ٢/ ق ٤٦/٢ ، وفي تهذيب التهذيب ج ١٩٨/٥ (ليس بشىء ضعيف) ، واكتفى في ميزان الاعتدال ج ٤١٣/٢ بقوله (ليس بشىء)=

٥١ ـ عبد الله بن دينار ، البهراني ، ويقال الأسدي ، أبو محمد ، الحمصي قال عنه « شيخ ربما أنكر » (١) ٠

٥٢ ـ (مدق) عبد الله بن زياد بن سليمان بن سمعان المخزومي ، أبو عبد الرحمن المدني قال ابن أبي حاتم (امتنع أبو زرعة من أن يقرأ علينا حديث ابن سمعان وقال : هو لا شيء) (٢) ٠

٥٣ ـ عبد الله بن عامر ، الأسلمي ، أبو عامر ، المدني ت ١٥١ أو ١٥٠ هـ قال عنه : « ضعيف الحديث » (٣) ٠

٥٤ ـ عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر الليثي أبو عبد العزيز قال عنه : « ضعيف الحديث » (٤) ٠

٥٥ ـ عبد الله بن محمد العدوي التميمي ذكره أبو زرعة في أسماء الضعفاء (٥) ٠

٥٦ ـ عبد الله بن محرر العامري الجزري الحراني قاضى الجزيرة ت ما بين (١٥٠ ـ ١٦٠ هـ) (قال ابن أبي حاتم سألت أبا زرعة عنه فقال : « ضعيف الحديث وامتنع من قراءة حديثه وضربنا عليه » (٦) ٠

= وكذا في اسماء الضعفاء لابن الجوزي ٠ والعوام هو : (ع) بن حوشب بن يزيد بن الحارث الشيبانى الربعى كان صاحب امر بالمعروف ونهى عن المنكر وكان ثقة ت ١٤٨ هـ ٠ انظر : تهذيب التهذيب ج ١٦٣/٨ ـ ١٦٤ ، وتاريخ واسط ص ١١٤ ـ١١٧ ومن هذه الأحاديث مارواه ابن ماجة فى سننه ج ٨٢٦/٢ بسنده عن شيخ شيخه عبد الله بن خراش بن حوشب ولفظه (المسلمون شركاء في ثلاث : في الماء والكلأ والنار ٠ وثمنه حرام) ورواه احمد في مسنده ج ٣٦٤/٥ ، ورواه ابو اسحاق الفزارى بسنده مطولا ٠ وهذه الرواية ضعفها ابو حاتم كما ذكرها ابن ابي حاتم في علل الحديث ج ٣٢٢/٢ ٠

(١) انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة ··· ورقة (٢ ـ ب ـ) ، وانظر : تهذيب التهذيب ج ٥ / ٢٠٣ ٠

(٢) انظر : الجرح والتعديل ج ٢ / ق ٢ / ٦٢ ، وتهذيب التهذيب ج ٥ / ٢٢٠ ـ ٢٢١ ٠ وروى أبو زرعة بسنده الى مالك أنه قال عن ابن سمعان (كذاب) وذكره أبو زرعة في اسماء الضعفاء حرف (ع) ٠

(٣) انظر : الجرح والتعديل ج ٢ / ق ٢ / ١٢٣ ، وتهذيب التهذيب ج ٥ / ٢٧٥ ٠

(٤) انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة ··· ورقة (٤ ـ ب ـ) ، وفي الجرح والتعديل ج ٢ / ق ٢ / ١٠٣ قال عنه (ليس بالقوي) ، وكذلك في تهذيب التهذيب ج ٥ / ٣٠١ ، وميزان الأعتدال ج ٢ / ٤٥٥ ، والترغيب والترهيب ج ٤ / ٥٧٣ وقال أبو زرعة في موضع آخر ورقة (٣٠ ـ أ ـ) من كتابه الضعفاء ··· (ليس بالقوي) ٠

(٥) انظر : كتاب الضعفاء حرف (ع) قال ابن حبان في المجروحين ج ٢ / ٩ (منكر الحديث جداً على قلة روايته ، لا يُشبه حديثُه حديث الأثبات ولا روايته رواية الثقات لا يحل الاحتجاج بخبره وهو صاحب حديث : تارك الجمعة : الا ولا صلاة له ٠ ألا ولا صوم له الا ولا حجَّ له) قال ابن عبد البر : « جماعة أهل العلم بالحديث يقولون ان هذا الحديث يعنى الذي أخرجه له ابن ماجة من وضع عبد الله بن محمد العدوي وهو عندهم موسوم بالكذب » انظر : تهذيب التهذيب ج ٦ / ٢١ وانظر : سنن ابن ماجة ج ١ / ٣٤٣ ٠

(٦) انظر : الجرح والتعديل ج ٢ / ق ٢ / ١٧٦ ، وفي تهذيب التهذيب ج ٥ / ٣٨٩ له في سنن ابن ماجة حديث واحد في الحلف باليهودية ٠ انظر : سنن ابن ماجة ج ١ / ٦٧٩ ٠

٥٧ - (عس ق) عبد الله بن ميسرة أبو ليلى الحارثي الكوفي قال عنه « واهي الحديث » (١) .

٥٨ - عبد الله بن نافع العدوي مولاهم المدني مولى ابن عمر ت ١٥٤ هـ قال عنه « منكر الحديث » (٢) .

٥٩ - عبد الرحمن بن ثابت بن الصامت الأنصاري ذكره أبو زرعة في أسماء الضعفاء (٣) .

٦٠ - عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم العمري . قال عنه ابن أبي حاتم : سئل أبو زرعة عنه فقال : « هو متروك الحديث ، وترك قراءة حديثه في مسند ابن عمر ولم يقرأه علينا » (٤) .

٦١ - عبد الرحيم بن زيد بن الحواري ، العمري ، البصري ، أبو زيد ت ١٨٤ هـ قال عنه : « واهي ضعيف الحديث » (٥) .

٦٢ - عبد السلام بن أبى الجنوب المدني روى عن الزهري . قال ابن أبي حاتم : سئل أبو زرعة عنه فقال : « ضعيف ولم يقرأ علينا حديثه » (٦) .

٦٣ - عبد السلام بن صالح بن سليمان بن أيوب بن ميسرة القرشي مولاهم أبو الصلت الهروي قال ابن أبي حاتم « وأما أبو زرعة فأمر أن يضرب على حديث أبي الصلت وقال لا أحدث عنه ولا ارضاه » (٧) .

٦٤ - عبد العزيز بن عبيد الله بن حمزة بن صهيب الحمصى قال عنه : « ضعيف الحديث » (٨) .

---

(١) انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة ... ورقة (١٠ - ب -) وفي الجرح والتعديل ج ٢ / ق ٢ / ١٧٨ (واهي الحديث ، ضعيف الحديث) .

(٢) انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة حرف (ع) .

(٣) انظر : المصدر السابق وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ج ٢ / ق ٢ / ٢١٩ « سألت أبي عنه فقال : ليس عندي بمنكر الحديث . قلت : ادخله البخاري في كتابه الضعفاء قال : يكتب حديثه ليس بحديثه بأس ويحول من هناك » .

(٤) انظر : الجرح والتعديل ج ٢ / ق ٢ / ٢٥٣ . واكتفى في تهذيب التهذيب ج ٦ / ٢١٤ بقوله (متروك الحديث وترك قراءة حديثه) وفي اسماء الضعفاء لابن الجوزي اكتفى بقوله (متروك) له في سنن ابن ماجة حديث واحد في العيدين . انظر : سنن ابن ماجة ج ١ / ٤١١ .

(٥) انظر : الجرح والتعديل ج ٢ / ق ٢ / ٣٤٠ . وتهذيب التهذيب ج ٦ / ٣٠٥ . واكتفى الذهبي في ميزان الاعتدال ج ٢ / ٦٠٥ بقوله (واه) وكذا في اسماء الضعفاء لابن الجوزي .

(٦) انظر : الجرح والتعديل ج ٣ / ق ١ / ٤٥ . وتهذيب التهذيب ج ٦ / ٣١٥ .

(٧) انظر : الجرح والتعديل ج ٣ ق ١ / ٤٨ . وتهذيب التهذيب ج ٦ / ٣٢١ وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال ج ٢ / ٦١٦ باختصار . له في سنن ابن ماجة حديث الايمان اقرار بالقول وهو متهم بوضعه كذا في تهذيب التهذيب . انظر : سنن ابن ماجة ج ١ / ٢٥ - ٢٦ .

(٨) انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة ... ورقة (٢٠ - أ -) وقال عنه أيضاً (مضطرب الحديث ، واهي الحديث) وزاد في تهذيب التهذيب ج ٦ / ٣٤٨ - ٣٤٩ (يروى عن أهل الكوفة والمدينة ولم يرو عنه ، غير اسماعيل . وهو عندي عجيب ضعيف منكر الحديث ينكر حديثه ، ويروى أحاديث مناكير ، ويروى أحاديث حسانا) روى له ابن ماجة حديثا واحداً في ترجمة السائب بن الخباب .

٦٥ ـ عبد الملك بن حسين أبو مالك النخعى الواسطي ، ويقال عبادة بن الحسين ويعرف بأبي ذر . قال عنه : « ضعيف الحديث » (١) .

٦٦ ـ عبد الملك بن قدامة بن ابراهيم بن محمد بن حاطب الجمحي ت ما بين (١٦٠ ـ ١٧٠ هـ) قال عنه : « منكر الحديث » (٢) .

٦٧ ـ عبد الواحد بن قيس السلمي أبو حمزة الدمشقى الأفطس ذكره أبو زرعة فى أسماء الضعفاء (٣) .

٦٨ ـ عبيد الله بن أبي حميد غالب ، الهذلي ، أبو الخطاب البصري ذكره أبو زرعة فى أسماء الضعفاء (٤) .

٦٩ ـ عبيد بن القاسم الأسدي التيمى الكوفي قال عنه : « واهي الحديث » (٥) .

٧٠ ـ عبيدة بن ميمون التيمى الرقاشي ، أبو عبيدة الخزار البصري قال عنه : « ضعيف الحديث » (٦) .

٧١ ـ عثمان بن مطر الشيباني ، أبو الفضل ، ويقال أبو على البصري قال ابن أبي حاتم سئل أبو زرعة عنه فقال : « حماد بن سلمة احب الىّ منه ، فقلت : ما تقول فيه ؟ قال : ضعيف الحديث » (٧) .

---

(١) انظر : الجرح والتعديل ج ٢ / ق ٢ / ٣٤٧ ، وتهذيب التهذيب ج ١٢ / ٢١٩ . واكتفى الذهبي في ميزان الاعتدال ج ٢ / ٦٥٣ بقوله (ضعيف) وكذا في اسماء الضعفاء لابن الجوزي .

(٢) انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة ... ورقة (٤ ـ ب ـ) .

(٣) انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة حرف ـ ع ـ قال عنه ابن حبان في المجروحين ج ٢ / ٥٤ « ممن ينفرد بالمناكير عن المشاهير فلا يجوز الاحتجاج بما خالف الثقات فان اعتبر معتبر بحديثه الذي لم يخالف الاثبات فيه فحسن » له عند ابن ماجة حديث عن نافع عن ابن عمر : كان عليه السلام اذا توضأ عرك عارضه شيئا . انظر : سنن ابن ماجة ج ١ / ١٤٩ .

(٤) انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة حرف ـ ع ـ قال ابن حبان في المجروحين ج ٢ / ٦٥ (كان ممن يقلب الأسانيد ويأتي بالأشياء التى لا يشك مَنْ الحديث صناعته انها مقلوبة فاستحق الترك لما كثر في روايته) له عند ابن ماجة حديث واثلة في قول الأعرابي (اللهم ارحمنى ومحمداً ...) ج ١ / ١٧٦ واتهمه أبو زرعة بهذا الحديث انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة ... ورقة (٧ ـ أ ـ) .

(٥) انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة ... ورقة (١٦ ـ ب ـ) وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ج ٢ / ق ٢ / ٤١٢ سألت أبا زرعة عنه فقال (كوفي قدم البصرة حدث بأحاديث منكرة لا ينبغي أن يحدث عنه) ، وفي تهذيب التهذيب ج ٧ / ٧٣ نقل المزى عن أبي زرعة انه قال « واهي الحديث حدث بـ أحاديث منكرة لا ينبغي أن يحدث عنه » واكتفى ابن الجوزي في اسماء الضعفاء بقوله (لا ينبغي ان يحدث عنه) وكذا في ميزان الاعتدال ج ٣ / ٢١ وانظر كذلك : تاريخ بغداد ج ١١ / ٩٤ ـ ٩٥ .

(٦) انظر : تهذيب التهذيب ج ٧ / ٨٨ وفيه روى له ابن ماجة حديث سلمان الفارسي : (من غدا الى صلاة الصبح) . انظر : سنن ابن ماجة ج ٢ / ٧٥١ وفي سند الحديث اسم (عيسى بن ميمون) وذكره ابن أبي حاتم باسم عيسى بن ميمون أبو عبيدة التيمى البصري وقال عنه (ضعيف الحديث) انظر الجرح والتعديل ج/٣ق٣٤/٢ وكذا ذكره الذهبى بهذا الاسم انظر : ميزان الاعتدال ج ٣ / ٢٦ ـ ٢٧ ، وخلاصة تذهيب الكمال ج ٢ / ٢٠٧ .

(٧) انظر : الجرح والتعديل ج ٣ / ق ١ / ١٧٠ ، وفي تهذيب التهذيب ج ٧ / ١٥٤ ـ ١٥٥ قال أبو زرعة (ضعيف الحديث) وقال ابن الجوزي في أسماء الضعفاء (ضعفه أبو زرعة ...) .

٧٢ - عدي بن الفضل التيمي ، أبو حاتم البصري ت ١٧١ هـ قال ابن أبي حاتم : « وترك أبو زرعة حديث عدي بن الفضل وكان في كتابه ، عن عبد الواحد بن غياث عنه ، فلم يقرأ علينا وقال : ليس بالقوى » (١) .

٧٣ - على بن الحزور الكوفي ت ما بين (١٣٠ - ١٤٠ هـ) قال عنه : « واهي الحديث » (٢) .

٧٤ - على بن ظبيان بن هلال بن قتادة الكوفي أبو الحسن ت ١٧٢ هـ قال عنه : « واهي الحديث جداً » (٣) .

٧٥ - عمر بن حبيب بن محمد بن مجالد العدوي البصري القاضى ت ٢٠٦ ، أو ٢٠٧ هـ قال عنه : « ليس بالقوى » (٤) .

٧٦ - عمر بن شبيب بن عمر المسلي المذحجي أبو حفص الكوفي ت ٢٠٢ هـ . قال عنه : « واهي الحديث » (٥) .

٧٧ - عمر بن صهبان ويقال عمر بن محمد بن صهبان الأسلمي أبو جعفر المدني ت ١٥٧ هـ . ذكره أبو زرعة في اسماء الضعفاء (٦) .

٧٨ - عمر بن قيس المكي أبو جعفر ، المعروف بسندل بقى الى قريب ١٦٠ هـ قال عنه : « لين الحديث » (٧) .

---

(١) انظر : الجرح والتعديل ج ٣ / ق ٢ / ٤ ، وكذا في تهذيب التهذيب ج ٧ / ١٧٠ وفيه روى له ابن ماجة حديثا واحداً في النهي عن البول قائما ، وذكره ابن عدي بهذا الحديث وغيره . وذكره أيضا أبو زرعة في كتابه الضعفاء ··· ورقة (٣٠) وقال عن حديث عن روايته : غريب ، منكر ولم يقرأه وأمر بالضرب عليه .

(٢) انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة ··· ورقة (١١ - أ -) قال ابن معين (لا يحل لاحد ان يروي عنه) انظر : ميزان الاعتدال ج ٣ / ١١٨ ، وتهذيب التهذيب ج ٧ / ٢٩٦ - ٢٩٧ ، روى له ابن ماجة حديثا واحداً في الجنائز . انظر : سنن ابن ماجة ج ١ / ٤٧٦ .

(٣) انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة ··· ورقة (١١ - أ -) ، وتاريخ بغداد ج ١١ / ٤٤٥ ، وتهذيب التهذيب ج ٧ / ٣٤٢ . واسماء الضعفاء لابن الجوزي . روى له ابن ماجة حديث المدبر عن ابن عمر فقط . وقال على : كنت ارفعه فنهاني أصحابي ورواه جماعة عن على مرفوعاً . ساق له ابن عدي عدة أحاديث ، وقال : الضعف على حديثه بَين . انظر : تهذيب التهذيب ج ٧ / ٣٤٢ ، وميزان الاعتدال ج ٣ / ١٣٤ .

(٤) انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة ··· ورقة (٧ - أ -) وتهذيب التهذيب ج ٧ / ٤٣٢ ، وتاريخ بغداد ج ١١ / ٢٠٠ .

(٥) انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة ··· ورقة (١١ - أ -) وكذا في أسماء الضعفاء لابن الجوزي وتاريخ بغداد ج ١١ / ١٩٥ . وفي الجرح والتعديل ج ٣ / ق ١ / ١١٥ نقل قوله (لين الحديث) وفي ميزان الاعتدال ج ٣ / ٢٠٤ اكتفى بقوله (لين) وفي تهذيب التهذيب ج ٧ / ٤٦٢ قال أبو زرعة (لين الحديث ، وقال مرة واهي الحديث) .

(٦) انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة في حرف (ع) ونقل عنه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ج ٣ / ق ١ / ١١٦ في ترجمة عمر ابن صهبان قوله (ضعيف الحديث) وفي ج ٣ / ق ١ / ١٣٢ في ترجمة عمر بن محمد بن صهبان قوله (واهي الحديث) وفي تهذيب التهذيب ج ٧ / ٤٦٤ ذكر القولين في ترجمة الأول . واكتفى في ميزان الاعتدال ج ٣ / ٢٢٠ بقوله (واه) وقال الذهبي في ترجمة عمر بن محمد بن صهبان وهو عمر بن صهبان نسب الى جده . وله عنده حديث في الأكل يوم الفطر قبل الغدو . ونقل ابن الجوزي عنه في ترجمة عمر بن صهبان قوله (واهي الحديث) وانظر : سنن ابن ماجة ج ١ / ٥٥٨ .

(٧) انظر : الجرح والتعديل ج ٣ / ق ١ / ١٣٠ ، وكذا في تهذيب التهذيب ج ٧ / ٤٩١ . وضعفه أيضاً حينما ذكر عنده حميد بن قيس المكي ووثقه وقال للبرذعي : (ماأبعد ما بين الأخوين . انظر الى حميد في أي درجة من العلو ، وانظر الى عمر في أي درجة من الوهاء) انظر : كتاب الضعفاء

٧٩ ـ عمرو بن الحصين العقيلي ، الباهلي ، أبو عثمان البصري قال عنه. « واهي الحديث » (١) ٠

٨٠ ـ عمرو بن خالد ، أبو خالد القرشي كوفي انتقل الى واسط ت ما بين (١١٠ ـ ١٢٠ هـ) ذكره أبو زرعة في اسماء الضعفاء (٢) ٠

٨١ ـ عمرو بن عثمان بن سيار الكلابي ، أبو عمر الرقي ت ٢١٩ أو ٢١٧ هـ ذكره عنده البرذعي (فكلح وجهه وأساء الثناء عليه) (٣) ٠

٨٢ ـ عون بن عمارة العبدي ، القيسي ، أبو محمد البصري ت ٢١٢ هـ قال عنه « منكر الحديث » (٤) ٠

٨٣ ـ عيسى بن عبد الرحمن بن فروة الأنصاري المدني قال عنه « ليس بالقوي » (٥) ٠

٨٤ ـ الفضل بن عيسى بن ابان الرقاشي ، أبو عيسى البصري قال عنه « شيخ صالح ، الا أنه ضعيف ، وكان قدريا ، وكان قاصاً يذكر » (٦) ٠

٨٥ ـ (بخ ق) الفضل بن مبشر الأنصاري ، أبو بكر المدني قال عنه : « لين » (٧) ٠

٨٦ ـ القاسم بن عبد الله بن عمر بن حفص أبو الخطاب العمري المدني ت ما بين (١٥٠ ـ ١٦٠ هـ) قال عنه « ضعيف لا يساوي شيئا ، متروك الحديث ، منكر الحديث » (٨) ٠

---

(١) انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة ... ورقة (١٧ ـ أ ـ) وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ج ٣ / ق ١ / ٢٢٩ وسئل أبو زرعة عنه عندما امتنع من التحديث عنه فقال : ليس هو في موضع يحدث عنه هو واهي ٠ وانظر : تهذيب التهذيب ج ٨ / ٢١ . واكتفى الذهبي في ميزان الاعتدال ج ٣ / ٢٥٣ بقوله (واه) ٠

(٢) انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة حرف ـ ع ـ وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ج ٣ / ق ١ / ٢٣٠ سألت أبا زرعة عنه فقال (كان واسطيا ، وكان يضع الحديث ، ولم يقرأ علينا حديثه وقال اضربوا عليه) وفي تهذيب التهذيب ج ٨ / ٢٧ اكتفى بقوله (كان يضع الحديث) وكذا في اسماء الضعفاء لابن الجوزي ٠

(٣) انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة ... ورقة (٣٧ ـ أ ـ) ٠

(٤) انظر : الجرح والتعديل ج ٣ / ق ١ / ٣٨٨ ، وتهذيب التهذيب ج ٨ / ١٧٣ ٠

(٥) انظر : تهذيب التهذيب ج ٨ / ٢١٨ ، وميزان الاعتدال ج ٣ / ٣١٧ ، وقال عنه في الضعفاء ... ورقة (٢ ـ أ ـ) ضعيف ٠

(٦) انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة ... ورقة (٣ ـ ب ـ) وذكره في اسماء الضعفاء حرف ـ ف ـ وروى سنده الى أيوب السختياني انه كان قال عنه : (ان فضلا الرقاشي لو ولد اخرس كان خيراً له) وقال عنه أبو زرعة أيضاً (منكر الحديث) انظر : الجرح والتعديل ج ٣ / ق ٢ / ٦٥ ، وتهذيب التهذيب ج ٨ / ٢٨٣ ٠

(٧) انظر : الجرح والتعديل ج ٣ / ق ٢ / ٦٧ ، وتهذيب التهذيب ج ٨ / ٢٨٥ وذكره أبو زرعة في أسماء الضعفاء حرف ـ ف ـ ٠

(٨) انظر : الجرح والتعديل ج ٣ / ق ٢ / ١١٢ ، وتهذيب التهذيب ج ٨ / ٣٢١ ، وفي أسماء الضعفاء لابن الجوزي اكتفى بقوله (لا يساوى شيئا متروك الحديث) ٠

٨٧ ـ كثير بن سليم الضبي ، أبو سلمة المدائني ت ١٧٠ هـ ٠ قال عنه « ضعيف الحديث » (١) ٠

٨٨ ـ مبارك بن سحيم ، ويقال ابن عبد الله ، أبو سحيم البناني البصري قال عنه « واهي الحديث منكر الحديث ثم قال : ما أعرف له حديثا واحدا صحيحا ، وقد حسنوه بمولى عبد العزيز بن صهيب » (٢) ٠

٨٩ ـ مبشر بن عبيد ، القرشي ، أبو حفص الحمصى كوفي الأصل قال عنه « هو عندي ممن يكذب » (٣) ٠

٩٠ ـ محمد بن الحارث بن زياد الهاشمى الحارثي البصري ٠ قال ابن أبي حاتم « ترك أبو زرعة حديثه ولم يقرأه علينا في كتاب الشفعة » (٤) ٠

٩١ ـ محمد بن خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن الواسطي الطحان ت ما بين (١٥٠ ـ ٢٤٠ هـ) قال عنه « رجل سوء » (٥) ٠

٩٢ ـ محمد بن داب المديني قال عنه : « ضعيف الحديث كان يكذب » (٦) ٠

٩٣ ـ محمد بن ذكوان الأزدي الطاحي الجهضمي مولاهم البصري ذكره أبو زرعة في اسماء الضعفاء (٧) ٠

(٧) انظر : الجرح والتعديل ج ٣ / ق ٢ / ٦٧ ، وتهذيب التهذيب ج ٨ / ٢٨٥ وذكره أبو زرعة في أسماء الضعفاء حرف ـ ف ـ ٠

(٨) انظر : الجرح والتعديل ج ٣ / ق ٢ / ١١٢ ، وتهذيب التهذيب ج ٨ / ٣٢١ ، وفي أسماء الضعفاء لابن الجوزي اكتفى بقوله (لا يساوى شيئا متروك الحديث) ٠

(١) انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة ··· ورقة (٢٠ ـ أ ـ) ونقل ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ج ١ / ق ٢ / ١٥٢ عن أبي زرعة انه قال عنه (واهي الحديث) وكذا في تهذيب التهذيب ج ٨ / ٤١٦ ، واسماء الضعفاء لابن الجوزي ، واكتفى الذهبي في ميزان الاعتدال ج ٣ / ٤٠٥ بقوله (واهٍ) ٠

(٢) انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة ··· ورقة (١٧ ـ أ ـ) والجرح والتعديل ج ٤ / ق ١ / ٣٤١ ، وتهذيب التهذيب ج ١٠ / ٢٧ واكتفى الذهبي في ميزان الاعتدال ج ٣ / ٤٣٠ بقوله (ما اعرف له حديثا صحيحاً) وانظر أسماء الضعفاء لابن الجوزي حيث نقل قول أبي زرعة الى قوله (··· صحيحاً) وذكره أبو زرعة أيضا في أسماء الضعفاء حرف ـ م ـ ٠

(٣) انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة ··· ورقة (٢ ـ أ ـ) ٠

(٤) انظر : الجرح والتعديل ج ٣ / ق ٢ / ٢٣١ ، وتهذيب التهذيب ج ٩ / ١٠٥ ، وميزان الاعتدال ج ٣ / ٥٠٤ ـ ٥٠٥ ٠

(٥) انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة ··· ورقة (٣٣ ـ أ ـ) وفي الجرح والتعديل ج ٣ / ق ٢ / ٢٤٣ قال أبو زرعة أخبرني وهب الفامي قال سمعت محمد بن خالد الواسطي يقول : لم اسمع من أبي الا حديثا واحداً ، خالد عن بيان عن الشعبي لا أدري أيهما أكبر في الناس البخل أو الكذب ، ثم حدث عنه حديثا كثيراً ٠ وقال أبو زرعة أيضا أخبرني أبو عون بن عمرو بن عون قال أخرج ابن خالد الواسطي عن أبيه عن الأعمش كتابا قال أبو زرعة ولم يسمع أبوه من الأعمش حرفاً ، وقال ابن أبي حاتم : سألت أبا زرعة عنه فقال : « ضعيف الحديث لا أحدث عنه ولم يقرأ علينا حديثه وكان حدث عنه قديماً وأبى أن يقرأ علينا » وكذا في تهذيب التهذيب ج ٩ / ١٤١ ـ ١٤٢ باختصار في بعض الألفاظ ··· ، واكتفى الذهبي في ميزان الاعتدال ج ٣ / ٥٣٣ بقوله (ضعيف) ٠

(٦) انظر : الجرح والتعديل ج ٣ / ق ٢ / ٢٥٠ ، وتهذيب التهذيب ج ٩ / ١٥٣ ، وميزان الاعتدال ج ٣ / ٥٤٠ واكتفى ابن الجوزي في اسماء الضعفاء بقوله (كان يكذب) ٠

(٧) انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة في حرف ـ م ـ قال البخارى عنه (منكر الحديث) وقال النسائى (ليس بثقة ولا يكتب حديثه) انظر : ميزان الاعتدال ج ٣ / ٥٤٢ له عند ابن ماجة حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم عدل الى الشعب فبال ، وحديث عمرو بن عبسة أي الجهاد أفضل ٠

٩٤ ـ (خد ق) محمد بن مروان بن قدامة العقيلي ، أبو بكر البصري العجلي قال عنه « ليس عندي بذاك » (١) .

٩٥ ـ محمد بن عبيد الله بن أبي رافع الهاشمي مولاهم الكوفي ذكره أبو زرعة في اسماء الضعفاء (٢) .

٩٦ ـ محمد بن عمر بن واقد ، الواقدي ، الأسلمي مولاهم أبو عبد الله المدني ت ٢٠٧ هـ قال عنه « ترك الناس حديثه » (٣) .

٩٧ ـ محمد بن عون ، أبو عبد الله الخراساني ت ما بين (١٤٠ ـ ١٥٠ هـ) قال عنه « ضعيف الحديث ، ليس بقوي » (٤) .

٩٨ ـ محمد بن الفرات التميمى أبو على الكوفي قال عنه « منكر الحديث » (٥) .

٩٩ ـ محمد بن كريب بن أبي مسلم الهاشمى قال عنه « منكر الحديث » (٦) .

١٠٠ ـ مسلمة بن علي بن خلف الخشني أبو سعيد الدمشقي ت ١٩٠ هـ قال عنه « منكر الحديث » (٧) .

١٠١ ـ مروان بن سالم الغفاري أبو عبد الله الشامي الجزرى ذكره أبو زرعة في أسماء الضعفاء (٨) .

---

(١) انظر : الجرح والتعديل ج ٤ / ق ١ / ٨٦ ، وتهذيب التهذيب ج ٩ / ٤٣٧ واكتفى الذهبي في ميزان الاعتدال ج ٤ / ٣٣ بقوله (ليس بذاك) وكذا في أسماء الضعفاء لا بن الجوزي وقال عنه أبو داود صدوق ، أما الامام أحمد فقد ليَّنَهُ . كما في ميزان الاعتدال وتهذيب التهذيب .

(٢) انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة حرف ـ م ـ وقال عنه البخارى منكر الحديث انظر : تهذيب التهذيب ج ٩ / ٣٢١ وميزان الاعتدال ج ٣ / ٦٣٥ وخلاصة تذهيب الكمال ج ٢ / ٤٣٤ .

(٣) انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة ... ورقة (١٧ ـ أ ـ) وفي الجرح والتعديل ج ٤ / ق ١ / ٢١ قال ابن أبي حاتم : سألت أبا زرعة عنه فقال : ضعيف . قلت : يكتب حديثه ؟ قال : ما يعجبني الا على الاعتبار ترك الناس حديثه ، واكتفى في تهذيب التهذيب ج ٩ / ٣٦٧ بقوله (متروك الحديث) وانظر : تاريخ بغداد ج ٣ / ١٤ . وضعفه أيضاً أبو زرعة في موضع آخر من كتابه عند ذكره بعض الضعفاء انظر : الورقة (٤ ـ ب ـ) وكذا في أسماء الضعفاء حرف ـ م ـ .

(٤) انظر : الجرح والتعديل ج ٤ / ق ١/٤٧ وتهذيب التهذيب ج ٩ / ٣٨٤ وذكره أبو زرعة أيضا في أسماء الضعفاء حرف ـ م ـ روى له ابن ماجة حديثا عن نافع عن ابن عمر قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجر ثم وضع شفتيه عليه فسكن طويلا ثم التفت فاذا هو بعمر يبكي فقال : يا عمر ههنا تسكب العبرات . سنن ابن ماجة ج ٢ / ٩٨٢ .

(٥) انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة ... ورقة (١٣ ـ أ ـ) وفي الجرح والتعديل ج ٤ / ق ١ / ٦٠ نقل عن أبي زرعة أنه قال عنه : (ضعيف الحديث) وكذا في تهذيب التهذيب ج ٩ / ٣٩٧ أخرج له ابن ماجة حديث شاهد الزور فقط . انظر : سنن ابن ماجة ج ٢ / ٧٩٤ .

(٦) انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة ... ورقة (١١ ـ ب ـ) . وقال عنه أيضا (لين) انظر : الجرح والتعديل ج ٤ / ق ١ / ٦٨ ، وتهذيب التهذيب ج ٩ / ٤٢٠ . روى له ابن ماجة حديثه عن أبيه عن ابن عباس عن حصين بن عوف في الحج .

(٧) انظر : الجرح والتعديل ج ٤ / ق ١ / ٢١٨ ، وتهذيب التهذيب ج ١٠ / ١٤٦ .

(٨) انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة حرف ـ م ـ وسأل ابن أبي حاتم أباه عنه فقال (منكر الحديث جداً ، ضعيف الحديث ليس له حديث قائم . قلت : يترك حديثه ؟ قال : لا يكتب حديثه) انظر : الجرح والتعديل ج ٤ / ق ١ / ٢٧٥ .

١٠٢ - مطر بن ميمون المحاربي أبو خالد الكوفي ذكره أبو زرعة في اسماء الضعفاء (١) .

١٠٣ - مطرح بن يزيد الأسدي الكناني ، أبو المهلب الكوفي قال عنه « ضعيف الحديث » (٢) .

١٠٤ - مُطَهَّر - كمعظم - بن الهيثم الطائي البصري ت في حدود ٢٠٠ هـ قال عنه « منكر الحديث » (٣) .

١٠٥ - معبد الجهني البصري ، يقال أنه ابن عبد الله بن حكيم قتل في سنة ٨٠ هـ ذكره أبو زرعة في أسماء الضعفاء (٤) .

١٠٦ - معلى بن عبد الرحمن الواسطي قال عنه « واهي الحديث » (٥) .

١٠٧ - معلى بن هلال بن مؤيد الحضرمي ، ويقال الجعفيُ ، أبو عبد الله الطحان الكوفي سئل أبو زرعة عنه ما كان تنقم عليه ؟ قال الكذب (٦) .

١٠٨ - (مدق) مهران بن أبي عمر العطار أبو عبد الله الرازي . ذكره أبو زرعة في أسماء الضعفاء (٧) .

١٠٩ - نصر بن حماد بن عجلان البجلي ، أبو الحارث الحافظ البصري قال عنه : « لا يكتب حديثه » (٨) .

---

(١) انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة حرف - م - قال عنه ابن حبان في المجروحين ج ٣ / ٥ : كان ممن يروي الموضوعات عن الاثبات ، لا تحل الرواية عنه .

(٢) انظر : الجرح والتعديل ج ٤ / ق ١ / ٤٠٩ ، وتهذيب التهذيب ج ١٠ / ١٧١ .

(٣) انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة ... ورقة (٢ - أ -) .

(٤) انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة في حرف - م - وانظر : تهذيب التهذيب ج ١٠ / ٢٢٥ - ٢٢٦ حيث قال « وذكره أبو زرعة الرازي في أسامي الضعفاء ومن تكلم فيهم » ومعبد هو أول من تكلم في القدر بالبصرة روى له ابن ماجة حديث معاوية اياكم والتمادح . انظر : سنن ابن ماجة ج ٢ / ١٢٣٢ .

(٥) انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة ... ورقة (٨ - أ -) وروى الخطيب في تاريخ بغداد ج ١٣ / ١٨٨ بسنده الى البرذعي ان أبا زرعة قال عنه « ذاهب الحديث » وكذا في تهذيب التهذيب ج ١٠ / ٢٣٨ ، وميزان الاعتدال ج ٤ / ١٤٩ وأسماء الضعفاء لابن الجوزي .

(٦) انظر : الجرح والتعديل ج ٤ / ق ١ / ٣٣٢ وتهذيب التهذيب ج ١٠ / ٢٤٢ قال عنه ابن حبان في المجروحين ج ٣ / ١٦ - ١٧ كان يروى الموضوعات عن أقوام ثقات وكان أمّيا لا يكتب ، وكان غاليا في التشيع يشتم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحل الرواية عنه بحال ولا كتابة حديثه الا على جهة التعجب ، وروى بسنده الى ابن عيينه - من طريق أبي زرعة - انه قال عنه (يكذب) .

(٧) انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة في حرف - م - قال البخاري في حديثه اضطراب وقال النسائي ليس بالقوي ، وكذا ضعفه ابراهيم الفراء ، ووثقه أبو حاتم وابن معين . انظر : ميزان الاعتدال ج ٤ / ١٩٦ ، وتهذيب التهذيب ج ١٠ / ٣٢٧ .

(٨) انظر : الجرح والتعديل ج ٤ / ق ١ / ٤٧٠ . وتهذيب التهذيب ج ١٠ / ٤٢٦ .

١١٠ ـ نصر بن محمد بن سليمان بن أبي ضمرة السلمي قال عنه : لست أحدث عنه وأمر بالضرب على حديثه جملة (١) ٠

١١١ ـ نهشل بن سعيد بن وردان ، أبو سعيد الخراساني ٠ قال عنه « ضعيف » (٢) ٠

١١٢ ـ هارون بن هارون بن عبد الله بن محرز القرشي التيمى ٠ ذكره أبو زرعة في أسماء الضعفاء (٣) ٠

١١٣ ـ هلال بن زيد بن يسار بن بولا البصري ٠ ذكره أبو زرعة في أسماء الضعفاء (٤)٠

١١٤ ـ يحيى بن راشد المازني ، أبو سعيد البصري ، البراء ٠ قال عنه : « شيخ لين الحديث » (٥) ٠

١١٥ ـ يحيى بن كثير : أبو النضر صاحب البصري ٠ قال عنه : « ضعيف الحديث » (٦) ٠

١١٦ ـ يزيد بن عبد الملك بن المغيرة بن نوفل ، أبو المغيرة المدني ت ١٦٧ هـ ذكره أبو زرعة في أسماء الضعفاء (٧) ٠

١١٧ ـ (عخ ق) يعقوب بن حميد بن كاسب المدني ت ١٤٠ أو ١٤١ هـ قال ابن أبي حاتم : سألت أبا زرعة عنه فحرك رأسه قلت : كان صدوقا في الحديث ؟ قال : لهذا شروط ، وقال مرة في حديث رواه يعقوب : قلبي لا يسكن على ابن كاسب (٨) ٠

---

(١) أنظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة ⋯ ورقة (٣١ ـ ب ـ) وقال أبو حاتم (أدركته ولم أكتب عنه وهو ضعيف الحديث لا يصدق) أنظر : الجرح والتعديل ج ٤ / ق ١ / ٤٧١ ٠

(٢) أنظر : الجرح والتعديل ج ٤ / ق ١ / ٤٩٦ ، وتهذيب التهذيب ج ١٠ / ٤٧٩ ٠

(٣) أنظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة حرف ـ هـ ـ قال عنه ابن حبان في المجروحين ج ٣ / ٩٤ : كان ممن يروي الموضوعات عن الاثبات لا يجوز الاحتجاج به ولا الرواية عنه الا على سبيل الاعتبار لأهل الصناعة فقط ٠

(٤) أنظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة حرف ـ هـ ـ قال عنه ابن حبان في المجروحين ج ٣ / ٨٧ : لا يجوز الاحتجاج به بحال ولا ذكر حديثه الا على جهة الاعتبار ٠

(٥) أنظر : الجرح والتعديل ج ٤ / ق ٢ / ١٤٣ ، وتهذيب التهذيب ج ١١ / ٢٠٧ ، والترغيب والترهيب ج ٤ / ٧٩ ٠ وميزان الاعتدال ج ٤ / ٣٧٣ ٠

(٦) أنظر : الجرح والتعديل ج ٤ / ق ٢ / ١٨٣ ، وفي تهذيب التهذيب ج ١١ / ٢٦٧ قال عنه (ضعيف) ٠

(٧) انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة في حرف ـ ي ـ وفي الجرح والتعديل ج ٤ / ق ٢ / ٢٧٩ نقل ابن أبي حاتم عنه قوله (منكر الحديث) وفي نسخة أخرى قال (ضعيف الحديث ، منكر الحديث جداً) وفي تهذيب التهذيب ج ١١ / ٣٤٨ (وقال أبو زرعة ضعيف الحديث ، وقال مرة واهي الحديث وغلظ القول جداً) واكتفى في ميزان الاعتدال ج ٤ / ٤٣٣ بقوله (ضعيف) ، وذكره أيضاً أبو زرعة في كتابه الضعفاء ⋯ ورقة (٨ ـ ب ـ) وقال (واهي الحديث وغلظ فيه القول جداً) ٠

(٨) انظر : الجرح والتعديل ج ٤ / ق ٢ / ٢٠٦ ، وتهذيب التهذيب ج ١١ / ٣٨٣ واكتفى الذهبي في ميزان الاعتدال ج ٤ / ٤٥٠ بقوله (وسئل أبو زرعة عنه فحرك رأسه) ٠

١١٨ ـ (خنت ق) يعقوب بن محمد بن عيسى بن عبد الملك الزهري ت ٢١٣ هـ قال عنه : « واهي الحديث » (١) ٠

١١٩ ـ يوسف بن خالد بن عمير السمتى ، أبو خالد البصري ت ١٨٩ أو ١٩٠ هـ قال عنه : « ذاهب الحديث ، كان يحيى ـ أي ابن معين ـ يقول : كذّاب » (٢) ٠

١٢٠ ـ يوسف بن محمد بن المنكدر التيمي قال عنه : « واهي الحديث » (٣) ٠

١٢١ ـ يوسف بن ميمون القرشي المخزومي الكوفي ، أبو خزيمة الصباغ ٠ قال عنه : « واهي الحديث » (٤) ٠

١٢٢ ـ أبو بكر العنسى روى عن أبي قبيل المعافري ت ٢٥٦ هـ قال عنه : « منكر الحديث » (٥)

١٢٣ ـ أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة بن أبي رهم العامري المدني ت ١٦٢ هـ ذكره أبو زرعة في أسماء الضعفاء (٦) ٠

١٢٤ ـ أبو زيد ، عن أبي المغيرة عن ابن عباس بحديث أبى الله تعالى ان يقبل عمل صاحب بدعة ، قال عنه : « لا أعرف أبا زيد ٠ ولا أبا المغيرة » (٧) ٠

١٢٥ ـ أبو سعد الساعدي عن أنس قال عنه « مجهول » (٨) ٠

---

(١) انظر : الجرح والتعديل ج ٤ / ق ٢ / ٢١٥ وتهذيب التهذيب ج ١١ / ٣٩٧ ٠ ونقل الذهبي في ميزان الاعتدال ج ٤ / ٤٥٤ عن أبي زرعة انه قال عنه (ليس بشيء يقارب الواقدي) وذكره في كتابه الضعفاء ... ورقة (٤ ـ ب ـ) فقال : (ليس على يعقوب الزهري قياس ، يعقوب الزهري ، وابن زبالة ، والواقدي ، وعمر بن أبي بكر الموملي ، يقاربون في الضعف في الحديث وهم واهون) وقال عنه في موضع آخر ورقة (٣٠ ـ أ ـ) (منكر الحديث) ٠

(٢) انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة ... ورقة (٧ ـ أ ـ) ونقل ابن أبي حاتم عن أبي زرعة انه قال عنه (ذاهب الحديث ، ضعيف الحديث ، أضرب على حديثه ، كان يحيى بن معين يقول : كان يكذب) انظر : الجرح والتعديل ج ٤ / ق ٢ / ٢٢٢ ، وتهذيب التهذيب ج ١١ / ٤١٢ ٠

(٣) انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة ... ورقة (٨ ـ ب ـ) ونقل ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ج ٤ / ق ٢ / ٢٢٩ ، عن أبي زرعة أنه قال عنه (هو صالح وهو أقل رواية من أخيه المنكدر) وكذا في تهذيب التهذيب ج ١١ / ٤٢٢ ٠ وأما في ميزان الاعتدال ج ٤ / ٤٧٢ فقال عنه (صالح الحديث) والذي أراه أنه أراد بقوله (صالح) أي من الصلاح والتقوى والعبادة أما في الحديث فهو ضعيف يؤيد هذا قول أبي زرعة الذي نقله عنه البرذعي ، ويؤيده أيضاً أن ابن حبان قال عنه (غلب عليه الصلاح فغفل عن الحفظ فكان يأتي بالشيء توهما فبطل الاحتجاج به) انظر : تهذيب التهذيب ج ١١ / ٤٢٣ ج والمجروحين ج ٣ / ١٣٥ ـ ١٣٦ ٠

(٤) انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة ... ورقة (١٣ ـ أ ـ) وتهذيب التهذيب ج ١١ / ٤٢٦ ٠ وذكره أبو زرعة في أسماء الضعفاء ، وذكره أيضاً في موضع آخر ورقة (٣٠ ـ أ ـ) فقال : (واهي الحديث) ٠

(٥) انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة ... ورقة (٦ ـ ب ـ) وفي تهذيب التهذيب ج ١٢ / ٢٩ ، ٤٤ نقل منه انه قال (ضعيف ، منكر الحديث) ٠

(٦) انظر : كتاب الضعفاء لأبي زرعة في الكنى ٠ قال ابن حبان في المجروحين ج ٣ / ١٤٧ (كان ممن يروى الموضوعات عن الأثبات ، لا يحل كتابة حديثه ولا الاحتجاج به ٠ بحال كان أحمد بن حنبل يكذبه) ٠

(٧) انظر : تهذيب التهذيب ج ١٢ / ١٠٣ ٠

(٨) انظر : تهذيب التهذيب ج ١٢ / ١٠٦ قال ابن حبان في المجروحين ج ٣ / ١٥٧ (شيخ يروى عن أنس بن مالك المناكير التى لا يُشارك فيها ، لا يجوز الاحتجاج به بحال) ٠

المراجع

١ ـ الارشاد في معرفة علماء البلاد للخليلى نسخة أيا صوفيا ٠

٢ ـ الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ط السعادة ١٣٢٣ هـ وطبعة البجاوي ٠

٣ ـ أسماء الضعفاء لابن الجوزي نسخة مصورة عن نسخة المكتبة السعيدية محفوظة بمكتبة السيد صبحي السامرائي ببغداد ٠

٤ ـ البحر الذي زخر في شرح الفية الأثر لجلال الدين السيوطي مخطوط في دار الكتب المصرية رقم (١٠ حليم مصطلح الحديث) ٠

٥ ـ البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير لسراج الدين ابن الملقن نسخة مصورة عن نسخة مكتبة أحمد الثالث بتركيا رقم (٤٧٤) محفوظة في مكتبة السيد صبحي السامرائي ببغداد ٠

٦ ـ البداية والنهاية للحافظ اسماعيل بن عمر بن كثير ط ١٣٥٨ هـ القاهرة ٠

٧ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ط ١٣٤٩ هـ القاهرة ٠

٨ ـ تاريخ التراث العربي للدكتور فؤاد سزكين ترجمة د ٠ فهمي أبو الفضل ط الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة ١٩٧١ م ٠

٩ ـ تاريخ مدينة دمشق لأبي الحسن على بن عساكر نسخة مصورة عن نسخة مكتبة أحمد الثالث في تركيا والمحفوظة بمعهد المخطوطات بمصر رقم (٦٠٢ تاريخ) ٠

١٠ ـ تاريخ واسط لأسلم بن سهل الرزاز الواسطى المعروف ببحشل ط المعارف ببغداد ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م ٠

١١ ـ التدوين في ذكر اخبار قزوين لأبي القاسم عبد الكريم بن محمد القزويني الرافعي مخطوط في دار الكتب المصرية ٠

١٢ ـ تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبي ط حيدر اباد الهند ١٩٥٥ ـ ١٩٥٨ ٠

١٣ ـ الترغيب والترهيب لزكى الدين عبد العظيم المنذري ط مصطفى عمارة ٠
١٤ ـ تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة لابن حجر العسقلاني ط ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م ٠
١٥ ـ التقييد لرواة السنن والمسانيد لابن نقطة الحنبلي نسخة مصورة عن نسخة المتحف البريطاني والمحفوظة في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ٠
١٦ ـ التقييد والايضاح شرح مقدمة ابن الصلاح لزين الدين العراقي ط المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ١٩٦٩ ٠
١٧ ـ تلخيص المستدرك للحافظ الذهبي طبع مع المستدرك للحاكم ٠
١٨ ـ تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ط حيدر اباد الهند ١٣٢٥ ـ ١٣٢٧ هـ ٠
١٩ ـ توجيه النظر الى أصول الأثر لطاهر بن صالح الجزائرى الدمشقى ط المكتبة العلمية في المدينة المنورة ٠
٢٠ ـ توضيح الأفكار لمعانى تنقيح الأنظار لمحمد بن اسماعيل الأمير الصنعاني ط مكتبة الخانجى بالقاهرة ط ١٣٦٦ هـ ٠
٢١ ـ الجرح والتعديل لابن أبى حاتم ط حيدر اباد / الهند ١٩٥٢ ـ ١٩٥٣ ٠
٢٢ ـ الحطة بذكر الصحاح الستة لصديق حسن خان ط اسلامى اكاديمي / لاهور ١٣٩٧ هـ ٠
٢٣ ـ خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال لصفى الدين الخزرجي ط مكتبة القاهرة وكذا ط ٢ / ١٩٦٧ م ٠
٢٤ ـ الرسالة المستطرفة في بيان كتب السنة المشرفة للكتاني ط ١٩٦٣ دمشق ٠
٢٥ ـ الزهر الربى في شرح المجتبى للسيوطي ط مع سنن النسائي / مصطفى الحلبي ١٩٦٤ م ٠
٢٦ ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للحافظ ابن حجر ط الهند / حيدر اباد ٠
٢٧ ـ سنن ابن ماجة لمحمد بن يزيد القزوينى تحقيق فؤاد عبد الباقى القاهرة ١٩٦٤ م ٠
٢٨ ـ سير أعلام النبلاء للذهبي نسخة معهد المخطوطات رقم (٢٨٧ تاريخ) ٠
٢٩ ـ شرح علل الترمذي لابن رجب الحنبلي البغدادي تحقيق السيد صبحي السامرائي ط بغداد ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ ٠
٣٠ ـ شروط الأئمة الستة لأبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي ط مكتبة القدس القاهرة ١٣٥٧ هـ ٠

٣١ ـ علل الحديث لا بن أبي حاتم ط المكتبة السلفية / القاهرة ١٣٤٣ هـ ٠
٣٢ ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلوني الجراحي ط مكتبة التراث الاسلامي حلب ٠
٣٣ ـ لسان العرب لجمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ط مصورة عن طبعة بولاق الدار المصرية للتأليف والترجمة / القاهرة ٠
٣٤ ـ ما تمس اليه الحاجة لمن يطالع سنن ابن ماجة لمحمد رشيد الهندي ط الهند ٠
٣٥ ـ المجروحين من المحدثين لأبي حاتم ابن حبان ط القاهرة ١٣٩٦ هـ ٠
٣٦ ـ مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لصفى الدين البغدادي ط ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م ٠ القاهرة ٠
٣٧ ـ المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم ط حيدر اباد الدكن الهند ١٣٤١ هـ ٠
٣٨ ـ المسند للامام أحمد بن حنبل ط ١٣١٣ هـ القاهرة ٠
٣٩ ـ معجم البلدان لياقوت الحموي ط دار صادق صادر بيروت ٠
٤٠ ـ المعجم الصغير للطبراني ط المكتبة السلفية المدينة المنورة ٠
٤١ ـ المقاصد الحسنة في الأحاديث المشهورة للسخاوي ط الخانجي القاهرة ١٣٧٥ هـ ٠
٤٢ ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي ط عيسى الحلبي القاهرة ١٩٦٣ م ٠

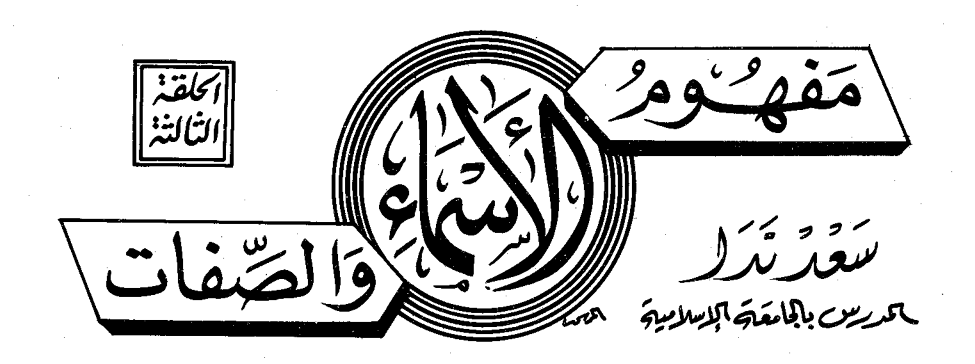


قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ
رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ
وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ
لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾

من سورة آل عمران


في
ظلال
العقيدة



أسلفت في حلقتين سابقتين - ذكر اثنين وثلاثين اسما من أسماء الله الحسنى ، وألقيت الضوء على بعض معانيها ، وأشرت إلى عدد المرات التى تكررت فيها هذه الأسماء ، وقد بلغت في مجموعها خمس عشرة وسبعمائة وألفى مرة (٢٧١٥) في مواضع مختلفة من القرآن الكريم · فضلا عن السنة المطهرة ، عدا ما سيأتى من الأسماء الحسنى في الحلقات القادمة إن شاء الله تعالى ·

وكان أكثر هذه الأسماء تكرارا هو لفظ الجلالة (الله) جل جلاله ، إذ قد تكرر ذكره فى القرآن الكريم ثمانين وتسعمائة (٩٨٠) مرة ·

والذى أود أن أبرزه أن إيرادى لتلك الأعداد التى تكررت فيها أسماء الله الحسنى ليس من باب التسلية ، أو السرد غير الهادف ، أو الإحصاء العشوائى ، وإنما هدفت من ورائه إلى أن أوكد حقيقة غاية في الأهمية ، تلك الحقيقة هى أن الله تعالى لم يُضمن القرآن الكريم هذا الحشد الضخم من أسمائه المباركة إلاّ لأنه أراد سبحانه أن يلفتنا إلى مدى ضرورة معرفة أسمائه الحسنى التى ذكرها لنا ووردت بها النصوص ، ودعانا إلى تعلمها وإحصائها ، ودعائه بها ، وذلك في قوله تبارك وتعالى : « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها » (الأعراف آية ١٨٠) ، وفيما رواه أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن لله تسعةً وتسعين اسماً ، مائةً إلا واحداً ، من أحصاها دخل الجنة ، وهو وتر يحب الوتر » (متفق عليه) ·

أعود فأكد أن تكرار أسماء الله الحسنى بهذا العدد الوفير في القرآن الكريم والسنة المشرفة لهو أقطع دليل على بالغ أهمية تعرف العباد عليها ، ليدعوا الله تعالى بها ، وليقفوا على ما تتضمنه من صفات الله عز وجل وليتعبدوا الله تعالى بها أحق ما تكون العبادة ·

ولو أن العبد علم الأسماء الحسنى ، جل وعلا ، وعرف معنى كل اسم من هذه الأسماء، وما يتضمنه من المعانى السامية ، وملأ بها قلبه ، لاستغنى بهذه الأسماء الكريمة عن التوجه إلى غير الله تعالى يستجديه ويتلمس عنده قضاء مالا يقوى عليه إلا الله عز وجل · ولصار

الناس جميعا ـ أمام ناظريه ـ سواء كأسنان المشط ، لافضل لعربى منهم على عجمى ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى ، إذ هم مثله جميعا عبيد لله رب العالمين ٠

ومن ثم رأيت أن أتم ما بدأت ذكره مما ورد به النص من أسماء الله الحسنى ، ملقيا بعض الأضواء على شيء من معانيها بقدر ما ييسر الله تعالى لى ، وذلك فيما يلى :

الحىّ :

هو إسم من أسماء الله جل وعلا ، يتضمن تفرده بصفة الحياة الأبدية التى لا تنتهى ، والتى تشمل جميع صفات كمالاته الذاتية ـ بمعنى أن اسم (الحىّ) يفيد دوام الحياة لله سبحانه ، وأنه تعالى الحى في نفسه الذى لا يموت أبدا (١) ، وقيل : الحى معناه : الباقى ، وقيل : الذى لا يزول ولا يحول ، وقيل : المصرف للأمور والمقدر للأشياء ، وقال الطبرى عن قوم أنه يقال : حىّ كما وصف نفسه ، ويسلم ذلك دون أن ينظر فيه (٢) وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم في قوله (الحىّ) أى حىّ لا يموت (٣) ٠

وقد ذكر شيخ الاسلام فخر الدين الرازى : واعلم أنه تعالى إنما تمدّح بكونه حيًا ، لأن مراده منه كونه حيًا لا يموت ، ألا ترى أن الحى الذى يجوز عليه الموت حكم عليه بأنه ميت ؟ قال تعالى : « إنك ميت وإنهم ميتون » (الزمر آية ٣٠) (٤) ٠

أقـــــول :

وتسمية نفسه سبحانه باسم (الحىّ) يفهم منه ـ وهو جل وعلا دائم الحياة وآثار حياته منبثة في كل ما خلق ـ أنه تعالى مصدر حياة كل كائن حى ، فهو سبحانه يبدؤها له من حين يشاء ، وينهيها منه حين يشاء ٠

وما دام أنه تعالى مصدر حياتنا ، فقد لَفَتَنَا أن نربط به وحده هذه الحياة ، ولا نكل أى أمر من أمورها إلا إليه وحده ، لأنه هو وحده دائم الحياة ، فيدوم تدبيره لأمورنا ، فقال تعالى « وتوكل على الحى الذى لا يموت » (الفرقان آية ٥٨) ، ولم يقل « وتوكل على الحى »

---

(١) تيسير العلى القدير المجلد الأول ص ٢١٨ ٠

(٢) فتح القدير الجزء الأول ص ٢٧١ ٠

(٣) المرجع السابق ص ٢٧٣ ٠

(٤) شرح أسماء الله الحسنى للرازى ص ٣٠٣ ٠

فقط ، لأن المخلوقين أحياء ولكنهم سيموتون ، فإذا توكل بعضهم على بعض ، تبددت مصالح المتوكلين بموت المتوكل عليهم ، لذا علمنا عز وجل أن يكون توكلنا على « الحى الذى لا يموت » وهو الله وحده سبحانه وتعالى ·

وقد ذكر الامام الشوكانى رحمه الله ـ أن الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يتوكل عليه في دفع المضار وجلب المنافع فقال « وتوكل على الحىّ الذى لا يموت » ، وخص صفة الحياة إشارة الى أن الحىّ هو الذى يوثق به في المصالح ، ولا حياة على الدوام إلا الله سبحانه ، دون الأحياء المنقطعة حياتهم ، فإنهم إذا ماتوا ضاع من يتوكل عليهم · والتوكل هو اعتماد العبد على الله فى كل الأمور · (١)

* وقد ورد اسم (الحىّ) في القرآن خمس مرات وذلك على ما يلى : -

(١) في قوله تعالى : « الله لا إله إلا هو الحىّ القيّوم لا تأخذه سنة ولا نوم » (البقرة آية ٢٥٥) ·

(٢) وفى قوله تعالى : « الٓمٓ · الله لا إله إلا هو الحىّ القيّوم » (آل عمران آية ١ ، ٢) ·

أقـــول : وقد ورد اسم (الحىّ) في الآيتين المذكورتين مقترنا باسم (القيّوم) بعد إقرار وتجريد توحيد الألوهية لله تعالى سبحانه ·

(٣) وفي قوله تعالى : « وعنت الوجوه للحىّ القيّوم وقد خاب من حمل ظلما » (طه آية ١١١) ·

أقـــول : وقد ورد اسم (الحىّ) في الآية المذكورة مقترنا باسم (القيّوم) كذلك ، مع بيان أن وجوه الخلائق ذلت وخضعت واستسلمت لجبارها (الحىّ) الذى لا يموت ، القيّوم الذى لا ينام ، وهو قيّم على كل شيء ، ولا قوام لشيء إلا به (٢) · وكذلك مع بيان أنه من يلقى ربه (الحىّ القيوم) على شيء من الظلم وهو الشرك ، فإنه يكون خائبا خاسراً · (٣) ·

(٤) وفي قوله تعالى : « وتوكل على الحىّ الذى لا يموت وسبح بحمده » (الفرقان آية ٥٨) ·

أقـــول : وقد أسلفت ـ قبل قليل ـ بيان لم لَفَتَنَا الله جل وعلا إلى أن يكون توكلنا عليه وحده لأنه (الحىّ الذى لا يموت) ، فلا أرى داعيا لتكراره ·

---

(١) فتح القدير الجزء الرابع ص ٨٣ ، ٨٤ ·

(٢) تيسير العلى القدير المجلد الثالث ص ٢٦ ·

(٣) فتح القدير الجزء الثالث ص ٣٨٧ ـ بتصرف ·

(٥) وفي قوله تعالى : « هو الحيّ لا إله إلا هو فادْعُوهُ مُخْلِصِينَ له الدّين ، الحمدُ للهِ ربّ العالمين » (غافر آية ٥٦) ٠

أقـــول : وقد ورد اسم (الحيّ) في هذه الآية مع إقرار تجريد توحيد الألوهية لله تعالى سبحانه ، مع أمرنا أن ندعوه وحده مخلصين له قلوبنا في كل دعائنا ٠

وقد ذكر الامام ابن كثير - رحمه الله - في قوله تعالى : « هو الحيّ لا إله إلا هو » أى هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، الذى لا معبود إلا هو سبحانه ٠

وذكر في قوله تعالى : « فادعوه مخلصين له الدين » أى موحدين له مقرين بألوهيته وربوبيته ، كما ذكر أنه روى عن ابن عباس قوله : من قال لا إله إلا الله فليقل على إثرها : الحمد لله رب العالمين ، وذلك قوله تعالى : « فادعوه مخلصين له الدين ، الحمد لله رب العالمين » ٠ (١)

وذكر الإمام الشوكانى في قوله تعالى : « هو الحيّ لا إله إلا هو » أى الباقى الذى لا يفنى ، المنفرد بالألوهية ، وفي قوله تعالى : « فادعوه مخلصين له الدين » أى الطاعة والعبادة ٠

وذكر أنه قد أخرج ابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى في الأسماء والصفات عن ابن عباس قال : من قال لا إله إلا الله فليقل على إثرها : الحمد لله رب العالمين ، وذلك قوله : « فادعوه مخلصين له الدين ، الحمد لله رب العالمين » (٢)٠

وقد ذكر الإمام الشوكانى معنى « ادعونى » في قوله تعالى : « وقال ربكم ادعونى استجب لكم » (غافر آية ٦٠) : قال أكثر المفسرين : (المعنى : وحدونى واعبدونى ، أتقبل عبادتكم وأغفر لكم ٠ وقيل : المراد بالدعاء السؤال بجلب النفع ودفع الضر ٠ قيل : الأول أولى ، لأن الدعاء في أكثر استعمالات الكتب العزيز هو العبادة - قلت : بل الثانى أولَى ، لأن معنى الدعاء حقيقة وشرعا هو الطلب ، فإن استعمل في غير ذلك فهو مجاز ، على أن الدعاء في نفسه باعتبار معناه الحقيقى هو عبادة ، بل مخ العبادة ، ما ورد بذلك الحديث الصحيح ، فالله سبحانه قد أمر عباده بدعائه ، ووعدهم بالإجابة ، ووعده الحق ، وما يبدل القول لديه ، ولا يخلف الميعاد ٠ ثم صرح سبحانه بأن هذا الدعاء باعتبار معناه الحقيقى وهو الطلب - هو من عبادته فقال (إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) أى ذليلين

---

(١) تيسير العلى القدير المجلد الثالث ص ٥٣٩ ٠

(٢) فتح القدير الجزء الرابع ص ٤٩٩ ٠

صاغرين ، وهذا وعيد شديد لمن استكبر عن دعاء الله ، وفيه لطف بعباده عظيم ، وإحسان إليهم جليل حيث توعد من ترك طلب الخير منه واستدفاع الشر به بهذا الوعيد البالغ ، وعاقبه بهذه العقوبة العظيمة ، فيا عباد الله وجهوا رغباتكم ، وعوّلوا في كل طلباتكم على مَنْ أمَرَكُمْ بتوجيهها إليه ، وأرشدكم إلى التعويل عليه ، وكَفَلَ لكم الإجابة به بإعطاء الطَّلبة ، فهو الكريم المطلق الذى يجيب دعوة الداعى إذا دعاه ، ويَغْضَبُ على من لم يطلب من فضله العظيم وملكه الواسع ما يحتاجه من أمور الدنيا والدين (١) ٠

أقـــول : ومن ثم فإن اسم (الحىّ) - وهو من أسماء الله تعالى الحسنى - يتضمن معنى تفرد الله - عز وجل - بالبقاء الدائم الذى لا فناء معه على الإطلاق ٠ فمن علم أنه هكذا ، وأنه يتضمن جميع صفات الكمال الذاتية ، وآمن أن الله تعالى : وحده - هو مصدرُ كل حياة ، فإنه لا بد أن يجعل اللَّجأ إليه وحده سبحانه ، ضارعاً إليه أن يرزقه الحياةَ الطيبة التى يحس فيها بسعادة العيش : حياةَ الجسم المعافى من كل داء ، وحياةَ القلب المعافى من كل سوء ٠

القيُّـــــــوم :

هو اسم من أسماء الله تعالى ، ورد بصيغة المبالغة على وزن (فيْعُول) من قام ، يقوم بمعنى دام ، يدوم والقيُّوم : الدائم ، وكان من قراءة عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « الحىُّ القَيَّام » (٢) ٠

يقول الرازى أن القيوم مبالغة من القيام ، وكمال المبالغة إنما يحصل عند الاستغناء به عن كل ما سواه ، وافتقار كل ما سواه إليه ، فثبت بهذا البرهان أنه سبحانه هو « القيوم » الحق بالنسبة إلى كل الموجودات (٣) ٠

ويقول : إن تأثيره - سبحانه - في غيره بالإيجاد ، والموجد بالقصد والاختيار لا بد وأن متصوراً ماهية ذلك الشىء الذى يقصد إلى ايجاده ، فثبت أن المؤثر في العالم فعَّال درَّاك ، ولا معنى للحىّ إلا ذاك ، فثبت أنه سبحانه حىّ ، فلهذا قال : (الحىّ القَيُّوم) ، دلَّ بقوله (الحىّ) على كونه عالماً ، قادراً ، وبقوله (القَيُّوم) على كونه قائماً بذاته ، مُقَوِّماً لغيره ، ومن هذين الأصلين تتشعب جميع المسائل المعتبرة في علم التوحيد (٤) ٠

---

(١) فتح القدير الجزء الرابع ص ٤٩٨ ٠

(٢) مرجع الزجاج ص ٥٦ - وقال أبو اسحاق الزجاج في هامش هذه الصفحة : قال أبو حيان في البحر المحيط ٢٧٧/٢ : قرأ الجمهور (القَيُّوم) على وزن (فَيْعُول) ، وقرأ ابن مسعود وابن عمر وعلقمة والنخعى والأعمش (القَيَّام) ٠ وفي زاد المسير ٣٠٢/٨ وبه قرأ عمر بن الخطاب وابن مسعود وابن أبى عبلة والأعمش ٠

(٣) شرح أسماء الله الحسنى للرازى ص ٣٠٥ ٠

(٤) المرجع السابق ص ٣٠٥ ٠

ويقول : وأعلم أنه لما ثبت كونه سبحانه قَيُّوما ، فهذه القَيُّومية لها لوازم ، ويجملها في خمس ، أوجزها فيما يلى :

اللازمة الأولى : أن واجب الوجود واحد ، وهو الله تعالى ، بمعنى أن ماهيته غير مركبة من الأجزاء ، اذ لو كانت كذلك لافتقرت الى كل جزء منها ، وكل جزء غيره سبحانه ، والمركب متقوّم بغيره ، فلا يكون إذاً متقوّما بذاته ، ولا مُقوّما لسواه ، ومن ثم لا يكون على الإطلاق قَيُّوماً .

اللازمة الثانية : أن لا يكون سبحانه في محل ، فيكون حالاً ، والحال مفتقر إلى المحل ، وإذا كان مفتقرا فلا يكون على الإطلاق قيّوماً .

اللازمة الثالثة : ما دام أنه سبحانه قيّوم ، فهو قائم بنفسه ، عالم بذاته ، وذاته مؤثرة في غيره ، وهذا يقتضى علمه بكل الموجودات ، فكان قيّوما عليها .

اللازمة الرابعة : ما دام أنه سبحانه قيوم على كل ما سواه ، فكل ما سواه متقوَّم به ، أى موجود بإيجاده .

اللازمة الخامسة : وما دام أنه سبحانه قَيُّوم بالنسبة إلى كل الممكنات ، استند كل الممكنات إليه .

وإذا عرفت هذا : فالقيُّوم من حيث إنه يدل على تقوّمه بذاته يدل على وجوده الخاص به ، ويدل كذلك على استغنائه عن غيره (١) .

أقـــول : يخلص من كلام الإمام الرازى أن اسم (القيُّوم) يعنى تفرد الله جل وعلا بذاته وقيوميته على كل ما سواه ، بحيث تكون جميعها متقوّمةً به ، ومفتقرةً افتقاراً كاملًا دائماً إليه سبحانه ، فضلا عن أنه متقوّما بذاته ، وغَنِىٌّ غنىً كاملا عمن سواه .

* وقد ورد اسم (القيُّوم) في القرآن الكريم ثلاث مرات (٢) على النحو التالى : -

(١) في قوله تعالى : « الله لا إله إلا هو الحىّ القيّوم لا تأخذه سنةٌ ولانومٌ » (البقرة آية ٢٥٥) .

---

(١) المرجع السابق ص ٣٠٥ - ٣٠٧ بتصرف .

(٢) المعجم المفهرس ص ٥٨٠ .

وقد ذكر الإمام ابن كثير في هذه الآية أن معنى (القيُّوم) : القيم لغيره ، ولا قوم للموجودات بدون أمره (١) ٠

وذكر الإمام الشوكانى في الآية المذكورة أن (القيُّوم) : القائم على كل نفس بما كسبت ٠ وقيل : القائم بذاته المقيم لغيره ٠ وقيل : القائم بتدبير الخلق وحفظه ٠ وقيل : هو الذى لا ينام ٠ وقيل : الذى لا بديل له (٢) ٠

(٢) وفي قوله تعالى : « الم ـ الله لا إله إلا هو الحىّ القيُّوم » (آل عمران آية١،٢)٠

وقد ذكر الإمام الشوكانى في هذه الآية أن ابن جرير وابن أبى حاتم أخرجا في معنى (القيوم) : القائم الذى لا بديل له ٠ كما أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وأبو الشيخ والبيهقى عن مجاهد في قوله (القيُّوم) : القائم على كل شىء ٠ وأخرج ابن أبى حاتم عن الحسن قال : القيُّوم الذى لا زوال له (٣) ٠

(٣) وفي قوله تعالى : « وعَنَتْ الوجوه للحىّ القيُّوم وقد خاب من حمل ظلماً » (طهآية١١١)

وقد ذكر الإمام ابن كثير في هذه الآية أن (القيُّوم) هو الذى لا ينام ، وهو قيِّم على كل شىء ، ولا قوام لشىء إلا به (٤) ٠

أقـــول : وقد اقترن اسم (القيُّوم) في هذه الآيات الثلاث باسم (الحىّ) - واقترانهما له دلالة عظيمة ، ذلك أن اسم (الحىّ) يشمل جميع صفات الكمال الذاتية لله عز وجل ، واسم (القيُّوم) يشمل جميع صفات الكمال الفعلية له سبحانه ، وجمع النوعين من صفات الكمال : الذاتية والفعلية ، جمع لكل صفات الكمال المطلقة بصورها المتعددة ٠ لهذا كان دعاء الله جل وعلا بهذين الاسمين (الحىّ القيُّوم) له من الأهمية البالغة ما لو علمه العبد لما انقطع عن الدعاء بها البتة ـ فقد ذكر الإمام ابن كثير عن أبى أمامة مرفوعا : (اسم الله الأعظم الذى اذا دُعى به أجاب في ثلاث : البقرة ، وآل عمران ، وطـــه) (٥) ٠

---

(١) تيسير العلى القدير المجلد الأول ص ٢١٨ ٠
(٢) فتح القدير الجزء الأول ص ٢٧١ ٠
(٣) المرجع السابق ص ٢٧٣ ٠
(٤) تيسير العلى القدير المجلد الثالث ص ٢٦ ٠
(٥) المرجع السابق ص ٢١٨ ٠

وذكر الإمام الرازى أنه روى عن ابن عباس أنه كان يقول : (أعظم أسماء الله : الحىُّ القيُّوم) (١) .

وأخرج أبو داود والترمذى وصححه من حديث أسماء بنت يزيد بن السكن قالت : (سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في هاتين الآيتين - الله لا إله إلا هو الحىّ القيّوم ، والٓمٓ . الله لا إله إلا هو الحىّ القيُّوم - إن فيهما اسم الله الأعظم) (٢) .

كما ذكر الإمام الرازى أن قوله تعالى : (الحىُّ القيُّوم) كالينبوع لجميع مباحث العلم الإلهى ، فلا جرم بلغت الآيات المشتملة على هذين اللفظين في الشرف إلى المقصد الأقصى (٣) . وقد ورد الاسمان الكريمان (الحىّ القيّوم) أول ما وردا في كتاب الله العزيز في أعظم آية منه : فقد روى الإمام أحمد بن حنبل عن أبى بن كعب (أن النبى صلى الله عليه سأله : أى آية في كتاب الله أعظم ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، فرددها مراراً ، ثم قال : آية الكرسى . قال : لِيَهْنِكَ العلمُ أبا المنذر ، والذى نفسى بيده ، إن لها لسانا وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش) وقد رواه الإمام مسلم ، وليس عنده زيادة (والذى نفسى بيده ...) (٤) .

وروى الإمام أحمد عن أبى ذر جندب بن جنادة - في بعض حديث له : (.... قلت يارسول الله ، أى ما أنزل عليك أعظم ؟ قال : آية الكرسى : (الله لا إله إلا هو الحىّ القيّوم) ورواه النَّسائى (٥) .

وأخرج الإمام البخارى في تاريخه ، والطبرانى وأبو نعيم في المعرفة بسند رجاله ثقات عن ابن الأسقع البكر (أن النبى صلى الله عليه وسلم جاءهم في صفة المهاجرين ، فسأله انسان : أى آية في القرآن أعظم ؟ فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : (الله لا إله إلا هو الحىّ القيُّوم لا تأخذه سنة ولانوم ، حتى انقضت الآية) .

وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : (أعظم آية في كتاب الله ، الله لا إله إلا هو الحىّ القيُّوم) .

---

(١) شرح أسماء الله الحسنى للرازى ص ٣٠٧ .
(٢) فتح القدير الجزء الأول ص ٢٧٤ .
(٣) المرجع السابق ص ٣٠٧ .
(٤) تيسير العلى القدير المجلد الأول ص ٢١٧ - وفتح القدير الجزء الأول ص ٢٧٣ .
(٥) تيسير العلى القدير المجلد الأول ص ٢١٧ .

وأخرج سعيد بن منصور والحاكم والبيهقى في الشعب عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : (سورة البقرة فيها آية سيدة آى القرآن ، لا تُقْرَأ في بيت فيه شيطانٌ إلا خرج منه ، آية الكرسى) قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه (١) .

وأخرج البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة قال : (وكلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان ، فأتانى آتٍ فجعل يحثو من الطعام ، فأخذته وقلت : لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : دعنى فإنى محتاجٌ وعلَّى عيال ولى حاجة شديدة . قال : فخلَّيت عنه ، فأصبحتُ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « يا أبا هريرة ما فعل أسيرُكَ البارحة ؟ » قال : قلت : يارسول الله ، شكا حاجةً شديدةً وعيالاً ، فرحمتهُ وخلَّيتُ سبيلَه . قال : « أما إنه قد كذبك وسيعود » فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنه سيعود » فرصدته ، فجاء يحثو من الطعام ، فأخذته فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : دعنى فإنى محتاج وعلّى عيال لا أعود ، فرحمتُه وخليتُ سبيله ، فأصبحت فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا هريرة ما فعل أسيرُكَ البارحة ؟ » قلت : يا رسول الله ، شكا حاجةً وعيالاً ، فرحمتُه وخليتُ سبيله . قال : « أما إنه قد كذبك وسيعود » فرصدته الثالثة ، فجاء يحثو من الطعام ، فأخذته ، فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذا آخر ثلاث مرات ، إنك تزعم أنك لا تعود ثم تعود . فقال : دعنى أعلمْك كلمات ينفعْك الله بها ، قلت : وماهى ؟ قال : اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسى : (الله لا إله إلا هو الحىُّ القيُّوم) حتى تختم الآية ، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، فخلَّيتُ سبيله ؛ فأصبحتُ ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما فعل أسيرُكَ البارحة ؟ » قلت : يا رسول الله ، زعم أنه يعلِّمنى كلماتٍ ينفعنى الله بها ، فخليتُ سبيله ، قال : « ما هى ؟ » قلت : قال لى : إذا أويت إلى فراشك ، فاقرأ آية الكرسى من أولها حتى تختم الآية (الله لا إله إلا هو الحىُّ القيُّوم) ، وقال لى : لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، وكانوا أحرص الناس على الخير ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أما إنه صدقك وهو كذوب ، تعلم من تخاطب من ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟ » قلت : لا ، قال : « ذاك شيطان » (٢) .

أقـــــول : يخلص مما سبق أن الاسمين الكريمين (الحىّ) و (القيُّوم) قد وردا في القرآن الكريم مقترنين فى مواضع ثلاث من سور البقرة ، وآل عمران ، وطـه ، ليفيدا

---

(١) فتح القدير الجزء الأول ص ٢٧٤ .

(٢) صحيح البخارى .

اتصاف الله جل وعلا · وهما كلمتان فحسب ـ بصفتى الحياة والقيومية ـ فالأولى تثبت له تعالى جميع صفات الكمال الذاتية المطلقة ، والثانية تثبت له تعالى جميع صفات الكمال الفعلية المطلقة ، ومن ثم وصفها الرسول صلى الله عليه وسلم بأنهما يعبران عن اسم الله الأعظم الذى اذا سئل به أعطى ، وإذا دعى به أجاب · فنسألك اللهم (يا حىّ يا قيّوم) أن ترينا الحق حقاً وترزقنا اتباعه ، وأن ترينا الباطل باطلًا وترزقنا اجتنابه ، وأن لا تزيغ قلوبنا بعد إذ هديتها ، وأن تثبت قلوبنا على دينك ، وأن تصرفها على طاعتك ، وأن تختم لنا بخاتمة الإيمان ·

العلىّ :

هو اسم من أسماء الله تعالى ـ وهو على وزن (فَعِيل) بمعنى فاعل ، أى العالى ، هو الذى ليس فوقه شىء (١) ·

أقــــول : وصفة العلوّ لله تعالى التى تؤخذ من اسمه (العلّى) سبحانه ، ثابتة بالكتاب والسنة ، ومفهومها ـ على ما سأبين إن شاء الله تعالى عند بيان صفات الله سبحانه ـ أنه جل وعلا ـ عالٍ فوق عرشه ، فهو مستوٍ سبحانه بذاته فوق عرشه استواء يليق به ، بائنٌ عن جميع خلقه ، والعرش واحد من خلقه ، وهو رغم ذلك مع خلقه ، وأقرب ما يكون إليهم بعلمه ، وإحاطته ، وقدرته ، وقهره ، وسمعه ، وبصره ، وباقى صفاته المطلقة في الكمال · فهو سبحانه قريبٌ في علوه ، عالٍ فى دُنُوّه · فضلا عن ذلك فالله ـ جل وعلا ـ علّى فى ذاته ، وعلٌّ في أسمائه ، وعلٌّ في صفاته ، وعلٌّ في أفعاله ·

* وقد ورد اسم (العلّى) فى القرآن الكريم ثمانى مرات (٢) على النحو التالى : ـ

ورد مرتين (٣) مقترنا باسم (العظيم) ، وذلك في قوله تعالى :

(١) « ولا يؤودُه حفظهما وهو العلّى العظيم » (البقرة آية ٢٥٥) ·

(٢) وفي قوله : « له ما في السماوات وما في الأرض وهو العلّى العظيم » (الشورى آية ٤) ·

أقــــول : وفي هاتين الآيتين نجد أن اسم (العلّى) بما يتضمنه من صفة العلو في

---

(١) مرجع الزجاج ص ٤٨ ـ بتصرف ·

(٢) المعجم المفهرس ·

(٣) المرجع المذكور ·

الذات ، والأسماء ، والصفات ، والأفعال ، الأمر الذى يدل على انفراده سبحانه بالكمال المطلق ، وقد اقترن باسم (العظيم) بما يتضمنه من صفة العظمة في الذات والأسماء ، والصفات ، والأفعال ، الأمر الذى يدل على انفراده - سبحانه - بالقدرة المطلقة ، اقتران بلغت العقول والقلوب إلى أن الله - عز وجل - في علاه فوق عرشه بما لا يطلع عليه أحد من خلقه في هذه الحياة الدنيا البتة ، عظيم عظمةً تتضمن القدرة على كل شيء ، وتذل أمامها الخلائق فتنصاع صاغرة لعظمة الله (العلّى العظيم) ، إذ أنه خالق ومالك ما في السماوات وما في الأرض ·

وقد ورد اسم (العلّى) في القرآن الكريم مقترنا باسم (الكبير) خمس مرات (١) ، على النحو التالى : -

١ - في قوله تعالى : « ذلك بأن الله هو الحق ، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل ، وأن الله هو العلّى الكبير » (الحج آية ٦٢) ·

أقـــول : في هذه الآية سبق الاسمان الكريمان (العلّى الكبير) بإقرار قضية التوحيد لعظيم أهميتها ، فقررت ان الله تعالى هو الإله الحق الذى لا ينبغى أن تصرف أى عبادة إلا له وحده ، إذ أن صرف أى شيء منها ، ودعاء غيره سبحانه هو الباطل الذى يجب أن ينأى عنه المسلم · ثم تقرر الآية أن هذا الإله الحق الواجب تجريد العبادة له ، هو الله العلى الكبير ·

ويقول الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية : أن الله هو الإله الذى لا تنبغى العبادة إلا له ، وأن كل ما عبد من دونه فهو باطل ، لأنه لا يملك ضرا ولا نفعا ، وأن الله هو العلى الذى لا أعلى منه ، الكبير الذى لا أكبر منه ، تعالى وتقدس وتنزه عما يقول الظالمون المعتدون علواً كبيراً (٢) ·

ويقول الإمام الشوكانى في تفسيرها : أى هو سبحانه ذو الحق ، فدينه حق ، وعبادته حق ، ونصره لأوليائه على أعدائه حق ، ووعده حق ، فهو عز وجل في نفسه ، وأفعاله ، وصفاته حق ، وأن الذين يدعونه إلها من الأصنام (٣) هو الباطل الذى لا ثبوت له ، ولا لكونه إلها ،

---

(١) المعجم المفهرس ·

(٢) تيسير العلى القدير المجلد الثالث ص ٩٧ ·

(٣) أقــول : أو غيرها من الطواغيت : سواء أكانت جبابرة أحياء ، أو موتى ، أو حيوانات ، أو جمادات ينزل عندها الجاهلون الضالون ، ويخشونها كخشية الله أو أشد خشية ·

وأن الله هو العالى على كل شيء بقدرته ، المتقدس على الأشباه والأنداد ، المتنزه عما يقول الظالمون من الصفات ، وأنه سبحانه ذو الكبرياء ، وهو عبارة عن كمال ذاته ، وتفرده بالإلهية (١) .

٢ ـ وفي قوله تعالى : « ذلك بأن الله هو الحق ، وأن ما يدعون من دونه الباطل ، وأن الله هو العلّى الكبير » (لقمان آية ٣٠) .

أقـــول : وما أقوله عن هذه الآية الكريمة من اقتران اسم (العلّى) باسم (الكبير) ، ومن تصدر الآية باقرار توحيد الله وتجريد العبادة له سبحانه ، هو ما أقوله في هذه الآية ، لتماثلها مع الآية السابقة .

٣ ـ وفي قوله تعالى : « حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربُكم ؟ قالوا : الحقَّ ، وهو العلّى الكبير » (سبأ آية ٢٣) . وهنا ترى ان الاسمين الكريمين (العلّى الكبير) سُبقا بما بَيَّن الله جل وعلا من أن الملائكة حين يزول فزع قلوبهم من سماعهم كلام الله تعالى بالوحي يتساءلون عن قول الله عز وجل ، فيقول بعضهم لبعض الحق الذى قال ، وأقروا بأن الله هو العلّى الكبير ، فلا قول بعد قوله سبحانه .

وقد ذكر ابن عباس رضى الله عنهما في تفسير هذه الآية : أنه اذا خُلِّى عن قلوبهم ، وزال الفزع عنها ، سأل بعضهم : ماذا قال ربكم ؟ فيخبر بذلك حملة العرش للذين يلونهم ثم للذين يلونهم لمن تحتهم ، حتى ينتهى الخبر إلى أهل السماء الدنيا ، ولهذا قال تعالى : (قالوا الحقَّ) أى أخبروا بما قال من غير زيادة ولا نقصان (وهو العلّى الكبير) (٢) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (اذا قضى الله الأمرَ ضربت الملائكة بأجنحتها خضعَاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان يَنْفُذُهم ذلك ، حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحقَّ ، وهو العلُّ الكبير ، فيسمعها مسترق السمع ـ ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض ـ وصَفَهُ سفيانُ بكفه ، فحرَفها وبدَّدَ بَيْن أصابعه ـ فيسمع الكلمة فيلقيها إلى مَنْ تحته ، ثم يلقيها الآخر إلى مَنْ تحته ، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن ، فربما أدركه الشّهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة ، فقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا ، كذا وكذا ؟ فيصدَّق بتلك الكلمة التى سُمِعَتْ من السماء) (٣) .

---

(١) فتح القدير الجزء الثالث ص ٤٦٥ .

(٢) تيسير العلى القدير المجلد الثالث ص ٤٠٧ .

(٣) خرجه الامام البخارى .

وروى ابن أبى حاتم - بسنده - عن النوّاس بن سمعان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اذا أراد الله تعالى أن يوحى بالأمر ، تكلم بالوحى أَخَذَتِ السموات منه رَجْفَةٌ - أو قال رعدة - شديدة خوفاً من الله عز وجل ، فإذا سمع ذلك أهل السماوات صُعقُوا وخَرُّوا سُجَّدًا ، فيكون أولَ من يرفع رأسهُ جبريلُ ، فيكلمه الله من وحيه بما أراد ، ثم يمرّ جبريلُ على الملائكة ، كلما مرّ بسماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول جبريل : قال الحق ، وهو العلىّ الكبير . فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل ، فينتهى جبريل بالوحى إلى حيث أمره الله عز وجل من السماء والأرض)

٤ - وفي قوله تعالى : « ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم ، وإن يشرك به تؤمنوا ، فالحكم لله العلىّ الكبير » (غافر آية ١٢) .

أقول : في هذه الآية الكريمة ، نجد أنه قد ورد قبل الاسمين الكريمين (العلىّ الكبير) تقرير وتأكيد لأهميته توحيد الله عز وجل وتوبيخ لأصحاب النار الذين يطلبون من ربهم سبحانه أن يعيدهم إلى الدنيا ليعملوا صالحا غير الذى كانوا يعملون ، لأنهم لم يقبلوا توحيد الله عز وجل في الدنيا ، بل كانوا إذا دعوا إلى توحيده يكفرون ، وإن يشرك به تعالى يؤمنون . فكان الحكم القاطع بعدم إجابتهم من الله العلىّ الذى ليس أعلى منه أحد ، الكبير الذى ليس أكبر منه أحد ، ومن ثم فلا حكم بعد حكمه سبحانه .

وقد ذكر الإمام الشوكانى في هذه الآية أن الله سبحانه بين لهم السبب الباعث على عدم اجابتهم إلى الخروج من النار ، وهو ما كانوا فيه من ترك توحيد الله وإشراك غيره به في العبادة التى رأسها الدعاء ، ثم ذكر في قوله تعالى (فالحكم لله) أى أنه وحده دون غيره ، وهو الذى حكم عليهم بالخلود في النار وعدم الخروج منها ، وفي قوله (العلىّ) أنه المتعالى عن أن يكون له مماثل في ذاته ولا صفاته . وفي قوله (الكبير) الذى كبر عن أن يكون له مثل ، أو صاحبة ، أو ولد ، أو شريك (١) .

أقـــول : ومن هنا يبين لنا أن الآية تدور حول بيان مدى أهمية قضية توحيد الله عز وجل ، وجزاء وخزى من رفض توحيده سبحانه وأن الله (العلى الكبير) اذا حكم فلا معقب لحكمه .

---

(١) فتح القدير الجزء ٤ ص ٤٨٤ .

٥ - وفي قوله تعالى : « الرجال قوَّامونَ على النساء بما فضَّل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم . فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ، واللاتى تخافون نُشُوزَهُنَّ فِعظوهنَّ ، واهجروهنَّ في المضاجع ، واضربوهنَّ . فإنْ أطعنكُمْ فلا تَبْغُوا عليهنَّ سبيلا ، إن الله كان عليًّا كبيراً » (النساء آية ٣٤) .

أقــول : في هذه الآية الكريمة نجد أن الاسمين الكريمين في قوله تعالى (عليًّا كبيرًا) قد سُبقا بقضية من القضايا الإجتماعية الخطيرة ، وهى قضية قوامة الرجل على المرأة وحقه في تأديبها عند خوف نشوزها - فقررت الآية للرجل القوامة الكاملة على المرأة ، لأنه هو الذى يتولى الذب عنها ، والإنفاق عليها ، وذلك بسبب تفضيله بما فضله الله تعالى بأن جعل منه الخليفة ، والسلطان ، والحاكم ، والأمير ، والغازى ، والقاضى ، وغير ذلك من الأمور التى خص الله عز وجل بها الرجل . ثم ذكرت الآية أن الزوجات الصالحات قانتات أى مطيعات لله بتأدية حقوقه وحقوق أزواجهن ، وأنهن حافظات لأنفسهن ومال أزواجهن في غيبتهم بحفظ الله .

ثم عالجت الآية قضية خوف نشوز المرأة ، فحددت للرجل خطوات علاج لا بد له أن يتبعها مع زوجته ، وذلك أولا : بأن يعظها ، وثانيا : بأن يهجرها في المضجع إن لم يثمر وعظها ، وثالثا : بأن يضربها ضرباً - غير مبرح كما بينت السنة المشرفة - إن لم يثمر هجرها ، فإن أطاعت ، فليس له أن يتعرض لها بما يسيئها من قول أو فعل . فإن تعرض لها رغم طاعتها ، فإن الله (العلىّ الكبير) يجازيه بعمله . وقد ذكر الإمام الشوكانى في قوله تعالى في هذه الآية (إن الله كان علياً كبيراً) إن هذا إشارة إلى الأزواج بخفض الجناح ولين الجانب - أى في حالة طاعتهن - أى وان كانوا يقدرون عليهن ، فليذكروا قدرة الله عليهم ، فإنها فوق كل قدرة ، والله بالمرصاد لهم (١) .

وفضلا عما ذكرت ، فقد ورد اسم (العلىّ) سبحانه مقترنا باسم (الحكيم) في القرآن الكريم مرة واحدة (٣) في قوله تعالى : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحى بإذنه ما يشاء ، إنه علىّ حكيم » (الشورى آية ٥١) .

---

(١) فتح القدير - الجزء الأول ص ٤٦١ بتصرف - وأقول في إيجاز : والخطوة الرابعة في علاج الزوجة إن لم تثمر الثالثة هى بعث حكم من أهله وحكم من أهلها ، إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما . والخطوة الخامسة الطلاق مرتان . فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان . ويكون الطلاق رجعيا في طهر لم يمسها فيه . فإن طلقها بعد المرتين فلا تحل له من بعدُ حتى تنكح زوجا غيره .

(٣) المعجم المفهرس .

أقـــول : في هذه الآية الكريمة نجد أن الاسمين الكريمين (العلى الحكيم) قد سُبقا ببيان الطريق الذى ينزل به وحى الله على من يختارهم من عباده ، وذلك بإحدى طرق ثلاث : أولا : إما بالنفث في القلب ، ثانيا : أو بالكلام من وراء حجاب دون أن يُرى سبحانه ، ثالثا : أو بإرسال ملك بالوحى الذى يريد سبحانه ٠ وذلك لأنه (علىٌّ حكيم) بمعنى أنه متعالٍ عن صفات النقص ، وحكيم في كل أحكامه (١) ٠

المتعـــــالى :

هو اسم من أسماء الله تعالى ٠ على وزن متفاعل ، وهو من العلو ، والله تعال عالٍ ، ومتعال ، وعلّى (٢) ٠

* وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم مرة واحدة (٣) في قوله تعالى : « عالمُ الغيبِ والشهادةِ الكبيرُ المتعالِ » (الرعد آية ٩) ٠

أقـــول : وقد سُبق الاسمان الكريمان (الكبير المتعال) في هذه الآية بإفراد الله عز وجل - بعلم كل ما غُيِّبَ عن العباد ومالم يُغَيَّب عنهم ، مما يدل على استئثاره سبحانه بهذا العلم ٠

وقد ذكر الإمام ابن كثير عن هذين الاسمين (الكبير المتعال) في الآية المذكورة أن (الكبير) هو الذى أكبر من كل شىء ، وأن (المتعال) هو المتعالى على كل شىء (٤) ٠

وقال الإمام في تفسيرها إن معنى (الكبير) العظيم الذى كل شىء دونه ، ومعنى (المتعال) المتعالى عما يقوله المشركون ، أو المستعلى على كل شىء بقدرته وعظمته وقهره (٥) ٠

---

(١) فتح القدير الجزء الرابع ص ٥٤٤ / ٥٤٥ بتصرف ٠

(٢) مرجع الزجاج ص ٦١ ٠

(٣) المعجم المفهرس ٠

(٤) تيسير العلى القدير المجلد الثانى ص ٢٠٥ ٠

(٥) فتح القدير الجزء الثالث ص ٦٨ ٠

الأعـــــلى :

هو اسم من أسماء الله تعالى ، على وزن (أفْعل) وهى بصيغة المبالغة · واسم (الأعلى) بالتعريف يفهم منه أنه تعالى هو وحده الأعلى في ذاته ، وفي أسمائه ، وفي صفاته ، وفي أفعاله ، ولا يوجد من هو أعلى منه في أى شيء على الاطلاق ·

* وقد ورد اسم (الأعلى) في القرآن الكريم مرتين (١) : -

١ - في قوله تعالى : « سبح اسم ربك الأعلى » (الأعلى آية ١) ·

أقـــــول : وقد سبق اسم (الأعلى) في هذه الآية الكريمة أمر من الله عز وجل أن نسبح اسمه · وهنا يثور التساؤل : هل التسبيح - وهو التنزيه عن كل مالا يليق - للرب أو لاسمه تعالى ؟

ذهب العلماء إلى رأيين : -

الأول : أن التسبيح إنما هو للرب جل وعلا ، ومن ثم يكون (اسم) مقحماً ، وفي هذا يقول الإمام الشوكانى : المعنى : سبح ربَّك الأعلى ·

الثانى : أن التسبيح لاسم الرب جل وعلا ، ومن ثم فلا يكون (اسم) مقحما ، وفي هذا يقول الإمام ابن جرير : المعنى : نَزِّه اسم ربك أن يسمى به أحد سواه · وقيل : المعنى : نَزِّه تسمية ربك وذكرك إياه أن تذكره إلا وأنت خاشع معظم ، ولذكره محترم ·

وقال الحسن : معنى سبح اسم ربك الأعلى : صلِّ له · وقيل : المعنى : صلِّ بأسماء الله لا كما يصلى المشركون بالمكاء والتصدية · وقيل : المعنى : ارفع صوتك بذكر ربك ·

ثم هناك تساؤل آخر : هل الأعلى صفة للرب أو صفة الاسم ؟ ذكر الإمام الشوكانى : أنه قيل إنه صفة للرب ويرى أن هذا الرأى هو أولى · وقيل إنه صفة للاسم (٢) ·

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحب سورة الأعلى : فقد روى الإمام أحمد عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب هذه السورة : « سبح اسم ربك الأعلى » تفرد به أحمد · كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقرأ بها في أكثر من مناسبة : فقد روى الإمام أحمد عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى

---

(١) المعجم المفهرس ·

(٢) فتح القدير الجزء الخامس ص ٤٢٣ ·

الله عليه وسلم (قرأ في العيدين بسبح اسم ربك الأعلى ، وهل أتاك حديث الغاشية ، وإن وافق يوم الجمعة قرأهما جميعاً) ولفظ الإمام مسلم وأهل السنن (كان يقرأ في العيدين ويوم الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى ، وهل أتاك حديث الغاشية وربما اجتمعا في يوم واحد فقرأهما) ٠

وروى الإمام أحمد عن كعب وعبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن أبزى وعائشة أم المؤمنين (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الوتر بسبح اسم ربك الأعلى وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ، زادت عائشة : والمعوذتين) ٠

بل وثبت أن رسول صلى الله عليه وسلم حث على الصلاة بسورة الأعلى : فقد جاء في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ : (هلا صليت بسبح اسم ربك الأعلى ، والشمس وضحاها ، والليل إذا يغشى) ٠

أقـــول : مما أسلفتُ يبين أن اسم (الأعلى) ـ وقد سُبق بالأمر بتنزيه ربنا تعالى أو اسمه ، بمعنى الاقرار بجميع صفات كماله ، وإبعاده عن جميع صفات النقص ـ يدل على أهمية قضية توحيد الله عز وجل في مناسبات عديدة في مواضع مختلفة من القرآن الكريم ٠

٢ ـ وفي قوله تعالى : « وما لأحد عنده من نعمة تجزى ، إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى » (الليل آية ١٩ ، ٢٠) ٠

أقـــول : وقد سُبق اسم (الأعلى) في هذه الآية بيان أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه ما كان يبذل ماله ليكافىء من أسدى إليه معروفا ، فيكون إعطاؤه اياه مقابل معروفه ، وإنما كان بذله ابتغاء وجه ربه الأعلى طاعة له ليزكى نفسه وماله ـ بمعنى أنه رضى الله عنه انما كان يتصدق مبتغيا بصدقته وجه الله تعالى خالصا ، لا ليجازى بصدقته صاحب نعمة عليه ٠

ومن هذا يبين لنا أن اسم (الأعلى) قد سبق بإقرار قضية التوحيد بإخلاص العمل لله تعالى وحده ، دون أن يكون لأيٍّ من البشر فيه نصيب ٠ وقد ذكر الإمام الشوكانى في معنى الآية المذكورة : أنه ليس لأحد من الناس عنده نعمة من شأنها أن يجازى عليها حتى يقصد بإيتاء ما يؤتى من ماله مجازاتها ، وإنما لا يؤتى إلا لابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة (١) ٠

---

(١) فتح القدير الجزء الخامس ص ٤٥٤ ٠

وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، حتى أن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك ٠ ولا شك أنه داخل فيها ، وأولى الأمة بعمومها ، فإن لفظها لفظ العموم ، وهو قوله تعالى (وسيجنبها الأتقى ، الذى يؤتى ماله يتزكى ، وما لأحد عنده من نعمة تجزى) ٠ (الليل ١٧ - ١٩) ، ولكنه مُقَدَّم الأمة وسابقهم في جميع هذه الصفات ، وسائر الأوصاف الحميدة ، فإنه كان صدِّيقا ، تقيًّا ، كريما ، جوادا ، بذَّالاً لأمواله في طاعة مولاه ، ونصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رضى الله عنه وأرضاه (١) ٠

العظيم :

هو اسم من أسماء الله تعالى على وزن (فعيل) بصيغة المبالغة ، بما يدل على منتهى العظمة لله تعالى ، بحيث لا تعلوها عظمة مخلوق ٠

وبهذا الاسم الكريم أثبت الله جل جلاله لنفسه العظمة المطلقة في ذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ٠

* وقد ورد اسم (العظيم) في القرآن الكريم ست مرات (٢) على النحو التالى :

١ - في قوله تعالى : « ولا يؤوده حفظهما ، وهو العلّى العظيم » (البقرة آية ٢٥٥) ٠

أقـــــول : وقد سبق أن أشرت إلى اقتران الاسمين الكريمين (العلّى العظيم) عند الكلام على اسم (العلّى) سبحانه ٠

وأضيف هنا أن اسم (العظيم) وقبله (العلّى) قد سُبقا في هذه الآية الكريمة - ببيان القدرة المطلقة لله تعالى ، التى من مظاهرها حفظ السماوات والأرض ، ولا يثقله - سبحانه - هذا الحفظ أدنى ثقالة ، وإثبات كمال القدرة لله تعالى - وهى من باب إثبات أسمائه - جل وعلا - وصفاته ، وهو قسم من أقسام توحيد الله عز وجل ٠

٢ - وفي قوله تعالى : « له ما في السماوات وما في الأرض وهو العلّى العظيم » (الشورى آية ٤) ٠

---

(١) تيسير العلى القدير المجلد الرابع ص ٣٩٩ ٠
(٢) المعجم المفهرس ٠

أقــــول : وقد سُبق الاسمان الكريمان (العلّى العظيم) في هذه الآية الكريمة ببيان تجريد الربوبية لله ـ سبحانه ـ التى من مظاهرها بأنه هو وحده المالك للسماوات والأرض وما فيهنَّ ، وتجريد الربوبية له تعالى قسم من أقسام توحيد الله عز وجل ٠

٣ ـ وفي قوله تعالى : « فسبِّح باسم ربك العظيم » (الواقعة آية ٧٤) ٠

أقــــول : وقد سُبق الاسم الكريم (العظيم) في هذه الآية بالأمر بالتسبيح باسم ربنا تعالى ، ومعنى هذا الأمر : أن ننزهه عما لا يليق بشأنه كما يذكر الإمام الشوكانى (١) ٠ وتنزيهه سبحانه على هذا الوجه معناه اثبات كل صفات الكمال له تعالى ، وهذا الأمر من مباحث توحيد الله عز وجل ٠

٤ ـ وفي قوله تعالى : « فسبِّح باسم ربك العظيم » (الواقعة آية ٩٦) ٠

أقــــول : وما ذكرته في الآية السابقة هو ما أقرره في هذه الآية لأن الأمر فيهما واحد ٠

٥ ـ وفي قوله تعالى : « إنه كان لا يؤمن بالله العظيم » (الحاقة آية ٣٣) ٠

أقــــول : وقد سُبق الاسم الكريم (العظيم) في هذه الآية بذكر حال الذى يؤتى كتابه بشماله ـ يوم تعرض الخلائق على الله ـ فيدخل في سلسلة طولها سبعون ذراعا ثم يرمى في الجحيم ، وبيان أنه ما كان يؤمن بالله (العظيم) فلم يطعه ، ولم يؤيد ما أوجبه ـ تعالى عليه من حقوق سبحانه ، فضلا عن حقوق العباد ـ والإيمان بالله يترتب عليه الائتمار بما أمر ، والإنتهاء عما نهى ٠ وهذا الإيمان إنما يعنى توحيد الله عز وجل ٠

٦ ـ وفي قوله تعالى : « فسبِّح باسم ربك العظيم » (الحاقة آية ٥٢) ٠

أقــــول : وقد سُبق الاسم الكريم (العظيم) في هذه الآية بالأمر بتنزيه الله تعالى عما لا يليق ، اذ أنه لا يأتى منه إلا كل خير ، والقرآن الكريم جاء من عنده تعالى ، لذلك كان حق اليقين فجاءت الآية السابقة (وإنه لحق اليقين) أى أن القرآن لأنه من عند الله ، فهو حق لا يحول حوله ريب ، ولا يتطرق إليه شك ، والقرآن هو كلام الله تعالى ، وكلامه سبحانه صفة من صفاته ، والصفات من مباحث توحيد الله عز وجل ٠

---

(١) فتح القدير الجزء الخامس ص ١٦٢ ٠

ومن ثم يبدو أن أسماء الله تبارك وتعالى غالبا ما تأتى بعد قضية توحيد الله جل وعلا ، وتجريد العبادات له سبحانه ٠

الغنىّ :

هو اسم من أسماء الله تعالى ، يتضمن أن الله جل وعلا غَنِىٌّ غِنى مطلقا عن جميع خلقه ، فليس محتاجاً أدنى حاجة إلى أىٍّ منهم ، لأنه سبحانه هو خالق الخلق ، ومالكه ، ومدبر أمره ، وخزائن كل شىء عنده وحده ، يمد منها خلقه بقدر معلوم حسب مشيئته هو سبحانه كما قال : « وإن من شىء إلا عندنا خزائنه ، وما ننزله إلا بقدر معلوم » (الحجر آية ٢١) - ومن كانت صفاته بهذه المثابة ، فلا يمكن أن يحتاج البتة إلى واحد من خلقه ، إذ أن الذى يحتاج إلى غيره لا يصلح أن يكون إلهاً ، ومن ثم كان إلهنا العظيم هو (الغنىّ) على الإطلاق ٠

* وقد ورد هذا الاسم الكريم (الغنىّ) في القرآن الكريم ثمانى عشرة مرة (١) على النحو التالى :

ورد عشر مرات (٢) مقترنا اسم (الحميد) سبحانه ، وذلك على مثل ما يلى : -

١ - في قوله تعالى : « واعلموا أن الله غنىٌّ حميدٌ » (البقرة آية ٢٦٧) ٠

أقـــول : وقد سُبق الاسمان الكريمان (الغنىُّ الحميد) في هذه الآية الكريمة بأمْرُ الله تعالى لنا بأن نعلم أن الله تعالى (غنىّ حميدٌ) ، فهو المتصف بالغِنى المطلق ، والمستحق للحمد المطلق ٠ وذلك بعد أن أمر المؤمنين - في الآية ذاتها - أن ينفقوا من طيبات ما كسبوا ومما أخرج الله تعالى لهم من الأرض ، وأن لا ينفقوا من الخبيث ، إذ أنهم لا يقبلون أخذه الا تساهلا وتجاوزا عن بعض حقوقهم ، ومع أمر الله لهم إلا بالإنفاق من الطيبات ، فالله غنى على الإطلاق عن انفاقهم ، ومستحق للحمد على كل ما أمر وفعل ٠ وقد ذكر الإمام ابن كثير في معنى قوله : « واعلموا أن الله غنىٌّ حميد » : أن الله تعالى وإن أمركم بالصدقات وبالطيب منها ، فهو غنىٌّ عنها ، وما ذاك إلا ليساوى الغنى الفقير ، كقوله تعالى : « لن ينال الله لحومُها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم » ، وهو غنىّ عن جميع خلقه ،

---

(١) ، (٢) المعجم المفهرس

وجميع خلقه فقراء إليه ، وهو واسع الفضل ، لا يَنْفَذُ ما لديه ، فمن تصدق بصدقة من كسب طيب ، فليعلم أن الله غنى واسع العطاء ، كريم جواد ، وسيجزيه بها ، ويضاعفها له أضعافا كثيرة . فالذى يقرضه غير عديم ولا ظلوم . وهو سبحانه الحميد أى المحمود في جميع أفعاله ، وأقواله ، وشرعه ، وقدره ، لا إله إلا هو ، ولارب سواه (١) .

أقـــول : ولو أن العبد علم أن من أسماء الله تعالى (الغنىّ) ، وأن خزائنه ملأى لا تنقص ولا تنفد ، لجرَّدَ كل اعتماده عليه سبحانه ، ولما طلب مدَدًا من غيره جل شأنه ، ولما لجأ إلى ما يزين له الشيطان من الاستمداد من الأحياء ، والموتى ، بل ومن الجمادات ، لأن الله ـ وحده ـ هو الذى يملك أن يمد بكل أنواع الإمدادات ، وقد أشار سبحانه ـ إلى هذا في قوله : « فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفَّاراً ، يرسلِ السماءَ عليكم مدراراً ، ويمدِدْكم بأموالٍ وبنين ويجعل لكم جناتٍ ويجعل لكم أنهاراً » (نوح آية ١٠ ـ ١٢) .

٢ ـ وفي قوله تعالى : « وقال موسى إن تكفروا أنتم ومَنْ في الأرض جميعاً فإنَّ الله لغنىٌّ حميد » (ابراهيم آية ٨) .

أقـــول : وقد سُبقَ الاسمان الكريمان (الغنىُّ الحميد) ببيان قول رسول الله موسى عليه السلام ـ وهو من أولى العزم من الرسل ـ أنه لو كفر قومه وهم بنو اسرائيل وكفر الناس جميعا ، فإن كفرهم لن يضرَّ الله شيئا ، فهو سبحانه الغنىُّ غِنىً مطلقا عن خلقه جميعا ، المحمود على كل أوامره وأفعاله .

وقد قال الإمام ابن كثير في بيان هذه الآية الكريمة أن الله تعالى هو غنى عن شكر عباده ، وهو الحميد المحمود وإن كَفَرَهُ من كَفَرَهُ كقوله تعالى : (ان تكفروا فإن الله غنى عنكم ..) الآية . فسبحانه وتعالى الغنىّ الحميد (٢) .

وقال الإمام الشوكانى في بيان الآية ذاتها : أى إن تكفروا نعمته تعالى أنتم وجميع الخلق ولم تشكروها ، فإن الله سبحانه (الغنى) عن شكركم لا يحتاج إليه ، ولا يلحقه بذلك نقص (حميد) أى مستوجب للحمد لذاته لكثرة إنعامه ، وإن لم تشكروه ، أو يحمده غيركم من الملائكة (٣) .

---

(١) تيسير العلى القدير المجلد الأول ص ٢٣٠ ، ٢٣١ .
(٢) تيسير العلى القدير المجلد الثانى ص ٤٢٦ .
(٣) فتح القدير الجزء الثالث ص ٩٦ .

٣ - وفي قوله تعالى : « له ما في السماوات ومافي الأرض ، وإن الله لهو الغنيُّ الحميد » (الحج آية ٦٤) ٠

أقــــول : وقد سُبِقَ الاسمان الكريمان (الغنى الحميد) في هذه الآية الكريمة ببيان ملك الله عز وجل لكل ما في السماوات وما في الأرض ، فهو خالق كل شيء وحده ، ومالك كل شيء وحده ، ومدبر أمر كل شيء وحده ، وهذا يدل على كمال ربوبيته وكمال غناه عن خلقه سبحانه ٠ وقد قال الإمام ابن كثير في بيان هذه الآية الكريمة أن كل شيء في السماوات والأرض ملكه وحده لا شريك له سبحانه ، وهو (الغنىّ الحميد) أى المستغنى عما سواه ، المستوجب الحمد من عباده في كل حال (١) ٠

وقال الإمام الشوكانى في بيان الآية ذاتها : أن الله تعالى (له مافى السماوات وما فى الأرض) خلقاً ، وملكاً ، وتصرفاً ، وكلهم محتاجون إلى رزقه ، (وإن الله لهو الغنىّ) فلا يحتاج إلى شيء ، (الحميد) المستوجب للحمد في كل حال (٢) ٠

٤ - وفي قوله تعالى : « لله ما فى السماوات والأرض ، إن الله هو الغنىّ الحميد » (لقمان آية ٢٦) ٠

أقــــول : وما ذكرته في الآية الثالثة يصدق على هذه الآية لتضمنها تقريبا المعنى نفسه ٠

٥ - وفي قوله تعالى : « ولقد آتينا لقمان الحكمة ان أشكر لله ، ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ، ومن كفر فإن الله غنيٌّ حميد » (لقمان آية ١٢) ٠

أقــــول : وقد سُبِقَ الاسمان الكريمان (الغنىّ الحميد) في هذه الآية الكريمة ببيان أن الله تعالى أعطاه الحكمه وأمره أن يشكر وحده على ما أنعم به عليه ، اذ أن الشكر ينفع الشاكر وحده ، والذى يجحد النعم ولا يشكرها فلن يضر الله بكفره لأنه سبحانه ليس في حاجة إلى شكر شاكر ، فهو الغنى المستحق لكافة أنواع الحمد ٠

ويفهم من هذا أن المنعم وحده هو الله تعالى ، وهذا من كمال ربوبيته ، وبهذا يستحق الشكر وحده ، فهو المستغنى عن كل خلقه ، الواجب الحمد منهم على كل حال ٠

---

(١) تيسير العلى القدير المجلد الثالث ص ٩٨ ٠

(٢) فتح القدير الجزء الثالث ص ٤٦٦ ٠

وقد قال الإمام ابن كثير في معنى هذه الآية الكريمة : أن الله تعالى آتى لقمان (١) الفهم ، والعلم ، والتعبير ، والفقه في الاسلام ولم يكن نبيا ولم يوح إليه ، وأمره بشكره على ما آتاه من الفضل الذى خصصه به عمن سواه من أبناء جنسه وأهل زمانه ، وأن الشكر يعود نفعه على الشاكرين ، أما الله تعالى فليس بحاجة إلى العباد ، ولا يتضرر ولو كفر أهل الأرض جميعا ، فإنه الغنى عما سواه ، فلا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه (٢) ٠

مما سبق يبين أن اسم (الغنىّ) جاء في أغلب الآيات بعد إقرار قضية توحيد الله عزوجل ٠

* وقد ورد اسم (الغنىّ) مقترنا باسم (الحليم) سبحانه مرة واحدة : (٣) في قوله تعالى «قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى،والله غنىّ حليم »(البقرة آية ٢٦٣) ٠

أقـــول : واقتران الغنى بالحليم أفهم منه أنه سبحانه مع غناه المطلق الذى لا يحتاج به إلى واحد من خلقه ، فإنه حليم عليهم حين يعصونه ، والمعهود في عرف الناس أن الغنى منهم - وغناه محدود - لا يحلم على عبده لو عصاه ، لكن الله جل وعلا - وله المثل الأعلى - مع غناه المطلق حليم بعباده العاملين - وقد سُبق هذان الاسمان الكريمان ببيان أن المنفق إذا أتبع صدقته بالقول الطيب والغفران لأنه ينفق ابتغاء وجه الله الذى لا توجه العبادة إلا له وحده سبحانه ، فإن ذلك يكون خيرا له من اتباعه انفاقه بما يؤذى من أعطاه ٠ ولا يتأتى القول الطيب والمغفرة إلا من المنفق المؤمن الموحد الذى يؤمن بأن الذى أعطاه ما ينفق منه إنما هو ربه (الغنىّ) الذى لا ينفد عطاؤه ، ومن ثم خرج كلامه طيبا ، من قلب طيب ، على لسان طيب ٠ ورغم ذلك فإن صدر منه خطأ - وكل بنى آدم خطاء - وجد أن الله (الغنىّ) هو سبحانه (الحليم) الذى يتجاوز عن مثل خطئه لدوام رجوعه إلى ربه وتوبته ٠ وقد ذكر الإمام ابن كثير في قوله تعالى « والله غنى حليم » في هذه الآية أن الله غنىّ عن خلقه يحلم ويغفر ويصفح (٤) ٠

* وقد ورد اسم (الغنىّ) مقترنا باسم (الكريم) سبحانه مرة واحدة : (٥) في قوله تعالى : « ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ، ومن كفر فإن ربى غنى كريم » (النمل آية ٤٠) ٠

---

(١) اختلف السلف في لقمان : هل كان نبيا أو عبدا صالحا من غير نبوة ؟ على قولين : فالأكثرون على الثانى - وعن ابن عباس أنه كان عبدا حبشيا نجارا - وعن جابر بن عبد الله قال : كان قصير أفطس الأنف من النوبة ٠ وعن سعيد بن المسيب قال : كان لقمان من سودان مصر ، أعطاه الحكمة ومنعه النبوة - تيسير العلى القدير المجلد الثالث ص ٣٢٥ ٠

(٢) المرجع السابق ص ٣٢٦ ٠

(٣) المعجم المفهرس ٠

(٤) تيسير الكريم الرحمن المجلد الأول ص ٢٢٨ ٠

(٥) المعجم المفهرس ٠

أقــــول : واقتران (الغنىّ بالكريم) أفهم منه أنه سبحانه مع غناه المطلق عن خلقه ، فهو الكريم كرما مطلقا لا يسلب عباده الذين يعصونه نعمه التى تفضل بها عليهم إلا بعد أن يذكروا ويوعظوا ويبين لهم ، فإذا نسوا ما ذكروا به بعد توالى نعمه سلبهم فأعطاهم بأخذهم بغتةً كما يقول تعالى : « فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتةً فإذا هم مبلسون » (الأنعام آية ٤٤) ٠

والمعهود في عرف الناس أن الغنى منهم إذا عصاه عبده سلب منه ما أعطاه عاجلا إذ يضيق صدره بعصيان عبده إياه ، فيرى في لحظة عصيانه أنه لا يستحق خيره وعطاءه ، فيسارع إلى استعادة ما أعطاه ٠

لكن الله جل وعلا - وله المثل الأعلى - في غناه المطلق ، واسع الكرم لا يسلب عباده العاصين بمجرد عصيانهم نعمه ، بل يمهلهم - دون إهمال - بل قد يزيد في الإنعام عليهم ، فإذا ما ظلوا في غيِّهم سادرين أخذهم أخذ عزيز مقتدر ٠

وقد ذكر الإمام ابن كثير في بيان قوله تعالى « ومن كفر فإن ربى غنى كريم » أى هو غنى عن العباد وعبادتهم ، كريم في نفسه وإن لم يعبدوه ، فإن عظمته ليست مفتقرة إلى أحد ، وهذا كما قال موسى عليه السلام : « ان تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغنى حميد » (١) ٠

وذكر الإمام الشوكانى أن الشكر لا ينفع إلا الشاكر (ومن كفر) بترك الشكر (فإن ربى غنىّ) عن شكره ، (كريم) في ترك المعاجلة بالعقوبة بنزع نعمه عنه وسلبه ما أعطاء منها (٢) ٠

أقــــول : وبهذه المناسبة أود أن أذكر أن الله (الغنىّ) سبحانه ، يحتاج إليه كل خلقه كبر أم صغر ، إنسيا ، أم جنيا ، طيرا أم زاحفا ، وحشا أم مستأنسا ، فالكل فقير في أمسِّ الحاجة إلى فضل ربهم (الغنىّ) سبحانه وتعالى ٠ وقد أخرج ابن أبى شيبة وأحمد في الزهد وابن أبى حاتم عن أبى الصديق الناجى قال : (خرج سليمان بن داود يستسقى بالناس ، فمر على نملة مستلقية على قفاها رافعة قوائمها الى السماء ، وهى تقول : اللهم إنا خلقٌ من خلقك ، ليس بنا غنى عن رزقك ، فإما أن تستقينا ، وإما أن تهلكنا - فقال سليمان للناس : ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم » ٠

---

(١) تيسير العلى القدير المجلد الثالث ص ٢٣٩ ٠

(٢) فتح القدير الجزء الرابع ص ١٣٩ ٠

فهذه نملة هداها الله الى أن تدعوه وتقول : ليس بنا غنى عن رزقك . فاستجاب الله تعالى لدعائها ، وسقى قوم سليمان بدعاء النملة كما ذكر سليمان لهم : (ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم) .

أقـــــول : فلو أن الإنسان - الذى كرمه الله تعالى وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا - علم أن خالقه سبحانه هو الغنىّ الذى بيده وحده كل الخير ، وواسع الفضل ، وآمن بأنه لا يدعى ولا تطلب النعم إلا منه جل وعلا ، لاطمأن قلبه من فزع الجوع وخوف الفقر ، ولسلب أموره التى فوضها للعباد ، وأدعيته التى وضعها بين أيديهم ، ليضعها في يد خالقه الغنىّ رب العالمين ، الذى يقدر وحده أن يمده بما شاء من فضله ، إذ أن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

* وقد ورد اسم (الغنىّ) مقترنا بما وصف به نفسه تعالى بقوله (ذو الرحمة) مرة واحدة (١) في القرآن الكريم : في قوله تعالى : « وربك الغنىّ ذو ذو الرحمة إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين » (الأنعام آية ١٣٣) .

أقـــــول : واقتران اسم (الغنى) في هذه الآية بقوله تعالى (ذو الرحمة) أفهم منه أنه تعالى مع غناه الغنى المطلق الذى لا يحتاج به إلى واحد من خلقه ، والذى به ينعم بما يشاء من النعم على خلقه ، فهو تعالى رحيم بمن عصاه من خلقه ، لا يعاجلهم بعقوبته فور عصيانهم ، كما نرى المعهود بين الناس - ولله المثل الأعلى - فالغنى منهم إذا عصاه عبده سرعان ما يوقع به عقوبته ، محاولا أن يجعلها تناسب جرمه ، لكن الله جل وعلا واسع الرحمة يمهل عباده العاصين لعلهم يرجعون إليه ويتوبون ، وفي هذا يقول سبحانه : « ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى » (النحل آية ٦١) .

وقد ذكر الإمام ابن كثير في بيان قوله تعالى : (وربك الغنىّ ذو الرحمة إلى قوله قوم آخرين) أنه الغنىّ عما سواه ، المفتقر إليه كل ما عداه ، وهو مع ذلك رحيم بهم ، فإن شاء أذهبهم إذا خالفوا أمره ويستخلف من بعدهم ما يشاء من قوم آخرين يطيعونه كما أذهب

---

(١) المعجم المفهرس .

القرون الأولى وأتى بمن بعدها ، كذلك هو قادر على إذهاب هؤلاء والإتيان بغيرهم ، كما قال تعالى (والله الغنىّ وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) (١) .

وقال الإمام الشوكانى في بيان الآية ذاتها : وربك الغنىّ عن خلقه لا يحتاج إليهم ، ولا إلى عبادتهم ، لا ينفعه إيمانهم ، ولا يضره كفرهم ، ومع كونه غنيا عنهم ، فهو ذو رحمة بهم ، لا يكون غناه مانعاً من رحمته لهم . وما أحسن هذا الكلام الربانىّ وأبلغه ، وما أقوى الاقتران بين الغنى والرحمة في هذا المقام ، فإن الرحمة لهم مع الغنى عنهم هى غاية التفضل والتطوّل ، إذ لو شاء لاستأصل العصاة بالعذاب المقضى إلى الهلاك ، ويستخلف من بعد إهلاكهم ما يشاء من خلقه ممن هو أطوع له وأسرع إلى امتثال أحكامه منهم مثل ما استخلف غيرهم الذين أنشأهم من ذرية قوم آخرين أهلكهم قيل : هم أهل سفينة نوح ، ولكنه سبحانه لم يشأ ذلك فلم يهلكهم ، ولا استخلف غيرهم رحمة لهم ، ولطفا بهم (٢) .

* وقد ورد اسم (الغنىّ) سبحانه في القرآن الكريم دون أن يقترن بغيره من أسماء الله تعالى الحسنى خمس مرات (٣) : على ما يلى : -

١ - في قوله تعالى : « ولله على الناس حِجُّ البيت من استطاع إليه سبيلا ، ومن كفر فإنَ الله غنىٌّ عن العالمين » (آل عمران آية ٩٧) .

أقــــول : وقد سُبقَ اسم (الغنىّ) سبحانه في هذه الآية الكريمة ببيان وجوب أداء حج بيت الله الحرام لكل من يستطيع السبيل لبلوغه ، وإبراز أن الحج إنما هو لله وحده ، واعتبر المستطيع الذى يتقاعس عن أداء هذا الركن من أركان الإسلام كافرا ، وكفره عليه ، فلن يضر به الله شيئا ، إذ أن الله غنى عنه وعن عبادته وعن العالمين جميعا ، وتجريد العبادة لله وحده هو من توحيده سبحانه . وقد قال الإمام ابن كثير في بيان قوله تعالى (ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين) أن من جحد فريضة الحج فقد كفر والله غنى عنه . وروى سعيد بن منصور عن عكرمة قال : لما نزلت : « ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه » قالت اليهود : فنحن مسلمون ، قال الله عز وجل : فأخصمهم فحجهم ، يعنى فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم : إن الله فرض على المسلمين حج البيت من استطاع إليه سبيلا فقالوا : لم يكتب علينا وأبوا أن يحجوا ، قال الله تعالى : « ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين » (٤)

---

(١) تيسير العلى القدير المجلد الثانى ص ٥٨ - بتصرف قليل .

(٢) فتح القدير الجزء الثانى ص ١٦٤ بتصرف قليل .

(٣) المعجم المفهرس .

(٤) تيسير العلى القدير المجلد الأول ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ .

وقال الإمام الشوكانى في بيان الآية ذاتها : قيل إنه عبر بلفظ الكفر عن ترك الحج تأكيداً لوجوبه وتشديدا على تاركه ؛ وقيل المعنى : ومن كفر بفرض الحج ولم يره واجبا ، وقيل ، إن من ترك الحج وهو قادر عليه فهو كافر ، وما شرع الله تعالى لعباده هذه الشرائع إلا لنفعهم ومصلحتهم ، وهو تعالى شأنه ، وتقدس سلطانه غنىّ لا تعود إليه طاعات عباده بأسرها بنفع (١) ٠

٢ ـ وفي قوله تعالى : « ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغنىّ عن العالمين » (العنكبوت آية ٦)

أقـــول : وقد سُبِقَ اسم (الغنىّ) سبحانه في هذه الآية ببيان أن جهاد الإنسان ـ وهو عبارة عُدَّت ذروة سنام الإسلام ـ لا ينفع سواه ، وهكذا شأن كل أعماله ، ولا ينفع الله شيئا ، فهو سبحانه غنى عن كل العالمين ٠ ويتبن أن ذكر العبادة التى تجرد لله تعالى ـ وهذا من توحيده ـ سبق ذكرُها اسمه (الغنىّ) سبحانه وتعالى ٠

وقد ذكر الإمام ابن كثير في بيان هذه الآية الكريمة : أن من جاهد فإنما يعود جهاده على نفسه ، فإن الله غنىٌ عن أفعال العباد ولو كانوا على أتقى قلب رجل منهم مازاد ذلك في مُلكه شىء (٢) ٠

وقال الإمام الشوكانى في بيان الآية نفسها : أن من جاهد الكفار وجاهد نفسه بالصبر على الطاعات فإنما يجاهد لنفسه ، أى ثواب ذلك له لا لغيره ، ولا يرجع إلى الله سبحانه من نفع ذلك شىء ، فلا يحتاج إلى طاعة العالمين كما لا تضره معاصيهم (٣) ٠

٣ ـ وفي قوله تعالى : « إن تكفروا فإن الله غنىّ عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يَرْضَهُ لكم » (الزمر آية ٧) ٠

أقـــول : إن اسمه الكريم (غنىّ) ذكر معه بيان أن عدم توجيه العبادات لله تعالى لعدم الإيمان به لا يضر الله شيئا ، بل ضرره على صاحبه لعدم توحيده ، ورغم هذا فالله تعالى لا يرضى لعباده أن يكفروا ، ولكنه يرضى لهم أن يشكروا ٠ ويبين من هذا ومما سبق من الآيات أن الأسماء الحسنى تذكر غالبا مقترنة مع بيان توحيد الله عز وجل مما يؤكد أهمية توحيد صاحب هذه الأسماء الكريمة ٠

---

(١) فتح القدير الجزء الأول ص ٣٦٣ ـ بتصرف قليل ٠
(٢) تيسير العلى القدير المجلد الثالث ص ٢٨٤ ٠
(٣) فتح القدير الجزء الرابع ص ١٩٣ ٠

وقد قال الإمام ابن كثير في بيان هذه الآية الكريمة أن الله تعالى يخبر عن نفسه تبارك وتعالى أنه الغنىّ عما سواه كما قال موسى عليه الصلاة والسلام (إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغنى حميد) ، وكما جاء في صحيح مسلم : (ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئا) ، ومع ذلك فالله لا يحب الكفر لعباده ولا يأمر به ، ولكن يحب لهم أن يشكروا ويزيدهم من فضله (١) .

وقال الإمام الشوكانى في بيان الآية ذاتها : أنه تعالى غير محتاج إليكم ، ولا إلى ايمانكم ، ولا إلى عبادتكم له ، فإنه الغنىّ المطلق ، ومع كون كفر الكافر لا يضره كما أنه لا ينفعه إيمان المؤمن فهو سبحانه لا يرضى لأحد من عباده الكفر ، ولا يحبه ، ولا يأمر به .

وقد اختلف المفسرون في قوله تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر) هل هى عامة أم خاصة ؟ فذهب فريق الى أنها عامة لعباد الله جميعا فالكفر غير مرضىّ لله سبحانه على كل حال كما هو الظاهر - فقد أخرج عبد بن حميد عن قتادة قال : والله مارضى الله لعبد ضلالة ، ولا أمره بها ، ولا دعا إليها ، ولكن رضى لكم طاعته ، وأمركم بها ، ونهاكم عن معصيته . - وذهب فريق منهم ابن عباس رضى الله عنهما - على ما أخرجه عنه ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والبيهقى في الأسماء - والصفات في قوله (ولا يرضى لعباده الكفر) أنهم عباده المخلصون الذين قال عنهم : (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان) ، فألزمهم شهادة أن لا إله إلا الله وحببها إليهم . وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة أن المعنى : لا يرضى لعباده المسلمين الكفر (٢) .

٤ - وفي قوله تعالى : « قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغنىّ له ما في السماوات ومافي الأرض » (يونس آية ٦٨) .

أقـــول : إن من لديه أدنى ذرة من عقل يعلم يقينا أن الله سبحانه لا يمكن أن يتخذ ولدا ، لأن اتخاذ الولد مظهر من مظاهر الحاجة ، إذ أن المعهود في الإنسان أنه يتخذ الولد لحاجته إليه ليحمل اسمه ويبقى ذكره بعد موته ، وليعينه في حياته إذا عجز أو كبر ،

---

(١) تيسير العلى القدير المجلد الثالث ص ٤٩٨ .
(٢) فتح القدير الجزء الرابع ص ٤٥٣ ، ٤٥٤ .

وليمده بما يقتات به به إذا افتقر ٠ والله تعالى ـ وله المثل الأعلى ـ لا يتصور عاقل أن يتخذ له ولدا ، لأن اتخاذ الولد دليل على حاجة متخذه إليه ، والمحتاج إلى غيره لا يصلح أن يكون إلها ، فسبحان الله العلى الكبير أن يحتاج لغيره ، فهو (الغنى) عن خلقه جميعا ، وآية ذلك أنه خالق السماوات والأرض وما فيها وما بينهما ومالك الخلق جميعا ومدبر أمره وحده سبحانه وتعالى ـ وتجريد الربوبية لله تعالى على هذه الصورة لينبنى عليه توحيد الألوهية ثم توحيد الأسماء والصفات أكمل تجريد لتوحيد الله عز وجل ٠ ومن ثم نرى أن أسماء الله تعالى تذكر غالبا مقترنة بإقرار قضية توحيد الله تبارك وتعالى لعظيم أهميته في صحة الأعمال ٠

وقد ذكر الإمام ابن كثير في بيان هذه الآية الكريمة أن الله تعالى ينكر على من ادعى أن له ولدا سبحانه هو الغنى أى تنزه عن أن يكون له ولد بل هو الغنىّ عن كل ما سواه ، إذ كيف يكون له ولد مما خلق وكل شىء مملوك وعبد له ؟ (١) ٠ وذكر الإمام الشوكانى في بيان الآية نفسها : أن هذا نوع آخر من أباطيل المشركين التى كانوا يتكلمون بها وهو زعمهم بأن الله سبحانه اتخذ ولدا ، فرد ذلك عليهم بقوله (سبحانه هو الغنىّ) فتنزه جل وعلا عما نسبوه إليه من هذا الباطل البين ، وبين أنه غنىّ عن ذلك ، وأن الولد إنما يطلب للحاجة ، والغنىّ المطلق لاحاجة له حتى يكون له ولد يقضيها ، وإذا انتفت الحاجة انتفى الولد ، وأيضا إنما يحتاج إلى الولد من يكون بصدد الانقراض ليقوم الولد مقامه ، والأزلىّ القديم لا يفتقر إلى ذلك ، ثم بالغ في الرد عليهم بما هو كالبرهان فقال (له مافي السماوات ومافي الأرض) وإذا كان الكل له وفي ملكه فلا يصح أن يكون شىء مما فيهما ولداً للمنافاة بين الملك والبنوة والأبوة (٢) ٠

٥ ـ وفي قوله تعالى : « ها أنتم هؤلاء تُدْعَوْنَ لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخلْ ومن يبخلْ فإنما يبخلُ على نفسه ، والله الغنىّ وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » (محمد آية ٣٨) ٠

أقـــول : وقد سُبق اسم (الغنىّ) سبحانه في هذه الآية ببيان نوع من أنواع العبادة وهو الإنفاق وأنه لا يكون مقبولا إلا إذا جُرد لله تعالى وحده ، وأن الذى لا يكون موحدا بالله ومؤمنا بأسمائه الحسنى وصفات كماله العليا ـ ومنها أنه الغنىّ وغناه مطلق لأنها نهاية له ـ فيبخل بالإنفاق خالصا لوجهه تعالى ، فإنما يقع ضرر ذلك عليه وحده ، ولا يضر الله شيئا ، لأنه سبحانه هو الغنى وخلقه هم الفقراء إليه ، وإن استمروا على عدم توحيدهم مدبرين

---

(١) تيسير العلى القدير المجلد الثانى ص ٣٠٩ ٠

(٢) فتح القدير الجزء الثانى ص ٤٦٠ ٠

فإن الله قادر على أن يذهبهم ويأت بأقوام غيرهم آخرين يعرفون الله تعالى ويخلصون له توحيده وأعمالهم .

وهذا يستفاد منه أن توحيد الله عز وجل في غاية الأهمية ، وفاقده على خطر عظيم . وقد قال الإمام ابن كثير في بيان الآية الكريمة أن من يبخل أضاع على نفسه الأجر وعود الوبال عليه ، والله الغنىّ عما سواه ، وفقير إليه ما عداه ، ولذا قال تعالى (وأنتم الفقراء) أى بالذات إليه فوصفه بالغنى ، ووصف الخلق بالفقر وصف لازم لهم لا ينفكون عنه ، كما ذكر تعالى أنهم إن تولوا عن طاعته واتباع شرعه استبدل قوما غيرهم ثم لا يكونوا أمثالهم ولكن يكونون سامعين مطيعين له ولأوامره (١) .

وقال الإمام الشوكانى في بيان الآية ذاتها : أنكم أيها المؤمنون تدعون لتنفقوا في الجهاد وفي طريق الخير فمنكم من يبخل بما يطلب منه ويدعى إليه من الإنفاق في سبيل الله ، وإذا كان منكم من يبخل باليسير من المال فكيف لا تبخلون بالكثير وهو جميع الأموال ، ثم بين سبحانه أن ضرر البخل عائد على النفس بمنعها الأجر والثواب ببخله ، فإن الله هو الغنى المطلق المتنزه عن الحاجة إلى أموالكم ، وأنتم الفقراء إلى الله وإلى ما عنده من الخير والرحمة ، وأنكم إن تعرضوا عن الإيمان والتقوى يستبدل قوما آخرين يكونون مكانكم أطوع لله منكم ثم لا يكونوا أمثالكم في التولى عن الإيمان والتقوى (٢) .

أقـــول : وهذا يستفادُ منه أن الإيمان بالله تعالى وتوحيده وتجريد الأعمال جميعاً له في غاية الأهمية ، وفاقد ذلك على خطر عظيم .

نسألك اللهم أن تثبت قلوبنا على دينك ، وأن ترسخ في قلوبنا عقيدة التوحيد ، وأن ترزقنا العمل بما تقتضيه ، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة ، إنك أنت الوهاب .

---

(١) تيسير العلى القدير المجلد الرابع ص ٦٧ .

(٢) فتح القدير ص ٤٢ .


بحوث
إسلامية



أحمد الله تعالى وأصلى على نبيه ، وأدعوه بحق وجهه أن يبارك جمعنا وأن يجمع على الخير والبر قلوبنا . وأشكر الذين أتاحوا لى هذا اللقاء الطيب الكريم . أرجو أن يكون في صالح أعمالنا جميعا يوم لقائه وبعـد ،،،

فلقد واجهت أمتنا منذ نشأتِها ـ بل من أول نداء في بطحاءِ مكة ـ واجهت التحدّيات في صورٍ متعددة من الصدّ والكيد .

لكنها ـ بحمد الله ـ قد شقَّت طريقها ومضت بخصائصها ومقوّماتها منتصرةً ظافرةً بفضل ربّها . وكان لفاعلية الحركةِ فيها أثرٌ بالغ في كسرِ الطوق الذى يحيط بها . وهذه الفاعليةُ نشأت من فطرة هذا الدّين الذى حوّل النفوس ـ بإذن الله ـ من حالٍ إلى حال .

نحن نشرفُ على نهاية القرنِ الرابع عشر من هجرةِ الرسولِ صلى الله عليه وسلم ونَزيدُ عليهِ إذا عُدْنا إلى بداية الدعوة ونشأتِها .

وهذا العمر المديد لأمتنا الإسلامية جديرٌ أن يقدّم لنا تجارب حيةً . ندرك منها جوانب الإيجاب والسلب في مسار هذه الأمة . فنأخذَ بما حفظ أمرَها وأعلى شأنَها وأبقى عزَّها . ونطرحَ ما ساق لها الهوان والضعف . وييسّر للطامعين أن يحققوا أحلامَهم وأن يَعيثوا في الأرضِ فَسَاداً .

إن للعز أسْبابا . وللذل أسباب . وسنن الله ثابتةٌ لا تتبدل ولا تتحول ولا تَخضعُ لأَمَانيِّ الناسِ وأحلامِهم . والله لم يدعْ لأحدٍ حجةً بعد الهدى والبيان فما من سببٍ من أسبابِ العزة والفلاح إلاّ دعانا إليه ورغَّبنا فيه وأثابنا عليه وحقق لنا نتائجه وبّين لنا أثره في أنفسنا وفي الأمم التى خلت من قبلنا . وما من سببٍ من أسباب الهوانِ وذَهابِ الريح . إلا

نَهانَا عنه وحذَّرنا منه وبيّن لنا سوءَ عاقبته في أنفسنا وفي الأمم من قبلنا · « ذَلِكَ بأنَّ اللهَ لم يَكُ مغيِّرا نعمةً أنْعَمهَا عَلى قومٍ حتى يغيِّروا ما بِأنفسهم وأن الله سَمِيعٌ عليم » ·

في الحياة ، نرى النافع المفيد يمكث في الأرض بخصائصَ ثابتة ويمتد مع الأجيال بلا تَغُّيرٍ ولا انقطاع · وفي حياة أمتنا خصائصُ ثابتة تقومُ مقام الماءِ في عالم الحياة · ولم يعرِف التاريخ في ماضٍ أو حاضر أن حياةً قامت بغير الماء · ولم تتغير خصائصُ الماء في فطرته من زمنٍ الى زمن وإن تغير الزرع والثمر · وكل أرض هامِدة قبلته اهتزت به وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ·

ولم يعرف التاريخ أن أمتنا انتصرت في أى معركةٍ صغرت أو كبرت بغير الثابت من خصائِصِها به واجهت التحديات التى فرضت عليها ، واجتازت العوائق التى وضعت في طريقها وكانت هذه الخصائصُ دائما هى العاملةَ في استنهاض الهمم للأخذ بأسبابِ النصر في كل عصر وزمن ·

الثابتُ في حياة أُمتنا يقوم على عقيدةٍ أصيلةٍ راشدةٍ · دافعةٍ ومانعةٍ دافعةٍ إلى الخير حاثّةٍ عليه ، مانعةٍ من الشر زاجرةٍ عنه · يتفتح لها القلبُ فتحولُ بينه وبين المكابرة أو الإصرار على خطأ أو إثمٍ صغر أو كبر ·

وهذه العقيدةُ يوضح معالِمَها كتابٌ عزيز « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد » ·

ومن رحمةِ الله بأمتنا وبالإنسانية جميعا أن حفظ لها هذا الكتاب لتحيا به النفوس وتؤتى أكلها كلَّ حين بإذن ربها ولتجد أُمتنا دائماً ما تزن به أمرها وتصحح خطأَها وتعالجُ واقعها وتهدي به إلى التى هى أقوم وتهتدى إلى صراط مستقيم وكم هُزِمُ المسلمون وانتصر هذا الكتاب · وكم نال العدوُّ من ديارهم ولم يستطع مغالبةَ حرف منه ·

ترى الغالبَ مغلوباً أمام سطوته والمنتصرَ منهزما إزاءَ حجته · وقد بيَّن الله فيه معالِمَ كلِّ شيء ودعَا فيه إلى اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ليرى الناسُ في سلوكه القرآنَ العمليَّ قولاً وعملاً وخلقا وتطبيقا ·

لقد كان القرآن ومازال مبعث حياةٍ لهذه الأمة · به اعتصمت فتوحدَّت وتمسكت فاهتدت · وعاشت تاريخَها بين مدٍّ وجزر ·

يعلو شأنُها حين تعتصم به ولا تتفرق · ويصيبُها من الهوان ما يصيبها حين تشْغَلُ عنه أو تعتزُّ بغير ما أعزَّها الله به · بهذا الكتاب تعرف قيمُ الناس وتوزن أعمالهم · وبه يرفَعُ الله أقواماً ويضع آخرين ·

وهو ثابت لا يتغير ، محفوظ بحفظ الله لا يتبدل . وأمتنا الإسلامية بخير دائما إن هى أحسنت كيف تحيا بثابت في متغير .

الثابت يحفظ شخصيتها ويبقى عليها ممتدةً مع الزمن كلّه ويجعلها تصمد أمام المخاطر والمغريات ونحن نرى فطرةَ الثبات في خصائص الأشياء التى لا يستقيمُ أمر الحياة إلاّ بها من شمس وهواء ، وقمر وماء ، وليلٍ ونهار وزروع وثمار .

وتلك آياتُ اللهِ في خلقه تمضى ثابتةً بخصائصِها لتؤدىَ دورَها بإذن ربّها في اطّراد وامتداد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . وثباتُ القرآن متميز ذو خصائص تتجدد به حياةُ النفوسِ وتمتد . والذّى جعله سببا لذلك هُو الّذِى جعل من الماءِ كلَّ شىء حَى .

وكثيراً ما نجد الحديث عن القرآن يتجاور مع الحديث عن الماء في كتاب الله عز وجل وهذا التجاورُ يلفت نظر المتدبر إلى ما بينهما من مناسبة .

والرسول صلى الله عليه وسلم يوضّح ذلك بقوله « مثلُ ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل غيثٍ أَصَابَ أَرْضاً » .

ولذا فإن كلمة « مبارك » يُوصف بها الماء ويوصف بهَا الكتاب « كتابٌ أنزلناه إليك مباركٌ ليدبروا آياتِه وليتذكر أولوا الألباب » « ونزلنا من السماء ماءً مباركاً فأنبتنا به جناتٍ وحبَّ الحصيد » وكلُّنا يُدرك إلى أى حَدٍّ تنتهى بركةُ الماء ، وإلى أىِّ مدى تمتدُّ بركةُ هذا الكتابِ المنزَّل على رسولِه . وكيف يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه .

وإذا كانت الأرض الطيبةُ تقبل الماءَ فتنبت الكلأ والعشبَ الكثير فإن النفوس الطيبة - بفضل ربها - تتقبل وحىَ الله وتؤمن بآياته . فتنبت العملَ الطيب وتثمر الخلق الحسن . تتحركُ بإيمانها وتنبعثُ بيقينها ويُؤازرُ بَعضهَا بعضاً تعبُدا لله وَطَاعَةً لأمْرِه « كزرعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه » .

والقرآن الكريم يُبَصِّر الناس بمقتضياتِ الإيمان وسُبُلِ المؤازرة وغايتها « والمؤمنون والمؤمناتُ بعضُهم أولياءُ بعض . يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكِر ويقيمون الصلاة ويُؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئكَ سيرحمهم الله إنَّ الله عزيز حكيم » .

واضح أن ولايةَ المؤمنين لا تقوم إلا على صدق الإيمان بالله وتنفيذ أمره وإقامةِ شرعه . وبهذا يكون تأييد الله لهم ورحمتُه بهم .

وهم يعرِّضون أنفسهم لِسَخَطِ الله عندما يتخذون الولاية من غير المؤمنين أو يتَّبعون غيرَ سبيلهم « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبعْ غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولّى ونصله جهنم وساءت مصيرا » .

إن غير المؤمن لا يكون عاملًا في نصر دين الله ولا تكونُ ولايتُه إلاّ ضَعْفاً وَخُذْلَاناً .

وطريقاً إلى الدركِ الأسفل من النار . ومن وقع فيها لا يُنْجِيه منها إلّا توبةٌ واصلاحٌ واعتصامٌ بالله وإخلاصٌ لدينه . « يا أيُها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سُلْطانا مبينا . إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً . إلاّ الذين تابُوا وأصْلَحُوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فاؤلئك مع المؤمنين وسوف يُؤْتِ الله المؤمنين اجراً عظيما » .

وأيُّ شيء يرتجف له قلبُ المؤمن أشدُّ من التعرضِ لبطش الله ونقمته وهو يتخذُ الكافرين أولياءَ مْن دُونِ المؤمنين ، أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سُلْطَاناً مُبِيناً » أى حُجَّةً عليكم في عقوبته إيَّاكم . أو حُجَّةً بيِّنَةً على أنكم منافقون . فإن اتِّخَاذَ الكفار أولياء من دون المؤمنين من أوضح أدلةِ النفاق وهو مُفْضٍ إلى أليمِ العذاب « بشّر المنافقين بأنَّ لهم عذاباً أليماً الَّذين يَتَّخِذُون الكافرين أوْلَيَاءَ من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزةَ فإنَّ العزة لله جميعا » .

وإذا كان الله عزَّ وجل قد نهانا عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين . فانه قد بصّرنا بحقيقةِ الولاية التى يجب أن تقوم بين المؤمنين .

فهى ليست ولاية ضعفٍ أو تواكل . ليست ولاية ركونٍ أو قعود . أنها ولايةٌ عاملةٌ تأخذ بالأسباب ولا تركن إلى الأمانى . ولايةٌ تماسكٍ وتعاطف وتراحم وتفاعلٍ في السراء والضراء كتفاعلِ الجسدِ الحى إذا اشتكى منه عُضْوٌ تداعى له سائرُ الأعْضَاءِ تداعيا يأخذ بالأسباب حتى يعودَ العضوُ المصابُ معافىً كما كان ـ لأن التفريط في الأخذ بالأسباب التى أمر الله بها معصيةٌ يعاقِبُ الله عليها . وكل قعودٍ متعمَّدٍ عن مُتَطَلَّبَاتِ الإيمانِ يُورثُ صاحبه ذُلاًّ ونِفَاقاً ويُودى به إلى الدَّمارِ والهلاك .

إن الإيمان حركةُ حياةٍ لا تعرف اليأس ولا القعود . حركةٌ مؤمِّلَةٌ مبصرةٌ واعيةٌ تثبت أمام عَوَارِضِ الحياةِ وتقلبات الأيام وهى تعتمد على الله وتركنُ إليه وتؤمن أن العمل هنَا والجزاءَ هناك « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تودُّ لو أنَّ بينها وبينه أمداً بعيداً ».

ذاك هو الأصل الثابت الذى لا يقوم لنا بنيان إلاَّ عليه ولا تتحققُ الفِئَةُ إلاَّ به . ذاك هو الأصل الذى واجهت به أمتنا جميع التحديات . تحمله النفوس فتعز ، وتَغْتَرُّ بغيره فتذل .

أدرك الأعداء أمرهَ فاستهدفوا حصنه ووجهوا خططهم الى سلبِ النفوس قبل سلب الأرض وتحطيمِ القيم والأخلاق قبل تحطيم السلاح والعتاد . وإغراء الأخ بأخيه أن يقتِله قبل أن يقتلهما معاً . ورحم الله آباءً لنا عرفوا حقيقةَ الإيمان فكانوا يبحثون عن سرِّ الهزيمة

الطارئةِ في نفوسهم قبل ان يتأملوها في سلِاح عدوهم ٠ ورحم الله عمر بن الخطاب إذ يقول : « إنَّ ذُنُوبَ الجيش أَخْوَفُ عليهم من عدّوهم وما لَمْ نَنْتَصِرْ عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا » ٠

منذ زمنٍ بعيد استهدف أعداؤُنا الحصنَ الحصين في نفوسِنا وعن طريق التعليم وتناقُضِ وسائله ومناهجه تَمَّ لهم ما أرادوا واستطاعوا أن يوجدوا التباين بين أبناء الأمة الواحدة ٠

ولا بد للجيل الذى يريد أن يفوزَ وأن ينتصر على هذه الغارة من أعداء الاسلام جميعا أن يحقق أمرين يزيل بهما التباين والتناقض بين أبناء أمته ٠ **أن يدرك الإسلامَ على فطرته من كتاب الله وسنة رسوله وأن يكون عالما بطبيعة العصر الذى يعيش فيه** وما يسيطرُ عليه من دوافع وما يتحكم في سلوك أهلِه من مذاهب ٠ والتقاءُ أبناء الجيل الواحد على فهمٍ مُشْتَرَكٍ وغايةٍ واحدة يفوّت على الأعداء مخطَّطَهُمْ في ايجادِ التباين وتحقيق الفرقة بين أبناء الأمة الواحدة بإيجادِ ناس يُؤْمنون بحضارةِ المادة وحدها وآخرين يحفظون أوامر الدين حفظاً ثم يعزلون بما حفظوا عن الحياة عزلا ٠

إن كلَّ جيلٍ مطالب أنْ يأخذ نفسه بالإسلام في عصرهِ ولا يُسأَلُ عن أمةٍ خَلَتْ ٠ ولا يُغْنِي أحدُ الأَمْرَيْنِ عَنِ الآخر ٠ فَهْمُ الدّين على فطرتِهِ وإدراكُ طبيعة العصر ليكون العمل قائما على أسس متينة وإدراكٍ لما يجب أن يكون ٠

لأن فهم الدين مع الجهل بطبيعة العصر وأحوالِه وإعدادِ القوة الملائمةِ له يجعل العلاج في غيرِ موضعه ٠ وقَدْ يُسِيءُ الإنسانُ من حيث أراد الاحسان وكذلك إدراكُ طبيعةِ العصر مع الجهل بفطرةِ الإسلام أو التنكرِ له سيؤدى حتماً الى مجافاةِ الدين وَبُغْضِ أهِله وعَدَمِ التسليم بحكمه ٠ وقد اعتنق العدوُّ فكرةَ التباين هذه وسرت في ديار الإسلام حتى رأينا في كثيرٍ من الديار الإسلامية موجاتٍ مؤيدةً مدعومةً تعمل على إبعاد الإسلام عن ساحةِ الحياة ورميه بكل نقيصة أو تأويله بما يناسب الأهواءَ ويساير الأطماع ٠

ولم يوقظِ الناس لهذا الخطر إلا ما وقع من مآسٍ ونَكبات على يد أصحاب الشعارات التى رُمِيتْ بها الديارُ الإسلامية فحقّقت للأعداءِ أكثرَ مما يطمعون وأشاعَتْ من الفرقة والتنازع مَا جَعَلَ الأعَداءَ يطمعون في كلِّ شيء ولا يبالون من أمر المسلمين بشيء ٠

وفتحت الباب على مصراعيه للكتل الدولية للتنازع على خيرات الأمةِ الإسلامية كلٌّ يدخل تحت شعارٍ من الشعارات التى اعتنقها فريقٌ من أبْنَاءِ المسلمين ٠ وهكذا غدت هذه المنطقةُ الحسَّاسَةُ من قلبِ الأمة الإسلامية مَسْرَحاً لقوى الشرقِ والغرب ٠ وبركاناً هائجا يوشك أن يدمِّر كل شيء ٠

ولقد اتضح للناس بعد تجارب عديدة أن أىَّ نظام لأمتنا الإسلامية يقوم على غير

أسس القرآن ومقاصده ستعصف به أساليبُ العصر · وسيكون مرتعاً للشهوات وأهلًا للخيانات وسلعةً رخيصة في يد العابثين ·

إنَّ الإنسان الذى يثبت في الشدائد لابُدّ أن يبنى من داخله بالعقيدة التى تحقق مراقبةَ الله وخشيتَه « وأهْدِيَك إلى ربِّكَ فتخشى » ويرتبط السلوكُ دائما بالعقيدة فلا تجد وسائلُ الأعداءِ مَنْفَذاً إلى النفوس الغالية المتحصنةِ بإيمانها وإنما تنفذ وسائلُ الأعداء إلى النفوس الرخيصة التى دُمّرت من داخلها ·إن جميع القيم والفضائل ترتبط كل الارتباط بالعقيدة وتقوم على هذا الأصل الثابت ·

وحيث تهبط القيم وتسيطر الأهواء والشهوات يجد العدوُّ مجالا خِصْباً لتحقيق مآربه بشراء العملاء والخونة الذين يبيعون أمتَهمُ بلذةٍ عاجِلَةٍ أو منفعةٍ زائلة · وحيث يقوى الجانبُ الأخلاقىُّ المستمدُّ من الإيمان بالله يجد العدوُّ نفسه في مواجهة بنيانٍ قويٍ وصفٍ متين تطيش أمامه سِهَامُه وتتبدد أحلامُه ·

وهذا حكم الله فينا وسُنتهُ التى جرت وتجرى في جميع أمورنا ما انتصرنا في معركة قط حتى ننصرَه في أنفسنا بتغليب أمره على هوانا ·

ان الاستمساك بالأصل الثابت يتوقف عليه مصيرُ أمّتنَا وبقاؤُها وأن لا شىء على الإطلاق يمكن أن نحتَمِىَ به أو نركنَ إليه إذًا نحن بَعُدْنَا عن هذا الأصل أو تنكرنا له ·

لقد جرَّبنا كلَّ شىء · جربنا التعامل مع الشرق والغرب · جربنا الكَمَّ من السلاح · جربنا جميعَ الشعارات السرابية الخادعة · وانتهت بنا التجارب إلى الحقيقة الثابتة الراشدة أننا بالإسلام ولن نكون بغيره · إذ عندما أرادات الشعارات أن تكون بغيره لم نصل في روابطنا إلى مستوى الحيوانات الدنيا ·

إنَّ الحيوانات قد تتقاتل بعضُها مع بعض ويُشَاحِنُ بعضُهَا بعضاً لكنها عندما تشعر بخطرٍ خارجيٍ يتساند بعضُها مع بعض لردِّ العدو ودرء الخطر · وعندما بعدنا عن ديننا وتنكرنا له في روابِطِنَا لم نصلْ في كثيرٍ من المواقف إلى مستوى الحيوانات الّتِى لا تُرى مُتَنَاطِحَةً والعدوُّ يقصد حماها أو متنازعةً والخطر محدق بحظائرها ·

إننا حين مضينا إلى الأعداء دون أن نستند الى الأصل الثابت وهو الإسلام بدت مواقِفُنَا أمام أنفسنا وأمام العالم كلّه متناقضةً تثير الهزء وتدعو الى السخرية ذلك أننا فقدنا وَحْدةَ الكلمة ووحْدةَ الاتجاه ، ولو استندنا الى الأصل الثابت وأخضعنا أهواءنا له لاتزنت خطانا ولم نقع في متناقضات بين أقوالنا وأفعالنا ·

إن انتصار أعدائنا في غاراتهم المعاصرة كان انتصاراً في فراغ أعنى أنَّ الجو قد خَلا لَهم وأنَّ النفوس قد تغيرت بفعل الشعارات واضطربت الموازين فغدا المستحيلُ جائزاً وأصبح الحرام حَلالاً ·

وقد تعلمنا من وقائع ديننا أن الأمم يقذَفُ في قلوب أبنائِها الوَهَنُ عندما تصلِ إلى درجة الغُثَاء . ولا يكون ذلك إلّا عندما تفشو الفرقة ويقع التنازع فيأتى الفشل ويذهب الريح .

إن شيئا واحدا قد عمل على تكوين الشخصية الإسلامية والمحافظة عليها على مرِّ التاريخ وهو الإسلام . وفي عصرنا هذا قد تكالب الأعداء علينا بعد أن استطاعوا بوسائل متعددةٍ إضعافَ الروح الإسلامية وإغراءَ المسلمين بسفكِ دماءِ بعضِهم بعضاً . والعمل دؤوب على تدمير الروابط الإسلامية بشتى الوسائل ليظل أعداءُ الإسلامِ هُمْ أصحاب الكلمةِ في ديار الإسلام .

نحن في عصر لا يُسْمَعُ فيه للضعيف كلمة ولا للمنهزم حجة . وإنما الكلمة للقوى والاحترام للمنتصر . ولا يرضى لنا دِينُنَا أن نكون ضعفاء ولن نكون ضعفاء ونحن نعتصم بالقرآن ونتحرك بدوافعه . نرد حياتَنَا إليه ونقيم روابطَنا عليه . نصحح به واقعنا وننير حاضِرنَا ومستقبلنا . وأول أسبابِ القوةِ وَحْدةُ أمَّتِنَا الإسلاميةِ على كلمةٍ سواء .

ولن تكون هذه الكلمةُ من صنِع بشر . لن تكون شعاراً مستوردا من شرق أو غرب . وإنما هى الكلمة التى نادى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمرٍ من ربه « قُل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله » .

تلك هى الكلمة التى يتم بها الاستخلافُ والتمكينُ في الأرض ويتحقق الأمنُ بعد الخوف « **يعبدوننى لا يشركون بى شيئا** » .

ولا أعرف موقفا واحداً واجهنا فيه أعداءنا وظفرنا بتأييدٍ ونصر من الله بغير صدق الولاء لهذه الكلمة .

بها واجهنا جميعَ التحديات التى فُرِضَت علينا ، ولم نستطع بغير نصرتها أن نصنع شيئاً بل ذقنا مرارةَ الذل ومهانةَ الفُرْقَةِ وغدت ديارنُا مرتعاً للذئاب الطامعة وتداعي الأممِ عليها كما تداعى الأكلة على قصعتها ونحن كثيرٌ ولكنها كثرةُ الغُثَاء ونحن أمةٌ واحدة ولكن فَرقَتْها الأهواء .

فما هو السبيل لردِّ هذه الأمةِ إلى ما كانت عليه عزيزةً متحابة متعاطفة متراحمة ؟ ما هُو السبيل لِوحدتها لكى تدرأ الخطر عن نفسها وتردَّ كيدَ عدوِّها ؟

نحن نؤمن إيمانا جازما أننا بغير الإسلام الذى تجتمع عليه القلوب لن نصْنعَ شيئا ؟ ولكن ما هو السبيل لرضى النفوس به وتنشئةِ الناشئة عليه وقيامِه في حياتنا الخاصةِ والعامة مقام الروح في الجسد ؟ ما هو السبيل لعودةِ المسلمين جميعا إليه وأخذ أنفسهم به واخضاع أهوائهم له ومواجهة خصومهم بنصْرته والدَّعوة إليه ؟

أرى ـ على ضوء التجارب ـ أنه مهما طال الزمن فإننا لن نستطيع أن نحقق نصراً إلا بإعداد الإنسان الإعداد الصحيح الذى يكونُ أهلًا لنصرِ الله وتأييده وهذا يقتضى أن ننظر نظرةً شاملةً في وسائلنا لإعداد المسلم في جميع الديار الإسلامية حتى لا يقع التباينُ والتناقضُ بين المسلمين في وسائلهم وغاياتهم ·وقد أشرت من قبل أن العدوَّ في غارته الأخيرة قد استهدف النفوس قبل الإستيلاء على الأرض ومهَّد لذلك بأساليب متعددة وحقق انتصارا رهيباً في هذا الجانب ولم يستطع أن يستولى على شبر أرض من أرض المسلمين قبل الإستيلاء على بعض النفوس وجعْلها تؤمنُ بما يؤمن به وتحقق له أكثر مما يطمع فيه ·

ولذا فإن أمر التربية والإعداد هو الأصل في قوتنا وردِّ الغارة عن أمتنا أنا أعرف أن هذا الأمر قد يصعب تقبلُه على الشباب المسلم الذى يتطلع الى مجد أمته وعزتها ويتعجل ذلك ويطلبه بين عشية وضحاها ·

وهم معذورون لقوة دوافعهم وشدة عواطفهم ولكن الله لا يعجل بعجلة أحد ، إننا نخطىء كثيرا إذا ظننا أننا نستطيع ردَّ الغارة بغير تحقيق الأسباب التى أمر الله بها ومن أولها إعدادُ الإنسان الصحيح في فهم دينه وإدراكِ عصره وإخضاع هواه لمرضاة ربه · الإنسان الذى يحيا بتصورٍ كُلّى لما يجب أن يكون حتى لا يكونَ عملةً للإسلام فرقةً بين المسلمين فيسىءُ من حيث أرادَ الاحسان · ولن يصلُحَ أمرُ هذه الأمه إلا بما صَلُحَ به أولُها ·

وذاك أول أمرنا وتلك مهمةُ المبعوث فينا المرسلِ رحمةً للعالمين بل تلك منةُ الله على المؤمنين « لقد منَّ الله على المؤمنين إذْ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلِّمهمُ الكتابَ والحكمةَ وإنْ كانوا من قبلُ لَفِى ضلالٍ مبين » · تزكيةٌ وتَعْليم تلك مهَّمةُ الرسول صلى الله عليه وسلم بل منَّة الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم · هذا ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقصر في بعض المواطن بَعْثته عليه « فإنما بعثت معلما » ·

ويعلِّمهم الكتاب والحكمة : عن هذا الطريق يوجد الإنسان الصحيح · ويوجد التصورُ الكلّى · بل يوجد الإعدادُ الشامل لتحقيق الغاية العليا « إعلاءِ كلمةِ الله » التى لا تَعزُّ نفوسُنَا إلَّا بَها ، ولا نقاتل إلا من أجلها ولا نحقق امناً وسلاما لأنفسنا وللعالم من حولنا إلا بمقوماتها · ولا تتحقق الولاية بين المؤمنين إلا بحسن الاتجاه إليها ·

عن هذا الطريق نأخذ بجميع الأسباب المحققةِ للغاية « ويعلمهم الكتاب والحكمة » ودعونا نصارح أنفسنا لنرى ما هو السبيلُ لتعليم الكتاب وتدبره ؟ أنتدبره بأسلوب اللغويين ؟ أم نتأمله بأسلوب الحكماء والفلاسفة ؟ أم بمنطقِ الفقهاء ؟ أم بأسلوب الفرق والمذاهب ؟ وكلّ ذلك واقع وتحشى به الكتب حشوا ·

أرانى رَضِيَّ النفس خاشعَ القلب عندما أقول نتأمله في شخصِ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلامهِ وحياتهِ وجهادهِ وسلوكِ صحابته الأطهارِ من بعده ٠

ولست بهذا أحول دون الدراسات المنهجية لشتى المذاهب والأفكار ، ولكننى أتأمل واقع أمتنا الإسلامية فأتلمس سبيل ردّها لعزّها ومجدها ٠ ولا عز لها إلاّ أن ترى كيف كان القرآنُ الكريمُ خلقاً لنبيها صلى الله عليه وسلم ٠ وكيف كان يرضى برضاه ويسخط بسخطه ٠ هكذا تعلّمه صحابةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلّموا القرآن والعلم والعمل جميعا ٠ وبهذا يأتى القرآن شفيعاً لأهله ويأتى أهلَهُ مكرّمين معه كما جاء في صحيح مسلم عن النَّواس بن سمعانَ رضى الله عنه قال سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يُؤْتَى بالقرآنِ وأهْلِهِ الذين كانوا يعملون به في الدُّنْيا تَقْدُمُهُ سورةُ البقرةِ وآل عمران تحاجان عن صاحبهما »والله الذى أنزل الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط قد أنزل الأسباب التى تحقق نصره وجعل الأخذ بالأسباب مع صدق النية عملاً من أعمال الدين يكافئ الله عليها بالنصر والتأييد ٠ وهنا نجد أنفسنا بدافع من الكتاب نفسه مطالبين بجميع المعارف التى لا بد منها في إعداد القوة الملائمة لعصرنا وهذا يقتضى غيرة ومثابرة ودراسة ومتابعة بحيث يتآخى العالم الاسلامى كلّه في مواجهة الظروف التى تحيط به وتتآخى اللبنات المتخصصة في فروع العلوم المختلفة بدافع تعبدى يُنصر فيه دين الله وتعلو كلمتُه ٠ وذاك موضوع امتحانِنا واختبارِنا في هذه الحياة « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافعُ للناس وليعلم الله من ينصرهُ ورسلَه بالغيب إن الله قوىٌّ عزيز » ٠

« ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » عن هذا الطريق يوجد الإنسان الصحيح وبه نعملُ على حل المتناقضات ونعالجُ في رحمةٍ وبر وصراحةٍ وحكمةٍ قضايا أمتنا الإسلامية ولا نترك للمتربصين ثغراتٍ ينفذون منها فنعينَ العدوَّ بقصد أو بغير قصد على تحقيق أهدافه وتنفيذ أغراضه وتدمير الأمة الإسلامية وضربِ بعضها ببعض ٠

وهذا يستلزم أن يتجرد المؤمنون لأمر الدين وأن يمنحوه صدق القلوب ووفاء النفوس وأن يكون أغلى شيء لديهم ، وأن يطوّعوا له وقتهم وأنفسهم وأموالهم وأن تنشرح بذلك صدورهم ولهم بذلك عزُّ الدنيا وسعادةُ الآخرة

اننا نحن العاملين في مجال الدراسات الإسلامية مسئولون عن أىّ انحرافٍ في مجال الفكر والقصور وعلى عاتق المربين تقع المسئولية الأولى ٠

وإذا ظلت مؤسساتنا العلمية على شتى صورها في الديار الاسلامية تتأمل التعليم على أنه شهاداتٌ تُعطى لإتمام مرحلةٍ معينةٍ فإنها تكون قد أخطأت وبعدت عما يجب أن يكون ٠

إن إعداد النفوس أمرٌ يتطلب حراسةَ الإيمان وملاحظةَ آثاره ونتائجه ومع ما هو سارٍ في عصرنا من رغبةٍ في الدنيا وتسخير كلّ شيء لها نرى دراستنا كذلك في كثيرٍ من الديار الإسلامية تقف عند الوسائل ولا تصل إلى الغايات وتنشد بهذه الوسائل دنيا مرغوبة · ففدت العلومُ سلعاً ينتهى عملُها عند تحقيق ربح أو طلبِ جاه وهبطت بنا ولم تصعد · وهذا منافٍ لما يجب أن يكون من جعل العلوم كلّها ربَّانيةً تنشد وجه الله وتبتغى رضاه ·

وعند اتجاه العزائم الى الغاية الصادقة تكون العلوم على شتى صورها كما كانت مناراتٍ على الطريق وعاملَ قوة في بناء الأمة ووحدتها ·

وهذا يدعونا نحن المسلمين - أن نربط جميع معارفنا بالقرآن الكريم · وان نتوجه بها لخدمة أغراضِه وتحقيقِ هدايته ·

ومهما كانت مرارةُ الواقع فإن الأخذ بالأسباب التى أمر الله بها - طال الزمن أو قَصرُ هو الطريق الوحيد للوصول الى الأمل المنشود ·

وأولُ عملنا في هذا السبيل أن نُعْلِنَ المفاهيمَ الكلية للإسلام وأن نبينها للناس ، وأن يتحرك الدعاةُ في إخلاصٍ وحكمةٍ وصدق ليعالجوا على بصيرةٍ قضايا أمَّتِهم · وأن يصدعوا بما أمروا به من تبليغ هذه الدعوة كما جاءت من عند الله في كتابه وسنة نبيه لتتسلحَ الأمةُ بثقافَة القرآن وتقفَ عند معالم ثابتةٍ لا تتغير بتغير الظروف والأحوال ·

إن الإسلام دينٌ شامل يُعْنَى بالشئون الخاصةِ كما يعنى بالشئون العامة · ودعوته دعوة عالمية · ورسوله قد بعث للناس كافَّةً رحمة للعالمين وأمَّته أمةٌ واحدة · هذه المفاهيم الكلية وغيرُها من مقومات الإيمان يجب أن تعلم للخاصة والعامة والكبير والصغير والرجل والمرأة وأن ينَشَّأ عليها الناشئة من أبناء المسلمين ·

فإن الغارة على الأمة الاسلامية ما بين فترة وأخرى تقيم حربا ضارية على هذه المفاهيم تدميراً لروابط هذه الأمة وإبعاداً للإسلام عن الساحة ، وكلما أُريدَ قضاءُ أمرٍ لا يرضاه الإسلام ولا يقرُّه ظهرت الموجةُ التقليدية « لا دخل للدين في السياسة » وكأننا بهذا نشرِّع لأنفسنا وبأهوائنا ما لم يأذن به الله إن الشرع ما شرع الله لا ما أحبت النفس أو رغبت « ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن » ·

نحن نستطيع بوعيٍ واخلاص أن نُفرّق بين أمرين :

أمرٍ لا عذر لنا فيه : وهذا أن نردَّ أنفسنا وأمتنا الإسلامية إلى كتاب ربنا الذى يجب أن نحققه وسنة نبينا وهو الجانب الأعظم الذي يجب أن نحققه في مواجهة الأخطار المحدقةِ بنا وطلب النصر من الله ·

ولا عذر لنا في ذلك فنحن لا نستوردُ معالمَ ديننا من مخازن الأسلحة في شرقٍ أو غرب حتى يُضَنَّ علينا به وإنما نحن الذين نردِّدهُ بلسانٍ عربيٍ مبين ونُسمِع آيات الله للعالمين ٠ وإذا لم توقظنا هذه الكوارث والتجاربُ المريرةُ فماذا ننتظر من عبرٍ وعظات ٠ قلت نستطيع أن نفرق بين أمرين ٠

١ ـ أمرٍ يرتبط بأخذ أنفسنا بهذا الدين ولا عذر لنا فيه ٠

٢ ـ وأمر يرتبط بإعداد القوة المناسبة لعصرنا ووضعنا ٠ وهذا الجانب يتوقف على الجد في حياتنا والاستقامة في سلوكنا حتى نهيىء مناخاً صالحاً للتفوق فيما تخلفنا فيه ٠

نحن لا نتعجل الثمرة أو نطلبها في غير موعدها ٠ ولكننا نودُّ على مستوى العالم الإسلامى ـ أن نهيىءَ مَناخاً مُناسباً ، وأن نبدأ بداياتٍ صالحةً نحافظ فيها على الإنسان وعلى الامكانات المتاحة لنا ٠

إن التكنولوجيا الحديثة كما يسمونها لَمْ تَعُدْ وقفاً على أمةٍ دونَ أمَّة ٠ ولكن الأمر يختلف من أمة الى أخرى بما توفر هذه أو تلك من أسباب الجد والمحافظة على مقومات الإنسان ٠

وعليه فإن البدايات الصحيحة لا تتوفر إلاّ بصدق الولاء لدين الله تربية النشىء عليه وتهيئة الجو الصالح لإعداد النفوس إعدادا يؤهلها لنصر الله ٠ إن البدايات الصحيحة تستلزم أن يقوم الود والتراحم والتعاطف بين المسلمين ٠ وهذا أيضا لا يحققه إلاَّ تغليبُ أمر الله على هوى النفوس ٠ فالمسلمون بسمة الإيمان لا بشىء آخر يكونون كالجسد الواحد ٠ يستجيب بعضهم لبعض ويُغيث بعضهم بعضا بدواعى الإيمان لا بشىء آخر ٠ « مثلُ المؤمنين في توادهم » فالمثل للمؤمنين فلا ترابطَ ولا ألفةَ إلا بصدق الإيمان ولا تداعىَ إلا بتماسك الجسدِ وسريان روح الإسلام فيه ٠

إن الامكاناتِ المتاحةَ للأمة الإسلامية تحقق لها التكامل والاستغناءَ عن الغير لكن ما ننشده لا يتحقق إلاَّ بالأصل الثابت من حسن الإيمان بالله وصدق الاخلاص له عندئذ يقوم الأمن وتبعث الطمأنينة ويذهب الخوف من جموح الشعارات ويأمن الانسان على دمه وعرضه وماله ويوجد من الايثار بين الأخ وأخيه ما يجعلُ الواحد منهم يؤثر حاجةَ أخيه على حاجةِ نفسه ويفتديه بما هو من ضرورات حياته ٠ ورحم الله زمانا رأينا فيه قطراتِ الماءِ في إناء ٠ تمر على الظامئ الشهيد وهو في أمسِّ الحاجة اليها فلا يرضاها لنفسه قبل أخيه ويجود بروحه وهو يؤثر أخاه على نفسه ٠ ويلقى الثلاثةُ ربَّهم بأخوة الإيمان التى لا تعرف الأثرة ولا ترى الحياة إلا بنعمة الأخوه « يوثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » ٠

إن معظم ديارنا الاسلامية تستورد حاجاتِهَا اليوميةَ من بلاد العالم في شرق أو غرب ٠ ولم يستطع العالم الاسلامى بسبب الفرقة والتوجس من تقلبات الشعارات أن يحقق التكاملَ

الاقتصادى وأن ينتفع بمليارات الأفدنة من الأراضى الصالحةِ للزراعة التى يتوفر حولها الماء ·
بل لم يستطع بسبب الفرقة والتنازع أن يستفيد من الطاقات البشرية المتخصصة التى تهاجر الى بلاد الغرب لتشيِّد هناك وتبنى بكفاءة شهد لها العدوُّ قبل الصديق · والعالم كله يعجب لماذا تظهر الكفاءة هناك وتهدر في ديار الاسلام ·

لا زالت البلاد الإسلامية بكرا بثرواتها ولا زالت الثرواتُ في شتى المجالات معطلةً عن أداء واجبها · ويُخْشى أن تتحول الثروات في الديار الإسلامية - ما لم يلتق المسلمون على كلمةٍ سواء ويوالى بعضهمُ بعضا كما أمر الله - يُخشى أن تتحول الثروات إلى نقمة على المسلمين يتنافس الشرق والغرب على استغلالها ويشقى بها أبناء المسلمين · « والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنةٌ في الأرض وفسادٌ كبير » ·

لقد حالت الفرقة التى أوجدتها المذاهب والشعارات دون تحقيق تكامل على أى صورةٍ من الصور · ولازال الإصرار على المذاهب المنافيةِ للإسلام يملأ النفوس بالريبة والخوف والترقب مما يجعلُ الأخَ لا يثق في أخيه وإن بدا الأمر على خلاف ذلك ·

إن اخوةَ الإيمان وحدها هى التى تحقق التعاون في كل شيء وبغيرها يقع التنازع والتخاصم ويعم الفشل وذهابُ الريح ·

لقد أدركت الأمم بدافع من التجارب ما يؤديه الترابط والتعاون بينها من قوة · فرأينا أوربا وقد طحنتها الفرقَةُ زمنا تبحث لنفسها عن وحدةٍ مشتركةٍ يجتمع عليها أمرها ويصانُ أمْنُها · فَهيأت من الأسباب ما جعلها كالبلد الواحد في مواجهة ما يهددها من أخطار · ولكن يبدو أن أوربا قد صدرت لنا المذاهب التى طحنت بها لتسودَ مع غيرها بفرقتنا وتنعم بتفريق كلمتنا ·

ونحن المسلمين بدافع من ديننا أوْلى الناس بتحقيق التعاون فيما بيننا في جميع الأحوال وفي وقت تتكالب علينا فيه الأمم الطامعة وتحاولُ أن تبتلعنا واحداً بعد الآخر · ولن يتحقق التعاون إلا بثقة نابعة من الإيمان وطمأنينةٍ بين الأخ وأخيه يحكمها شرع الله وتوجهها آياته ·

إن أسس الوحدة في أمتنا الإسلامية ثابتة راسخة لا تغيرها العوامل المصطنعة لأنها تستند الى كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والتفاعل بالثابت يحقق انتصارا وتفوقا في جميع المجالات · والتخلى عن الثابت يُفْقِدُ الشخصية الإسلامية خصائصها ويجعلُها سوقا لمذاهب الأمم وعاداتها · قبل أن تكون سوقا لسلعها ومنتجاتها ·

الليل أو طال ويعلم ان نجاتَه في إخلاصه فيركن إلى الله في جميع الأحوال ويرجو منه ألا يميته الا على الإسلام ٠

ان السبيل لرد الكيد هو اعتصام المسلمين بكتاب الله ٠ ولقاؤهم على اخوة الإيمان وهذا الجيل إن فرط أو ارتد فسيأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ٠ والناس ذاهبون ودين الله باق ٠ والشمسُ إن بارحت رؤوسَ قوم أنارت عند آخرين وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ٠

ولعل هذا الواقع المرير يؤدى إلى يَقظه لا غفلةَ بعدها ، وكم لله من منَّةٍ في طيّ المكاره ، « والَّذِينَ جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإنَّ الله مع المحسنين » ٠

وبعد مرَّة أخرى ٠ فإن الإسلام لم يقل بعدُ كلمته العمليةَ في الأحداث الجارية في أرضنا المسلمة وستكون كلمتهُ ـ بعون الله ـ مُنْهِيَةً للتعاسةِ والضياع ٠

ستكون مدّويةً تهرع منها الفرقة ويذهب التنازعُ والفشل ، وتختفى كلُّ الشعارات التى أوجدت أنماطا من العداء المحزن والتعاون المضحك بين المسلمين ٠

كلمة الإسلام : **أخوةٌ** صادقة تستمد أصالتها من الإيمان بالله **ووحدةٌ** متماسكة تستمد حياتها من عبادة الله الواحد الأحد وعدِم الاشراك به **وتعاونٌ** أصيلٌ مبصرٌ واعٍ يعرفُ ما تزخر به أمتنا من نعم تفوق الحصر ثَرَوَاتٍ طبيعيةٍ مكنوزة ٠ مدِدٍ بشرى هائل ٠ مركزٍ استراتيجى حساس وقبل هذا كله عقيدةٌ إسلاميةٌ موحّدة ٠ تحرك النفوس للعمل في إطارِ شريعَةٍ ربانيةٍ معمِّرة ٠

كلمةُ الإسلام تُبرز إلى عالمنا المعاصر أمَة الإسلام كقوةٍ عالمية يستقيم بها الميزانُ المضطرب تجمع الشمل وتحقق التعاون وتصلح ذات البين ، كلمةُ الإسلام تبطل الباطل وتنصر الحقَّ حيث كان ٠

ومهما طالت الأيام أو قصرت فإن هذه الكلمة بمدلولها العملى ستقال لأن ادراك ما تعنيه قد سرى في وجدان هذه الأمة وفي النبت الصاعد منها ، وغداً فِكراً أصيلا تحمله الكلمةُ وتتحرك به النفوس ، والأفكار لا تحبس والعقائد لا تؤسر ٠ ومداولة الأيام تأبى أن يبقى الناس على حال واحد وصراع الحياة يدور أمره بين عسر ويسر وشدة ورخاء ٠ ولا نجاة إلَّا بالصدق مع الله وعدمِ الاصرار على مخالفة أمره ٠

وكلُّ ما نذكره من أسباب الوحدة يرجع إلى إعداد المسلم الصادق مع الله في خطئه وصوابه ٠ وهذه الوحدةُ ليست باغيةً ولا متسلطةً ٠ وإنما هى عاملة في اسعاد البشرية كلّها **بإعلاء كلمة الله وتلك غايُتها** ٠ وبها تُرفع الرؤوس المنكسةُ أمامَ أصْنامِ الهوى ٠ وتعزُّ النفوس المُوَزعة الضائعة التى سلبت حقوقُها وديست كرامتُها ويُنْصَفُ الثكالى والمشرَّدون من

تجار الدماء والخراب . ويعادُ للناس أمنُهم المفقود وسلامُهم المضيَّع . بها يُنصف المظلومُ ويؤخذ على يد الظالم . ويوقَفُ حقُّ « الفيتو » حقُّ مصادرة العَدْل واقرارِ الظلم . ومن أجلها تتحرك أمةُ الجهاد لتغيثَ المظلوم وتجيره بنجدةٍ صادقةٍ تؤدِّب الظالم في عقر داره وهى لا ترى لنفسها حظا إلا فيما عند الله ولا تعلُّقا الا في مرضاته .

والتفريط في وحدةِ هذه الأمة وترابطِها ونصرةِ بعضها بعضا سيؤدى حتما الى فتنةٍ في الأرض وفساد كبير ، والمسئولية في ذلك تقع على المسلمين والخسارةُ عليهم وعلى غيرهم إذ ليس لدى الشرق أو الغرب ما يقدِّمه للإنصاف والعدل والمذاهب البشرية كلُّها عاجزة عن ذلك .

والأخوة الإسلامية هى الأساس الذى يقوم عليه بنيان الإسلام في الواقع ، بها قام من قبل وبها يقوم من بعد وهى وحدها مَوْطِنُ المنَّة في قوله تعالى « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمةَ الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألَّفَ بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياتِه لعلكم تهتدون »

آية أجملت جميعَ الوسائل . وجعلت من شكِر نعمةٍ تحقيق نعمة فكانت المعادلة : قران تجتمع به القلوب ولا تتفرق يؤدى بفضل الله إلى نعمة الأخوة والانقاذ من الهلاك وهى نعمة لا تأتى إلاَّ من الله . وما عند الله لا يطلب إلا بطاعته ، والتفرق والاختلاف بعد مجىء الآيات يفضي الى العذاب .

ويومَ القيامةَ تبيض وجوه وتسود وجوه . هؤلاء تفرقوا بعد وحدتهم وكفروا بعد إيمانهم وأولئك تراحموا بنعمة الله فرحمهم الله .

(ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم يومَ تبيض وجوهٌ وتسودُّ وجوه فأما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون . وأمَّا الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون) .

وبين الآيات الداعية إلى الاعتصام بحبل الله والناهية عن التفرق والاختلاف تأتى الآية الآمِرةُ بالدعوة الداعيةُ إلى الأمر بالمعروف والنهيِ عن المنكر . وتلك رسالةُ هذه الأمة وهذا طريقُ فلاحها « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وشكر الله لكم والسلام .

التربية

في عصور ما قبل الإسلام وبعده

فضيلة الدكتور عباس محجوب
أستاذ مساعد بكلية الدعوة بالجامعة

من البديهيات أن نقول : ان التربية قد ارتبطت بظهور الانسان على الأرض واحساسه بنفسه وتعامله في نطاق الأسرة ثم الجماعة ، ويحدثنا مؤرخو التربية أن الصغار كانوا يتعلمون من الكبار في المجتمعات الأولى عن طريق التقليد والمحاكاة أو عن طريق المشاركة فيما يقوم به الكبار سعيا وراء ضروريات الحياة بطريقة عفوية يهيىء الأطفال عن طريقها لاكتساب المهارات العملية في الحياة ، والقرآن الكريم يحدثنا أن الله سبحانه وتعالى قد تعهد البشر تربويا بتعليمهم منذ أن خلق سيدنا آدم وأودع فيهم القوى والطاقات التى تمكنهم من استعمار الأرض واظهار ما أودع الله فيها من كنوز وخيرات فكان الانسان هو الخليفة الذى سلم أمر الأرض اليه وأعطى من العلم ما ييسر له استعمال خاصية اللغات برموزها وإشاراتها الى الأشياء والأشخاص واعطائها المسميات التى تميزها ، وهذه القدرة التى أودعها الله في الانسان هى سر من أسرار تكريمه للانسان على كثير ممن خلق ، وترفعه الى المعرفة والعلم فوق درجات الملائكة هى درجة مسؤوليات الخلافة في الأرض يقول تعالى :

(وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبّح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم مالا تعلمون وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال : انبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا : سبحنك لا علم لنا الا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون . واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين .

وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع الى حين ، فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ، قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (١) .

ففى هذه الآيات نلمح بوادر التربية الالهية للانسان ممثلا في سيدنا آدم الذى كرمه الله وعلمه مسميات الأشياء ووكل اليه تحمل مسئولية المواجهة للغواية ووسوسة الشيطان والمحافظة على عهد الله ثم ما أعقبت المعصية من تنبه ويقظة وندامة وحسرة وما ترتب على هذه التجربة من طلب للمغفرة وتوبة الى الله كل ذلك ليستفيد الانسان منها على الأرض مكان الخلافة التى خلق لها وأنزل اليها مزودا بتجارب متهيئة لمواجهة اعدائه فى الأرض ·النفس والشيطان .

فالتجربة التربوية الأولى كانت من عند الله سبحانه وفى غير الأرض ثم تتعدد التجارب التى تربى الانسان في الأرض فى أحداث القرآن وبوسائل خارجة عن تجارب البشر ومعارفهم فاذا كانت التجربة الأولى ممثلة من خليفة الله فى الأرض للخير وابليس رمزا للشر فان التجربة تتكرر فى أول جريمة على هذه الأرض من ابنى آدم قابيل وهابيل وهذه التجربة توضح ان وسائل التربية للانسان ليست هى التحذير والموعظة والتذكير دائما اذ أن النفوس تتباين وتختلف ولا بد تبعا لذلك من اختلاف الوسائل والطرق التربوية يقول الله تعالى : (واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال انما يتقبل الله من المتقين . لئن بسطت الىّ يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى اليك لأقتلك أنى أخاف الله ربَ العالمين . أنى أريد أن تبوء باثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين . فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين . فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه قال يا ويلتى اعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوءة أخى فأصبح من النادمين) (٢) .

فالقصة تعلمنا أن النفس الشريرة اذا ما اندفعت فى اتجاهها تطوع للانسان كل جريمة من ازهاق روح بريئة كما أن حيرة القاتل تظهر حداثة التجربة وجدتها فى الأرض

(١) سورة البقرة الآيات : ٣٠ ـ ٣٨ .

(٢) سورة المائدة الآية : ٢٧ ـ ٣١ .

وتظهر عجز الانسان أمام التجارب والأحداث الجديدة في حياته مهما كانت قوته وجبروته وبطشه ما لم تتعهده التربية بالتهذيب والتعليم والتوجيه لطاقاته وخبراته الوجهة الصحيحة ـ وكانت وسيلة التعليم والتربية في القصة ان بعث الله خلقا من مخلوقاته هو الغراب ليظهر للانسان ضعفه ويعلمه كيف يدفن أمواته . وسواء اقتل الغراب غرابا آخر معه ثم حفر له أو جاء الى غراب ميت فدفنه فان الله هو الذى أودع هذه الغريزة فى هذا الحيوان ليعلم الانسان وليأخذ منه العظات والعبر وليكون وسيلة أيضا لبيان أحكام شرعية تتعلق بحماية الانسان فى الأرض وقد أدرك سيد البشر صلى الله عليه وسلم الناحية التربوية فى هذه القصة فوجه المسلمين اليها وقال : **(ان إبنى آدم عليه السلام ضربا لهذه الأمة مثلا فخذوا بالخير منهما)** كما قال **(ان الله ضرب لكم ابنى آدم مثلا فخذوا من خيرهم ودعوا شرهم)** (١) .

والقرآن ملىء بنماذج كثيرة تدل على المواقف التربوية فى حياة الانبياء والأمم التى تعاقبت على الأرض قبل الرسالة المحمدية التى جاءت خاتمة للرسالات كاملة الأسس والأهداف والنظريات التربوية .

ويذكر مؤرخو التربية الحديثة أن البشرية قد عاشت آلاف السنين وهى لا تعرف التربية المنظمة التى نمارسها فى مدارسنا أو معاهدنا التى تعتبر الأماكن المخصصة لممارسة عملية التربية واذا كانت التربية الأولية أو البدائية لا تمارس فى حجرات الدراسة فانها كانت تمارس فى واقع الحياة من خلال المهارات التى يتعلمها الفرد عن طريق المحاكاة والتقليد من خلال ممارسات الزراعة والصيد وغيرهما أو من خلال المعلومات التى تتبادلها الناس فى حياتهم ولم تكن تلك المهارات والمعلومات من التعقيد بمكان نسبة لبساطة الحياة وقلة الحضارة وبدائية الثقافة وغير ذلك من المكونات التراثية فى حياة الأمم وكانت التربية آنذاك من وظائف الآباء والمجتمع الصغير الذى يعيش فيه الفرد وكان لا بد لهذه التربية البدائية من أن تتطور بتطور البشرية فى سلوكها ومهاراتها ومعارفها وحضارتها وكان لا بد أن يتبع التطور والتغيير فى حياة الناس المادية تطور فى الأفكار والاتجاهات واختلاف وجهات النظر فى أمور الحياة وطرقها ومعيشة الناس وقيمهم وأخلاقياتهم ، وتبع هذا التطور الحاجة الى جماعة من المجتمع يهتمون بالابناء ويقومون بواجب التربية والتعليم نيابة عن الآباء والأسرة فظهر المعلم الذى يعلم أبناء مجتمعه فى مكان ما من البيئة ثم تطور الأمر الى وجود أماكن مخصصة يتعلم فيها الأبناء أصول القراءة والكتابة وما وصلت اليه الأمة من تراث يمثل

تاريخها وشرائعها ، ولذلك كله نجد فى بلاد الصين قبل خمسة آلاف سنة مدارس تنتشر فى القرى فى مبان ضيقة لا تزيد عن حجرة أو في أركان المعابد ، ويتعلم الأطفال فيها الكتابة وبعض الأشعار ومبادئ الحساب ولم تكن هناك صلة أول الأمر بين لغة التخاطب ولغة التعليم وينتقل الطلاب من مرحلة دنيا الى مرحلة عليا يدرسون فيها التاريخ والفلسفة والدين والشئون الزراعية والحربية ، ولأن التربية كانت خاضعة للدولة فانها كانت تهيئ لها الموظفين الذين يعينون حسب شهاداتهم والامتحانات الدورية التى تعقد لهم ويجتاز الطالب عدة امتحانات ليمتحن أخيرا فى كلية (هان لين بوان) وهى أكاديمية امبراطورية فى بكين قاعة الامتحانات فيها تتكون من عشرة آلاف حجرة ولكل طالب حجرة يختبر فيها ويأكل فيها ويعيش حيث تستمر الامتحانات ثلاثة عشر يوما فى الأدب والأخلاق والفلسفة ثم يعين الناجحون ـ بعد تلك الأيام القاسية التى عاشوها فى حجرات غير صحية ـ فى مناصب الدولة الكبرى (١) وكان غرض التربية الى جانب ذلك (اعداد القادة بتزويدهم بالمعارف القديمة التى تتصل بنظام المجتمع وصلات الأفراد بعضهم ببعض ، واعداد كل أفراد الشعب ليكون سلوكهم حسنا فى جميع أعمالهم وفى جميع ما يزاولونه فى حياتهم) (٢) أى إن التربية كانت تعنى بالناحية الخلقية الاجتماعية .

أما في مصر الفرعونية فقد هدفت التربية الى تهيئة الأفراد ليكونوا أعضاء عاملين فى المجتمع وذلك بمدهم بالخبرات اللازمة لذلك كما عملت التربية على تنمية الناحيتين الثقافية والمهنية والدينية والدنيوية (فالدنيوى تخريج المتعلمين فى الفنون المختلفة مما يضمن لهم المعيشة الراضية ، والدينى هو العمل على محبة الآلهة فى الآخرة بالتعبد والتقرب اليهم) (٤) .

أما فى الهند فقد كان التعليم محتكرا لدى البراهمة الذين قصروا التعليم أول الأمر على عدد قليل من الطبقة العليا ثم سمحوا به للطبقات كلها ويشمل التعليم الدين والأخلاق ، والحساب والكتابة ثم ينتقل الجميع الى الجامعات ، وكانت التربية تعمل على اكتساب الطلاب لعادات التفكير والإحساس والتحكم في الجسم والسلوك فكان الطالب يجلس جلسة واحدة مدة تستغرق ساعات طويلة يتعود بها على التحكم فى نزعات نفسه ورغبات جسمه (٣) .

---

(١) د . سعد موسى أحمد ـ تطور الفكر التربوى ط ١ ص ٧٤ ـ ٧٦ .
(٢) منرو ـ تاريخ التربية نقلها عن التربية وطرق التدريس لصالح عبد العزيز وعبد العزيز عبد المجيد .
(٣) د . سعد موسى تطور الفكر التربوى ص ٨٤ ـ ٨٥ .
(٤) التربية وطرق التدريس ص ٣٣ .

(وقد اهتم قدماء المصريين بالعلم والمدارس باعتبار المعرفة وسيلة الى المجد والثروة ووصايا حكمائهم تحث على الثقافة والمعرفة اللتين لا يسمو شيء عليهما ، وقد قسموا المجتمع الى طبقات ، أولى تتكون من الكهان والاطباء والمهندسين ورجال الفكر والعلم والكتاب ، وثانية هم المحاربون ، وثالثة يمثلها الفلاحون والرعاة والتجار والعمال ، كما أنهم قسموا التعليم الى مراحل · أولية للأطفال ومتقدمة تقتصر على أبناء الفراعنة ـ الطبقة الأولى ـ وكان لديهم جامعة مشهورة هى (جامعة اون) عين شمس كما كان التعليم العسكرى عندهم منفصلا) (١) ·

أما فى أوروبا فقد كان لمدينة اسبرطة نظامها التربوى العجيب اذ أن الدولة كانت تتعهد الطفل منذ مولده فاذا أحسوا بضعفه تركوه فى العراء ثم عادوا اليه بعد فترة فاذا تحمل الجوع والبرد أبقوا على حياته والا تركوه حتى يموت بدلا من أن يشب مواطنا ضعيفا ، والطفل يظل مع أمه سبع سنوات ثم يرسل الى إحدى مؤسسات الدولة ليعيش مع غيره من الأطفال تحت نظام قاس عنيف من التربية ليأخذ على مظاهر التقشف والنظام ، ومن يبدى منهم شجاعة واقداما أصبح رئيسا للجماعة وعلى الآخرين طاعته··

فالتربية فى اسبرطة تهدف الى إعداد الطفل إعدادا عسكريا فى المقام الأول ليقوم بوظائفه القتالية ثم تأتى التربية الأدبية والخلقية كما تهدف التربية العسكرية الى تقوية روح الطاعة المطلقة ·

أما الفضائل الانسانية مثل الصدق والأمانة فهى نسبية اذ أن الكذب يجوز على غير الاسبارطيين ولا يعاقب السارق الا اذا ضبط متلبسا بجريمته لانه فشل فى اخفاء نفسه ولم يكن حريصا وكان أغلبهم لا يتعلم القراءة والكتابة مع أنهم كانوا أذكياء ·

واذا انتقلنا الى أثينا الدولة المنافسة دائما لاسبرطة فانها مع اهتمامها بالشجاعة والاقدام الا أنها لم تكن تربية عسكرية اذ كانت تعمل على أن يتحلى الانسان بالحكمة المغلفة بالعقل والابتكار والتجديد فى الحياة والعمل على سعادة الانسان وكماله الجسمانى والعقلى والخلقى وتطلب الدولة من الاسرة الاهتمام بالطفل ، ويعلم الطفل السلوك الطيب والقراءة وتحفظ مؤلفات أعظم الشعراء حيث يجد فيها النصائح والقصص ومفاخر مشاهير الرجال ، والتعليم طبقى يكتفى فيه ابناء الفقراء بالمرحلة الابتدائية ويستمر أبناء الأغنياء فى اكتساب الخبرات والمعلومات وتذوق الفن (٢) ·

---

(١) د · ا براهيم ناصر مقدمة التربية ص ٣٥ ·

(٢) مونرو ـ تاريخ التربية ترجمة صالح عبد العزيز ص ٨٦ ـ ٨٨ ·

وفى مجال المقارنة بين التربية الصينية والأثينية يقول برتراند رسل فيه (ان التربية الصينية التقليدية كانت كبيرة الشبه من بعض النواحى بنظيرتها فى أثينا فى أعز أيامها ، كان الصبية الأثينيون يحملون على حفظ هومر عن ظهر قلب من أوله الى آخره وكذلك كان الصبية الصينيون يحملون على حفظ المأثورات الكنفوشية وكان الأثينيون يعلمون نوعا من احترام الآلهة ، يقوم على المحافظة على المظاهر ، ولا يضع حاجزا فى طريق النظر الفكرى الحر ، وكذلك كان الصينيون يقيمون طقوسا خاصة ، تتصل بتقديس الأسلاف ، من غير أن يجبروا بحال على اعتقاد ما كان منطويا فى تلك الطقوس) .

أما الرومان فمع عراقة دولتهم لم تكن لهم نظريتهم التربوية المميزة ومرت التربية عندهم بمراحل وشملت الاهتمام بالدين والأخلاق والرياضة وفنون القتال ثم ظهرت المدارس النظامية التى تعلم مهارات الحياة العملية واعداد المواطن البليغ خطابة والفصيح بيانا وفى الثقافة العالية الملم بصنوف المعرفة والمهارات الفلسفية والقانون والسياسة والحرب والذى يتولى أرفع المناصب فى الدولة (١) .

وقد عاشت أمم الشمال والغرب من أوروبا فى ظلام الجهل والأمية والحروب الدامية لم ينبثق منها فجر الحضارة والعلم بعد ولم تظهر على مسرحها الاندلس العربية الاسلامية لأداء رسالتها فى العلم والمدنية وكانت بمعزل عن ركب الحضارة الانسانية يقول عنها هـ - ج . ويلز : « لقد أطبق على أوروبا ليل حالك من القرن الخامس الى القرن العاشر ، وكان هذا الليل يزداد ظلاما وسوادا . قد كانت همجية ذلك العهد أشد هولا وأفظع من همجية العهد القديم لانها كانت أشبه بجثة حضارة كبيرة قد تعفنت ، وقد انطمست معالم هذه الحضارة وقضى عليها بالزوال ، وقد كانت الأقطار الكبيرة ، التى ازدهرت فيها هذه الحضارة وبلغت أوجها فى الماضى كايطاليا وفرنسا فريسة الدمار والفوضى والخراب » (٢) .

أما عن أوروبا الغربية فيقول البروفيسور شيلى فى كتابه تاريخ الفلسفة : « لعل القرنين السابع والثامن كانا أظلم عهد فى تاريخ حضارة أوروبا الغربية أنه كان عهد بربرية وجهالة لا نهاية لهما ، غمرت فظائعهما أعمالا تدمر جميع المنجزات الأدبية والجمالية للعهد

---

(١) د . سعد موسى - تطور الفكر التربوى ص ١٤٧ - ١٥٠ .

(٢) الشيخ أبو الحسن الندوى - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٤٥ - ٤٦ .

الماضى الكلاسيكى » كما يقول (دربير) « يصعب القول عن سكان أوروبا القدماء بأنهم تجاوزوا مرحلة البربرية والوحشية فقد كانت اجسامهم قذرة وأخيلتهم مفعمة بالأوهام يؤمنون ايمانا راسخا بكل ما ينقل من الأساطير والحكايات التافهة التى لا أساس لها عن كرامات الضرائح ودعاوى القداسة المزعومة » ٠

أما التربية المسيحية فلم تخرج عن رسالة المسيح عليه السلام فى نشر روح التعاطف والتسامح والمحبة والتواضع مع استخدام وسائل مختلفة مثل الأمثلة والحكايات الرمزية ذات المغزى الأخلاقى المستمد من الواقع والمألوف الى جانب الحكم والأمثال كوسائل سريعة الى قلوب المستمعين ، وقد أخذت التربية المسيحية عن سقراط طريقته فى استخدام الحوار للكشف عن المغالطات والاخطاء وأخذ على هذه الطريقة أن النتائج ونهاية الحوار معدتان سلفا ولا يمكن تغييرهما وكانت التربية المسيحية تعتمد على الأسرة ثم الكنيسة ثم دخلتها الانحرافات التى دخلت على المسيحية فتغيرت عن صبغتها الدينية الخالصة ٠ ثم بدأت المسيحية فى انشاء المدارس فى اليونان وجاءت فترة سيطرت فيها الكنيسة على التعليم الى نهاية القرن الحادى عشر وكان التعليم قاصرا على أبناء الأغنياء والطبقات العليا ورجال الكنيسة (١) ٠

إن التربية المسيحية يمكن النظر اليها من خلال طبيعة الديانة المسيحية فمع ما تقدم ذكره مما جاء فى كتاب تاريخ التربية فان الواقع التاريخى يدل على أن المسيحية لم تكن بطبيعتها ديانة تبنى عليها حضارة أو تقام على ضوء تعاليمها دولة وقد جاء (بولس) فطمس نورها وأزال البقية من آثار تعاليمها وطعمها بخرافات الجاهلية والوثنية التى نشأ عليها ثم قضى (قسطنطين) على البقية الباقية فأصبحت النصرانية مزيجا من الخرافات اليونانية والوثنية الرومية والأفلاطونية المصرية والرهبانية فتلاشت تعاليم المسيح كتلاشى القطرة فى اليم فأصبحت معتقدات لا تغذى الروح ولا تمد القلب ولا تشعل العاطفة ولا تحل مشاكل الحياة وأصبحت على تعاقب العصور ديانة وثنية يقول «**SALE**» مترجم القرآن الكريم الى الانكليزية عن نصارى القرن السادس الميلادى (وأسرف المسيحيون فى عبادة القديسين والصور المسيحية حتى فاقوا فى ذلك الكاثوليك فى هذا العصر) (٢) ٠

والمعروف أن العالم قد وصل الى درجة كبيرة من الانحطاط فى القرنين السادس والسابع نتيجة لانقطاع صلة العالم بالله سبحانه وتعالى وبعد الشقة بينها وبين رسالات

---

(١) راجع المرجع السابق ومقدمة فى تاريخ التربية د ٠ ابراهيم ناصر ص ٣٨ ٠
(٢) راجع الشيخ أبو الحسن الندوى ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (٣٧) ٠

الانبياء وفقدان الاديان لروحها وتعاليمها لكثرة ما لحق بها من تحريفات وما لحق الأمم من فوضى وانحلال ، وطبيعى ان ديانة كهذه لا تستطيع بل ليست من طبيعتها أن تقدم نظرية متكاملة فى التربية لانها لم تأت بمنهج كامل للحياة كالاسلام .

أما اليهود فكانت التربية عندهم من واجبات الأسرة باعتبارها قوام حياة المجتمع اليهودى وظلت على هذه الحالة فى اعتمادها على الأسرة وعلى التعليم الخلقى والدينى والقومى (كشعب الله المختار) وقد أنشأوا المدارس بعد ظهور المسيحية ليتعلم أطفالهم القراءة والكتابة والتاريخ والهندسة والفلك (وكان الاسرائيليون الأوائل يجهلون معنى لأى نظام اجتماعى سوى الأسرة ولا يتخذون رئيسا سوى الاله ، وكان على أطفالهم أن يتربوا على أن يكونوا مخلصين لـ (يهود) .

وكان تعليمهم يتم عن طريق المثال الصالح القدوة وكانوا يتعلمون القواعد الأخلاقية والمعتقدات الدينية الخاصة بهم ، أما تعليم القراءة والكتابة فكانت مقصورة على الفتيان فى حين تتعلم الفتيات الغزل والحياكة وتهيئة الطعام ورعاية شئون المنزل والغناء والرقص) (١) .

أما فى القرنين السابقين للإسلام فقد كان اليهود أمة فى أوروبا وآسيا وافريقيا وكانوا أغنى أمم الأرض مادة فى الدين الا أنهم لم يكونوا من عوامل الحضارة والسياسة أو الدين المؤثرة فى غيرهم اذ قضى عليهم أن يتحكم غيرهم فيهم وكانوا عرضة للاضطهاد والاستبداد والنفى ، وأورثهم تاريخهم الخاص ـ تاريخ العبودية والاضطهاد والاذلال والجشع وشهوة المال والربا ـ أورثهم نفسية غريبة وخصائص لا توجد فى أمة أخرى منها الخنوع عند الضعف والبطش وسوء السيرة عند الغلبة والختل والنفاق فى عامة الأحوال والقسوة والأثرة وأكل أموال الناس بالباطل والصد عن سبيل الله وقد وصف القرآن حالهم في القرنين السادس والسابع وما وصلوا اليه من تدهور خلقى وانحطاط نفسى وفساد اجتماعى ، عزلوا بذلك عن قيادة العالم .

وقد تجددت حوادث فى أوائل القرن السابع بينهم وبين المسيحيين بغضتهم اليهم ، وحدثت بينهما حروب طويلة وقتل وقسوة كما فصل ذلك المقريزى فى الجزء الرابع من كتابه بما يدل على استهانة الفريقين بالدم الانسانى وتحين الفرص فى النكاية بالعدو وعدم مراعاة الحدود فى ذلك مما يبعدهم جميعا بأخلاقهم هذه من قيادة البشرية وأداء رسالة الحق والعدل والسلام واسعاد البشرية فى ظلها (٢) .

---

(١) د . ا براهيم ناصر مقدمة في التربية ص ٣٤ .

(٢) ماذا خسر العالم ص ٤٤ .

أما عن ايران أو مملكة الفرس ، فقد قاسمت مملكة فارس الروم حكم العالم - كانت الأخلاق فيها منحطة والمحرمات موضع خلاف حتى أن يزدجر الثانى الذى حكم أواسط القرن الخامس الميلادى تزوج بنته وقتلها كما أن « بهرام جوينى » فى القرن السادس كان متزوجا بأخته ، فالا يرانيون اعتادوا الزواج بالمحرمات وكانوا يعتبرون ذلك وسيلة تقرب الى الله وقد سبق ظهور دعوة (مانى) فى القرن الثالث الى تحريم النكاح استعجالا للفناء ثم دعوة (مزدك) المولود فى القرن الخامس الى المساواة فى المال والنساء وجعل الناس شركاء فيهما حتى لم يعرف الرجل ولده ولا المولود أباه ٠

أما الأكاسرة ملوك فارس فكانوا يدعون أنه يجرى فيهم دم إلهى فنظر الفرس اليهم كآلهة يقدسونهم ويؤلهونهم فوق البشر لذا كان بعض ملوكهم أطفالا لان هذا الحق لا يخرج عنهم ٠

كما اعتقد الناس فى البيوتات الروحية والأشراف الذين يرونهم فوق طينة العامة فى نفوسهم وعقولهم - مما عمق نظام الطبقات فى المجتمع وجعل كل واحد لا يعمل الا بالحرفة التى خلقه الله لها ولا يشترى عقارا لأمير أو كبير ولا يتولى الوضيع وظيفة ، وقصة المغيرة بن شعبة مع الفرس توضح هذا (١) ٠

كما كان الفرس يمجدون قوميتهم الفارسية التى يرون لها فضل على سائر الأجناس والأمم التى يزورونها وينظرون اليها باحتقار وسخرية ويرون أن الله قد خصهم دون الأمم - بمواهب خاصة ٠

وكانوا فى عبادتهم قديما يعبدون الله ويسجدون له ثم عبدوا الشمس والقمر والنجوم ثم جاء (زرادشت) الذى دعا الى التوحيد وأبطل الأصنام وقال : ان نور الله يسطع فى كل ما يشرق ويلتهب فى الكون وأمر بالاتجاه الى الشمس والنار ساعة الصلاة لان النور رمز الى الاله ثم مجدوا النار الى أن عبدوها وبنوا لها المعابد والهياكل وانتهت كل عقيدة وديانة الى عبادة النار (٢) ٠

ولا تذكر كتب تاريخ التربية نظرية تربوية مميزة للفرس ولكن تلك المعتقدات والعادات هى التى كانت تحدد فلسفتهم التربوية ٠

(١) راجع الطبرى ج ٤ ص ١٠٨ ٠
(٢) الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٤٧ ٠

وهذا الاضطراب فى حياة المجتمعات والديانات كلها أسرعت بحاجة البشرية الى دين جديد وبعث جديد ورسول جديد وتربية جديدة .

التربيــة في العصــر الجاهــلى

لم تكن للعرب قبل الإسلام - كما نعلم - دولة منظمة لها نظامها التربوى وحياتها المنسقة بل كانت الحياة قبلية النظام ، والتربية فيها فطرية تكتسب فيها العادات والقيم والمهارات عن طريق التقليد والمحاكاة وقيم القبيلة وأخلاقها فالمثل العليا مأخوذة من مآثر القبيلة وأيامها ورجالها ومعتقداتها وقيمها المتوارثة وحروبها وبطولاتها . والمهارات لا تتعدى مهارات الحرب وطرق الدفاع والهجوم والصيد وصنع آلات الحرب وركوب الخيل وغير ذلك من المهارات المعروفة لديهم .

ومن الأمم حولهم تعلموا بعض العلوم وبفطرتهم نبغوا فى الشعر والخطابة ومن علومهم علم الفلك والطب والانساب والعيافة والفراسة والزجر وغيرها .

أما وسائلهم في التقليد للآباء ورجال العشيرة ثم المواعظ والإرشادات والحكم من الآباء والأمهات كوصية امامة بنت الحارث لابنتها أم اياس واسماء بنت خارجة لابنتها والاوس بن حارثة لابنه وغير ذلك مما تحفل به كتب الأدب القديمة كالعقد الفريد والأمالى ومجمع الأمثال وغيرها وكان الاهتمام بالناحيتين الأدبية والخلقية أكثر عند العرب الى جانب النواحى الأخرى المتعلقة بالقيم السامية في الحياة كالشجاعة والكرم والشهامة والمروءة الخ .
ومن وسائلهم لنشر قيمهم وأفكارهم المؤتمرات الموسمية فى أسواقهم المعروفة كسوق عكاظ وذى المجاز ومجنة حيث كانت تلك الأسواق الأدبية معاهد لتبادل الأفكار والأشعار وتبادل الخبرات فى عالم التجارة والاقتصاد ونشر المثل والقيم ..

التطــور المنهجى للتربيــة الاســلامية

جاء الاسلام وعدد من يقرأون ويكتبون من قريش سبعة عشر رجلا منهم عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب من الراشدين وقلة من النساء منهن حفصة وأم كلثوم من زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم وعائشة التى كانت تقرأ المصحف ولا تكتب

وكذلك أم سلمة ومنهن الشفاء بنت عبد الله العدوية معلمة حفصة . أما في المدينة فلم يزد عددهم من الأوس والخزرج على أحد عشر رجلا ، وكان بعض اليهود يقومون بتعليم صبيان يثرب بعد أن تعلموا العربية ، ولقلة الرجال الذين يكتبون آنذاك كان لقب (الكامل) يطلق على من تعلم الكتابة والرماية والعوم فلقب بذلك سعد بن عبادة سيد الخزرج وأسيد ابن حضير وعبد الله بن أبى ، وكان ممن كتبوا للرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة أبى ابن كعب وزيد بن ثابت وعبد الله بن سعد بن أبى سرح وعثمان بن عفان وشرحبيل بن حسنة وابان بن سعيد والعلاء الحضرمى ومعاوية ولم يكن تشجيع الرسول صلى الله عليه وسلم قاصرا على تعليمهم القراءة والكتابة لصبيان المدينة كما حدث مع أسرى بدر بل طلب من زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب اليهود لأنه لا يأمنهم على القرآن فعرف كتابتهم كما طلب منه أن يتعلم السريانية قائلا له : إنى أكتب الى قوم فأخاف أن يزيدوا علّى أو ينقصوا فتعلمها في مدة وجيزة ..

ولعلنا نستطيع أن نقول بنوع من التجاوز . أن أول مدرسة في تاريخ الاسلام هى تلك المدرسة التى كانت في دار الارقم بن أبى الارقم في مكة حيث ربى فيها الرسول (ﷺ) أصحابه تربية لم تتوفر في تاريخ البشرية بالرغم من أن الرسول (ﷺ) قد ترك بعده المصدرين الأساسيين للدعوة والتربية وهما القرآن الكريم وسنته زيادة على سيرته العطرة فالرسول صلى الله عليه وسلم كان المعلم الأول الذى أرسله الله الى البشرية ليعلمها الكتاب والحكمة ويزكيها ، وكان عليه الصلاة والسلام المطبق الأول لتعاليم السماء والمنهج الالهى سائرا على الأرض فقد وصفته أم المؤمنين بأنه كان خلقه القرآن وكان القدوة الحسنة لأصحابه يعلمهم بالموعظة الحسنة والتجربة الفعلية والتوجيه النافع وقت الشدائد والمحن ، ولمعرفته لأهمية المعلم والتعليم في التربية والدعوة أرسل مصعب بن عمير مع أهل يثرب حين آمنوا ليقوم بواجب التعليم والتربية والدعوة الى الله وهاجر الرسول صلى الله عليه وسلم الى يثرب فكان مسجده صلى الله عليه وسلم جامعة المسلمين الكبرى ومركز الدعوة الى الله فيها يتعبد الناس وفيها يبلغ الرسول عن الله وفيها ينزل التشريع منظما للمجتمع الجديد وفيها يقابل السفراء والوفود ومنها تخرج الجيوش حاملة لواء الدعوة واليها تتجه أنظار القبائل والدول والأمم وكان القرآن والقرآن وحده هو منهج تلك الدراسة وهدفها ووسيلتها وغايتها ، وكان نتاج ذلك المنهج ذلك الجيل القرآنى جيل الصحابة المميز في تاريخ الاسلام كله والبشرية جمعاء ذلك الجيل الذى رباه الرسول (ﷺ) على كتاب الله لتخلص نفوسهم له وحده ويستقيم عودهم على منهجه وحده - جيل خالص القلب والعقل والتصور والشعور والتكوين المجرد من كل المؤثرات غير منهج الله الممثل في القرآن .

أما وسيلته الى ذلك فقد كان القرآن وحده باعتباره النبع الذى يسقون منه ويتكيفون به ويتخرجون عليه مع وجود المؤثرات من حضارة الرومان وثقافتها وكتبها وقانونها الذى مازال في أوروبا ومن حضارة الإغريق ومنطقهم وفلسفتهم وفنهم الذى مازال نبع الغرب ومن حضارة الفرس وفنها وشعرها وأساطيرها وعقائدها ونظم حكمها وحضارات أخرى ، وكان للرسول (ﷺ) في اتخاذ ذلك المصدر وحده منهج مقصود وتصميم مرسوم كان نتاجه ذلك الجيل الفريد الذى ذكرنا أوصافه (١) . والذى رباه الرسول (ﷺ) تربية دقيقة عميقة ، ولم يزل القرآن يسمو بنفوسهم ويذكى جمرة قلوبهم ولم تزل مجالس الرسول (ﷺ) تزيدهم رسوخا في الدين وعزوفا عن الشهوات ، وتفانيا في سبيل مرضاة الله وحنينا الى الجنة وحرصا على العلم وفقها في الدين ومحاسبة للنفس يطيعون الرسول في المنشط والمكره وينفرون في سبيل الله خفافا وثقالا قد خرجوا مع الرسول للقتال سبعا وعشرين مرة في عشر سنين وخرجوا بأمره لقتال العدو أكثر من مائة مرة فهان عليهم التخلى عن الدنيا وهانت عليهم رزيئة أولادهم ونسائهم في نفوسهم ونزلت الآيات بكثير مما لم يألفوه ولم يتعودوه . وبكل ما يشق على النفس اتيانه في المال والنفس والولد والعشيرة فتنشطوا وخفوا لامتثال أمرها) (٢) .

وهذا الجيل الذى رباه الرسول (ﷺ) حتى اذا تيقن من ثمرة تربيته ونجاح غرسه لحق الرسول (ﷺ) بالرفيق الأعلى وقد ادى الأمانة ونصح الأمة وكشف الظلمة وأضاء الأرض بنور الله وهديه . وقد اقتضى الفتح الاسلامى وامتداده زيادة على طبيعة هذا الدين الجديد ـ أن يتعلم المسلمون القراءة والكتابة وأن تتسع حركة محو الأمية بينهم . وقد ساعدت عدة عوامل على انتشار القراءة والكتابة .

وازدهار الحركة العلمية أهمها اختلاط العرب بغيرهم مما جعل التعليم أمراً لازما لمواجهة الحياة الجديدة والحضارة الموعودة ، ومنها أن الاسلام قد جاء بدعوة تدعو الى اعمال العقل والتفكير في ملكوت الله وخلق الانسان ليصل بذلك الى الايمان بالله وقدرته وابداعه ووحدانيته وتدرج في هذا الخطاب بما يناسب عقلية العرب وتصوراتهم والمحسات المتعلقة بحياتهم (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الأرض كيف سطحت) (٣) (فلينظر الانسان الى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم

---

(١) راجع سيد قطب معالم في الطريق ص ١١ ـ ١٤ .

(٢) أبو الحسن الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٩٨ .

(٣) سورة الغاشية الآيات : ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ .

شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وابا متاعا لكم ولأنعامكم) (١) ٠

فكانت هذه الآيات ومثيلاتها في القرآن بواعث على اعمال العقل والنظر في الكون والتأمل فيه مما وجه الى أهمية التعليم كوسيلة الى المعرفة ، وارتفع المستوى العقلى في ذلك المجتمع وزادت الثقافة والمعرفة من القرآن مما زاد فى نفوسهم حب العلم والتطلع اليه ٠

يقول ابن سعد فى طبقاته عن مسروق من التابعين (شاممت أصحاب رسول الله فوجدت علمهم انتهى الى ستة ، الى عمر وعلى وعبد الله ومعاذ وأبى الدرداء وزيد بن ثابت) وهؤلاء يمثلون بعض رجال الطبقة الأولى في العلم ، ومع ذلك نجد بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نوعا من التخصص في العلوم فعبد الله بن عمر كان من أوثق رواة الحديث وأكثرهم دقة وتحريا لألفاظ الرسول صلى الله عليه وسلم بينما لم يكن والده على قرب صلته من الرسول (ﷺ) كذلك اذ كان ثاقب الفكر بعيد النظر في المشكلات الكبيرة خاصة في عهد الرسول (ﷺ) وأيام خلافته ، أما عبد الله بن عباس فكان رجلا متعدد المعارف واسع الثقافة فهو مفسر ومحدث وعالم باشعار العرب وأيامها والانساب والفرائض والمغازى كما كان مطلعا على التوراة والانجيل ، أما على بن أبى طالب فقد عرف بالحكم والاشعار والخطب والأدعية ورواية الحديث وحسن القضاء وأسباب النزول ٠

ولأن الرسول (ﷺ) كان يعلم أهمية العلم والتعليم فى تغيير سلوك القبائل المعتنقة للاسلام فقد كان يرسل من يعلمهم فقد أرسل الى اليمن والبحرين ومكة بعد فتحها والمدينة قبل الهجرة وتبعه فى ذلك خلفاؤه ، وكان لانتشار الصحابة في الأمصار الاسلامية أكبر الأثر في ازدهار الحركة العلمية وتكوين مدارس بها وتخريج جماعات نبغت علميا من التابعين من أمثال سعيد بن المسيب وشريح وعلقمة ومسروق ولم يقتصر الأمر على العرب بل نبغ كثير من الموالى وأبنائهم ممن وحد الاسلام بينهم وبين العرب من أمثال نافع مولى عبد الله بن عمر وراوى أحاديثه وسليمان بن يسار الذى كان والده مولى لميمونة أم المؤمنين وربيعة الرأى شيخ الامام مالك أما فى مكة فعكرمة مولى عبد الله بن عباس وراوى أحاديثه ومجاهد بن جبير مولى بنى مخزوم وعطاء بن رباح مولى بنى فهر وغيرهم كثير٠ وعرف في مصر يزيد بن حبيب مولى الازد وأستاذ الليث بن سعد وكان مفتى أهل مصر وهو من شمالى السودان من (دنقلا) وفى الشام مكحول بن عبد الله أستاذ الاوزاعى وفى الكوفة سعيد بن جبير وفى البصرة محمد بن سيرين والتى كانت أمه مولاة أبى بكر والحسن بن يسار مولى زيد بن

---

(١) سورة عبس الآيات : ٢٤ ـ ٣٢ ٠

ثابت ، أما من كانوا من أبوين أحدهما عربى والآخر عجمى فكثيرون منهم القاسم بن محمد ابن أبى بكر وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب . وعلى بن الحسين بن على بن أبى طالب (زين العابدين) وغيرهم كثير ، والمعروف أن التعليم كان يمارس فى عهد الخلفاء فى المساجد فقد أرسل عمر بن الخطاب لأهل البصرة من يفقههم كما كان يفعل الرسول (ﷺ) وأثر عنه قوله (علموا أولادكم السباحة والفروسية وروهم ما سار من المثل وحسن الشعر) (١) .

وكان التعليم فى عهد الخلفاء وقفا على القراء من حملة القرآن لانشغال الصحابة بأمر الدعوة وارساء قواعد الدولة الجديدة وفى ذلك يقول ابن خلدون : (ثم ان الصحابة كلهم لم يكونوا أهل فتيا ولا كان الذين يؤخذ عن جميعهم وانما كان ذلك مختصا بالحاملين للقرآن العارفين بناسخه ومنسوخه ومتشابهه ومحكمه وسائر دلالته بما تلقوه من النبى صلى الله عليه وسلم أو ممن سمعه منهم ومن عليتهم وكانوا يسمون لذلك القراء أى الذين يقرأون الكتاب لان العرب كانوا أمة أمية فاختص من كان منهم قارئا للكتاب بهذا الاسم لغرابته يومئذ وبقى الأمر كذلك صدر الملة ثم عظمت امصار الاسلام وذهبت الأمية من العرب بممارسة الكتابة وتمكن الاستنباط وكمل الفقه وأصبح صناعة وعلما فبدلوا باسم الفقهاء والعلماء من القراء) (٢) .

وقول سيدنا عمر السابق يدل على أن التعليم المنظم لم يكن موجودا فى صدر الاسلام وأن الآباء هم الذين كانوا يقومون بواجب التعليم زيادة على ما كان يتعلمه البعض فى حلقات المساجد حيث يجلس الأستاذ وحوله الطلاب يتلقون عنه فقد روى أن عبد الله بن عباس كان يجلس بفناء الكعبة والناس يسألونه عن تفسير القرآن وكان ربيعة الرأى يجلس فى مسجد رسول الله (ﷺ) ويأتيه مالك والحسن وأشراف أهل المدينة يحدقون به وحلقته وافرة وكذلك كان مجلس الحسن البصرى فى مسجد البصرة وقد يكون فى المسجد الواحد عدة حلقات ولم يكن التعليم وقفا على العلوم الدينية بل كانوا يعلمون فى المساجد الكيمياء والزجر والفأل (٣) ولا تجد سندا على أن المسلمين قد انشأوا مدارس خاصة للتعليم الى العهد الأموى وإنما اقتصر على المساجد والبيوت وتذكر الروايات أن تعليم الصبيان فى المساجد لم يكن مرغوبا فيه وربما كانت الكتاتيب قرب المساجد أو ملحقة بها ثم كان محور التعليم فى هذه المدارس القرآن ثم الأحاديث والأخبار وبعض الأحكام الفقهية والشعر .

---

(١) البيان والتبيين ـ الجاحظ ص ٩٢ ج ٢ .

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٤٤٦ م ١ ط دار البيان .

(٣) أحمد أمين : فجر الاسلام ص ١٦٥ .

وكان الاهتمام بالقرآن كما يقول ابن خلدون لأنه شعار الدين وأصبح القرآن أصل التعليم الذى ينبنى عليه ما يحصل بعد من الملكات وقد اختلفت طرقهم فى تعليم القرآن للولدان واختلافهم باعتبار ما ينشأ عن ذلك التعليم من الملكات فأما أهل المغرب فيقتصرون على تعليم القرآن فقط لا يخلطون ذلك بالحديث أو الفقه أو الشعر أما أهل الاندلس فيعلمون القرآن ورواية الشعر وتجويد الخط ، وأهل افريقية فيعلمون القرآن والحديث وقوانين العلوم وأهل المشرق فيخلطون في التعليم مع العناية بالقرآن وإفراد الخط بمعلميه (١) ومما سبق يتضح لنا أن التعليم اقتصر في عهد الخلفاء على تعليم القرآن الكريم ثم دعت دواعى حفظ اللغة مع انتشار الصحابة ومن دخلوا فى الاسلام الى الاهتمام باللغة ودراستها خوفا من ظهور اللحن فى القرآن الكريم فكان اهتمام أبو الاسود الدؤلى بقواعد اللغة أخذا عن سيدنا على أو بتوجيه منه ، وفي العهد الأموى توسعت الدائرة الى الاهتمام بالشعر والأدب والتاريخ والقصص فقد روى عن معاوية أنه كان يسهر الليل في سماع أخبار العرب وأيامها والعجم وملوكها وكان نتاج هذا الاهتمام بالتاريخ ظهور كتب السير والمغازى من جمع الأحاديث المتعلقة بهما كما انتشرت القصص التى بدأت في نهاية عهد عمر أو عهد عثمان وكان القاص يجلس في المسجد فيذكر الله ثم يسرد قصصا عن الأمم الأخرى تقوم كلها على الترغيب والترهيب ٠

ثم ظهرت العناية بعلم الحديث فى عهد سيدنا عمر بن عبد العزيز مما جعل الحديث يحتل مكانة كبيرة في المنهج الدراسى ولم تكن تلك بداية الاهتمام بعلم الحديث وتدوينه كما يرى البعض وأنما كانت بداية احتلال الحديث لمكانته في المنهج التربوى الاسلامى فقد بدأ العناية بعلم الحديث منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ٠ وعلى هذا نستطيع أن نقول : ان المنهج التربوى التعليمى الاسلامى في صدر الاسلام كان يركز على ثلاث مواد رئيسية هى :

١ ـ القرآن الكريم الذى توفى الرسول (ﷺ) وهو فى صحف مفرقة كتبها كتاب الوحى ثم تولى زيد بن ثابت جمعه من الصحف وصدور الرجال فى عهد أبى بكر ثم جمع سيدنا عثمان لجنة من الصحابة برئاسة زيد بن ثابت جمعت القرآن فى مصحف واحد نسخت منه نسخا أرسلت الى الأقطار الاسلامية ولأن العرب لم يكونوا يفهمون القرآن فى جملته وتفصيله كلهم فكانت الحاجة الى العناية بالقرآن حفظا وتفسيرا واشتهر بالتفسير جماعة من الصحابة منهم على بن أبى طالب وعبد الله بن عباس وابن مسعود وأبى بن كعب فى المرتبة الأولى ويليهم زيد بن ثابت وابن الزبير وأبو موسى الأشعرى وكان لهؤلاء المفسرين

---

(١) مقدمة ابن خلدون ٠

رواة من التابعين من أمثال عكرمة ومجاهد وابن أبى رباح ممن رووا عن عبد الله بن عباس ولم يتعد التفسير آنذاك الاقتصار على المعانى اللغوية أما استنباط الأحكام فقد ارتبط بالحركة الفقهية وظهور المذاهب الدينية ٠

٢ ـ أما مادة الحديث ، فكانت العناية به كما قلنا منذ عهد الرسول (ﷺ) الا أن تدوينه لم يكن يدون منه الا القليل وكان أغلبها في صدور الرجال مما جعل علم الحديث يتعرض الى كثير من الوضع وأشهر من روى عن رسول الله (ﷺ) وأكثرهم أبو هريرة وعائشة وابن عمر وابن عباس وجابر وأنس بن مالك ولكن الحديث بصورته التى وصلت الينا لم يدون في القرن الأول وقد فكر سيدنا عمر بن الخطاب في تدوينه الا أنه لم يفعل حتى جاء سيدنا عمر بن عبد العزيز فكتب الى عماله يطلب جمع حديث رسول الله (ﷺ) ويذكر البخارى أن أول من جمع الأحاديث الربيع بن صبيح وسعيد بن أبى عروبة كما صنف فيه مالك الموطأ بالمدينة والأوزاعى بالشام وسفيان الثورى بالكوفة وغيرهم ممن صنفوا في الحديث ٠

٣ ـ أما اللغة فقد أدت الفتوحات الإسلامية الى انتشار اللغة العربية فى البلاد التى دخل أهلها الإسلام والعوامل التى نتجت من اختلاط العرب بغيرهم الى ظهور اللحن فى اللغة والحاجة الى علم يضبط قواعد اللغة ويحفظها ويتعلمه الناس (وهجر الأمم لغاتهم وألسنتهم فى جميع الأمصار والممالك وصار اللسان العربى لسانهم حتى رسخ ذلك لغة فى جميع أمصارهم ومدنهم وصارت الألسنة العجمية دخيلة فيها وغريبة ثم فسد اللسان العربى بمخالطتها فى بعض أحكامه وتغير أواخره وإن كان يغني فى الدلالات على أصله وسمى لسانا حضريا فى جميع أمصار الإسلام) (١) ٠

وقد ذكرنا أن المساجد كانت أمكنة للتعليم كما هى للعبادة والقضاء والتخطيط للحرب ونشر الدعوة واستمر الحال على ذلك في القرن الثانى للهجرة أيضا واشتهر من المساجد الى جانب الحرمين الشريفين جامع المنصور فى بغداد وجامع دمشق الذى بناه الوليد بن عبد الملك وجامع عمرو بن العاص فى مصر والذى بنى عام ٢١ هـ ٠ ولم تقتصر الدراسة فيها على العلوم الدينية بل شملت العلوم اللغوية والأدبية أما الكتاتيب والكلمة مأخوذة من التكتيب وتعليم الكتابة فقد اقتصرت على تعليم الكتابة والقراءة ولم تظهر فى العهد الأول للإسلام فقد كان التعليم من واجب الآباء والمعلمين الخصوصيين ، ووصية سيدنا عمر تدل على ذلك ولم

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٣٧٩ ٠

يشجع المسلمون تعلم الصبيان فى المساجد لان الصبيان لا يحافظون على حرمة المسجد ونظافته ومع ذلك فقد كانت الحلقات الدراسية تعقد فى أركان المساجد ٠

وقد وضعوا أسسا للتعلم أهمها ما نسميه بالمفهوم الحديث استمرارية التعليم والحض على طلبه والاستزادة منه ومن ذلك ما رواه سعيد بن المسيب عن عبد الله بن عباس أن الرسول (ﷺ) قال : « من جاء أجله وهو يطلب علما ليحي به الاسلام لم تفضله النبيون الا بدرجة) (١) وسئل عمرو بن العلاء حتى متى يحسن المرء ان يتعلم ؟ فأجاب : مادام تحسن به الحياة ومما يدل على أن التعليم الأولى كان فى الكتاب ثم ينتقل الطالب الى المسجد ما روى عن الشافعى قال : (كنت يتيما فى حجر أمى فدفعتنى فى الكتاب ولم يكن عندها ما تعطى المعلم فكان المعلم قد رضى منى أن أخلفه اذا قام ، فلما ختمت القرآن دخلت المسجد فكنت أجالس العلماء (٢) وقد فرقوا بين العلم والتعلم باعتبار التعلم (نشاطا عقليا يمارس فيه الانسان نوعا معينا من الخبرة الجديدة التى لم يسبق أن مرت فى خبرته السابقة) (٣) ٠ وأن التعلم عملية لا تلاحظ مباشرة فى المتعلم إنما يستدل عليها من آثارها ونتائجها فى شخص المتعلم وسلوكه وافكاره ولذلك كانوا يقولون : إنما العلم بالتعلم وكانوا يرون التنوع والمرتبة والتدرج فى طلب العلم فقد روى عن ابن خالد الوالى قوله : كنا نجالس أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فيتناشدون الأشعار ويتذاكرون أيامهم فى الجاهلية (٤) وروى عن يونس بن يزيد قوله عن ابن شهاب (يا يونس لا تكابر العلم فان العلم أودية ولا تأخذ العلم جملة فان من رام أخذه جملة ذهب عنه جملة ولكن الشىء بعد الشىء مع الأيام والليالى) (٥) وقد اتخذوا أساليب مختلفة فى التعليم ومراعاة الفروق الفردية والجوانب النفسية فى التعليم ٠

أما فى العصر الأموى فقد تطور المنهج التربوى لعوامل عدة أولها اهتمام الخلفاء بالنواحى العلمية فقد عرف عن معاوية استدعاؤه فى مجلسه للأدباء والعلماء ليقرأوا له تاريخ العرب وأيامهم وتاريخ الفرس والروم وحكامهم ونظم ادارتهم ٠

أما العامل الثانى فهو استمرار الاهتمام بالعلوم الدينية وتفرق الصحابة فى الامصار حيث كونوا مدارس وتلاميذ ينقلون العلم عنهم من جيل التابعين وتابعيهم ٠

---

(١) القرطبى : جامع بيان العلم وفضله ص ١٣٦ ٠

(٢) المصدر السابق ص ١٣٠ ٠

(٣) د ٠ أحمد زكى علم النفس التربوى ص ٦٣٣ ٠

(٤) القرطبى جامع بيان العلم ص ١٣٩ ٠

(٥) المصدر نفسه ص ١٣٨ ٠

ثالثا : دخول عنصر الموالى فى الحياة العلمية بعد دخولهم الاسلام ومساهمتهم الفعالة فى تطور المنهج التربوى الاسلامى ٠

رابعا : ظهور المدارس المختلفة فى علوم الحديث والفقه واللغة فى المدينة المنورة والكوفة والبصرة ومصر وكان من أبرز علماء مدرسة الحديث والفقه محمد الباقر وإبنه جعفر الصادق وسفيان الثورى ومالك كما ظهر فى العراق مدرسة أبي حنيفة وعرفت مدرسة العراق بالرأى وأعمال القياس فى القرنين الأول والثانى وكثير من التابعين ينتمون اليها ومنهم الحسن البصرى ، ولم تكن المذاهب الأربعة قد تكونت فى القرن الأول ولكن ولد إمامان من الأربعة فى أواخر الدولة الأموية وهما الإمام أبو حنيفة الذى ولد عام ٨٠ هـ ومالك الذى ولد عام ٩٦ هـ ٠ وامتاز مذهبه باعتماده على الحديث وعمل أهل المدينة ٠

أما اللغة والنحو فقد ظهرت عدة مدارس أشهرها مدرستا البصرة والكوفة وقد اشتهر من الأولى عيسى بن عمر الثقفى أستاذ الخليل بن أحمد وسيبويه ويونس بن حبيب ، والأصمعى وغيرهم أما الثانية فعلى رأسها الكسائى والفراء وغيرهم ٠

وقد تطور منهج التعليم فى هذا العصر من حيث المحتوى فشمل الى جانب القرآن والحديث والفقه واللغة العلوم الطبيعية والرياضية وقد صاحب التطور فى المنهج تطور فى مفاهيم التعليم وطرق التعلم وأساليبه وكان من نتائج ذلك كله أن بدأت النظريات التربوية تتبلور وتتضح والمدارس التربوية تتميز وساعد على ذلك التطور الكبير فى ميادين العلوم المختلفة وانتعاش الحركة العلمية بظهور رجال نبغوا فى ميادين المعرفة المختلفة من أمثال الطبرى فى التاريخ والتفسير والجاحظ والمبرد والزجاج فى اللغة والأدب وفى ذلك يقول الكاتب الاميركى (دريبز) فى كتابه (النزاع بين العلم والدين) نقلا عن جيبون (كان أمراء المسلمين فى الأقاليم ينافسون الملوك ويناظرونهم فى رعاية العلم والعلماء وكان من نتيجة تنشيطهم وتشجيعهم للعلماء أن انتشر الذوق العلمى فى المسافة الشاسعة التى بين سمرقند وبخارى الى فاس وقرطبة ويروى عن وزير لأحد السلاطين أنه تبرع بمائتى الف دينار لتأسيس كلية علمية فى بغداد ووقف عليها خمسة عشر ألف دينار سنويا وكان عدد الطلبة فيها ستة آلاف لا فرق بينهم بين غنى وفقير فكان فيها ابن السيد العظيم وابن الصانع الفقير على السواء وكانوا يكفون التلاميذ الفقراء مئونة دفع اجر التعليم ويعطون الأساتذة مرتباتهم بكرم وسماحة وكانت المؤلفات الجديدة الأدبية تنسخ وتجمع سدا لحاجة أهل العلم ورغبة الأغنياء فى جمع الكتب) (١) ٠

---

(١) عطية الابراشى : التربية الاسلامية وفلاسفتها ص ٦٥ ٠

وقد صحب تطور المفاهيم التربوية ظهور المدارس التربوية لمدرسة الحديث والفقه وعلم الأصول والكلام والتصوف وغيرها ، وقد تحددت المفاهيم أول الأمر بالالتزام بنصوص الكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة أما فى القرن الرابع الهجرى فقد حدث الاختلاف فى الرأى بين الفقهاء والمحدثين فى حين رأى المحدثون الاكتفاء بالنظر فى تراث عصر النبوة والصحابة بينما رأى الفقهاء اعتماد ما تركه الأئمة فى مجال الفقه واتباع منهجهم فى البحث والدراسة اذ أن المحدثين اعتبروا التمسك بتراث الأئمة تقليدا وتحرجوا من اتباعهم كما استنكروا ظهور المذاهب واشتغال المؤرخين بالتاريخ دون الحديث كما اختلفوا فى طرق البحث والتحصيل العلمى فبينما يشترط المحدثون الرحلة والاسناد لم يشترط ذلك جماعة من الفقهاء زيادة على اعتبارهم ان جهود الفقهاء قامت على جهود المحدثين وهذه الانتقادات اثرت فى مفاهيم الفقهاء الذين استنكروا التقليد مع المحدثين وأباحوه للعامة لانهم لا بد من أن يقلدوا علماءهم ، وكان من نتائج ظهور هذه المدارس ظهور رجال اتضحت مفاهيمهم التربوية وتبلورت نظريات التربية الاسلامية فيما كتبوا وسنعرض لجهودهم واضافاتهم وآرائهم عندما نتحدث عن جهود رجال التربية الاسلامية .

أما القرن الخامس فقد تبلورت نظريته فى التربية على يد علماء الأشاعرة ـ الماوردى والخطيب البغدادى وأبو حامد الغزالى وساعدهم على ذلك ظهور التقليد ومعارضة الاجتهاد واتهام من يعمل عقله بالميل للمبتدعة ومشايعة الاعتزال وكان الحنابلة على رأس هذا الاتجاه المتحرج ومعهم عدد من رجال الفقه والحديث وقد أدى هذا الاتجاه الى انحسار التخصصات فى أطرها المذهبية والتراجع عن بعض المبادئ التربوية مثل الاستعدادات والميول للمتعلمين كما أصاب الضعف محتوى المنهاج وأساليب التربية والتعليم التى كانت سائدة مثل طرق الاسئلة والاملاء وطريقة السماع كما تأثرت علاقات المذاهب الفكرية اذ حل التعصب مكان التسامح واوقع كل فريق بالآخر فاضطهد العلماء وحدثت الفتن وظهر خطر الاسماعيلين الذين انشأوا الجامع الازهر ليكون مركزا لنشر الدعوة الشيعية الا أن السلاجقة قد تحالفوا مع مذاهب السنة فى مواجهة الخطر الاسماعيلى فى ميدان العقيدة والفكر (وان يختاروا من هذه المذاهب من يستطيع قيادة المعركة الفكرية والاشراف على مؤسسات التعليم ، ولم يكن هناك من يفوق الأشاعرة فى تلك المهمة والواقع أن استيلاء السلاجقة على السلطة فى بغداد فى منتصف القرن الخامس الهجرى قد كان بداية لانتصار أهل السنة على الشيعيين واتخذوا العلم وسيلة لمحاربة أفكار التشيع اذ أن الناس اذا تعلموا الدين الحقيقى فرقوا بين الحق والباطل وحرروا عقولهم من أوهام المضللين فانشأ (نظام الملك) مدرسة عرفت (بالمدرسة النظامية) وكانت نقطة الانطلاق فى الاتجاه لبناء مثل هذه المدرسة حتى عند من جاءوا بعد السلاجقة فقد

أنشأ (نور الدين زنكي) أول مدرسة فى دمشق كما أن الأيوبيين وضعوا حدا للحكم الشيعى فى مصر وأعادوا مصر الى السنة وأنشأوا المدارس التى أشاعت السنة واستمر انشاء المدارس بعد سقوط الأيوبيين وقيام المماليك بحكم مصر ·

وفى القرن الخامس ظهر ثلاثة من العلماء كانوا قمما فى مضمار التربية الاسلامية وتحديد أصولها وأهدافها ووسائلها منهم على بن محمد الماوردى (٣٦٤ ـ ٤٥٠ هـ) وأحمد بن على الخطيب البغدادى (٣٩٢ ـ ٤٦٣ هـ) وأبو حامد الغزالى (٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ) وقد حددوا هدف التربية بأنها إعداد الانسان للحياة الدنيا والآخرة وتربية العقول اذ أن الهدف من طلب العلوم عند الغزالى هو التقرب الى الله دون الرياسة والمباهاة والمنافسة ، أما من الناحية المنهجية فتأتى العلوم الدينية فى مقدمة المنهج ثم العلوم المهنية ولا بد للمتعلم من التزود بثقافة كاملة واطلاع على كل العلوم ثم التخصص وقد قسم الغزالى العلوم الى علوم محمودة ومذمومة ولكل منهما أقسام وأحكام ـ وسنتحدث بالتفصيل عن ذلك كله عندما نتحدث عن جهود هؤلاء العلماء واسهاماتهم فى ميدان التربية ·

واذا استعرضنا أهم الأمكنة التى قامت بمهمة التربية والتعليم فى القرنين الثالث والرابع نجد الجامع الأموى بدمشق والذى بناه الوليد بن عبد الملك وكانت حلقات الدرس فيه مختلفة اذ كان للمالكية فيه زاوية وكذلك للشافعية وكان للخطيب البغدادى حلقة يجتمع الناس اليه ليقرأ لهم دروسا فى الحديث ولم يقتصر المنهج فيه على العلوم الدينية بل شمل العلوم اللغوية والأدب والحساب والفلك والطلاب يفدون من كل مكان وكذلك جامع المنصور فى بغداد والذى بناه أبو جعفر المنصور وكان الكسائى يجلس فيه لتدريس علوم اللغة ، والجامع الأزهر الذى انشأه جوهر الصقلى واكتمل بناؤه ٣٦١ هـ · وأصبح منارة للطلاب من البلاد الاسلامية كلها حيث يدرسون علوم القرآن والسنة ·

أما المدرسة النظامية فى بغداد فقد تم بناؤها ٤٥٩ هـ · وهى تنسب الى منشئها الوزير العالم الفقيه نظام الملك الذى انشأ غيرها من المدارس فى كل البلاد وقد درس فيها الشيخ أبو اسحاق الشيرازى ·

أما المدرسة النورية الكبرى بدمشق فقد قال عنها ابن جبير (تبعد تلك المدرسة عن الجامع الأموى بدمشق بنصف ميل تقريبا ومساحتها ١٥٠٠ متر مربع بالتقريب · وبها بيت

خاص لمدرسى المدرسة وأهم مكان بها قاعة للمحاضرات وهى قاعة كبيرة تسع عددا كبيرا من الطلاب وبالمدرسة مسجد مفتوح لمن يرغب فى العبادة وهناك استراحة للمدرسين ومساكن للطلبة المقيمين بالقسم الداخلى ، ومسكن لخادم المدرسة ودورة للمياه ومخزن للأدوات الزائدة بالمدرسة ٠

ونلاحظ أن محتوى التعليم لم يكن متباينا بين التعليم فى المساجد والمدارس الا أن المساجد هى أماكن للعبادة ٠ ثم التعليم وأمور الناس بينما المدارس أعدت أساسا للدراسة واقامة الطلاب المغتربين وألحقت بها أماكن للصلاة ٠

أما في القرنين السادس والسابع الهجريين فقد تجمد مفهوم النظرية التربوية وضعف أمام تلبية حاجات المجتمع وذلك لأسباب عدة أهمها انتشار التعصب المذهبى بين المذاهب والجماعات والفتن والخصومة ، وقد ذكر ابن جبير أن أصحاب كل مذهب كانوا يؤدون صلاتهم منفردين في المسجد الحرام وكل يحرم للحج من مكان يختلف عن الآخرين وأدى التعصب الى ظهور مدارس خاصة بالشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة وانحصر المنهج فيما يتعصب المذهب اليه ثم سيطرت الدولة على التعليم لضعف العلماء وذهاب مكانتهم القديمة واستغلت سلطات الدولة توجيه التعليم لتثبيت أنظمتها وتكريس الولاء لها وتعيين المشايخ والمدرسين حسب ولائهم والتخطيط للمناهج التى تدرس وأنواع الكتب (١) وحدث الانفصال بين العلوم الدينية والطبيعية ٠

أما في القرون التالية للقرن الثامن (فلم تتمكن نظرية التربية الاسلامية أن تتحرر من الركود الذى أصابها في الفترة السابقة فأخذت ابتداء من القرن الثامن الهجرى في الجمود الذى استمر حتى مطلع القرن الحالى فلم تعد تتفاعل مع حاجات المجتمع وظروف التطور ، وانحسر مفهوم النظرية التربوية ليتخلص من قدرة الخلف على تزويد معارف السلف أو شرحها أو تلخيصها) (٢) ٠ ثم انحسر لذلك المنهج الذى اقتصر على العلوم الدينية وحدها والاكتفاء باختصار كتب السلف وشرحها وتدريسها ٠

وسنتحدث عند تفاصيل هذه الموضوعات التى أجملناها عندما نتحدث عن علماء التربية الاسلامية خلال العصور المختلفة في الأعداد القادمة إن شاء الله ...

---

(١) راجع تطور مفهوم النظرية التربوية ص ١٧٥ وما بعده ٠

(٢) ماجد سرحان : تطور مفهوم النظرية التربوية الاسلامية ص ٢٠٩ ٠

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ

الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ

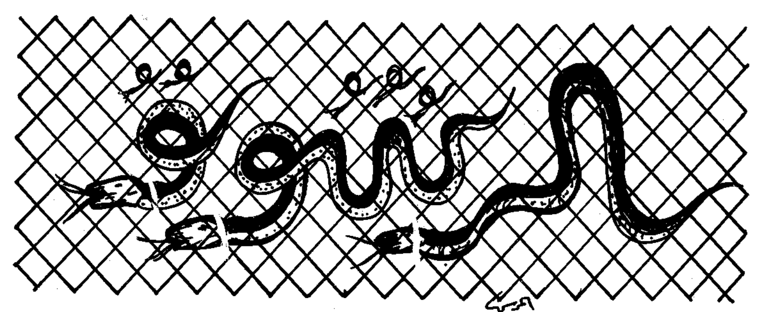
فِي أَهْلِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي

بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ

رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ

وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ.

(متفق عليه)



لفضيلة الشيخ عطية محمد سالم
القاضي بالمحكمة الكبرى بالمدينة المنورة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه ومن والاه ... وبعـــــــد :

فهذه عجالة فى موضوع الرشوة تلبية لطلب (الاعلام) لتقدم في حلقات (تلفزيونية) سطرتها كبحث ليساعد على تقديمها على حلقات . وبالله التوفيق ومنه العون والرشاد .

الرشـــوة لغـــة : -

قيل في المحاباة والجعل : قال صاحب القاموس الرشوة مثلثة الجعل ورشاه أعثاه وارتشى أخذها واسترشى طلبها والفصيل طلب الرضاع . والرشاء ككساء الحبل .

وزاد صاحب اللسان وهى مأخوذه من رشا الفرخ اذا مد رأسه الى أمه لتزقه .

قال ابن الأثير : الرشوة الوصلة الى الحاجة بالمصانعة وأصله من الرشاء الذى يتوصل به الى الماء . فالراشى الذى يعطى من يعينه على الباطل والمرتشى الآخذ والرائش الذى يسعى بينهما يستزيد لهذا ويستنقص لهذا .

ألفاظ مرادفة للرشوة : منها :

السحت والبرطيل :

والسحت لغة : الحرام أو ما خبث من المكاسب فلزم عنه العار - سمى بذلك لأنه يسحت البركة ويذهبها يقال : سحته الله أى أهلكه ويقال : أسحته ، وقرئ بهما في قوله تعالى (فيسحتكم بعذاب أليم) أى يستأصلكم ويهلككم .

واستدل له بقول الفرزدق :

وعض زمان يا ابن فروان لم يدع من المـال الا مستحثا أو مجلف .

وأصله كلب الجوع يقال فلان سحوت المعدة اذا كان لا يلقى أبدا الا جائعا قاله الفراء (١) .

ومما يشهد لهذا المعنى اللغوى ما ثبت في فقه اللغة من تقارب المعانى بتقارب الألفاظ والسحت متقارب مع السحق بالقاف وهو الدق والطحن بشدة وفيه الهلاك والتحطيم . وكذلك يشترك مع السحت السحب بالباء وفيه سحب المرتشى ويشترك مع السحر والرشوة فعل عمل السحر في نفسه . أما البرطيل : فقيل هو الحجر المستطيل وسميت به الرشوة لأنها تلجم المرتشى عن التكلم بالحق كما يلقمه الحجر الطويل وكما جاء في الأثر اذا دخلت الرشوة من الباب خرجت الامانة من الكوة (٢) . قاله ابن تيميه . وفي القاموس : الترطيل تليين الشعر بالدهن وتكسيره وإرخاؤه وارساله .

مناقشة تلك الأقوال :

ان قولهم في الرشوة هى المحاباة والجعل لا يخلو من نظر لأن المحاباة أعم فقد تحابى صديقك وتصانع ولدك . وبعض من يقرب منك أو تلزم مداراته لمروءتك أنت كعطاء الشعراء ونحوهم .

ويقرب من هذا ما فعله صلى الله عليه وسلم مع العباس بن مرداس السلمى حين سخط العطاء في غنائم خيبر وقال شعرا فقال صلى الله عليه وسلم : أقطعوا عنا لسانه فزاده حتى رضى .

وكذلك لما دخل رجل واستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عند عائشة رضى الله عنها فتلطف له ثم قال صلى الله عليه وسلم قولا وذلك عندما استأذن عليه قال : ائذنوا له فبئس أخو العشرة . وقال : إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس لشره . وهو صلى الله عليه وسلم بعيد ومعصوم عن شوائب الرشوة مما يدل على أن المصانعة والمحاباة ليست رشوة وأن تفسير الرشوة بذلك فيه نظر . وأن المصانعة تكون بمال وبغير مال .

أما الجعل فمعلوم أنه نوع من الإجارة وهو لا شك جائز بشروطه من بيان العمل المطلوب والجعل المجعول . وله باب في القصة معروف .

---

(١) أبو حيان .

(٢) المجموع جـ ٢٨ ص ٣٠٤ .

ولو سلمنا أن الرشوة نوع منه كجعل على باطل فان مسمى الجعل أعم من الرشوة وكذلك السحت : فقد فسروه بما هو أعم كقولهم هو الحرام · وقولهم هو ما خبث من المكاسب فلزم فيه العار فانه يشاركه الربا في الخبث ومهر البغى في لزوم العار ...... الخ ·

وهذا ما يجعلنا نقول : إنه تعريف للرشوة بالمعنى العام وسيأتى ايضاح المعنى الخاص بها عند الكلام على نصوص القرآن في الموضوع إن شاء الله ·

الرشوة في الاصطلاح : -

ومما يلزم التنبيه عليه هو أن ما لا يوجد له معنى دقيق في اللغة لا يتأتى وجود معنى دقيق له فى الاصطلاح لأن المعنى اللغوى أسبق في الوضع والاستعمال فاذا جاء الشرع نقل المعنى اللغوى الى الاستعمال الشرعى مع زيادة شروط ووضع قيود شرعيه ·

ومن هذا المنطلق اختلف في تعريف الرشوة اصطلاحا فقيل : -

أ - ما يؤخذ بغير عوض ويعاب أخذه ·

ب - وقيل كل مال دفع ليبتاع به من ذى جاه عوناً على مالا يحل · ذكرهما في فتح البارى (١) ·

جـ - وقال صاحب الإنصاف : الرشوة ما يعطى بعد طلبه والهدية ما يدفع اليه ابتداء (٢) ·

وهذا أيضا تعريف بالأعم لأن دفع مال لذى جاه ليبتاع به عونا · نوع من الرشوة وليس كلها لأن المرتشى قد لا يكون ذا جاه وقد يبتاع من ذى جاه ما يحل بالنسبة للراشى على ما سيأتى ·

وقولهم ما يؤخذ بغير عوض ويعاب أخذه فيدخل فيه المكس وحلوان الكاهن · وقولهم ما يعطى بعد طلبه فقد تقدم الرشوة قبل الطلب وقبل أن تدعو الحاجة اليها تمهيداً اليها ......

د - وأحسن ما عرفت به قول الجرجانى : ما يعطى لا بطال حق أو لإ حقاق باطل · وهذا التعريف الأخير أقرب ما يكون لمدلول القرآن له فان صحة المعنى هو ما يمكن أخذه من عرض القرآن وايرادها في مواطنها على ما سيأتى إن شاء الله ·

---

(١) جـ ٥ ص ٢٢١ ·

(٢) جـ ١١ ص ٢١٢ ·

وعلى كل فإن لما عرفوا به الرشوة لغة واصطلحوا عليه شرعا صلة كبيرة في الصورة والمنطلق · فالتكلم به إظهار للصورة بصفة عامة ·

الصلة بين المعنى اللغوى والمعنى الاصطلاحى : -

تقدمت الاشارة الى أنه لا بد من وجود صلة قوية بين المعنى اللغوى والاصطلاحى لكل مادة اذ الأصل في الاستعمال هو اللغة ثم يجرى نقل اللفظ الى الاصطلاح كما هو معلوم ·

وهنا جاء في التعريف اللغوى أن الرشوة مأخوذة من رشا الفرخ اذا مد رأسه الىأمه لتزقه ·

وهذه صورة صارخة لعمل المرتشى وبيان حقيقة وضعه في منتهى الضعف النفسى كالفرخ لم ينبت له ريش العاجز عن كسب قوته بنفسه يرى أمه يفغر لها فاهه لتخرج مما في حوصلتها وتفرغه في فمه يرد جوعته ·

ولو علمنا أن ما تلقاه بفيه انما هو بمثابة القىء تستخرجه أمه من حوصلتها لكان كافيا في التقزز من أكل الرشوة · فهو بهذا يجمع بين ضعف الشخصية وذلة النفس وحقارة الطبع ·

وهل يوجد أضعف شخصية ممن يبيع مبدأه وانسانيته ورأيه وما يعتقد صحته وينحرف الى طريق معاكس في كل ذلك ونظير ماذا نظير ما يستخرجه الراشى من جوفه ومن ضروريات مقوماته أو اضطراره للوصول الى حاجته ·

واذا جئنا الى الأصل الثانى وهو الرشاء الذى هو حبل الدلو ليستخرج به الماء من البئر العميق · فاننا نجد أيضا صورة التدلى من علياء العزة والكرامة الى سحيق الذلة والمهانة وينحدر من منعة الصدق الى هاوية الكذب ومن عفة الامانة الى دنس الخيانة وينزلق عن جادة الحق الى مزالق الباطل · وكأن الحاجة المقصودة عند المرتشى مغيبة بعيدا عن الراشى بعد الماء في عقر البئر لا وصول اليها إلا بالتدلى بالرشوة كتدلى الدلو برشاه ·

وبامعان النظر تجد أن حقارة المرتشى ومهانته تأتى أول ما تأتى من الراشى نفسه لأنه قاسه بمقياس الانسانية فوجده لا انسانية عنده وبمقياس الأمانة والدين فوجده خاليا منهما وما تقدم اليه بالرشوة الى بعد اليأس منه وإن ألان له القول وتلطف في السؤال وقد أحسن من قال في نظير ذلك وقريب منه ·

وإذا امرؤ مدح امرأ لسؤاله وأطال فيه فقد أراد هجاءه
لو لم يقدر فيه بعد المستقى عـــــند الورود لـــــما أطال رشاءه

وهكذا صاحب الحاجة لو لم يقدر عدم استجابة من هى عنده ولو لم يتوقع إعراضه عنه لما قدم له الرشوة ليستجيب اليه ٠

وكذلك الحال من جانب الراشى اذا لم يكن له حق فيما يطلب ولا طريق عنده للوصول لما يريد لمنعه منه وتحريمه عليه وعدم استحقاقه اياه ٠ فانه يعمد الى الرشوة ليتدلى بها متخفيا كتدلى الدلو ظلمة البئر حتى يصل الى ما يريد ٠

فظهر بهذا قوة الصلة بين المعنى اللغوى والمعنى الاصطلاحى للرشوة وكذلك السحت اذا كان أصله كلب الجوع وشدته فان الصلة قوية بينه وبين أكل الرشوة لأن من تعودها عياذا بالله فانه لا يشبع قط ولا يكف يده عنها من أى شخص فقير كان أو غنى ضعيف محتاج للمؤنه أو مستغن قوى ٠ انما همه هو أن يأخذ ويقذف في جوفه السحت لملء فراغه ولكن ذاك الجوف كالجحيم يقول هل من مزيد ٠

وكذلك البرطيل : لقد قيل إنه الحجر الطويل وانها لتسكت آكلها عن الحق كما يسكته الحجر ٠ وهذا معنى ظاهر ٠

ولكن ما قاله صاحب القاموس من أنه الترطيل تليين الشعر بالدهن وتكسيره وارخاؤه وارساله ٠ فان هذا المعنى أوضح لأن الراشى يلين الطريق لنفسه ويمهده كى يصل الى مطلبه بسهولة كمن يمر على شعر مدهون ومن جانب المرتشى فانه يلين الكلام معه وييسر الطريق له ويسترسل معه في باطله استرسال الشعر في اليد ويسترخى لسماع قول الراشى استرخاء الشعر المدهون الممشط أى إنه فقد شخصيته وأسقط ارادته واسترخى في دينه وأمانته واسترسل في باطله حيث أراده الراشى عياذا بالله ٠

نظرة في هذه الألفاظ : يعتبر بعض العلماء أن هذه الألفاظ ٠ رشوة : سحت : برطيل هى من قبيل الترادف الذى هو توارد الألفاظ على معنى واحد ومثل السيف والمهند والصمصام والبتار ٠ ومثل الأسد والهزبر ، والغضنفر ٠

ولكن المحققين من علماء اللغة ينفون الترادف في اللغة العربية ويقولون إن الترادف بمعنى وجود عدة صفات للمسمى وكل لفظ يكون ملحوظا فيه بعض تلك الأوصاف كالسيف مثلا للجنس مميزا له عن السكين وأنواع السلاح الاخرى ٠ والمهند يراعى جودة صنعه مثل المصنوع في الهند فعلا والصمصام يراعى فيه نوع حديده ومعدنه وهكذا ٠

وقد أيد شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ذلك ومثل له في قوله تعالى يوم تمور السماء مورا فقال : يقول العلماء المور الحركة من قبيل الترادف ولكن المور فيه معنى زائد على مطلق الحركة الا وهو كونها بسرعة · فالمور الحركة بسرعة ·

وعليه يمكن أن يقال هنا إن الرشوة والسحت يجتمعان ويفترقان ·

يجتمعان حينما يكون العمل محرما من الجانبين الراشى والمرتشى · فهو رشوة في حقهما كما في الحديث لعن الله الراشى والمرتشى · على ما سيأتى الكلام عليه فيما بعد ان شاء الله ·

وهو سحت في حق المرتشى يأكله سحتا · وينفرد السحت حينما يكون العمل محرما من جانب واحد وهو جانب الأخذ فقط فيأكله فيأكل ما أخذه سحتا · والله تعالى أعلم ·

الرشوة في القرآن الكريم : -

مأخذ النصوص على الرشوة في القرآن عند العلماء في ثلاثة مواضع ·

الموضع الأول : في سورة البقرة في أعقاب تشريع الصيام وقبل الفراغ منه وذلك في قوله تعالى : ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون) ·

والنص هنا على وضوحه فهو عام في النهى عن أكل الأموال بالباطل بأى صفة كانت · وخاص في الادلاء بها الى الحكام لأكل فريق من أموال الناس بالاثم · وهذا النص أقرب موضوعية الى الرشوة ولارتباط الرشوة بالرشاء في معنى الادلاء بها على ما سيأتى ايضاحه ان شاء الله ·

والموضعان الثانى والثالث : في سورة المائدة · أولهما عقب تشريع حد السرقة · وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم عن حزنه من الذين يسارعون في الكفر من المنافقين واليهود ثم جاء وصفهم بأكل السحت عاشر عشرة صفات ذميمة في قوله تعالى عنهم (سماعون للكذب أكالون للسحت) ·

وثانيهما موجه فيه الخطاب صريحا الى أهل الكتاب وهو أظهر في اليهود لمجيء صفاتهم الكاشفة بعد النداء · وذلك في قوله تعالى (قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا الا أن أمنا بالله وما أنزل الينا ......) الآية · وبعدها (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله

من لعنة الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت)الى آخر الآية الى قوله في نفس السياق ٠

(وترى كثيرا يسارعون في الاثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون) ٠ ثم نحا باللائمة على الربانيين والاحبار منهم في عدم النهى عن ذلك وخاصة السحت بقوله تعالى : (لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون) ٠

وفي هذا الموطن أيضا جاء وصفهم بأكل السحت عاشر عشرة صفات غاية في المذمة ٠ وبدراسة هذه النصوص في تلك المواضع الثلاثة بالتفصيل ستجد حقيقة معنى الرشوة ومعنى السحت وموضوع كل منهما وبالتالى خطورة وجودهما ومدى تحذير القرآن الكريم منهما وبأى صورة من صور القرآن من يتعاطى شيئا من ذلك ٠

دراسة النص الأول : -

النص الأول عن الرشوة في سورة البقرة في قوله تعالى : (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون) ٠

والمنهج العلمى الصحيح لدراسة نص في الموضوع ما يستلزم أخذ السياق كاملا ٠ بقدر المستطاع وهو هنا يبدأ من تشريع الصيام في قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ٠ ثم بين مدته أياما معدودات وزمنه شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس ٠

ثم تفضل بالرخصة عند المشقة بمرض أو سفر تيسيرا من الله تعالى ٠ ثم التقرب الى عباده السائلين والداعين ٠ وما أحل لهم مما كان محرما على من كان قبلهم من الأكل ليلا الى الفجر وجواز المباشرة ليلا ٠

وفي النهاية جاء هذا النهي ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ..... الآية ٠ وبعدها يأتى قوله تعالى (يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج .....) الآية وهنا يأتى السؤال لماذا آية النهى أكل أموال الناس بالباطل في أثناء مجىء آيات الصيام لان السؤال عن الأهلة وبيان مهمتها ألصق بالصيام لأنه أخر الحج في التوقيت كما قال فيه صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته ٠

والجواب على ما يظهر والله تعالى أعلم أنه لتمام الارتباط بين فريضة الصوم وبين تحريم أموال الناس . للآتى : -

أولا : لأن حقيقة الصوم الامساك عن المفطرات وهى أصلها حلالا طيلة نهار رمضان كله وهذا الامساك هذه المدة من شأنه أن يورث التقوى التى علل بها فرض الصوم لعلكم تتقون

فيأتى وبسرعة وقبل الفراغ من توابع تشريع الصيام ، شأن الهلال فيستوقف المسلم قائلا لئن صمت شهرا كاملا عن الحلال المتاح . فلا يصح منك أن تفطر بعد الشهر على أموال الناس بالباطل بل يجب عليك أن تضيف الى صومك الشهر عن الحلال صومك طيلة العام عن الحرام فلا تأكل أموال الناس بالإثم على علم منك وإصرار لأن هذا يتنافى مع التقوى التى هى ثمرة الصوم ولئن فعلت فكأنك ما صمت .

ولئن راعينا ما جاءت به السنة من صدقة الفطر وربطت بينها وبين الصوم لوجدنا لفتة كريمة وهى بمثابة التعبير العلمى عن التأثر بفريضة الصوم فعلا . أى كأن الصائم يقول نعم يارب إنه بعد صومى رمضان وتحصيل تقوى الله لم يبق لى تطلع الى أموال الناس المحرمة بل أنا أبذل من مالي لغيرى .

وحقيقة الذى يبذل من ماله تطوعا للغير ابتغاء مرضاة الله لا يرجع بيده الاخرى فيأخذ من مال الناس ما حرم الله .

وكذلك في السياق مغايرة في أسلوب الخطاب اذا جاء في الأول ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الخطاب الذى يجمعهم كفرد واحد وأمة واحدة وبعد الاثم والأكل بالباطل قال لا تأكلوا فريقا من أموال الناس . فأصبحوا أناسا متفرقين .

أى إن الصوم جمعهم وآخى بينهم ،والرشوة فرقتهم وباعدت بينهم وهذا في عموم أكل أموال الناس بالباطل ،وهو شامل لكل صورة من الصور سواء بالغش والتدليس وبخس الوزن والتطفيف والاختلاس والاغتصاب والسرقة والنهب وكل أنواع أكل المال بغير وجه حق وكذلك الربا والرشوة .

ولكن عطف الرشوة بخصوصها على ذلك العموم وهو ما يعلم عند المفسرين بشدة الاهتمام بهذا الخاص من بعض أفراد العام . كقوله تعالى (تنزل الملائكة والروح فيها) أى جبريل مع دخوله في عموم الملائكة لاختصاصه فيهم .

وقد صورها النص بصورة مطابقة لصورة الراشى والمرتشى بطرفيها حيث قال (وتدلوا بها الى الحكام) والادلاء ارسال الدلو الى ماء البئر · ولا يكون الا بالحبل وحبل الدلو يسمى رشاء فالرشاء والرشوة من مادة واحدة والمدلى هو الراشى · والمدلى اليه هو المرتشى وما في الدلو هو الرشوة ·

والغاية ليست الحصول على ماء طهور لشراب أو وضوء ولكن لنقضه من سحت واثم لاكل فريق من أموال الناس بالاثم عن علم وسبق اصرار · ولما كان التدلى نقيض الترفع فانه يمكن أن يقال : إن هذا النص يعطينا حكما على المرتشى بأنه تدلى من منعة العز الى هوة الذل · ومن رفعة الصدق الى سحيق الكذب ومن علياء العفة والأمانة الى حضيض ودنس الشره والخيانة وانزلق عن جادة الحق الى مزالق الباطل ·

وقد خصص هذا النص الرشوة في الحكام مع أنها ليست قاصرة عليهم ولكنها منهم أعظم خطرا وأشد فتكا لأنهم ميزان العدالة فاذا فسد الميزان اختل الاتزان واذا خان الوازن ضاع التوازن · ومن ثم ينتشر الفساد ·

وقد يكون يتعلق بالأحكام فيكون من ورائها تغيير حكم الله مما يخاف على صاحبه الكفر عياذا بالله اذا كان مستحلا لذلك أو مستهزئاً عافانا الله والمسلمين ·

وسيأتى لذلك زيادة ايضاح عند الكلام على بقية النصوص وفي الفصل الخاص بمضار الرشوة وقد يكون الحاكم عفيفا نزيها ولكنها تعطى الأطراف كشاهد وكاتب لوثيقة زورا وبهتانا أو لأى طرف له تأثير في الموضوع ·

النص الثانى جاء في سورة المائدة وكذلك الثالث وذلك في مسمى السحت الذى تقدم بيانه عند التعريف لغة واصطلاحا · وسنلم بكل منهما على حدة ·

أ ـ قال تعالى عن المنافقين واليهود : (سماعون للكذب أكالون للسحت فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين) ·

وعلى ما قدمنا من ضرورة أخذ السياق كاملا · وهو هنا من أول تشريع حد السرقة والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله ... الاية ثم توابع السرقة من توبة وحق الله تعالى في التشريع يأتى خطاب الله للرسول صلى الله عليه وسلم (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا) · ثم يصف أعمالهم بقوله : (سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم

يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا . ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا . أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزى ولهم في الآخرة عذاب عظيم . سماعون للكذب أكالون للسحت ...) الآية .

وبتأمل هذا السياق في عمومه والربط بين أوله وآخره لكانت أمامنا حقيقة ثابتة ظاهرة الا وهى :

أولا : أن المرتشى سارق .

ثانيا : أن يخشى الكفر عليه لمسارعته اليها تشبيها للمنافقين واليهود في مسارعتهم الى الكفر .

ثالثا : أن هذا من عمل المنافقين واليهود ففيه مشاركة لهم في الوصف .

رابعا : منهج المرتشين هو الكذب والسماع للكذابين .

خامسا : يأخذون من النصوص ما وافق أهواءهم وما لم يوافقها يحرفونه من بعد مواضعه .

سادسا : أنهم مفتونون فيما يأخذونه وما ينفذون من أعمال غير مشروعة .

سابعا : قلوبهم غير طاهرة دنستها الرشوة وأكل السحت .

ثامنا : لا يملك أحد لهم من الله شيئا . اللهم الا هم بأنفسهم اذا تابوا الى الله تعالى .

تاسعا : انهم في ذلة في حياتهم وأشد ما يكون مذلة أمام راشيهم .

عاشرا : ولهم في الآخرة عذاب عظيم .

أى أن آثار الرشوة ظاهرا وباطنا وعاجلا وآجلا .

نسأل الله تعالى السلامة والعافية .

ب : الموطن الثالث : -

قوله تعالى : وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون .

وبأخذ السياق من أوله أيضا تجده يبدأ من قوله تعالى (قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا الا أن أمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل وان أكثركم فاسقون قل هل

أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله : من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت · أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل واذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم ...) الآية · لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت ·

واذا كان قد ظهر لنا الربط في المواطن المتقدمة بين أول السياق وأخره فاننا هنا نجد أيضا أول السياق مقارنة بين من آمن بالله عقيدة بجميع ما يلزم ذلك الايمان وبما أنزل الينا شريعة بجميع ما يلزم ذلك التشريع من حلال وحرام وجائز وممنوع ·

وبين نقيضهم من أهل الكتاب وفي عرض تلك الصفات الذميمة واختتامها بأكل السحت نجده عاشر عشر صفات كلها مذمومة ومن خواص اليهود · بدأت بالحكم عليهم ·

أولا : بانهم شر مثوبة عند الله ·

ثانيا : قد باءوا باللعنة والغضب من الله تعالى عليهم ·

ثالثا : جعل منهم قردة ·

رابعا : جعل منهم خنازير ·

خامسا : وعبد الطاغوت بدلاً من عبادة الله تعالى وحده وأول ما يشمله كلمة الطاغوت هنا هو الحكم بغير ما أنزل الله وتغيير حكم الله ·

سادسا : وضعهم في شر مكان ·

سابعا : ضلالهم عن سواء السبيل ·

ثامنا : ابطان الكفر مع قولهم آمنا ·

تاسعا : مسارعتهم في الاثم والعدوان وهو كل ما كان باطلا في أصله ويوجب اثما لمرتكبه · والعدوان من لوازم الاثم لان الاثم لا يكون الا بالتعدى · وكذلك العدوان من لوازمه الاثم لأن كل عدوان لا يكون الا لما فيه اثم ·

عاشرا : وأكلهم السحت · وهذه هى النتيجة للعدوان والاثم بسبب أكلهم السحت · وتقدم قبل هذا ملازمة أكل السحت للكذب فالكذب والاثم والعدوان ملازمات لاكل السحت لا ينفك عنها لتحقيق غرضها والوصول الى هدفه وعدوانه ·

ثم في هذا السياق من زيادة في المنهج بيان من عليه مسئولية محاربة هذا الداء العضال ألا وهم الاحبار والربانيون · فالاحبار هم العلماء والربانيون هم من جمعوا بين العلم

والانارة · وهذا بيان في تخصيص لولاة الأمر أن عليهم القيام بنهى من تسول له نفسه بأكل السحت وقدم الربانيون لانهم أقدر على ذلك لما رجع لهم من الولاية والعلم وكما في الحديث ان الله ليزع بالسلطان ... الخ ·

الفرق بين الرشوة والسحت : ـ

لعلنا باستعراض المواطن الثلاثة في القرآن نجد أن الفرق بين الرشوة والسحت اذ في آية البقرة خاطب الله عموم الناس (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) وصورها بين طرفين أحدهما يدلى للآخر بالرشوة ليأكل فريقا من أموال الناس بالاثم ·

فيتحقق فيها ما دفع لإحقاق باطل أو إبطال حق · ففيها التعدى والحرم من الطرفين المدلى والمدلى اليه · وقد يكون منهما ثالث وهو الرائش بينهما كما جاء في الحديث على ما سيأتى ان شاء الله ·

أما في آيتى المائدة فانه جاء فيهما وصف اليهود والمنافقين بالمسارعة الى الاثم والعدوان والى سماع الكذب وأكل السحت · مما جعله أعم من كونه في رشوة بين اثنين أو أعم من ذلك · فقد يكون في غمط حقه عن صاحبه وقد يكون في تحريف الكلام من بعد مواضعه وقد يكون في أسباب جعل القردة والخنازير من بعضهم ·

ولعل هذا المعنى يتضح أكثر عند بيان حكم من اضطر الى دفع ماله لمفاداة نفسه أو عرض أو استخلاص حق ثابت له ان شاء الله ·

وخلاصة القول في هذا الفرق هو أن ما كان فيه اشتراك بين طرفين في ارتكاب الاثم فهو الرشوة لوجود راش ومرتشى ·

وما كان الاثم فيه من طرف واحد مع اضطرار الطرف الثانى فهو السحت ويشهد لهذا مارواه البيهقى (١) · بسنده عن مسروق قال سألت ابن مسعود عن السحت أهو رشوة في الحكم قال : لا (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) والظالمون والفاسقون · ولكن السحت أن يستعينك رجل على مظلمة فيهدى لك فتقبله فذلك السحت ·

الرشوة في نصوص الحديث : ـ

أظهر الأحاديث نصا في موضوع الرشوة حديث عبد الله بن عمر عند الخمسة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لعنة الله على الراشى والمرتشى · وحديث ثوبان

---

(١) جـ ١٠ ص ١٣٩ ·

عند أحمد بمعناه وزيادة والرائش · أى وهو الساعى بينهما يستزيد هذا ويستنقص هذا · وحديث أبى هريرة بزيادة في الحكم · رواه أحمد وأبو داود · وقد جعلوا منها هدايا العمال لما جاء في حديث ابن اللتبية بوب عليه البخارى قال باب هدايا العمال وساق بسنده أن النبى صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا من بنى أسد يقال له ابن الاتبية (أو اللتبية) على صدقة فلما قدم قال هذا لكم وهذا أهدى لى · فقام النبى صلى الله عليه وسلم على المنبر فحمد الله عليه ثم قال : ما بال العامل نبعثه فيأتى فيقول : هذا لك وهذا لى · فهلا جلس في بيت أبيه وأمه ينتظر أيهدى له أم لا · والذى نفسى بيده لا يأتي بشىء الا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته ان كان بعيرا له رغاء · أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر - ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتى ابطيه - الا هل بلغت ثلاثا · قال سفيان قصه علينا الزهرى وزاد هشام عن أبيه عن أبى حميد قال سمع أذناى وأبصرته عينى · وسلوا زيد بن ثابت فانه سمعه معى ·

وعند أبى داود قال : باب في هدايا العمال وساق فيه بسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال : يا أيها الناس من عمل منكم لنا على عمل فكتمنا فيه خيطا فما فوقه فهو غل يأتى به يوم القيامة · فقام رجل من الأنصار أسود كأنى أنظر اليه فقال يارسول الله أقبل عنى عملك · قال : وما ذلك ؟ قال سمعك تقول كذا وكذا · وقال وأنا أقول ذلك · من استعملناه على عمل فليأت بقليله فىء وكثيره فما أوتى منه أخذ · وما نهى عنه انتهى ·

وقال البيهقى أخرجه مسلم في الصحيح من أوجه عن اسماعيل · وفي سنن البيهقى بسنده عن أبى حميد الساعدى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هدايا الأمراء غلول » · ا هـ · ومعلوم أن الغلول جمع غل وهو الطوق في العنق · وذلك اذا كانت ممن لم يهد اليه من قبل أو كان لا يكافئ عليها · وكذلك ما أهدى لأهل العامل أو الوالى وساق البيهقى في سننه عن عبد الرحمن بن القاسم حدثنا مالك قال : أهدى رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من عمال عمر بن الخطاب رضى الله عنه نمرقتين لامرأة عمر رضى الله عنه فدخل عمر فرآهما فقال : من أين لك هاتين اشتريتهما أخبرينى ولا تكذبينى قالت : بعث بهما الي فلان · فقال : قاتل الله فلانا اذا أراد حاجة فلم يستطعها من قبلى أتانى من قبل أهلى فاجتبذهما اجتباذا شديدا · من تحت من كان عليهما جالسا فخرج يحملهما فتبعته جاريتها فقالت : ان صوفهما لنا ففتقهما وطرح اليها الصوف وخرج بهما فأعطى احداهما امرأة من المهاجرات وأعطى الاخرى امرأة من الأنصار ·

وروى عن عمر بن عبد العزيز أنه اشتهى يوما التفاح فلم يجد ما يشتري به من ماله وبينما هو سائر مع بعض أصحابه أهديت اليه أطباق من التفاح فتناول واحدة فشمها ثم رده

الى مهديه فقيل له في ذلك قال : لا حاجة لى فيه فقيل له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدية وأبو بكر وعمر فقال : إنها لأولئك هدية وهى للعمال بعدهم رشوة ٠

وقد جاء عن أحمد رحمه الله أنه إذا أهدى لقائد الجيش شيء فليس له وحده دونهم ٠

وقد ذكر ابن كثير في تاريخه أن جيش المسلمين لما ظفروا بالنصر على اقليم (تركستان) وغنموا شيئا عظيما أرسلوا مع البشرى بالفتح هدايا لعمر رضى الله عنه فأبى أن يقبلها وأمر ببيعها وجعلها في بيت مال المسلمين ٠

ومن أبرز ما جاء في أمر العمال والرشوة قصة عبد الله بن رواحة لما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليهود في خيبر ليخرص عليهم رواه مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث عبد الله بن رواحة الى خيبر فيخرص بينه وبين يهود خيبر ٠ فجمعوا له حليا من حلى نسائهم ٠ فقالوا له خذ هذا لك وخفف عنا وتجاوز في القسم فقال عبد الله بن رواحة يا معشر اليهود والله إنكم لمن أبغض خلق الله الى وما ذاك بحاملى على أن أحيف عليكم أما ماعرضتم من الرشوة فانها سحت وإنا لا نأكلها ٠ فقالوا : بهذا قامت السموات والأرض ٠

وقد منع العلماء قبول الوالى ومن في معناه هدية ممن لم يكن له عهد بالإهداء اليه ولو لم تكن له حاجة بالفعل عنده خشية أن تأتى له حاجة فيما بعد فيدلى اليه بما كان من هديته الأولى ٠ وقد وقع مثله لعمر رضى الله عنه كان رجل يهدى اليه رجل جزور كل عام فخاصم اليه يوما فقال : يا أمير المؤمنين اقض بيننا قضاء فصلا أى كما تفصل الرجل من سائر الجزور فقضى عمر وكتب الى عماله : الا أن الهدايا الرشا فلا تقبلن من أحد هدية ٠

دراسة تلك النصوص : ـ

بدراسة تلك النصوص تجد أول شيء التحذير الشديد والوعيد باللعنة عياذا بالله على أكل الرشوة وشملت ثلاثة أشخاص دافعها وآخذها والساعى بينهما بها ٠ كما تجد التنصيص على الرشوة في الحكم لما لهذا النوع منها من أكبر الخطر على صاحبه كما قال مسروق عن ابن مسعود أنه يخشى عليه الكفر وذلك لأنه قد يحكم بغير ما أنزل الله فيدخل تحت قوله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ...)

أما حديث ابن اللتبية فهو درس عملى من الرسول صلى الله عليه وسلم لكل من ولى عملا للمسلمين وأخذ فيه الهدية لأنها في واقع الأمر ليست بهدية خالصة وانما معها مراعاة حالة العامل . ومن ورائها انتظار ما يترجاه المهدى . وكما قال صلى الله عليه وسلم هل جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أيهدى له أم لا .

وهو سنة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم لولاة الأمور في محاسبة العمال وهو مبدأ من أين لك هذا وقد جاء في بعض رواياته (فحاسبه صلى الله عليه وسلم أى أمر من يحاسبه) .

ومحاسبة العمال ثابتة عن عمر رضى الله عنه كما جاء في الاصابة في تراجم الصحابة أن أبا هريرة كان عاملا لعمر على البحرين . فقدم بعشرة آلاف فقال له عمر أستأثرت بهذه الأموال فمن أين لك فقال : خيل نتجت وأعطية تتابعت وخراج رقيق لى فنظر فوجدها كما قال ثم دعاه ليستعمله فأبى فقال لقد طلب العمل من كان خيرا منك قال إنه يوسف نبى الله وأنا أبو هريرة بن أميمة وأخشى ثلاثا : أن أقول بغير علم أو أقضى بغير حكم ويضرب ظهرى ويشتم عرضى وينزع مالى .

ولعمر مع عماله مواقف عديدة وأمثلة مختلفة في هذا الشأن . وأصل ذلك كله من حديث ابن اللتبية وفعل الرسول صلى الله عليه وسلم معه .

وجاء نص حديث أبي حميد الساعدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هدايا الامراء غلول . وقد بين حديث أبى داود أن من كتم من العمال ولو مخيطا . أى ولو أقل شيىء قيمته قيمة المخيط . فهو غل يوم القيامة . وترى هذا التحذير قد أفزع بعض العمال فطلب إقالته .

أما أثر عمر فهو زيادة على رفض الهدية فانه قد بين للعمال وكل من حرمت عليه هدايا العامة أن يؤخذ من جهة أهله سواء زوجه أو ولده أو خادمه أو أى انسان مرتبط به ارتباط الأهل ولذا قال العلماء : لا ينبغى للقاضى أن يتولى الشراء لنفسه خشية المحاباة ولا يشترى له من يعلم أنه من طرفه حفاظا على القاضى من ريبة الرشوة .

عوامل تفشى الرشوة والبيئة التى تساعد على انتشارها

ما دامت الرشوة على غير العادة فان عوامل تفشيها هى أيضا عوامل غير عادية وأهمها وأساسها هو ضعف الوازع الدينى للاتى : -

١ - ما ظهر من ربطها بالصوم ·

٢ - ما ظهر من أنها من عمل المنافقين واليهود ·

٣ - ما ظهر من أن منهجها الاساسى هو الاستماع للكذب والمسارعة للعدوان والاثم ·

ثانيا : وقوع الظلم والجور في المجتمعات فيعمد العامة لدفعها خوفا على أنفسهم أو تشفيا فى غيرهم ·

ثالثا : عدم مراقبة العمال وأصحاب الولايات على الرعية من قبل المسئوليين فيتجرؤون على أخذ الرشوة في أعمالهم ·

رابعا : وجود خلل في نظام السلطة فلا يصل صاحب الحق الى حقه الا بها ·

خامسا : وجود الحاجة والفاقة فيعمد المحتاج اليها للوصول إلى أكثر مما له لسد حاجته وفاقته كما فعل اليهود في خيبر ·

أما البيئة التى تساعد على انتشار الرشوة فيها كالاتى : -

بما أن الرشوة داء مرض اجتماعى فهى كأمراض البدن تتفشى في البيئة القابلة للمرض مقدمتها البيئة الفقيرة في حالات الازمات ·

ثانيا : البيئة التى لم يتوفر لها الوعى العام فلم تدرك مضار الرشوة فيها · ولم يقو أفرادها على مجابهة من لهم عندهم حقوق في المطالبة بحقوقهم ·

ثالثا : البيئة التى فقد الترابط ووقع في أفرادها التفكك فلا يلوى أحدهم الا على مصلحته الخاصة ولو عن طريق الرشوة وعلى حساب الاخرين ·

واذا تصورنا عوامل تفشى الرشوة والبيئة التى تساعد على انتشار الرشوة فيها فانه بقى علينا تصوير وبسط نماذج مضار الرشوة وسط هذه العوامل · ومن خلال تلك البيئة ولو بايجاز ·

مضـــــار الرشـــوة :-

لاشك أن مضار الرشوة مما أجمع العقلاء عليها سواء على الفرد أو على المجتمع في العاجل أو في الآجل ولكن هذا الاجماع في حاجة الى تفصيل وأمثلة في بعض المجالات مما يزيد المعنى وضوحا وعليه سنورد الآتى على سبيل الأمثلة لا الاستقصاء والحصر · وفي البعض تنبيه على الكل ·

وأعتقد أن مضار الرشوة تتفاوت بتفاوت موضوعها واختلاف درجات طرفيها · فهى وان كانت داء واحدا الا أن الداء تختلف أضراره باختلاف محل الاصابة به ·

فالداء يصيب القلب غيره اذا أصاب اليد أو الرجل كالجرح مثلا فجرح القلب أو الدماغ قد يميت · وجرح اليد أو الرجل غالبا ما يسلم صاحبه ويبرأ جرحه · وإن ترك ألما أو أثرا في محله ·

والناس في هذا الموضوع منهم من هو بمثابة القلب والرأس والعين ومنهم من هو كسائر أعضاء الجسد وعليه فاذا كانت الرشوة في معرض الحكم فانها الداء العضال والمرض القتال · لأنها تصيب صميم القلب فتفسده فيختل في نبضاته ويفقد التغذية ويصبح غير أهل للحكم وقد نص الفقهاء أن الحاكم اذا أخذ الرشوة انعزل عن الحكم لأنها طعن في عدالته التى هى أساس توليته ·

ب : تفسد منهج الحكم في الأمة أيا كان منهجها فاذا كان يقتضى كتاب الله في بلد إسلامى فانها ستجعله يغير هذا المنهج ويحكم بهواه وهوى من أرشاه وهذا أشد خطرا عليه هو كما قال ابن مسعود إنه كفر مستدلاً بقوله تعالى : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) ·

جـ : يفقد المجتمع الثقة في الحكم فلا يعول أحد على منهج القضاء والتحاكم لأخذ الحق وعنئذ فلا يكون أمام المظلوم الا أن ينتقم لنفسه ولا عند صاحب الحق الا الاحتيال لأخذ حقه بيده ·

وفي هذا كله مافيه من فساد وفوضى مالا يعلم مداه إلا الله تعالى ·

د : وبالتالى ينقلب منهج الاصلاح الجماعى فبدلا من أن يتعاون الناس على البر والتقوى في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يكون على العكس من ذلك كله · وفي هذا

مضيعة للأمة كلها كما ضاعت أمة بنى اسرائيل كما قال تعالى في موجب لعنهم (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه · لبئس ما كانوا يفعلون) ·

هـ : اعطاء الفرصة والتمكين لكل مبطل ليتمادى في باطله فتسلب الأموال وتنتهك الأعراض وتسفك الدماء بدون أى مبالاة تعويلا على أنه سيعبر على جسر الرشوة دون أن يلقى جزاءه ·

و : ومن مجموع كل ذلك ستقع الفرقة والشحناء والتقاطع في المجتمع واذا جاوزنا مجال الولاة والحكام فاننا نجد بساحتهم وقريب منهم قرب الفم من الرأس كل من ولى أمرا للمسلمين فلم ينصح لهم حتى يرى كرشوة يعينه أو ينالها بيده · أو تظهر في نطاق عمله وان كان هو عفيفا لكنه تغاضى عنها بالنسبة الى من تحت ولا يته وفي استطاعته منعه منها ·

وذلك على حد قوله صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة قلنا لمن يارسول الله قال لله ولرسوله ولكتا به ولأئمة المسلمين وعامتهم · مع قوله صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه ... الحديث وقوله صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته · والمفاسد في هذا المجال عديدة : منها : -

أ : تعطيل الأعمال بغية بذل الرشوة ·

ب : وبالتالى تكديسها وعدم انجازها ·

جـ : يترتب عليه كساد العمل في البلدة وقلة الانتاج والمضرة على المجتمع بكامله ·

د : ذهاب قيمة هذا الجهاز بكامله أدبيا وخلقيا وقريبا من ذلك رسميا · وقد يؤدى الى تغيير في الجهاز · ويفشو في الناس أن الرشوة هى السبب فتكون مسبة وعاراً ·

ثالثا : ما يقع في الجمارك وعلى الحدود التى هى بمثابة الثغور فقد تكون سببا في ادخال ماهو ممنوع لشدة ضرره كالممنوعات الدولية من مخدرات ونحوها أو اخراج ماتمس الحاجة اليه ·

ففى الأول تمكن عملاء السوء من بث سمومهم في الأمة لافساد الا بدان وضياع الأديان بل وافساد الأموال · والعقول وما يجر فساد الفعل وراءه من ويلات وكل ذلك بسبب رشوة يدفعها لعامل الجمرك وفي الثانى حرمان الأمة مما هو من حقها أن ترتفق به وتتوسع في استعماله فيتيح الفرصة للمهربين وتحصيلهم مصلحة أنفسهم في اتجارهم في ضروريات الأمة ·

رابعا : قد تكون في إجراء تعاقد مع العاملين · فقد يتعاقد مع غير الأكفاء بسبب ما يقدمونه من الرشوة ويترك الأكفاء لتعففهم وعزة نفوسهم · واعتدادهم بكفاءتهم ·

وفي ذلك من المضار ما يفوت على الأمة الاستفادة من كفاءة ومعرفة الأكفاء ويمنحهم بمضار وعجز الضعفاء · ومجالات ذلك عديدة · فاذا كان في حقل التعليم أضر بالعلم نفسه وبتحصيل أبناء وطنه · وان كان في الطب فليس هو أقل من غيره ·

وكذلك في المجالات الأخرى ذات الطابع الفنى الذى يرتبط بالمجتمع وقد يكون في ارساء عطاء لمشروع أو في الاشراف عليه ·

فيتعاطف المرتشى مع الأقل كفاءة وامكانيات وأسوأ معاملة وتكون النتيجة على رأس المجتمع · فقد يكون مشروع اسكان أو مد جسور فينهار هذا أو ينكسر ذاك والضحية من المجتمع ·

وقد سمعنا على مثل هذا وأن مشروع الاسكان انهار قبل أن يسكن وقبل أن تستلمه الجهة المختصة فكيف تكون الحال لو سكن بالفعل · ومثل ذلك في الطرق والمنشآت الأخرى ·

خامسا : وقد تكون فى ابرام صفقة لسلعة لحاجة البلد فقد يقع التساهل في الصنف أو النقص في المقدار · وقد سمعنا عن صفقة حبوب فلما وصلت بلدها فاذا هى تالفة بالسوس · فهل تشترى دولة لنفسها حبوبا مسوسة أم أن الرشوة هى التى سوستها ·

وقد تكون السلعة سلاحا للدفاع عن الوطن والنفس والأهل والمال والعرض فيأتى إما غير صالح أو غير كاف ·

وقد سمعنا عن السلاح أول ما دخلت الجيوش العربية فلسطين فكان السلاح يرجع على المقاتلين · فهل كانت الأمة تبعث بأبنائها ليعود عليهم السلاح فيقتلهم فيقتلون بأيدى أنفسهم أم الرشوة هى التى قتلتهم ·

وقد تكون في افشاء سر للدولة أيا كان موضوعه فيقع على الأمة من الخسارة بقدر موضوع ذلك السر الذى أفشاه ·

فقد يكون عسكريا فيفوت الفرصة على الجيش أو يوقع الجيش في مهلكة ويمكن العدو منه ·

وقضية حاطب بن أبى بلتعة عندما هم بافشاء سر تحركات المسلمين الى مكة معروفة لولا أن تدارك الله المسلمين بمجئ جبريل عليه السلام بالجنود وتدارك الطعينة بالخطاب قبل أن تصل العدو ٠

كل هذا من المفاسد على عامة الأمة والمجتمع حكومة وشعبها ٠ وهناك المضار الفردية وهى بالتالى تعود على المجتمع لأن الفرد جزء منه ٠ وما يؤثر على الجزء يؤثر بالتالى على الكل ٠

تأثيرها على الفرد : ـ

أما تأثيرها على الفرد فان مرد ذلك على طرفيها الراشى والمرتشى ٠ وتقدمت الاشارة اليه في نصوص سورة المائدة من دنس القلب وذلة النفس وصغار المرتشى ٠

وأول ما يكون ذلك وصغاره عند راشيه وشريكه وقد جاء في بعض الاخبار أن شخصا ارتشى وباع سرا من أسرار بلده لملك من الملوك فجاء ليقبض ثمن خيانته وطلب لقاء ذلك الملك وظن أنه سيكرمه لقاء ما أسداه اليه من جميل ٠ فلما حضر طلب مصافحة الملك فأمر الملك بدفع الثمن اليه وقال له هذا ثمن عملك أما يدى فلا تصافح خائنا ٠

ب : أمانة الضمير في العاملين فلا يخلص في عمله ولا ينجز ما وكل اليه الا بأخذها ٠

جـ : اضعاف الكفاءات فلا يجهد المجد نفسه في تحصيل مقوماته الشخصية لثقته بالوصول الى مطلبه عن طريقها كما يعول بعض الطلاب على الغش في الامتحان أو بعض المشتركين في المسابقات للعمل يعول على ما سيوصله الى العمل المنشود عن طريقها وبالطرق التى يسلكها ٠

وكما أسلفنا نتائج كل ذلك انما هى على الفرد أولا ثم على المجتمع ثانيا ٠

ومن كل ما تقدم يظهر خطر تفشيها ومضار وجودها مما يحتم محاربتها ومعالجة المجتمع من دائها ٠

طريقـــة علاجهــــــا : ـ

طريق علاج أى داء انما تبدأ من تشخيصه ثم بمنع مسبباته ثم علاج أعراضه ومضاعفاته ٠

واذا كان التشخيص قد وضح فيما تقدم والأسباب قد وضحت والأغراض ملموسة والمضاعفات تتزايد فلم يبق الا منهج العلاج ·

ومن المعلوم أن المرض الشخصى يتحمل مسئوليته الشخص المختص به واذا كان جماعيا تتحمل الجماعة مسئولية التعاون على علاجه ·

والرشوة جمعت بين الأمرين الشخصى والجماعى · فعلى الجميع أفرادا وجماعات واجب التعاون على علاجها : وقد رسم لنا القرآن والحديث منهج العلاج ·

أولا : وقبل كل شيء القضاء على مسبباتها ليكون العلاج جذريا وأهم مسبباتها كما علمنا ضعف الوازع الدينى فيعالج بتقويته وتوعية المجتمع توعية دينية والتحذير من مضارها العاجلة والآجلة من مغبة الأكل الحرام وأثر السحت في النفوس والقلوب مما تقدم

ثانيا : الرقابة على الأجهزة التى تكون مظنة تفشيها في أوساطها حتى يحسبوا لذلك حسابا وهذا إن لم يمنعها كلية سيخفف من وطئها ·

ثالثا : مصادرة كل ما ثبت أنه أخذ رشوة سواء كان هذا المأخوذ مالاً أو عرضا أو أى عين مادية حتى تقلل طمع المرتشين وتسد الطريق على من تسول له نفسه بها كما فعل صلى الله عليه وسلم بابن اللتبية ·

رابعا : ما جاء في نص القرآن الكريم (لولا ينهاهم الربانيون والاحبار) · والربانيون هم ولاة الأمر العالمون بحدود الله والأحبار هم العلماء والمعلمون فيجتمع الوازع الدينى من العلماء والوازع السلطانى من الحكام ·

والله تعالى من وراء ذلك كله ·

الفرق بين الهدية والرشوة :-

ما تقدم أو من خلاله يظهر خيال في الأفق باسم الهدية ويتساءل من خالط هذا الباب عن الفرق بين الرشوة وبين الهدية ·

وقبل الاجابة عن الفرق الحقيقى نقدم مقارنة واضحة من حيث الموضوع ثم من حيث الحكم ·

لاشك أن المال أو العرض المدفوع هو بعينه فتارة يكون هدية مقبولة · وتارة يكون رشوة ممقوته ·

والفرق بينهما يظهر من موضوعه والغاية منه واتفق العقلاء أن الواحد بالجنس يكون بعض آحاده مشروعا وبعض آحاده ممنوعا ٠

كالسجود مثلا فهو جنس يشمل السجود في الصلاة والسجود للسهو سجود التلاوة وكله عبادة فهو جنس ٠ فاذا وقعت سجدة لله فهى عبادة وفريضة وهى مشروعة واذا وقعت سجدة لغير الله فهى شرك وممنوعة ٠ فالسجدة الأولى ليست هى نفسها السجدة الثانية ولكنهما من جنس واحد أو ان كانتا سجدتان متغايرتان في زمنين مختلفين بل الواحد بالذات يكون ممنوعا باعتبار مشروعا باعتبار آخر كما في حديث بريرة تصدق عليها باللحم ووضع على النار للطبخ ودخل صلى الله عليه وسلم وطلب الطعام فقدم اليه خبز وملح أو خل فقال ولم وأنا أرى البرمة على النار ؟ فقالوا هذا اللحم تصدق به على بريرة فقال هو عليها صدقة وهو لنا منها هدية فأكل منه ٠

فباعتباره صدقة حل لبريرة حرم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وباعتباره منها وبعد تملكه وإهدائها اياه بعينه لرسول الله صلى الله عليه وسلم صار حلالا وأكل صلى الله عليه وسلم منه ٠

ومن هنا نقول : إن الهدية مشروعة ومرغب فيها ولها أثر ضد أثر الرشوة لأنها تؤلف القلوب وتورث المحبة كما قال صلى الله عليه وسلم تهادوا تحابوا وبين أن الهدية تزيل أضغان النفوس ٠

بينما الرشوة على العكس تورث القطيعة وتوقع العداوة ٠ والهدية يدفع المهدى بطيب نفس تقديرا للمهدى اليه أو تطيبا لخاطره أو تأليفا له وكلها مقاصد حسنة وعن طواعية ٠ ولذا فهو لا يخفيها كما يخفى الراشى رشوته والمهدى اليه قد يكافأ عليها ان عاجلا أو آجـــلا ٠

بينما الرشوة يدفعها الراشى مكرها ويأخذها المرتشى متسترا ٠ وقد جاء الحديث لا يحل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفس وهو موافق للهدية معاكس للرشوة ٠ وكما في قوله تعالى : (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) أى عطية ومنحة ٠ (فان طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا) ٠ أى لطيب النفس به ٠

وقد روى عن على رضى الله عنه في الدواء أن تأخذ هبة من صداق زوجتك وتشترى به عسلا ٠ أى لاجتماع الشفاء به والنصوص في قبول الهدية أكثر من أن تورد هنا ويكفى اجماع المسلمين على قبولها ٠ وهناك ما هو أعم وهو كل عطاء بغير مسألة سواء قصد بذلك الإهداء والمحبة أو قصد به العطف والمساعدة ٠

كما في حديث عائشة رضى الله عنها عند أحمد والبيهقى أن عبد الله بن عامر بعث اليها بنفقة وكسوة فردته ثم استدعت الرسول بها وقالت انى ذكرت شيئا قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعائشة من أعطاك عطاء بغير مسئلة فاقبليه فانما هو رزق الله تعالى اليك ٠

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من عرض له من هذا الورق شئ من غير مسألة ولا اشراف نفس فليتوسع به في رزقه فان كان غنيا فليوجهه الى من هو أحوج اليه منه رواه أحمد والبيهقى واسناد أحمد جيد قوى (١) ٠ والنصوص في هذا المعنى من حلها وجوازها معلومة ٠ بينما الرشوة كما تقدم ٠ فالفرق بينهما هو عين الفرق بين الحلال الصرف ٠ والحرام البحت ٠

تحذير : وهنا يلزم التحذير الشديد من تسمية الرشوة باسم الهدية لأن من أكلها عالما بها أنها رشوة مستحلا اياها فانه يخشى عليه الكفر لأنه يدخل في عموم من استحل ما علم تحريمه بالضرورة ٠

والسؤال هو متى يكون العطاء هدية ومتى يكون رشوة ؟ -

والجواب أولاً وقبل كل شيء أن الأمور بالمقاصد بناء على حديث انما الأعمال بالنيات ٠ وحديث البر ما اطمأنت اليه النفس والإثم ما حاك في النفس وكرهت أن يطلع عليه الناس ٠

حديث وابصة بن معبد رضى الله عنه قال جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أتيت تسأل عن البر والاثم قلت نعم ٠ قال استفت قلبك البر ما أطمأنت اليه النفس واطمأن اليه القلب والاثم ماحاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك » ٠ وهذا بحمد الله مقياس واضح في نفس كل مسلم ٠

ولكن مع هذا أيضا فقد يتساءل البعض عن وجود فارق بين الرشوة والهدية ينتهى اليه كل انسان بل ونحكم نحن بمقتضاه على ما نقف عليه من غيرنا ٠ ومما يخفى على بعضنا ٠

---

(١) مخطوطة النابلسى ص ١٥٠ ٠

ولا بأس بهذا فقد جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم الجواب الكافى في قوله صلى الله عليه وسلم إن الحلال بين وإن الحرام بين و بينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه الا إن لكل ملك حمى الا وإن حمى الله محارمه الا وإن في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب ٠

ونلاحظ في هذا الحديث تأكيد الاسلوب بإن في الطرفين الحلال والحرام لوضوح أمرهما ومعرفتهما للجميع واهمال الواسطة بينهما عن التأكيد لغموضها ٠ وذلك لأن لا يعرفها كثير من الناس ٠

وعندنا هنا طرفان واضحان الهدية حلال مشروعة نافعة مرغب فيها ٠ والرشوة حرام ممنوعة ضارة منهى عنها ٠

و بينهما نوع من العطاء في صورة يتردد النظر فيها هل يلحقها بالهدية أم يلحقها بالرشوة ٠ من ذلك على سبيل المثال ٠

١ ـ تعاقدت مع انسان على عمل بقدر معلوم الى أجل معلوم فانجزه اليك قبل أجله أو قام به على أحسن ماكنت تتوقعه فطابت نفسك وأعطيته شيئا مقابل ذلك فلا بأس به لأنه يعتبر من ضمن الأجر ومن المكافأة على الاحسان بالاحسان وانما دفعت ما دفعته في مقابل نفع ذلك دون مضرة على غيرك وهو قدم اليك من المعروف ماليس واجبا عليه ٠ فكانت منكما معارضة احسان باحسان ٠

٢ ـ أعطيت انسانا لك عنده معاملة في جهة من الجهات وهو مسئول عنها وعن غيرها وذلك ليسرع لك في إنجازها ٠ أو هو من نفسه أسرع فى انجازها دون أن تعطيه فطابت نفسك عن شيء فأعطيته اياه ٠

وهنا ينظر في كيفية الاسراع لما أعطيته ابتداء منك هل كان على حساب تأخير معاملات الآخرين أم هو ضمن نطاق عمله وفي نطاق المعتاد ... ؟ فان كان على حساب تأخير الآخرين فهذا ألصق بالرشوة بل انك ستغريه وتدفعه الى تعطيل المعاملات الأخرى حتى يتقدم اليه أصحابها بمثل ما تقدمت أنت اليه به ٠

وان كان في نطاق عمله وليس على حساب تأخير معاملات الآخرين فلأى شئ دفعت · ولأى شىء هو أخذ · ولكنها أخف مما قبلها الا اذا كانت ستجعله يتطلع الى مثل ذلك منك أو من غيرك فتمنع سدا للذريعة ·

٣ ـ أشخاص يعملون في دوائر أو مكاتب مختلفة وتمر بهم معاملات لك وتأخذ طريقها مع غيرها بدون تمييز لها ولا تخصيصها باهتمام من أجل صاحبها وهو لا يقدم شيئا على تلك المعاملات لكثرتها أو لكثرة من تمر عليهم · ولكنه في المناسبات كالأعياد أو العودة من سفر ربما يقدم هدايا لبعض الناس أو يقدم مساعدات لبعض الأشخاص فقدم لهؤلاء مع غيرهم من حيث حاجتهم أو صداقتهم لكثرة التعامل معهم ·

وهنا يقال إن كان ما يهديه من هدايا أو يسديه من مساعدات من حيث الانفاق عليهم ومد يد المساعدة اليهم لقلة مرتباتهم وكثرة منصرفاتهم واعطاهم كما أعطى غيرهم فهذا أقرب الى الاهداء والمصانعة ·

ولكن لا ننسى ما قدمناه وهو مالم يكن ذلك لقصد انجاز عمله وتقديمه على عمل الآخرين · وكذلك مالم يكن ذلك في حسبان العامل واستشراف منه اليه ·

ولعل في هذه الأمثلة بعض الصور التى قد يقع الالتباس فيها على بعض الناس وقد رأينا فيها كلها أن العطاء عن طيب نفس ومن غير سؤال ولا استشراف نفس ·

ولكن هناك مجال آخر وهو ما اذا كان العطاء لا عن طيب نفس بل عن اضطرار ومن الجانب الآخر بطلب واصرار فماذا يكون الحكم بالنسبة لعطاء المعطى في حالات اضطراره وبالنسبة للأخذ في حالات سؤاله واضطراره ·

أقوال العلماء فيمن صانع بماله عند اضطراره

أولا : عند المفسرين وبايجاز : ـ

قال القرطبى عند آية المائدة : الأولى : (سماعون للكذب أكالون للسحت) وروى عن وهب بن منبه أنه قيل له : الرشوة حرام في كل شىء ؟ فقال لا : انما يكره من الرشوة أن ترشى لتعطى ماليس لك أو تدفع حقا قد لزمك ·

فأما أن ترشى لتدفع عن دينك ودمك ومالك فليس بحرام . قال أبو الليث السمرقندى الفقيه وبهذا نأخذ أن يدفع الرجل عن نفسه وماله بالرشوة وهذا كما روى عن عبد الله بن مسعود أنه كان بالحبشة فرشا دينارين . وقال : انما الاثم على القابض دون الدافع ..... هـ .

ثانيا : المحدثون : جاء في تحفة الأحوذى (١) على سنن الترمذى عند حديث أبى هريرة في لعن الراشى والمرتشى المتقدم ذكره قال : فأما ما يعطى توصلا الى أخذ حق أو دفع ظلم فغير داخل فيه وساق خبر ابن مسعود في الحبشة ثم قال وروى عن جماعة من أئمة التابعين قالوا : لا بأس أن يصانع الرجل عن نفسه وماله اذا خاف الظلم . وهذا نقلا منه عن ابن الأثير . ثم نقل عن صاحب المرقاة شرح المشكاة كلام الفقهاء عن ابن الأثير .

وكذلك الأخذ اذا أخذ ليسعى في اصابة الحق فلا بأس به . لكن هذا ينبغى أن يكون في غير القضاة والولاة لأن السعى في اصابة الحق الى مستحقه ودفع الظلم عن المظلوم واجب عليهم فلا يجوز لهم الأخذ عليه ... الخ .

وفي العارضة لابن العربى على صحيح الترمذى (٢) ما يقرب مما تقدم لفظا ويتفق معه معنى .

وعند الشوكانى (٣) : فيها نقاش طويل . من ذلك نقله عن المنصور بالله قول أبى جعفر وبعض أصحاب الشافعى أنه ان طلب بذلك حقا مجمعا عليه جاز ، قيل وظاهر المذهب المنع لعموم الخبر ..... الخ .

ثم ناقش هذا القول لعدم قيام دليل عليه ولعمومات النهى عن أكل أموال الناس بالباطل .

---

(١) جـ ٤ ص ٥٦٥ .

(٢) جـ ٦ ص ٨٠ .

(٣) جـ ٨ ص ٢٨٨ .

والملاحظ أن كل ما ذكره يصدق على الآخذ وهذا لا خلاف فيه انما البحث في الدافع أيضا · فهو يتفق مع الجمهور في تحريمه على الآخذ وخالف الجمهور في حق الدافع مع الاضطرار وهو محل البحث ·

كـــــلام الفقهـــــاء : ـ

الحنابلة : ابن قدامة في المغنى : يظهر أن ابن قدامة من أشد الناس في باب الرشوة وقد ذكرها في موضوعين الأول في باب الحج (١) في فصل امكان السير قال : فان كان في الطريق عدو يطلب خفارة فقال القاضى : لا يلزمه السعى وان كانت يسيرة لأنها رشوة فلا يلزم بذلها في العبادة كالكبيرة وقال ابن حامد ان كان ذلك مما لا يجحف بماله لزمه الحج لأنها غرامة يقف امكان الحج على بذلها فلم يمنع الوجوب مع امكان بذلها كثمن الماء وعلف البهائم ·

فتراه حكى القولين عنهما ولم يرجح ولكن في تعليله عند ابن حامد ما يشعر بموافقته عليه · بأن تجوز من المحق وتحرم على المبطل الذى يأخذها بدون حق ·

والموضع الثانى في آداب القاضى (٢) ـ فيما نقله قتادة عن كعب : وان رشاه ليدفع ظلمه ويجزيه على واجبه فقد قال عطاء وجابر بن زيد والحسن : لا بأس أن يصانع عن نفسه ، قال جابر بن زيد : رأينا في زمن زياد أنفع لنا من الرشا ولأنه يستنقذ ماله كما يستنقذ الرجل أسيره · فان ارتشى الحاكم أو قبل هدية ليس له قبولها فعليه ردها الى أربابها ·

وعند المالكية : قال في الشرح الصغير على أقرب المسالك (٣) ·

٣ ـ وفي المعيار سئل بعضهم عن رجل حبسه السلطان أو غيره ظلما فبذل مالاً لمن يتكلم في خلاصه بجاهه أو غيره هل يجوز أم لا ؟ فأجاب نعم يجوز صرح به جماعة منهم القاضى حسين ونقله عن القفال اهـ · ذكر في حاشيته التفصيل في الأخذ على الجاه التحريم مطلقا · والكراهة مطلقا · والتفصيل ان كان محتاجا الى نفقة وتعب سفر وأخذ مثل أجر مثله فلا بأس والا حرام ·

---

(١) ج ٣ ص ٢١٩ ·

(٢) جـ ٩ ص ٧٧ ـ ٢٧٨ ·

(٣) جـ ٣ ص ٢٩٤ ·

عنـــد الأحناف (١) : ـ

في فتح القدير شرح الهداية قسم الرشوة أربعة أقسام : الثالث منها أخذ المال ليسوى أمره عند السلطان دفعا للضرر أو جلباً للنفع وهو حرام على الآخذ لا الدافع ٠ وحيلة حلها أن يستأجره يوما الى الليل أو يومين فتصير منافعه مملوكة ثم يستعمله في الذهاب الى السلطان للأمر الفلانى وفي الأقضية قسم الهدية وجعل هذا من أقسامها فقال حلال من الجانبين كالاهداء للتودد ٠ وحرام من الجانبين كالاهداء ليعينه على الظلم ـ حلال من جانب المهدى حرام على الآخذ وهو أن يهدى ليكف عن الظلم والحيلة أن يستأجره ...... الخ ٠

ونبه على أن هذا اذا كان فيه شرط بينهما أما اذا كان الاهداء بلا شرط ولكن يعلم يقينا أنه انما يهدى اليه ليعينه عند السلطان فمشى بحثا على أنه لا بأس به ، ولو قضى حاجة بلا شرط ولا طمع فأهدى اليه بعد ذلك فهو حلال لا بأس به ٠

الرابع ما يدفع لدفع الخوف من المدفوع اليه على نفسه وماله حلال للدافع حرام على الآخذ لأن دفع الضرر عن المسلم واجب ولا يجوز أخذ المال ليفعل الواجب ا هـ ٠

وعند الامام ابن تيمية رحمه الله في المجموع أى مجموع الفتاوى في موضعين الأول منهما جـ ٢٩ ص ٢٥٨ أثناء الجواب على المطعومات التى تؤخذ عليها المكس ومحتكرة هل يحرم شراؤها ٠

وبعد تفصيل طويل قال ألا ترى أن المدلس والغاش ونحوهما اذا باعوا غيرهم شيئا مدلسا لم يكن المشترى حراما على المشترى لأنه أخذ منه أكثر مما وجب عليه ٠ وان كانت الزيادة التى أخذها الغاش حراما عليه وأمثال هذا كثير في الشريعة ٠ ثم قال مبينا قاعدة فقهية ٠ بقوله : فان التحريم في حق الآدميين اذا كان من أحد الجانبين لم يثبت في الجانب الآخر ٠ كما لو اشترى الرجل ملكه المغصوب من الغاصب ٠ فان البائع يحرم عليه أخذ الثمن ٠ والمشترى لا يحرم عليه أخذ ملكه ٠ ولا بذل ما بذله من الثمن ٠ ثم حكى أقوال العلماء في خصوص الرشوة فقال : ولهذا قال العلماء : يجوز رشوة العامل لدفع الظلم ـ لا لمنع الحق وارشاده حرام فيهما ٠ يعنى في الأمرين الذين هما دفع الظلم أو منع الحق ٠

---

(١) شرح الهداية جـ ٥ ص ٤٥٥ فتح القدير ٠

ثم قال وكذلك الأسير والعبد المعتق اذا أنكر سيده عتقه ومثل كذلك بالزوجة يطلقها زوجها فينكر طلاقها · فكل منهما يفتدى نفسه بالمال ليحق حقا وهو العتق والطلاق ومعلوم أنهما حق لله تعالى والا بقيت الزوجة على غير عصمة ·

ولذا تجد الفقهاء في مثل ذلك قالوا : لا تمكنه من نفسها باختيارها لتكون في حكم المغصوبة ·

واستدل رحمه الله في هذا المبحث بالأثر عنه صلى الله عليه وسلم انى لأعطى أحدهم العطية ، فيخرج بها يتلظاها نارا قالوا يارسول الله فلم تعطيهم ؟ قال : يأبون ألا أن يسألونى ويأبى الله له البخل ·

وقوله : ومن ذلك قوله (مارقى به المرء عرضه فهو صدقة) فلو أعطى الرجل شاعرا أو غير شاعر لئلا يكذب عليه بهجو أو غيره كان بذله لذلك جائزا · وكان آخذ ذلك لئلا يظلمه حرام وساق كلاما طويلا في ذلك المقام ·

الموضوع الثانى : في مجموع الفتاوى أيضا جـ ٣١ ص ٢٨٥ في جواب عن سؤال في هدايا الأمراء لطلب حاجة أو التقرب منهم ..... الخ ·

فبدأ جوابه بحديث أبى هريرة عن أبى داود وابن ماجه قال من شفع حبة الشفاعة فأهدى له هدية فقبلها فقد أتى بابا عظيما من أبواب الربا ·

وساق تحريم الرشوة ثم قال فأما اذا أهدى له هدية ليكف ظلمه عنه أو ليعطيه حقه الواجب كانت هذه الهدية حراما على الآخذ وجاز للدافع أن يدفعها اليه ·

وذكر الأثر الأول في عطائه صلى الله عليه وسلم عن ملح في مسألة المتقدم ابداءه وذكر أيضا موضوع العتق والطلاق من أسر خيرا وكان ظالما للناس فأعطوه جاز للمعطى حرام على الآخذ · وساق كلاما طويلا في هذا المعنى ·

أكذوبة شعب الله المختار

بقلم الأستاذ معالى عبد الحميد حموده
عضو جمعية الأدباء بالقاهرة

من فضائل الحياة القويمة التى يزرعها الدين في سلوك الإنسان أنه ينهاه عن الكذب أيا كانت الأحوال ... والكذب كما نعرف شىء من نقائص البشرية الخطيرة التى تلحق بصاحبها الضرر وبالمجتمع كذلك .

ولقد أنزلت الكتب السماوية من عند الله تعالى إلى أنبيائه عليهم جميعا الصلاة والسلام بقصد الأمر بعبادة الله تعالى والحث على الخلق القويم وإتيانه ، والتزام الصدق في كل أحوال الحياة باعتبار أن الصدق فضيلة من أعظم الفضائل ، وأن الكذب نقيصة كبيرة من أعظم النقائص إن لم تكن أعظمها .

وقد كان النهى عن الكذب مدونا في التوراة - الأصلية وليست المتداولة المحرفة - وكذا كان النهى عن الكذب موجودا في انجيل عيسى عليه السلام - وليس الأناجيل المتداولة المحرفة - ثم في القرآن المجيد كتاب الله تعالى الذى تولى حفظه من النسخ والتحريف والتبديل والتزييف والإضافة والتعديل .

إلا أن العصر الحديث شهد وعلى فترات كثيرة أكاذيب لا يستطيع المرء منا أن يتركها دون أن يتحدث عنها ، مفندا لها كاشفا لزيفها . ومن أشهر أكاذيب القرن العشرين أن اليهود يقولون عن أنفسهم أنهم شعب الله المختار .

وقبل أن نكشف أفعال شعب الله المختار هذا ، يحسن بنا أن نتعرف على معنى عبارة شعب الله المختار والظروف التى دفعت إلى ترديد هذه الأكذوبة .

إن المعنى الخاص والعام الذى يترسب في الأذهان أن شعب الله المختار على الأقل تكون أوصافه :

١ ـ شعب ارتبط بالله عز وجل ومن ثم فيكون أعظم الشعوب ٠

٢ ـ أنه تم اختيار هذا الشعب دون الشعوب والأمم كلها لامتيازات خاصة ٠

٣ ـ أنه ترتيبا على ما سبق فإن تفضيل الشعب المختار كان على الأجناس الماضية والحالية واللاحقة ٠

٤ ـ أنه جماع لهذا كله يكون الشعب المختار شعباً عظيماً ... له كيان .. له شريعة ... له خلق قويم .. له حضارة .. عنده كتاب مقدس يحيا به .. عنده أوامر ونواه من الله وأن يكون لهذا الشعب تاريخ نظيف في تعامله مع السماء ...

هذه هى التعريفات المحددة للشعب المختار .. وننظر ونحن نفند أكاذيب اليهود ، هل هذه الأشياء تنطبق على اليهود أم لا ؟؟

مصادر أكذوبة شعب الله المختار

يعتمد اليهود في ترويج الأكذوبة الفاضحة من أنهم شعب الله المختار على عدة نصوص في التوراة المتداولة المحرفة ، من المفيد أن نتعرف على تلك النصوص مع توضيح أن البحث العلمى والتاريخى أثبت أن التوراة الموجودة حاليا لا علاقة لها مطلقا بالتوراة الأصلية التى أنزلها الله رب العالمين على موسى بن عمران عليه السلام ..

يزعم اليهود أن الله تعالى ميزهم عن الناس طبقا لما تقوله نصوص التوراة المتداولة المحرفة :

(أنا الرب إلهكم الذى ميزكم عن الشعوب تكونون لى قديسين لأنى قدوس أنا الرب وقد ميزتكم عن الشعوب لتكونوا لى   لاويون ٢٠ : ٢٤ ـ ٢٦

(إنك يا إسرائيل شعب مقدس للرب إلهك ، إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق بكم الرب واختاركم ولا لأنكم أقل من سائر الشعوب بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذى أقسم لآبائكم   التثنية ٧ : ٦ ـ ٨

(ويؤخذ من النص الأخير أن السبب الرئيسى لجعل اليهود ـ كما يزعمون ـ شعب الله المختار هو محبة الله لهم وسوف نناقش هذه المحبة المزعومة بعد أن نستكمل توضيحا للمصادر التى منحتهم لقب شعب الله المختار) .

المصدر الثانى الذى يرتكز إليه اليهود هو نصوص التلمود ... والتلمود كما سبق وعرفّه العلم الحديث ما هو إلا مجرد كتاب إرهابى وضعه زعماء اليهود القدامى العنصريين واتخذوه أكثر من الكتاب الدينى الذى يدينون به .. بل إنه جاء في التلمود أنه من يستمع للتوراة دون التلمود فلا إله له ..

ففى التلمود نقرأ :

(الاسرائيلى معتبر عند الله أكثر من الملائكة ..) .

(اليهودى جزء من الله) ـ تعالى عما يقولون ـ .

(الفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو بقدر الفرق بين اليهودى وغير اليهودى) .

(الشعب المختار هو اليهود فقط أما باقى الشعوب فهم حيوانات) .

هذا ما ذكرته مصادرهم التى يطلق عليها التوراة والنصوص التى نقلنا بعضا منها من كتاب التلمود ...

بيد أن المأساة تكمن في بعض العبارات الاصطلاحية التى ذكرها بعض اليهود للتعبير عن سبب اختيار الله لهم كما زعموا ليكونوا شعب الله المختار ... وتلك العبارات تبعث على السخرية والمرارة فالباحث (آرثر هيرزبيرج) يقرر أنه في سيناء عندما تجلى الله لموسى ولبنى اسرائيل تم زواج بين الله واسرائيل .. وسجل عقد الزواج بينهما وكانت السماوات والأرض شهودا لهذا الزواج .. وفيما يلى نص كلمات الكفر للباحث اليهودى كما وردت في كتابه :

Judaism : Ed . by : Arthur Hertzberg

« There are a number of exambles in Jewish literature of a marriage contract between God and Israel . With Heaven and Earth as Witnesses . »

تلك تقريبا كل النصوص التى يستند إليها اليهود في مزاعمهم التى يقولون عنها أنهم شعب الله المختار .

ولنناقش هذه النصوص وغيرها لنصل إلى أنهم حقا لا صلة لهم بالله عز وجل ، فهم لا يعترفون بأى قيم أو مبادئ أو خلق .. وليس لهم حضارة ولا تاريخ مجيد مشرف .. فتأثير اليهود في الحضارة كما قال الأستاذ جوستاف لوبون في كتابه (اليهود في الحضارات الأولى) صفر ، وأن اليهود لم يستحقوا بأى وجه من الوجوه - كما قال المؤرخ العالمى - أن يعدوا من الأمم المتمدنة .

فعن نصوص التوراة أثبت الباحث العلمى والتاريخى - خاصة بحوث دائرة المعارف البريطانية ودائرة المعارف الفرنسية الكبرى - لاروس - أن التوراة الحالية المتداولة لا علاقة ولا ارتباط بينها وبين التوراة التى أنزلها الله عز وجل على نبيه موسى عليه السلام ومن ثم فإن أول الأسس التى ارتكز إليها اليهود أساس منهارٌ لاقائمة له فلا يؤخذ به مطلقا .

وعن المصدر الثانى وهو التلمود فمفهوم أن التلمود كتاب إرهابى وضعه بعض الزعماء من بنى إسرائيل القدامى وضمنوه تعليمات وأوامر بهدف السيطرة على عقول اليهود وغير اليهود ، ذلك التلمود وضع هؤلاء الزعماء ، ومن ثم فهم أحرار في أن يكتبوا فيه ما يريدون ، ولكن ليس من حقهم فرض صحة هذا الكتاب على العالم ، لأن التلمود كتاب مزعوم مزيف ، كما لم يثبت عن موسى عليه السلام مطلقا أنه أوحى إليه التلمود كما أن التلمود يحوى من المخالفات والفواحش مالا يقبله عاقل . ومن ثم وجب اسقاطه تماما من الاعتبار عند الفحص والتقييم .

أما المصدر الثالث فهو عبارات ذلك المخبول المدعو (آرثر هيرزبيرج) الذى زعم عليه اللعنة أن زواجا تم بين الله - تعالى عما يقولون - واسرائيل في صحراء سيناء ، فقول ذلك المخبول الساقط لهو والكفر والالحاد والزندقة الذى نطق به أحد أبناء (شعب الله المختار) .

أين اذن المصادر الشرعية التى تثبت أن بنى اسرائيل .. هم شعب الله المختار ؟ ثم لنا أن نتساءل بكل الوضوح أين تاريخ هذا الشعب ؟؟ وما هو أصله ونسبه وهويته ؟؟ وأين ديانته ؟؟ وماذا فعلوا بالتوراة الحقيقية التى أنزلها الله عز وجل عليهم ؟؟ وأين هى الشريعة اليهودية الحقيقية ؟ وأين مجد اليهود وأين حاضرهم وماضيهم ؟؟

ان المستقرئ للقرآن العظيم يجد أخبارهم كلها منذ بدء ظهورهم إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها .. ومن ذلك الاستقراء يتضح أنه ما من لحظة واحدة في تاريخهم يستحقون أن يلتفت الله سبحانه لهم أو يعنى بهم .. فماضيهم معروف .. وحاضرهم ليس أقل

سوءاً من ماضيهم ، أما مستقبلهم ولو أنه في علم الغيب ـ ولا يعلم الغيب الا الله ـ فإن الله لعنهم لعنا دائما إلى يوم القيامة .

أو نصدق أنهم شعب الله المختار وهذا حزقيال في التوراة المتداولة يذكر ظهور الشعب اليهودى وأوائله الهزيلة فيقول مخاطبا تلك الأمة العاقة قائلا باسم الاله :

(ومن جميع أرجاسك وفواحشك لم تذكرى أيام صباك .. فلذلك أقضى عليك بما يقتضى على الفاسقات وسافكات الدماء) ؟

أو نقول عنهم أنهم شعب الله المختار ونحن نقرأ في الإنجيل المتداول ما نسب للسيد المسيح عليه السلام (لم أرسل إلا الى خراف بنى إسرائيل الضالة) ؟

أو نقول عنهم أنهم شعب الله المختار وهم سبوا الأنبياء جميعا سباً لم يحدث من قبل ، فهم في توراتهم المتداولة التى كتبوها ألصقوا بالأنبياء الفاحشة كما يلى :

ـ في سفر التكوين الباب ٩ من ١٨ / ٢٥ قرأنا أن نوحا عليه السلام شرب الخمر ثم سكر ثم تجرد من ملابسه وأصبح عاريا وبدت عورته لأحد أبنائه .

ـ في الباب الثانى عشر من سفر التكوين من ١١ / ١٣ أن الخليل نبى الله سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام قيل عنه أنه كذب .

ـ وفي سفر التكوين الباب التاسع عشر من ٣٠ / ٣٨ قيل عن النبى الجليل سيدنا لوط عليه السلام أنه زنى بابنتيه وأن ابنتيه اتفقتا على تقديم الخمر لوالدهما وزنى بعد شربه الخمر بهما .

ـ وفي سفر الخروج الباب الثانى والثلاثين من ١ / ٦ جاء أن هارون عليه السلام دعا بنى اسرائيل إلى عبادة العجل .

ـ وفي الباب الثانى والثلاثين من السفر السابق أوصاف لاتليق بالنبى الجليل هارون عليه السلام .

ـ وفي الباب الحادى والعشرين من سفر صموئيل الأول أن داود كذب كذبا كبيرا ، كما قيل أنه أرسل رجلا يدعى (أوريا الحثى) إلى القتال كى يتمكن داود من الزنا بزوجته وأنه زنى فعلًا بها كما تقول كتبهم المقدسة .

ـ وفي الباب الحادى عشر من سفر الملوك أن سليمان النبى الجليل عليه السلام ارتد في سنوات عمره وأصبح كافرا ..

فضلا عن ذلك فقد ألصقوا بالله العلى الأكبر صفات لا يليق أن تلصق بالذى لم يتخذ صاحبة ولا ولدا سبحانه ليس كمثله شيء ·· قالوا عليهم اللعنة المتتابعة الى يوم القيامة عن الله سبحانه وتعالى :

(لبس الله خوذة الخلاص على رأسه) · أشعياء ٥٩ / ١٧

(شعر رأسه كالصوف النقى وعرشه لهيب نار) · أرميا ٧ / ٩

(لباسه أبيض كالثلج) · ارميا ٧ / ٩

(صعد دخان من أنفه ونار في فمه) · مزامير مزمور ١٨ / ٩

هذا بعض صفات النقص التى يلصقونها بالله تعالى ·

ثم قالوا عنه سبحانه أنه يحل في الأماكن ـ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ـ فزعموا عنه أنه قال :

(أسكنُ في وسط بنى اسرائيل · وأكون لهم إلها) · الخروج ٢٩ / ٤٥

(···· لأنى ساكن في وسطهم) · العدد ٥ / ١ ـ ٣

ووصفوا الله تعالى بنقص العلم ـ لعنة الله عليهم ـ كما جاء في سفر الخروج ١٢ / ٧ ـ ١٤ ووصفوه تعالى بأنه ضعيف القدرة كما جاء في سفر التكوين ٢ / ١ ـ ٤ ·· ووصفوه تعالى بأنه يخطئ كما جاء فى سفر صموئيل الأول ١٥ / ١٠ ووصفوه جلت قدرته بأنه متعطش للدماء كما جاء في سفر اللاويين بأكمله ··

أيعقل أن نصدق هؤلاء شعب الله المختار وهم يكذبون ويسبون الله عز وجل في تلمودهم ـ الكتاب الارهابى ـ فهم يقولون على الله تعالى إضافة إلى ماسبق عن الله عز وجل :

ـ إنه يلعب مع الحوت ملك الأسماك ··
ـ إنه يغضب ويكذب ··
ـ إنه يسمح لليهود بالتعامل بالربا ··
ـ إنه يحنث فى يمينه ··
ـ إن القمر ينسب الخطأ الى الله تعالى ··

أو نقول عنهم أنهم شعب الله المختار وهم جبناء أشد من الجبن نفسه .. فنقرأ مثلا في سفر الملوك :

(ولما سار جدعون إلى المدينيين خاطب جنوده بقوله : من كان خائفا مرتعدا فليرجع وينصرف فتركه من هؤلاء اثنان وعشرون ألفا من اثنين وثلاثين ألفا ليعودوا إلى منازلهم) .

أو نقول عنهم أنهم شعب الله المختار ، والتوراة توضح وحشيتهم وسفكهم للدماء ، ففى سفر يشوع بعد الاستيلاء على أريحا نقرأ :

(أهلكوا جميع مافى المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف واحرقوا المدينة وجميع ما فيها بالنار إلا الذهب والفضة وآنية النحاس فإنهم جعلوها في خزانة الرب)

أو نقول عنهم أنهم شعب الله المختار وهم يزعمون - قاتلهم الله - أن يعقوب قام بمصارعة الله ثم كاد الله تعالى أن ينهزم ... في مكان يسمى (فنئويل) لولا أن الرب أخبره عن شخصيته ..

أو نقول عنهم شعب الله المختار وهم يزعمون كذبا أن الله تعالى قال لهم :

(إذا مادخلت مدينة لم يفتك بها أن تقتل سكانها بحد السيف وأن تستأصلهم وأن تبيد كل ما يكون في المدينة وأن تذبح حتى بهائمها)

وبعـــــــد ...

فهذا هو شعب الله المختار .. الذى اخترع أكذوبة قائلا إنه شعب الله المختار ، ثم ظل يردد الأكذوبة حتى خيل له أنها حقيقة ..

إن اليهود لن يكونوا أبدا شعبا .. إن هذا القول مبنى على وعود وتصريحات إلهية ووعد الله لا يخلف ..

وهم فسقة فجرة كذبة .. والكذبة لا مجال لهم في الحياة .. تلك الحياة التى تلفظ كل من يكذب ويغدر ويفجر ويقتل ويسفك الدماء ويستولى على حقوق الغير محاولا أن ينشئ له تاريخا ..

والتاريخ نفسه لفظهم ومجهم .. أفى التاريخ شىء ولو عبارة واحدة تشير إلى أنهم كانوا على عدل وخلق قويم يوما ما ..

قال تعالى :

(لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) .



قال الله تعالى :

" لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ "

من الآية ٨٢ سورة المائدة

المعجزات والغيبيات

بين بصائر التنزيل ودياجير الإنكار والتأويل

لفضيلة الدكتور عبد الفتاح إبراهيم سلامه
الأستاذ المساعد بكلية الحديث الشريف والدراسات الإسلامية

الحمد للهِ الذى : له الخلقُ والأمرُ ، وقوله : الفصلُ ، وله الدينُ واصبا .. والصلاةُ والسلامُ على من تمت به النبوةُ ، وخُتِمَتْ به الرسالةُ ، وقامت بدعوته صروحُ الهداية ، وعلى آله الأبرارِ المطهرين ، وعلى صحبه الأخيار المكرمين ، وعلى من اهتدى واقتفى ، واقتدى واتقى ... أمـا بعـد :

● فإن للحق سبيلا واضحةَ المعالم ، متلألئة المنائر ، لا يزيغ سالكها ، ولا يضل طالبُها ، وإن للباطل فجاجا هى المتاهات الشاردة ، والعثرات الجائرة ، من سلكها تلجلج فى حيرة وشقاء ، ومن طلبها ضَلَّ فى غِوايةٍ دهياء « ... ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » (٤٠ : النور) .

● ولقد كان للناس من المعجزات والغيبيات مواقف :

● فمنهم من إتخذ « الإنكارَ » سبيلا ، فكان جحوده : مهيعا وبيلا ، وجعل التكذيبَ له رزقا ، وارتفق « العناد » دربا ، فساء مرتفقا ... وهؤلاء وأسلافهم وأخلافهم : هم من الذين قال فيهم أحكم القائلين : « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ... » (٣٩ : يونس) وزعم أن إنكاره ينهض على دعامتين من العلم التجريبىّ ، والعقلِ المادِىّ ... والحق الناصعُ : أنَّ تكذيبه ينهض علَى ساقين كسيحتين من شطط الغرور ، وخبل الأوهام ... والعلم التجريبى شاهدُ عَدْلٍ على كذب دعواه ، والعقلُ البصيرُ يجانبه ويجافيه .

وفى كل يوم نرى من جديدِ البحثِ العلمىّ التجريبى : ما يقومُ آيةً ناطقةً وحجةً شاهدةً ، على عجائب الصنع الربانى ، وبدائع الإعجازِ الإلهى ، وهذه الكشوفُ تفسيرٌ بليغ ، وتوضيحٌ فصيحٌ ، لقولِ رب العزةِ والجلال : « سَنُرِيهم آياتِنا فى الآفاقِ وفى أنفسِهم حتى يتبينَ لهم أنه الحق أو لم يكفِ بربِّك أنه على كلّ شَىْءٍ شهيدٌ » (٥٣ : فصلت) ، ولقولهِ سبحانه : « وفى الأرضِ آياتٌ للموقنين . وفى أنْفسِكم أفلا تبصرون » (٢٠ ، ٢١ : الذاريات) .

● وفريق وقف من « المعجزات والغيبيات » موقفا يتذبذب بين الإيمانِ والجحودِ ، فهو يؤمن ببعضها ، ويكذب ببعض ... فاتبع فى إيمانه غيرَ سبيلِ المؤمنين ... وهو إلى المكذبين أقربُ ... ومن المنافقين أكثرُ دنوا ، ومن هذا الفريق بعضُ أهل التفلسف ، والذين زعموا أن فى القرآن أخبارا لم تكن واقعا ملموسا فى يوم من أيام هذه الدنيا ... بل توقح منهم من زعم أن في القرآن « أساطيرَ فنية » وانها لا تمس قدسيته ... وإذا كان هؤلاء من عبيد الشهرة ، فإن نقلَ هذيانهم إلى مَنْ لمَ يَسْمَعْ بهم قد يبعث من « قبر الخمول » جِيَفًا : أحْرَى بها أن تظل فى أجداثها مع البلى والدثور ... وهؤلاء لا يؤمنون حتى يصدقوا موقنين بَكلّ خبرٍ جاء عن اللهِ ، أو صَحَّ عن إمام المرسلينَ صلوات الله عليهِ وعليهم أجمعين .

● فالفريق الأول : يتمثل فى الماديين الذين يعبدون أوهاما يسمونها بغير اسمها ، ويصفونها بغير صفتها .

● والفريق الثانى : يتمثل فى أفراخ « الاستشراق » ، وعبيدِ « الاستغراب » ، وصبيان « التضليل » الذى يسمونه « تبشيرا » .

وفريق ثالث : وقف من المعجزات موقفَ التأويلِ ، والتأويلُ : أنواعٌ وأشكالٌ فمنه ما يمت إلى الحقيقة بَسبيل ، ومنه ما ينتمى إلى التلبيس والتضليل ... ولأن هذا الفريقَ الثالثَ هو ـ إن شاء الله ـ من « أهل

القبلة » : انصرفت هذه الصفحات إلى نقاشه ، نقاشا يعتمد على أمانةِ النقل عنه ، وينهض على بيان الحجة من الكتاب الكريم والسنة المطهرة . والمحظورُ عند كاتب هذه السطور : هو القولُ على الله بغيرِ علم ، والاحتكامُ إلى أقوالِ الرجالِ ، والمحذورُ هو المسارعةُ إلى تكفيرِ الناسِ بغيرِ سلطانٍ ، أو تفسيقِهم بغيرِ برهانٍ ... والحكمُ الفصلُ فى الأمورِ كلها لله وحده ... ومن الرسول عليه الصلاة والسلام البلاغ والبيان ، وعلينا حسنُ الاستماع ، وتمامُ الانقيادِ لله ، والاتباع لرسوله .

وأما تزكيةُ العبادِ فإلى الله وحده ، ونَعُوذ بالله أن نكون ممن قال عنهم : « ألم تر إلى الذين يزكون أنْفسهم ، بل الله يزكى من يشاء ... » (٤٩ : النساء) ، نسأل الله أنْ يجعلنا ممن يشاءُ ... ، ونعوذ باللهِ من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ... ولنبدأ سويا السير على دروب الدرس المستأنى ... سائلين الله أن يجنبنا عثرةَ الرأى ... وسوء القصد ... إنه على ما يشاء قدير ... ».

« تأويـل المعجزات والغيبيـات »

قبل أن نتحدث عن وقائع التأويل فى هذه القضية ، نبدأ فَنُعَرِّفُ بما تَدُل عليه ألفاظها :

● **فالغيب لغة :** كما قال ابن فارس (١) : « الغين والياء والباء : أصلٌ صحيح يدل على تستر الشىء عن العيون ، ثم يقاس ، من ذلك الغَيْب : ما غَاب ، مما لا يعلمه إلا الله . ويقال : غابت الشمسُ تَغِيب غَيْبَةً وغُيُوباً وغَيْباً . وغاب الرَّجل عن بلده . وأغابَتِ المرأةُ فهى مُغِيبةٌ ، إذا غَابَ بعلُها . ووقعنا فى غَيْبَةٍ وغَيَابة ، أى هبطة من الأرض يُغَاب فيها . قال الله تعالى على لسان قائل من إخوة يوسف فى قصة يوسف عليه السلام : « ... وألقوهُ فى غَيَابَةِ الجُبِّ ... » (١٠ : يوسف) والغابة : الأَجَمَةُ ، والجمعُ : غاباتٌ وغابٌ . وسميت غابة لأنه يُغاب فيها . والغيبةُ : الوَقيعة فى الناس من هذا ، لأنها لا تقال إلا فى غَيْبَةَ .

---

(١) أنظر : « معجم مقاييس اللغة » لأحمد بن فارس حـ ٤ ص ٤٠٣ ببعض تصرف .

● **والغيب شرعا** : هو ما سوى الشهادة ، والخلق كله منقسم إلى عالمين : عالم غيبى مستور ، وعالم مشهود محس .

● والغيب منه ما هو مطلقٌ ، ومنه ما هو نسبى ، ومنه ما مضى ، ومنه ما لم يقع بعد ، ولكنه سيقع فى الدنيا ، ومنه ما هو من أمرِ الآخرة ، ولهذا وصف الله جل ذكره نفسه بأنه : « عالمُ الغيبِ والشّهادةِ الكبيرُ المتعال ... » (٩ : الرعد) ، فالإيمان بالله : إيمانٌ بالغيب ، والإيمان بالملائكة بالنسبة لعامة الناس : إيمانٌ بالغيبِ ، وبالنسبة للأنبياء والمرسلين الذين شاهدوا جبريلَ عليه السلام ، وشاهدو غيره من الملائكة : إيمانٌ بالشَّهادةِ ، ويقاس على الأنبياء فى هذا من ورد به النصُّ : كمريم عليها السلام ، حين رأت جبريلَ ، وتمثل لها بشرا سويا ، والإيمانُ بالمعجزاتِ بالنسبةِ لمن شاهدوها : إيمانٌ بشيء شاهدوه ، وبالنسبة لغيرهم : إيمانٌ بالغيبِ ، والإيمانُ بالجنِ ، والجَنَّةِ ، والنارِ ، والميزان ، والحورِ العين ، والولدان المخلدين ، وبالخزنةِ ، والزبانيةِ ، وحملةِ العرش ، وأنواع النعيم الأخروى ، وصنوف العذاب فى جهنم : كل هذا من الإيمان بالغيب .

● وأخبارُ الرسلِ مع أقوامهم هى لمن بعدهم من أحاديثِ الغيب كما قال جَلَّ ذكره خطاباً للنبى صلى الله عليه وسلم بعد ما قص عليه من أنباء نوح عليه السلام : « تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنتُ تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين » (٤٩ : هود) ، وبعد ما قص عليه ربنا سبحانه من أنباء الكليم عليه السلام قال له : « وما كنت بجانب الغربى إذْ قضينا إلى موسى الأمرَ وما كنت من الشاهدين » (٤٤ : القصص) ، وبعد ما قص عليه من أنباء الطاهرة مريم عليها السلام قال له : « ذلك من أنباءِ الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذْ يلقون أقلامَهم أيهم يكفل مريمَ وما كنت لديهم إذ يختصمون » (٤٤ : آل عمران) ، فكل هذه الأحداث سماها القرآنُ غيبا : إذ هى كذلك بعد انقضاءِ الأعوام على وقوعها ، وزوالِ الأعيان .

والمعجزات لغة (١) : مشتقة من الإعجاز تقول أعجزت فلانا وعجَّزْتهُ وعاجَزْتُه إعجازاً ، أى : جعلته عاجزاً ، والإعجاز : الفوت والسبق .

---

(١) أنظر معجم ألفاظ القرآن الكريم للأستاذ أمين الخولى حـ ٤ ص ١٩٣ .

وعُرِّفَتْ اصطلاحا (١) : بأنها أمرٌ خارق للعادة يؤيد الله بها أنبياءه لإظهار صدقهم وتكون كما لو قال تعالى : « صدق عبدى فيما يبلغ عنى » ولا يشترط أن تكون استجابة لتحدى المعاندين ·

وقد وردت مشتقاتٌ للكلمةِ فى القرآن الكريم ، نذكر منها بعض ما يقارب وجهتنا ، فمن ذلك :

قوله تعالى على لسان الجن : « **وأنا ظننا أنْ لنْ نُعْجِزَ الله فى الأرضِ ولن نُعْجِزَه هربا** » (١٢ : الجن) ، والمعنى : أن مؤمنى الجن استيقنوا أنهم لا يستطيعون الإفلاتَ من قدرة الله وحسابه ·

ومنها قوله تعالى : « **وما كان الله ليُعْجِزَه من شىء فى السموات ولا فى الأرض إنه كان عليما قديرا** » (٤٤ : فاطر) ·

ومنها قوله عز من قائل : « **ولا يَحْسَبَنَّ الذين كفروا سبقوا إنهم لا يُعْجِزُون** » (٥٩ : الأنفال) ·

وقوله سبحانه : « **والذين سَعَوْا فى آياتنا مُعَاجِزِينَ أولئك أصحابُ الجحيم** » (٥١ : الحج) ·

وقـوله : « **والذين يسعون فى آياتنا مُعَاجِزِينَ أولئك فى العذابِ محضرون** » (٣٨ : سبأ) ·

وقوله سبحانه وتعالى خطابا للمشركين متوعدا لهم : « **وإن توليتم فاعلموا أنَّكم غيرُ معجزى اللهِ وبَشِّرْ الذين كفروا بعذابٍ أليم** » (٣ : التوبة) ·

فهذه الآيات يتضافر معناها لبيان حقيقة القدرة الإلهية ، وعجزِ المحاولاتِ البشرية ·

وأما لفظةُ المعجزة بمعنى الأمر الخارق للعادة : فلم ترد فى كتابِ الله ، وإنما وردت لفظِةُ « الآية » أو « الآيات » لتدل على هذا المعنى ، كما فى قوله جل ذكره : « **سل بنى**

---

(١) قارن وجوه الاشتباه والافتراق بين هذا التعريف وبين ما أورده على بن محمد الجرجانى فى التعريفات ص ١٩٥ ط : الحلبى القاهرة ·

إسرائيلَ كمْ آتيناهم من آية بينةٍ » (٢١١ : البقرة) ، وقوله تعالى : « **وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آيةٌ** » (١١٨ : البقرة) ، وقوله سبحانه : « **وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أنْ كَذَّبَ بها الأولون وآتينا ثمودَ الناقةَ مبصرةً فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا** » (٥٩ : الإسراء) .

فالمعجزة إذاً : أمرٌ خارق للعادة ، يؤيد الله بها أنبياءه ورسله ليقيموا بها الحجةَ الغالبةَ المعجزةَ لأقوامهم ، وقد سبق تعريفها .

الإغـارةُ عـلى المعجزات والغيبيـات

ولما كانت الغيبياتُ والمعجزاتُ أمورا لا تقع غالبا تحت الحس ، ولا تخضع لمألوفِ العقلِ البشرى ، ولا تجرى على السنن المعتادة ، أقْدَمَ نفرٌ ممن جعلوا عقولهم آلهتهم على إنكارها ، وحاول آخرون تأويلَها ، وهاكم شذراتٍ من تفاصيلها :

الـرازى الطبيب وإنكار المعجزات :

من أقدم المحاولات التى وصلنا منكرُ أخبارها فى جحد المعجزات : هذه المحاولة التى قام بها أبو بكر الرازى حوالى عام ٣٠٠ هـ فألف كتابا سماه : « مخاريق الأنبياء » وقد وصفه المطهر المقدسى (١) بأنه : « المفسدُ للقلب ، المُذْهِبُ للدين ، الهادمُ للمرؤة ، المورث البغض للأنبياءِ صلوات الله وسلامه عليهم » ويفهم من عبارات المطهر أنه قرأ الكتاب ، ولكنه لم يبح لنفسه أن ينقل شيئا من كفرياته وأكاذيبه .

صــور مـن تأويـلات منكـرى المعجزات

قال (٢) المطهر المقدسى وهو يؤرخ لظهور هذه التأويلات : « وأنكر قوم العجائب رأسا ، وصرفها آخرون إلى تأويل منحول » ومن هذه التأويلات ما يلى :

أولا : تأويلات حول عمر سيدنا نوح وسفينته :

هال الماديين القدامى ـ الذين يُسمون أنفسهم بالعقليين ـ خبرُ القرآن عن عمر سيدنا نوح عليه السلام فى قوله تعالى : « **ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون** » (العنكبوت : ١٤) .

---

(١) أنظر كتاب البدء والتاريخ حـ ٣ ص ١١٠ وكتاب « البدء والتاريخ » يقع فى ستة أجزاء ، ويحوى الكثير من أخبار الفرق ، وتاريخ الحياة العقلية فى الإسلام ، وقد انتفع به الدكتور أحمد أمين فى كتابه « ظهر الإسلام » وكان عمدة المستشرق آدم متز فى كتابه « الحضارة الإسلامية » وينسب بعض الباحثين هذا الكتاب إلى أبى زيد البلخى لكن المحققون ينسبونه إلى المطهر بن طاهر المقدسى .

(٢) أنظر البدء جـ ٣ ص ١٧ .

فاستبعدوا أن يعيش واحد من خلق الله هذه السنين وأن يعمر قرونا ، فتأولوا (١) ذلك بأن لبثه : ليس مدةَ حياته ، وإنما هذا العمر : هو عمرُ شريعته ، ومدة بقائها ، وقالوا (٢) عن السفينة : إنها ليست فُلْكا ، وإنما هى : « رمز للدين الذى جاء به » ، ولو أنهم قالوا : إن هذه السفينةَ كانت مركبَ النجاةِ للمؤمنين ، لصدقوا ولكن هذا التأويلَ السابق إهدار للغة ، ومسخٌ لدلالات الألفاظِ ، وتكذيبٌ لآيات أخرى من القرآن ، ورد فيها النص الصريحُ عن هذه السفينة كقولِه تعالى : « **وحملناه على ذاتِ ألواح ودسرْ تجرى بأعيننا** » (١٣ ، ١٤ : القمر) ، ففى هذا النص الكريم ذكر الله الموادَ التى صُنِعَتْ منها السفينة ، كما ذكر سبحانه أمره العلوى لنوحٍ عليه السلام بصناعتها فى قوله : « **واصنع الفلكَ بأعيننا ووحينا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا إنهم مغرقون ۰ ويصنع الفلكَ وكلما مَرَّ عليهَ مَلأٌ مِنْ قومِهِ سخروا منه قال : إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون** » (٣٧ ، ٣٨ : هود) ، وهكذا ترى أن المؤول إن ركب متن الشطط فى تأويل آية ، أحاطت به آيات أخر ، فلا يستطيع لها صرفا ولا تأويلا ۰

ثانيا : تأويل حول غرقى الطوفان :

وجمحت بأولئك الحسيين عقولُهم ، فتساءلوا كيف يهلك الله فى الطوفان الأطفال ، وهم غيرُ مكلفين ؟ وأدى بهم هذا الجموحُ إلى افتراض لا علم لهم به ولا برهان ، وهذا الافتراض جعلوه خبرا كأنه قد وقع فقالوا : « إن الله قد أعقم النساءَ خمسة عشر عاما قبل الطوفان فلم تلد منهن واحدةٌ ، وبذلك لم يهلك فى الطوفان إلا بالغٌ مكلفٌ ، جاوز عمرهُ خمسةَ عشر عاما » ، وغاب عن هؤلاء ما ذكره رب العزة على لسان نوح عليه السلام : « **وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ۰ إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفاراً** » (٢٦ ، ٢٧ : نوح) ۰

ثالثا : تأويل ناقة صالح عليه السلام بأنها رمز :

وتأويل ما ورد فى القرآن عن ناقة (٣) صالح عليه السلام كقوله سبحانه : « **هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم** »

---

(١) أنظر البدء جـ ٣ ص ٢٢ ۰

(٢) نفس المصدر والصفحة ۰

(٣) أنظر البدء والتاريخ جـ ٣ ص ٤٢ ۰

(٧٣ : الأعراف) ، فقالوا : إن الناقة هى رمزٌ لحجةٍ دامغةٍ وسلطانٍ قاهرٍ ، أذعن له القومُ ، وتأولوا ما ورد فى القرآن عن شربها (١) فى قوله تعالى : « **قال هذه ناقة لها شِرْبٌ (٢) ولكم شربُ يومٍ معلومٍ** » (١٥٥ : الشعراء) ، بأن معنى هذا الشِّرْب هو أن هذه الحجةَ قد أبطلت جميعَ ما خالفها .... وتغافلوا عن وصف القرآن لها بأنها « **تأكل فى أرض الله** » (٧٣ : الأعراف) ، وقوله : « **لها شرب ...** » (١٥٥ : الشعراء) ، وأنهم عقروها « **فكذبوه فعقروها** » (١٤ : الشمس) ، وكل هذا ينقض دعواهم .

رابعا : تأويل الهدهد بأنه رجلٌ وليس طائرا :

وقرأوا ما ذكره الله فى كتابه عن هدهد سليمان فى قوله سبحانه : « **وتفقد الطيرَ فقال مالِىَ لا أرى الهُدْهُدَ أمْ كاَن من الغائبين** » (٢٠ : النمل) ، واستبعدوا كيف يتكلم هذا الهدهد ؟ وكيف يقول لسليمان عليه السلام كما ذكر الله سبحانه : « **أحطت بما لم تُحِطْ به وجئتُكَ من سبأٍ بنبأٍ يقينٍ** » (٢٢ : النمل) ، فقالوا : إن هذا الهدهد رمز لرجل ، أو أنه اسم لجندى من جنود سليمان عليه السلام ، كانت مهمته أن يجمع له المعلومات ولو أن هؤلاء فهموا ما يدل عليه قوله تعالى « **وتفقد الطير** » وقوله تعالى : « **عُلِّمْنَا منطق الطير** » (١٦ : النمل) ، وكانت لهم عقول يعلمون بها أن الهدهد طائرٌ من هذا الطير لما قالوا بهذا ... ولقد كان الطير جنودا لسليمان كما قال تعالى : « **وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون** » (١٧ : النمل) .

وقد ذكر الفخر الرازى رحمه الله فى تفسيره (٣) مطاعن الملاحدة فى قصة الهدهد فأطال فى ذكرها ، وأوجز فى نقضها ، ولست أرى ما يدعو إلى ذكرها .

خامسا : تأويل النمل بأنهم قــوم ضعاف :

وحامت فى نفوسهم وساوس الريب حول قول الله جل ذكره : « حتى إذا أتوا على وادى النمل قالت نملةٌ يأيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان

---

(١) الشرب بكسر الشين : النصيب من الشراب .

(٢) كانت الناقة آية من الله سبحانه ، ومعجزةً لصالح عليه السلام ، والمعجزة أمرٌ خارق للعادات لكن الفكر المتشيع للمادية لا يؤمن إلا بما عاينه ولامسه ، لأن عيونهم كليلةٌ ، وفى القلوب أمراضها .

(٣) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازى حـ ٢٤ ص ١٩٠ ـ ١٩١ ط : دار المصحف .

وجنوده وهم لا يشعرون » (١٨ : النمل) ، إذ كيف تتكلم نملةٌ ؟ وكيف يبتسم سليمان عليه السلام ضاحكا من قولها ؟ فعمدوا إلى أوهام التأويل يفهمون النص الكريم من خلالها فقالوا : إن النمل ليس هو الحشرة التى نعرفها **وإنما هم قوم ضعاف** .

● **وجاء مؤول (١) آخر فى القرن العشرين فقال : « إن المراد بوادى النمل : الوادى الكثير الناس ، كأنهم النمل فى كثرتهم »** .

● **وقد رد عليه الشيخ النجار (٢) بقوله : « وليس ما قاله بشىء لأنه ينافيه قولها « وهم لا يشعرون »** إذ كيف لا يشعر جندُ سليمان بالناس وخاصة إذا كانوا كثيرين كالنمل » .

● ونضيف نحن إلى قول الشيخ النجار ، فلنسلم بوجود مكان من الأرض اسمه وادى النمل فهذا احتمال عقلى ولكن ماذا نفعل فى قوله تعالى « **قالت نملة** » وقولها « **يأيها النمل** » فهل يمكن لغة أن يكون الناسُ هم النمل وماذا يقول المؤول فى قوله : « **فتبسم ضاحكا من قولها** » والضمير عائد عليها .

● وقد عقد الأديب العربى المعتزلى أبو عثمان : عمرو بن بحر الجاحظ : فصلًا فى كتابه « الحيوان » (٣) عن النمل ذكر فيه من طبائع هذه الحشرة ما يدل على أنها آية من آيات الله ، فكان مما قال : وقد يبلغ من تفقدها ، وحسْنِ خُبْرِها ، والنظر فى عواقب أمرها ، أنها تخاف على ما ادخرته من الحبوب فى الصيف للشتاء أن تعفن أو تسوس فتخرجها إلى ظهر الأرض لتُيَبِّسَها ، وتعيد إليها جفافها وليضربها النسيم وينفى عنها الفساد ، وإن خافت أن تَنْبُتَ ، نقرت موضع القطمير من وسط الحبة ، وتعلم أنهامن ذلك الموضع تنبتُ ... وتَفْلِقُ حَبَّ الكسبرة أرباعا لأن أنصافه تنبت ، ثم تَحَدَّثَ عن ما لَها من بعد الهمة والجراءة على نقل شىء يزيد وزنه أو حجمه على حجمها مائة مرة ، وتحدث عن التعاون فى مجتمع النمل ، وكيف تدل النملة صويحباتها على مكان الطعام فيتبعنها كالرائد الذى لا يكذب أهلَه ، ثم قال ومن العجب أن تفكر أنها توحى إلى أختها بشىء ، والقرآن قد نطق بما هو أكثر من ذلك أضعافا ... فقد أخبر القرآن بأنها قد عرفت سليمان ، وأثبتت عينه (٤) ، وأنه عليه السلام عَلِمَ

(١) صاحب هذا التأويل هو الأستاذ أحمد زكى صاحب الخزانة الزكية التى كانت تحوى الكثير من المخطوطات وقد نشر هذا الرأى فى جريدة الأهرام الصادرة فى ١٦ من أغسطس ١٩٣٣ م .

(٢) انظر قصص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار ص ٣٣٦ ط : ٣ .

(٣) انظر « الحيوان » للجاحظ حـ ٤ ص ٥ ـ ١٤ طبعة الكتاب العربى ببيروت بتحقيق الأستاذ : عبد السلام هارون .

(٤) أثبتت عينه : أى عرفت ذاته .

منطقها وأنها أمرت صويحباتها بما هو أحزم وأسلم ، ثم أخبر أنها تعرف الجنود من غير الجنود وقد قالت : « **وهم لا يشعرون** » ثم بيَّن أن كلام النمل قولٌ ومنطق ، وأنها تفصل بين المعانى التى هى بسبيلها ، إلى أن يقول : « وإنَّ من دخلت عليه الشُّبَهُ من هذا المكان لناقصُ الرويةِ رَدِئُ الفكرة ، ونقل الجاحظ عن أبى اسحاق إبراهيم بن سيار النظام المعتزلى قوله عن وادى النمل كان ذلك الوادى معروفا « بوادى النمل » فكأنه كان حِمىً ، وكيف تنكر أن يكون حمى ، والنمل ربما أَجْلَتْ قريةً (١) من سكانها » .

● وهذا الذى ذكره الجاحظ نقلا عن « النَظَّام » (٢) ليس خيالا ولا تاريخا يتسرب الشك إلى رواياته ، وإنما هو واقع رآه بعضنا وسمع به قوم آخرون ، فالصحف فى مصر وغير مصر تنشر بين حين وآخر أخبارَ غزواتِ النمل الأبيض ، وكيف تُهْلِكُ غزواتهُ الحَرْثَ والفرشَ .

● والقرآن الكريمُ لم يذكر لنا حَجْمَ النملة المتكلمة ولا نوعها ، وإنما نؤمن بأنها نملة من نوع النمل .

● وبعد أن ذكرنا ما قاله أحد العلماء المسلمين عن النمل ننقل ما كتبه أحد علماء التاريخ الطبيعى من الغربيين وهو « رويال ديكنسون » فى كتابه « شخصية الحشرات » : إذ قال (٣) : « ولقد ظللتُ أدرس مدينةَ النملِ حوالى عشرين عاما ، فى بقاع مختلفة من العالم ، فوجدت أنَّ كل شىء يحدث فى هذه المدينة فى دقة بالغة ، وتعاون عجيب ، ونظام لا يمكن أن نراه فى مدن البشر ، لقد راقبته وهو يرعى أبقاره ، وما هذه الأبقار إلا خنافس صغيرة رباها النمل فى جوف الأرض حتى فقدت فى الظلام بصرها .

لقد زرع النمل ١٥ مترا مربعا من الأرض بالأرز ، ثم ذكر الكاتب : أنه وجد جماعةً من النمل تقوم بحرثها على أحسن ما يقضى به علم الزراعة ، فبعضها زرع الأرز ، وجماعة أزالت الأعشاب ، وغيرها قامت لحراسة الزراعة من الديدان .

ولما بلغت عيدان الأرز تمام نموها ، كان يرى صفا من الشغالة تتسلق العيدان وتنزع الحب ، وتعود به إلى مخازن تحت الأرض ... وبعد الحصاد هطل المطر أياما ، وما أن انقطع حتى قام النمل بإخراج الأرزِ من المخازن ، وتعريضه للشمس ليجف ثم عادوا به من جديد .

---

(١) النقل عن كتاب (الحيوان) كما سبقت الإشارة بايجاز وتصرف ، وقد أجاد وأفاد ... وله فى غير هذا كبوات ... والحق هو الميزان .

(٢) خالف الجاحظ « النظام » فى مسائل ، وضلله فيها .. وليس هنا مجال تفصيلها .

(٣) نقلا عن كتاب (الله والعلم الحديث) ص ١٠٠ ط : ٣ لعبد الرزاق نوفل .

وكل هذا يدل على أن النمل عالم عجيب غريب،وهو من بعض آيات الله فى خلقه ...

● وإنما أطلنا القول فى هذه المسألة : لنبين لأصحاب التأويلات الجانحة ، أنهم ليسوا على شىء مما يدعون ، فلا العلم بمؤيد لهم ـ وإن زعموا أنهم فيه متبحرون ـ ولا ظهير من الرشاد .

سادسا : تأويل عقاب المسخ :

ومن أمثلة التأويلات التى يتحكم فيها جموحُ العقل ، فيغدو النص القرآنى محكوما بضيق التصور ، ويصبح مقيدا بقيود « الواقعية المادية المحدودة » و « العقلانية » المزعومة ، من هذه الأمثلة تأويل المسخ الذى ضربه الله عقابا على المعتدين من بنى إسرائيلَ تأويلا لا برهان لهم به .

فقد ورد الحديثُ عن المسخ فى أربعة مواضع من القرآن الكريم هى قوله عز من قائل :

١) « **ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين . فجعلناها نكَالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين** » (٦٥ ، ٦٦ : البقرة) .

٢) « **قل يأهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أنْ آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأنَّ أكثركم فاسقون . قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله مَنْ لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردةَ والخنازيرَ وعَبَدَ الطاغوتِ أولئك شرٌّ مكانا وأضل عن سواء السبيل** » (٥٩ ، ٦٠ : المائدة) .

٣) **فلما عتوا عنْ ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين** » (١٦٦ : الأعراف) .

٤) « **ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون** » (٦٧ : يس) .

١ ـ أقدم محاولة لتأويل المسخ :

وأقدم ما وصلنا من الآراء فى تأويل المسخ ، هذا الرأى الذى قال به المفسر التابعى مجاهد بن جبر وهو (١) : « مسخت قلوبهم ، ولم يمسخوا قردة ، وإنما هو مثل ضربه الله لهم ، كما مثلوا بالحمار فى قوله تعالى « **... كمثل الحمار يحمل أسفارا ...** » (٥ : الجمعة) .

٢ ـ رأى الطبرى :

نقل شيخ المفسرينَ أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى هذا الرأى فى تفسيره (٢)

(١ ، ٢) انظر تفسير الطبرى « جامع البيان » جـ ٢ ص ١٧٣ ط : المعارف المحققة .

لسورة البقرة معزوا إلى مجاهد ، ووصفه بأنه « قولٌ لظاهر ما دل عليه كتابُ الله مخالفٌ »

ثم إن الطبرى رحمه الله كَرَّ على هذا الرأى بما ينقضه وذكر عقوباتِ الله لهم فقال :
« وذلك أن الله أخبر فى كتابه أنه جعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت كما أخبر عنهم أنهم قالوا لنبيهم : « **أرنا الله جهرة** » (١٥٣ : النساء) ـ وأن الله تعالى ذكره صعقهم عند مسألتهم ذلك نَبِيَّهم ، وأنهم عبدوا العجل فجعل توبتهم قتل أنفسهم ، وأنهم أمروا بدخول الأرض المقدسة فقالوا لنبيهم : « **اذهبْ أنت وربك فقاتلا إنَّا ها هنا قاعدون** » (٢٤ : المائدة) ـ فابتلاهم بالتيه • فسواء قائل « قال : هم لم يمسخوا قردة ، وقد أخبر جل ذكره أنه جعل منهم قردة وخنازير ، وآخر قال : لم يكن شىء مما أخبر الله عن بنى اسرائيل أنه كان منهم ـ من الخلاف على أنبيائهم ، والنكالِ والعقوباتِ التى أحلها الله بهم • ومن أنكر شيئا من ذلك وأقر بآخر منه • سئل البرهان على قوله ، وعورض ـ فيما أنكر من ذلك ـ بما أَقَرَّ به • ثم يُسْأل الفرقَ منْ خبرٍ مستفيض أو أثر صحيح •

هذا مع خلافِ قول مجاهد ، قول جميع الحجة التى لا يجوز عليها الخطأ والكذب فيما نقلته مجمعة عليه ، وكفى دليلا على فسادِ قولٍ ، إجماعها على تخطئته (١) • ا هـ •

٣) رأى الزمخشرى :

ومع اعتزاليات الزمخشرى وولعه بالتأويل فإنه لم ينهج هذا المنهج مع عقوبة المسخ فقال (٢) : « قردة خاسئين » : أى كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد (فجعلناها) يعنى المسخة (نكالا) عبرةً تَنْكُلُ من اعتبر بها : أى تمنعه ، ومنه النِّكْلُ : القيد ، (لما بين يديها) لما قبلها ، (وما خلفها) وما بعدها من الأمم والقرون ، لأن مسختهم ذكرت فى كتب الأولين فاعتبروا بها (٣) ، واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين ، أريد بما بين يديها ما بحضرتها من القرى والأمم (٤) ، وقيل : نكالا عقوبة منكلة لما بين يديها لأجل ما تقدمها من ذنوبهم ، وما تأخر منها ، (وموعظة للمتقين) للذين نهوهم عن الاعتداء من صالحى قومهم أو لكل متق سمعها • اهـ •

٤) رأى الجاحظ :

للجاحظ فى موسوعته « الحيوان » استطرادات كثيرة ، ولقد تعرض لموضوع المسخ ومع

---

(١) انظر « جامع البيان » جـ ٢ ص ١٧٣ •

(٢) انظر « الكشاف عن حقائق التنزيل ، وعيون الأقاويل ، فى وجوه التأويل » جـ ١ ص ٢١٩ ط : الحلبى •

(٣) هذا الوجه فى تفسير « لما بين يديها » بعيد ، ولا دليل عليه •

(٤) هذا وما بعده هو الأولى •

نزعته الاعتزالية ، ودراسته الكلاميه ، فقد كان من المثبتين للمسخ ، المحتجين لوقوعه بحجج النقل والعقل ، فتكلم عن « بعض أسباب المسخ » ولماذا عاقب الله الممسوخين بأن جعلهم قردة وخنازير ، فقال عن الخنزير (١) : « فأما قبح وجهه فلو أن القبح والغدر والكذب تجسدت ثم تصورت ، لما زادت على قبح الخنزير ، وكل ذلك بعض الأسباب التى مُسِخَ لها الإنسان خنزيرا ، وإن القردَ لسمجُ الوجهِ ، قبيح كل شىء ، وكفاك به أنه للمثلِ المضروب ... » يعنى أن القرد قد ضرب مثلا للقبح ، ثم عاد (٢) إلى ذكر مقابح الخنزير ، فَبَيَّنَ أن الخنزير ينزو ذكره على ذكره ، وأن الله سبحانه وتعالى سمى لحمه رجسا وان كان غير ميتة ولو ذكر الذابح عليه اسم الله ، وَلوصَفْه بهذا الوصف « الرجس » يقول الجاحظ « ولا نعلم لهذا الوصف وجها إلا للذى خصه الله به من ذكر المسخ ، فأراد تعظيم شأن العقاب ، ونزول الغضب ، وكان ذلك القول ليس مما يضر الخنزير ، وفيه الزجر عن محارمه ، والتخويف من مواضع عذابه » ثم ذكر الجاحظ « أن المسخ **لا يتناسل ولا يبقى** إلا بقدر ما يكون موعظةً وعبرةً » ثم تكلم عن إنكار الدهرية للمسخ فقال (٣) : فمنهم من جحد المسخ ، وأقر بالخسفِ والريح والطوفان ، وجعل الخسف كالزلازل وزعم أنه يقر من القذف بما كان من البَرَدِ الكُبَّار ، فأما الحجارة فإنها لا تجىء من جهة السماء ... إلى آخر أضاليل الدهرية ... وهكذا رأينا قطبين من مدرسة الاعتزال هما « الزمخشرى والجاحظ » يؤمنان بالمسخ على حقيقته ولا يتأولانه على غير وجهه .

٥) رأى الفخر الـــرازى :

وأما « الفخر الرازى » فهو وإن لم ينتصر لرأى مجاهد ويجنح إليه ، إلا أنه لم يجد فى قبوله غضاضة ، ويجدر بنا أن نلم برأيه لما له من منهج خاص ، فقد قال (٤) : « ...قوله: « كونوا قردةً خاسئين » ليس بأمرٍ لهم ، لأنهم ما كانوا قادرين على أن يقلبوا أنفسهم على صورة القردة ، بل المراد سرعة التكوين ، كقوله تعالى : « **إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون** » (٤٠ : النحل) ؛ وكقوله : « **قالتا أتينا طائعين** » (١١ : فصلت) ، والمعنى أنه تعالى لم يعجزه ما أراد إنزاله من العقوبة بهؤلاء ، بل قال لهم : كونوا قردة خاسئين » أى لما أراد ذلك بهم صاروا كما أراد .

---

(١) أنظر كتاب « الحيوان » لأبى عثمان : عمرو بن بحر الجاحظ حـ ٤ ص ٥٠ ، وكتاب الحيوان موسوعة كبرى ، نشرها الأستاذ عبد السلام محمد هارون محققه فى سبعة أجزاء كبيرة ط : الحلبى القاهرة .

(٢) أنظر الصفحات ٥١ ، ٥٦ ، ٦٠ ، ٦١ من الجزء الرابع من الحيوان ، والنقل ببعض تصرف .

(٣) انظر الحيوان جـ ٤ ص ٧٠ .

(٤) أنظر التفسير الكبير « مفاتح الغيب » للفخر الرازى حـ ٣ ص ١١٠ وما بعدها ط : دار الكتب العلمية طهران .

والمروى عن مجاهد : « أنه تعالى مسخ قلوبهم بمعنى الطبع والختم ، لا أنه مسخ صورهم ، وهو مثل قوله تعالى : **« كمثل الحمار يحمل أسفارا »** (٥ : الجمعة) ، ونظيره أن يقول الأستاذ للمتعلم البليد الذى لا ينجح فيه تعليمه : كن حمارا ، واحْتُجَّ على أمتناعه « أى المسخ » بأمرين :

الأول : أن الانسان : هو هذا الهيكل المشاهد ، والبنية المحسوسة ، فاذا أبطلها ، وخلق فى تلك الأجسام تركيبَ القردِ وشكلهَ ، كان ذلك إعداما للإنسان ، وإيجادا للقرد ، فيرجع حاصل المسخ على هذا القول إلى أنه ـ تعالى ـ أعدم الأعراضَ التى باعتبارها كانت تلك الأجسام إنسانا ، وخلق فيها الأعراض التى باعتبارها كانت **قردا** (١) ٠ فهذا يكون إعداما وإيجادا ، لا أنه يكون مسخا ٠

● **ثم قال الرازى :** وأجيب (٢) : بأن الإنسانَ ليس هو تمام هذا الهيكل ، وذلك لأن هذا الإنسان قد يصير سمينا بعد أن كان هزيلا وبالعكس بالمسخ ، ثم أثار إشكالات عليه ثم نقضها ، ثم لم يجد محظورا البتة من الصيرورةِ إلى التأويل وقبول رأى مجاهد ٠

● **ويقول كاتبه :** فأما عن الإشكال الأول فإن المسخ لغة هو (٣) : « تحويلُ صورة إلى ما هو أقبح منها » وهذا التبديل أو التحويل لا دليل على استحالته من نقلٍ أو عقل أو علم ، فأما النقل فدلالته بينة ـ كما سنوضح بإذن الله ـ وأما العقل والعلم فإن دراسة آيات الله فى الأنفس والآفاق ـ بتعمق واستيعاب ـ تقرب إلى أذهاننا القاصرة وعلمنا المحدود هذا الذى يراه البعض بعيدا ، وخاصة بعد تقدم علم الأحياء « البيولوچيا » فى الكشف عن كثير من أسرار « الخلية » و « الغدد » و « الهرمونات » وما قرأناه فى الصحف منذ سنوات عما سمى « بالإنسان القرد » وهو طفل نشأ فى غابة بين القرود ، فصار يطعم طعامهم ويسير على أربع ، ونبت على جسمه شعر القردة ... وانقطعت صلته بالإنسانية ٠

وفصـــل القـــول :

أن المسألة عقاب « أراده الله ببنى إسرائيل لعدوانهم وظلمهم ، وشاءت إرادته أن يكون العقاب خارقا للعادات ومجريات السنن ، ليكون عبرة ونكالا ، وليكون آية على تفرده وحده بالقدرة والقهر والجبروت ، فهل يعجزه سبحانه شىء فى الأرض أو السماء ؟ تعالى علوا كبيرا ، **« إنه كان عليما قديرا »** (٤٤ : فاطر) ٠ وكما قال الرازى نفسه :

---

(١) هذا بالأصل ولو قال « صارت قرودا » لكان هذا ما يدل عليه السياق ، لكن لعله راعى المقابلة بين « إنسانا » ، « قردا » ٠

(٢) ذكرنا الرد عقب الإشكال مخالفين ترتيب الرازى ، لأن هذا ـ فى نظرنا ـ هو الأولى ٠

(٣) انظر المختار مادة مسخ ص ٦٢٤ ٠

« فالاجزاء متبدلة ... وعلى جميع التقديرات فلا امتناع فى بقاء ذلك الشيء مع تطرق التغيير إلى هذا الهيكل ، وهذا هو المسخ . وبهذا التقدير ، « يجوز فى المَلَكِ الذى تكون جثته فى غاية العظم أن يدخل حجرة الرسول عليه السلام » (١) .

ثم قال الرازى :

● **والإشكال الثانى :** إن جوزنا ذلك « أى المسخ » لما أمِنَّا فى كل ما نراه قردا وكلبا ، أنه كان إنسانا عاقلا ، وذلك يفضى إلى الشك فى المشاهدات .

● والجواب : أنّ الأمانَ يحصل بإجماع الأمة .

ولمَّا ثبت بما قررناه جوازَ المسخ ، أمكن إجراءُ الآية على ظاهرها ، ولم يكن بنا حاجة إلى التأويلِ الذى ذكره مجاهدٌ رحمه الله ، وإن كان ما ذكره غير مستبعد جدا لأن الإنسانَ إذا أصر على جهالته - بعد ظهور الآيات وجلاء البينات - فقد يقال فى العرف الظاهرِ إنه حمارٌ وقردٌ، وإذا كان هذا المجازُ من المجازاتِ الظاهرةِ المشهورة لم يكن فى المصير إليه محذور ألبتة » اهـ .

● فأنت ترى أن الرازى - رحمه الله - أجاز القولين ثم عاد إلى إثارة شبهة أخرى هى « أنه بعد أنْ يصير (اليهودى المعتدى) قردا ، لا يبقى له فهم ولا عقل ولا علم ، فلا يعلم ما نزل به من العذاب ، ومجرد القردية غيرُ مؤلم ، لأن القرودَ حال سلامتها غيرُ متألمة ، فمن أين يحصل العذاب بسببه ؟ !

● وأجاب بقوله : « لم لا يجوز أنْ يقال إنّ الأمرَ الذى بسببه يكون الإنسانُ عاقلا فاهما ظل باقيا ، إلا أنه لَماَّ تغيرت الخلقةُ والصورةُ ، لا جرم أنها كانت تعرف ما نالها من تغير الخلق بسبب شؤم المعصية ، وكانت فى نهاية الخوف والخجالة ... ولا يلزم من عدم تألم القرود الأصلية بتلك الصورة ، عدم تألم الإنسان بتلك الصورة الغريبة القردية » اهـ .

● ونضيف إلى قول الفخر الرازى رحمه الله قَولنَا : إن العقابَ لا يتحقق ولا يتم المقصود منه إلا ببقاء الغرائز والمشاعر والأحاسيس التى بها يعانى هؤلاء الممسوخون آلامَ عذاب المسخ .

---

(١) يشير الرازى الى ما ورد فى وصف جبريل عليه السلام فى حديث بدء الوحى فى الصحيحين بأنه « سادٌ عظم خلقه ما بين السماء والأرض ...» ومع ذلك فقد كان يدخل حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم حال الوحى .. لكن مع التبدل من حالة الى حالة . والتشبيه مع الفارق وأنظر فى تفصيل أحوال الوحى والملك بحثنا « القرآن الكريم من قضايا الوحى والتنزيل » ص ٤٩ .

٦) رأى ابن كثـــير (١) :

ذكر ابن كثير رأى مجاهد ووصف إسناد هذا الرأى إلى مجاهد بأنه إسناد جيد ، ثم وصف رأى مجاهد بأنه قولٌ خلافُ الظاهرِ من السياق فى هذا المقام وفى غيره ، واستشهد ببعض الآيات الأخرى الواردة فى مسخ بنى إسرائيل ثم ذكر رأى « العوفى » فى تفسيره من أن الشباب صاروا قردة ، وأن الشيوخ صاروا خنازير ، وذكر رأى « قتادة » من أن القوم قد صاروا قردة تتعاوى ، ولها أذناب ، وروى « ابن كثير » أن الذين نهوهم كانوا يدخلون عليهم فيقولون : يا فلان ألم ننهكم فيقولون : برؤسهم أى بلى ، وذكر رواية « الضحاك » عن « ابن عباس » وهى : مسخهم الله قردةً بمعصيتهم ... ثم قال « ابن عباس » : « ولم يعش مسخٌ قط فوق ثلاثة أيام ، ولم يأكل ولم يشرب ، ولم ينسل » وبعد ذكر العديد من الروايات المؤيدة للمسخ عن أئمة التفسير بين « ابن كثير » أن الغرض من ذكرها هو بيان خلاف ما ذهب إليه « مجاهد » رحمه الله من أن المسخ كان معنويا لا صوريا والصحيح أنه معنوى صورى والله أعلم . اهـ .

٧) رأى القاســـمى : (٢)

نقل القاسمى آراء سابقيه من المفسرين ، ثم ارتضى هذا الرأى وهو : « والمسخ بالحقيقة حق غير منكر فى الدنيا والآخرة ... وردت به الآيات والأحاديث . وفى أثر : عدد الممسوخ ثلاثة عشر ، وبَيَّنَ أعمالهم ومعاصيهم وموجبات مسخهم . والحاصل أن من غلب عليه وصفٌ من أوصافِ الحيوانات ، ورسخ فيه بحيث زاول استعداده وتمكن فى طبعه ، وصار صورةً ذاتية له . صار طَبْعُه طَبْعَ ذلك الحيوان ، ونفسه نفسه ، فصارت صفته صورته » اهـ .

٨) رأى الشـــيخ رشـــيد رضـــا :

انتهج الشيخ رشيد منهج أستاذه فى إنكار مسخ الصورة والخلقة فبعد ذكره فى تفسيره لرأى مجاهد قال (٣) : « والأمر للتكوين ، أى فكانوا بحسب سنة الله فى طبع الانسان

---

(١) أنظر تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٠٥ - ١٠٧ .

(٢) أنظر « محاسن التأويل » لمحمد جمال الدين القاسمى جـ ٢ ص ١٥٠ ، ١٥١ .

(٣) أنظر تفسير المنار جـ ١ ص ٣٤٤ ، ٣٤٥ .

وأخلاقه كالقردة المستذلة المطرودة من حضرة الناس ... ثم قال : وذهب الجمهور أيضا إلى أن معنى « كونوا قردة » أنَّ صورهم مسخت فكانوا قردة حقيقيين ، والآية ليست نصًا فيه ، ولم يبق إلا النقل ، ولو صح لما كان فى الآية عبرة ولا موعظة للعصاة ، لأنهم يعلمون بالمشاهدة أن الله لا يمسخ كل عاص ، فيخرجه عن نوع الانسان ، إذ ليس ذلك من سننه فى خلقه وإنما العبرة الكبرى فى العلم بأن من سنن الله تعالى فى الذين خلوا من قبل : أن من يفسق عن أمر رَبِّه ، ويتنكب الصراط الذى شرعه له ، ينزل عن مرتبة الإنسان ، ويلتحق بعجماوات الحيوان ، وسنة الله تعالى واحدة فهو يعامل القرون الحاضرة بمثل ما عامل به القرون الخالية ... ثم يقول : « وحديثُ المسخ والتحويل ، وأن أولئك قد تحولوا من أناس إلى قردة وخنازير ، إنما قصد به **التهويل والإغراب** ، فاختيار ما قاله مجاهد هو **الأوفق** بالعبرة ، **والأجدر بتحريك الفكرة ... ثم يقول : إنه ليس فى تفسير الآية حديث مرفوع إلى النبى صلى الله عليه وسلم نص فيه على كون ما ذكر مسخا لصورهم وأجسادهم ، وقد ذكر الحافظ « ابن كثير » فى تفسيره قول مجاهد إنَّ المسخَ معنوى ، وقول الآخرين إنه صورى ، ثم قال : والصحيح أنه معنوى صورى ، فما مراده بذلك ؟ ! » أهـ .**

وما كان ينبغى لمثل الشيخ رشيد أن يغيب عنه مرادُ الحافظ « ابن كثير » ، فالمسخ المعنوى هو مسخ قلوبهم لزيغهم عن الحق ، والمسخ الصورى هو مسخُ صورهم وأبدانهم ، ليتطابق ظاهرهم مع باطنهم .

ولما عاد إلى تناول الموضوع فى سورة الأعراف (١) ذكر الخلافَ فى المسخ أهو مسخُ خَلْق وبدن ، أم مَسْخُ خُلُقٍ ونَفْسٍ ، ثم قال : فالأول قول الجمهور ، والثانى : قول مجاهد » .

٩) رأى الشيخ عبد الجليل عيسى (٢) :

فى تفسير الآيتين ٦٥ ، ٦٦ من سورة البقرة حول « المسخ » اكتفى بذكر المعنى اللغوى لكلمة خاسئين نقلا عن لسان العرب فقال الخاسئ من الكلاب والخنازير هو المبعد المطرود يقال : خسأ فلانٌ الكلب يَخْسَؤه بفتح السين خَسْئاً وخسوءا أيضا ، أى طرده مَهِيناً ذليلا ، وخسأ الكلبُ ابتعد ذليلا . اهـ .

---

(١) أنظر تفسير المنار جـ ٩ ص ٣٧٩ ، ٣٨٠ .

(٢) أنظر المصحف الميسر فى تفسير آيات البقرة والأعراف حول المسخ .

ولكنه عند قوله تعالى « **كونوا قردة خاسئين** » **(١٦٦ : الأعراف)، صرح بالتأويل فقال : والمراد أصبحوا كالقردة فى الإحتقار ·**

سابعا : تأويل « طمس الوجوه » بالرؤساء والمقاصد والأماكن :

يقول الله جل ذكره : « **يأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا** » **(٤٧ : النساء) ·**

من المفسرين من حمل الطمس فى هذه الآية على ظاهره ، ومنهم من سلك به أودية المجاز وبيان ذلك كما يلى : (١)

(١) تفسير الوجه بمعناه الجسمانى وهو وجه البدن :

وقد استعملت الكلمة فى القرآن الكريم بهذا المعنى فى أكثر مواضع ورودها كما فى قوله تعالى : « **... فاغسلوا وجوهكم ...** » (٦ : المائدة) ، « **... فامسحوا بوجوهكم ...** » (٦ : المائدة) ، « **قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينَّك قبلةً ترضاها فول وجهك شطرَ المسجد الحرام** » (١٤٤ : البقرة) ، وهو بهذا المعنى المادى فى ١٤٩ ، ١٥٠ : البقرة أيضا ، ومن هذا الاستعمال أيضا : « **فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم** » (٢٩ : الذاريات) ، كل هذه الآيات وغيرها كثيرٌ ، استعمل فيها الوجه بمعناه الحقيقى الجسمانى ·

● **وعلى هذا المعنى فسر طمس الوجه بما يلى :**

أ ـ محو آثارها من العينين والحاجبين والأنف والفم حتى تصير كالأقفاء ، فيصبح الوجه والقفا سواء فى عدم الحواس والمعالم ·

ب ـ أن المقصود بطمس الوجوه : تحويلها من جهة الأمام إلى القفا ، فتصبح العينان فى القفا فيمشون على أعقابهم القهقرى ·

جـ ـ أن المقصودَ بطمس الوجوه : طمس الأعين فتصير عَمياء كما استشهد « الطبرى » لهذا المعنى بقوله : « ومن ذلك قيل للأعمى الذى تَعَفَّى غَرٌّ ما بين جفنى عينيه فدثر : (أعمى مطموس ، وطميس) كما قال الله جل ثناؤه : « **ولو نشاء لطمسنا على أعينهم** » (٦٦ : يس) ، قال أبو جعفر : الغَرُّ (الشق الذى بين الجفنين) ا هـ ·

---

(١) رجعنا فى تفسير هذه الآية إلى تفسير الطبرى جـ ٨ ص ٤٤٠ ـ ٤٤٨ ط : المعارف المحققة ، ابن كثير جـ ١ ص ٥٠٧ ، ٥٠٨ ط : الحلبى ، والكشاف للزمخشرى جـ ١ ص ٤٠٦ ط : الحلبى ، ومحاسن التأويل للقاسمى جـ ٥ ص ١٢٨٢ ـ ١٢٨٦ ، وتفسير المنار جـ٥ ص ١١٧ ، ١١٨ وإلى معاجم ألفاظ القرآن الكريم وبعض المعاجم اللغوية ·

(٢) تأويل طمس الوجوه بردها عن الحق :

جاء استعمال الوجه فى القرآن بغير مفهومه الحسى كما يلى :

جاء الوجه بمعنى : أول الشىء وبدايته كقوله تعالى : « **آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره** » (٧٢ : آل عمران) ٠

وفسر الوجه بحقيقة الشىء وكنهه كما فى قوله تعالى : « **ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها** ».(١٠٨ : المائدة) ٠

● ومن هذا الوادى فسر بعضهم طمس الوجه بالتحول عن الصراط الحق ، وقد عزا الطبرى هذا الرأى إلى المفسر التابعى مجاهد بن جبر بعدد من الأسانيد ، وعبارته : « أن نطمس وجوها عن صراط الحق فنردها على أدبارها فى الضلالة » ونسب الطبرى هذا الرأى إلى الحسن كذلك ، وأخبرنا أن الضحاك فسرها بقوله : « أىْ : أنْ نردهم عن الهدى والبصيرة ، فقد ردهم على أدبارهم ، فكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به » ٠

● وكان للطبرى **رده الوجيز البليغ** على هذا الرأى حين قال (١) : « فَبَيِّنٌ فسادُ قول من قال ذلك ، فما وجه رد من هو فى الضلالة فيها ؟ ! وإنما يرد فى الشىء من كان خارجا منه ، فأما من هو فيه فلا وجه لأن يقال « نرده فيه » » ٠

(٣) تأويل الوجوه بالديار والمساكن :

وبعضهم فسر طمس وجوههم بقوله : « من قبل أن نطمس وجوههم التى هم (٢) فيها ، فنردهم إلى الشام من مساكنهم بالحجاز وقد قال الطبرى (٣) عن هذا الرأى إنه : « مما يدل عليه ظاهر التنزيل بعيدٌ » ٠ وذلك أن المعروف من (الوجوه) في كلام العرب التى هى خلاف (الأقفاء) وكتاب الله يُوَجَّهُ تأويلهُ إلى الأغلبِ(٤) فى كلام مَنْ نَزَلَ بلسانه ، حتى يدل على أنه مَعْنيٌّ به غير ذلك من الوجوه ٠

(٤) تأويل طمس الوجوه بإبطال المؤامرات :

وقال بعضهم المقصود بطمس الوجوه إبطال مؤامراتهم ، وبهذا التأويل قال الشيخ رشيد رضا ، وعبارته (٥) : « فظاهرُ معنى العبارة هنا : آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من

---

(١) انظر الطبرى جـ ٨ ص ٤٤٣ ٠

(٢) والمقصود بالوجوه على هذا التأويل أماكن الإقامة ٠

(٣) انظر تفسير الطبرى جـ ٨ ص ٤٤٤ ٠

(٤) هذه العبارة : « قاعدة جليلة » لو اتبعها كثير ممن يصرفون النصوص عن حقائقها ، لو فروا على هذه الأمة جهودا ضيعت وأوقاتا بددت ، ولكُفِيَتْ الأمة شرَّ فتن كثيرة ٠

(٥) انظر تفسير المنار جـ ٥ ص ١١٨ ط : الهيئة المصرية العامة للكتاب ٠

قبل أنْ نطمس **وجوه مقاصدكم** التى توجهتم إليها فى كيد الإسلام ، ونردها خاسئةً خاسرةً إلى الوراء بإظهار الإسلام ونصره عليكم ، وفضيحتكم فيما تأتونه باسم الدين والعلم الذى جاء به الأنبياء ، وقد كان لهم عند نزول الآية شىءٌ من المكانة والمعرفة والقوة ، فهذا ما نفسرها به على جعل الطمس والرد على الأدبار معنويين وبه قال مجاهدٌ ولكن أوجز » ا هـ ·

(٥) تأويل الوجـوه بالرؤسـاء والوجهاء :

وقيل إن المقصود بطمس الوجوه ما ذكره الزمخشرى بقوله (١) : « ووجه آخر وهو : أن يراد بالطمس القلب والتغيير ، كما طمس أموال القبط فقلبها حجارة ، وبالوجوه رؤساؤهم ووجهاؤهم ، أى من قبل أن نغير أحوال وجهائهم فنسلبهم إقبالهم ووجاهتهم ، ونكسوهم صغارهم وإدبارهم » ·

مختار القــول : وبعد استعراض الآراء فى تفسير الآية استعراضا وافيا وإن لم نبلغ به حد الاستقصاء ، نرى أن أولى الآراء هو حمل الوجه على **حقيقته** ، وأن الطمسَ على أصل معناه من المحو والإزالة والإخفاء ·

وهذا الترجيح هو الذى ارتضاه الطبرىّ حين قال (٢) : « وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب : لأن الله جل ثناؤه خاطب بهذه الآية اليهود الذين وصف صفتهم بقوله : « **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ...** » **(٤٤ : النساء)** ، ثم حَذَّرَهم جل ثناؤه بقوله : « **يأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أنْ نطمس وجوها فنردها على أدبارها** » الآية ، بأسَه (٣) وسطوته وتعجيل عقابه لهم ، إن هم لم يؤمنوا بما أمرهم بالإيمان به ، ولا شك أنهم كانوا لما أمرهم بالإيمان به يومئذ كفارا » ا هـ ·

● وآثر القاسمى حمل الآية على الحقيقة فقال (٤) : « ولا يخفى أن جميع ما ذكر من التأويلات غير الأول ، لا يساعده مقامُ تشديد الوعيد ، وتعميم التهديد · فإن المتبادر من اللفظ الحقيقةُ ، ولا يصار إلى المجاز إلا إذا تعذر إرادتها ، ورَدَّ على القائلين بأنَّ قرينةَ المجازِ هى عدم وقوع المتوعد به ، بأنه ليس فى الآية ما يدل على تحتم وقوع الوعيد إن لم يؤمنوا ، ولو فُهِمَ

---

(١) انظر الكشاف جـ ١ ص ٤٠١ ·

(٢) الطبرى جـ ٨ ص ٤٤٣ ·

(٣) منصوبة بحذرهم فى جملة : « ثم حَذَّرهم جل ثناؤه » ·

(٤) انظر محاسن التأويل جـ ٥ ص ١٢٨٤ ـ ١٢٨٦ · بإيجاز ·

منها هذا فهما أوليا ، لكان إيمانُهم بعدها إيمانَ إلجاءٍ واضطرارٍ ، وهو ينافى التكليفَ الشرعى ، وذهب إلى أنَّ هذه الآية هى كقوله تعالى : « **ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنىَّ يبصرون ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون** » (٣٦ : يس) ، ثم قال القاسمى : « فهذه عندى تفسير لتلك ، والقرآن يفسر بعضه بعضا ، وحول تعقيب الآية بقوله تعالى : « **وكان أمر الله مفعولا** » أى : ما يأمر به ، ويريد وقوعه ٠ وإذا كان الوعيد منوطا بأمره سبحانه ، فله أن يمضيه على حقيقته ، وله أن يصرفه لما هو أعلم به ٠ إلا أنَّ ورود نظم الآية بهذا الخطاب المتبادر فى الوقوع غير المعلق ، ليكون أدخل فى الترهيب ، ومزجرةً عن مخالفةِ الأمرِ ... هكذا ظهر لنا الآن ، وهو أقرب مما نحاه المفسرون هنا من أن العقاب منتظرٌ ، أو أنه مشروط بعدم الإيمان إلى غير ذلك » ا هـ ٠

ثامنا : تأويـلات شـتى حـول « مـائدة الحـواريين » :

قال الله تبارك وتعالى : « **إذْ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدةً من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين ٠ قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أنْ قَدْ صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين ٠ قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين ٠ قال الله إنى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإنى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين** » (١١٢ : ١١٥ : المائدة) ، اختلف أهل التأويل حول أمر هذه « المائدة » اختلافا عظيما فمنهم من قال بنزولها وأسهب ، ومنهم من جحد نزولها ، ومنهم من تأول آيات القرآن ليفسرها بغير الثابت والصحيح من أسفار الإنجيل ومنهم من فسرها بمائدة المعارف الروحية وهاكم بعض التفاصيل :

١ ـ الذين جحدوا نزولها :

حدثنا الطبرى (١) من أنبائهم ، وحكى لنا اختلافهم فى مقالة الإنكار ، فذكر عن بعضهم أنهم قالوا : « إنما هذا **مثل ضربه** الله تعالى لخلقه ، نهاهم به عن مسألة نبى الله الآيات ، ولم ينزل شىء ، ونُسِبَ هذا الرأىُ إلى مجاهدٍ ٠

---

(١) انظر تفسير الطبرى جـ ١١ ص ٢٣٠ ـ ٢٣١ ط : المعارف ٠

وقال آخرون إنَّ القوم لما قيل لهم : « فمن يكفر بعد منكم فإنى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين » استعفوا منها فلم تنزل ، وعزا « الطبرى » هذا الرأى إلى « الحسن » · وقد تعرض ابن كثير (١) لرأى المنكرين لنزولها فقال عنه من حيث الإسناد : « « وهذه أسانيد صحيحة إلى « مجاهد » « والحسن » » · ثم ارتأى ابن كثير أن - يعرض لحجج المنكرين لنزولها والمثبتين فقال محتجا لدعوى الإنكار : « وقد يتقوى ذلك (يعنى إنكار نزولها) بأن خبرَ المائدةِ لا يعرفه النصارى وليس هو فى كتابهم (٢) ، ولو كانت قد نزلت لكان ذلك مما تتوفر الدواعى على نقله ، وكان يكون موجودا فى كتابهم متواترا ، ولا أقل من الآحاد ، والله أعلم » ثم قال عن رأى - المثبتين إنه هو الذى عليه الجمهور وهو الذى اختاره ابن جرير ، ونقل حجة ابن جرير فى الإثبات ثم بين ابن كثير موقفه هو بقوله : « وهذا القول هو - والله أعلم - الصوابُ ، وكما دلت عليه الأخبار والآثار عن السلف » اهـ ·

٢ - رأى ابن جـرير الطـبرى :

استعرض ابن جرير رأى « المثبتين » لنزولها « والمنكرين » ثم انتهى إلى تقرير موقفه (٣) وهو « والصواب من القول عندنا فى ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره أنزل المائدة على الذين سألوا عيسى مسألته ذلك ربه · وإنما قلنا ذلك ، للخبر الذى روينا بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابِه ، وأهلِ التأويل من بعدهم ، غير من انفرد بما ذكرنا عنه · وبَعْدُ : -

فإن الله تعالى ذكره لا يخلف وعدَه ، ولا يقع فى خبره الخلفُ ، وقد قال تعالى ذكره مخبرا فى كتابه عن إجابة نبيه عيسى صلى الله عليه وسلم حين سأله ما سأله من ذلك : « إنى منزلها عليكم » ، وغير جائز أن يقول تعالى ذكره : « انى منزلها عليكم » ، ثم لا ينزلها ، لأن ذلك منه تعالى ذكره خبر ، ولا يكون منه خلافُ ما يُخْبِرُ · ولو جاز أن يقول « إنى منزلها عليكم » ثم لا ينزلها عليهم ، جاز أن يقول « فمن يكفر بعد منكم فإنى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين » ، ثم يكفر منهم بعد ذلك ، فلا يعذبه ، فلا يكون لوعده ولا لوعيده حقيقةٌ ، ولا صحةٌ · وغيرُ جائزٍ أن يوصف ربنا تعالى ذكره بذلك » اهـ ·

---

(١) انظر تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ١١٩ ط : الحلبى ·

(٢) ليس للنصارى الآن كتاب واحد بل هى أسفار شتى : كتبها آحاد « بأيديهم » ورواها عنهم آحاد ، وصلتها بالوحى منقطعة ·

(٣) انظر تفسير ابن جرير الطبرى جـ ١١ ص ٢٣١ - ٢٣٢ ·

٣ ـ محتـويات المـائدة :

أسهب بعض المفسرين فى ذكر محتويات المائدة من الأرغفة ، ومشوى السمك الدسم ، وما نضد حولها من كل البقول ، وما وضع عليها من الزيتون ، والرمان ، والثمرات ، ومن هذا ما فعله « القرطبى » حين نقل عن غيره ـ وأنصف فذكر أسانيدَ نقوله ـ وكان مما قال عن حديث محتويات المائدة « فى هذا الحديث مقال ولا يصح مِنْ قِبَلِ إسناده » وبعد مناقشة الأسانيد والكلام فى رفعها أنهى **مطافه** بهذه العبارة الجامعة : « والمقطوع به أنها نزلت وكان عليها طعام يؤكل والله أعلم **بتعيينه** (١) .

ولقد سبقه إلى هذا النهج القويم شيخ المفسرين الطبرى حين قال : (٢) « وأما الصواب من القول فيما كان على المائدة فأن يقال : كان عليها مأكول ، وجائزٌ أن يكون سمكا وخبزا ، وجائزٌ أن يكون ثمرا من ثمر الجنة ، وغيرُ نافعٍ العلم به ، ولا ضارٍ الجهل به ، إذا أقَرَّ تالى الآية **بظاهر ما احتمله** التنزيل » اهـ .

٤ ـ المـائدة فى روايـة « انجيل متى » (٣) :

ذكرنا منذ قليل رأىَ الحافظِ « ابن كثير » الذى يقول فيه : إن « خبر المائدة لا يعرفه النصارى وليس فى كتابهم » ، ولقد حاول الشيخ عبد الوهاب النجار (٤) أن يأخذ من كلام ابن كثير ما يوافق هواه ، ثم ادعى أن الإشارةَ إلى المائدةِ قد وجدت فى كتب النصارى مستندا فى ذلك إلى قصة وردت فى « إنجيل متى » تتفق بعض الإتفاق مع بعض الروايات الواهية والمدخولة فى كتب التفسير عن المائدة ، وتختلف كل الاختلاف عن ما ذكره العلى الأعلى فى القرآن الكريم عن المائدة فما هى رواية « مَتَّى » فى إنجيله ؟

ابتدأ « متى » الإصحاح الرابع عشر بذكر قصة قتل يوحنا (يحيى عليه السلام) على يد الحاكم الرومانى هيرودس ثم انتقل إلى القصة التى توهم الشيخ النجار أنها هى قصة المائدة ونص عبارات « متى » هو : « ولما صار المساء تقدم اليه تلاميذه قائلين : الموضع خلاء ،

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن « للقرطبى » جـ ٦ من ص ٣٦٤ ـ ٣٧٤ .

(٢) انظر تفسير الطبرى جـ ١١ ص ٢٣٢ .

(٣) ينقسم العهد الجديد : وهو الكتاب المقدس عند المسيحيين إلى سبعة وعشرين سفرا منها الأناجيل الأربعة وهى : إنجل متى ، وإنجيل مرقس ، وإنجيل لوقا ، وإنجيل يوحنا ، ومن اليقين أنها جميعا ليست هى « الإنجيل » الذى أنزله الله تعالى على المسيح عيسى عليه السلام ، بل هى أشبه بالتاريخ لحياة المسيح عليه السلام مع ذكر بعض الوصايا التى تنسب إليه .

(٤) انظر كتاب « قصص الأنبياء » للشيخ عبد الوهاب النجار ص ٤١٢ ط الثالثة .

والوقت قد مضى ، اصرف الجموعَ لكى يمضوا إلى القرى ، ويبتاعوا لهم طعاما ، فقال لهم « يسوع » لا حاجة لهم أن يمضوا ، اعطوهم أنتم ليأكلوا ، فقالوا له ليس عندنا ههنا إلا خمسة أرغفة وسمكتان · فقال : إيتونى بها إلى هنا · فأمر الجموعَ أن يتكئوا على العشب ، ثم أخذ الأرغفة والسمكتين ، ورفع نظره نحو السماء وبارك وكسر ، وأعطى الأرغفة للتلاميذِ ، ... والتلاميذُ للجموع ، فأكل الجميعُ وشبعوا ، ثم رفعوا ما فضل من الكِسَرِ اثنتى عشرة قفة مَمْلُوءَة ، والآكلون كانوا خمسة آلاف رجل ما عدا النساء والأولاد · » (١)

٥ ـ أ ـ تأويل صاحب قصص الأنبياء لنزول المـائدة :

حينما أصدر الشيخ « محمد عبد الوهاب النجار » كتابه « قصص الأنبياء » قارن المنصفون كتابه بكتاب « قصص الأنبياء » للثعلبى المسمى (بعرائس المجالس) وهو كتاب قَمَّ فيه مؤلفه الكثير من الإسرائيليات والخرافات ، فكانت عقبى المقارنة رجحانَ كتاب الشيخ النجار ، لكن كتابه لم يخل من هفوات تعد عليه ، ولا من مآخذ : أمرها لم يكن هونا ، وقد انتقدتها عليه **لجنة من كبار العلماء** حين صدور الكتاب ، ومن هذه المآخذ : **تأويله لقصة نزول المائدة** تأويلا عجيبا ، يُخْضِعُ فيه القرآنَ لأقاصيص العهد الجديد ، وللخرافات الإسرائيلية ، ونقل القصة التى نقلناها آنفا عن انجيل متى ثم قال : « إن هذه المسألة هى مسألة المائدة السماوية **ومعنى كونها سماوية** أن الله تعالى **بارك** فى الطعام بطريقة غير معروفة ولا مألوفة ، وقد حكيت فى القرآن ، وبعد ذكر الشيخ لآيات سورة المائدة ، وآراء المفسرين فى نزولها ، أو عدم نزولها ، عاد ليؤكد رأيه بقوله : (وأنا أكرر القول : إن مسألة المائدة هى مسألةُ الأرغفة الخمسة والسمكتين ، والمراد بانزالها عليهم : أنْ يرزقهم الله الطعام الكثير من حيث لا يحتسبون) ثم عَاوَدَ القول (٢) « إنه يمكن حمل إنزال المائدة من السماء : على تيسير الطعام لهم بدون الأسباب العادية التى يعرفونها ، وقد جرى العرف على تسمية الأشياء التى يعجز الناس عن تعليلها بأنها سماوية ، وذُكِرِ ذلك فى كتب الفقهاء كثيرا ، وتكثير الطعام القليل إلى أن يعم الآلاف من الناس أَمْرٌ يَعْجَزُ البشر بمقتضى بشريتهم عن أنْ يأتوا بمثله » ا هـ ·

---

(١) انظر الإنجيل الأول من العهد الجديد وهو إنجيل متى الإصحاح الرابع عشر الفقرات من ١٥ : ٢١ ·

(٢) انظر قصص الأنبياء ص ٤١٥ ·

ب ـ المآخذ على تأويله :

المأخذ الأول : تفسير القرآن بالأعراف ، والعرف : مختلف باختلاف الناس والزمان والمكان ، وذلك كما ترى فى قوله : « وقد جرى العرف على تسمية الأشياء التى يعجز الناس عن تعليلها بأنها سماوية » ٠

المأخذ الثانى : صرف القرآن عن الظاهر المتبادر ، وعن دلالة السياق ، ليوافق روايةً فى الإنجيل لوِ سلمنا جدلا بصحتها فهى مختلفةٌ عن مائدة الحواريين ، ثم دعواه أنه يَتَحَدَّى لجنة العلماء أن تأتى مِنْ ألفاظه ما يبين أنه قال بصحة إنجيل « متى » ونقول له لا دليل عليك أقوى ولا أبلغ مما فعلت ٠

المأخذ الثالث : زعمه أن (١)معجزةَ المائدةِ ليس فيها نص قَطْعِىُّ الثبوت والدلالة ، وهو زعمٌ ما كان لمثله أن ينزل نفسه هذا المنزل الوعر ، فآيات سورة المائدة قطعية الثبوت إيمانا يقينا منا ومنه ، ودلالتها أيضا كذلك ٠

المأخذ الرابع : اعترافه صراحةً بأنه اتخذ التأويل سُلَّمًا للإنكار ، وذلك حين قال فى خاتمة رده (٢) : « هل يزيد ما قلته على أنى أنكر نزولَ المائدة ؟ وهل يعيبنى عند ربى أن انتظم فى صف مجاهد والحسن » ٠

المأخذ الخامس : مع أننا لا نأخذ فى هذه المسألة برأى « مجاهد والحسن » رحمهما الله وغفر لهما ، إلا أن تأويل الشيخ النجار يختلف تماما عن صنيعهما ٠

المأخذ السادس : نقله بعض المسطورِ فى كتبِ التفسير ، دون الاشارة إلى أن أصحاب هذه التفاسير ينقلون ما يوافقهم وما يخالفهم ، وقد سبق أن نقلنا لقارئ هذه الأسطر عن الطبرى وابن كثير ما يبين إيمانهما بنزول المائدة ، ولكن الشيخَ كان يوهم القارئ بترجيح المفسرين لما ليس براجح عندهم ٠

المأخذ السابع : قوله إن كلمة « الإنزال » فى القرآن وردت لعديد من المعانى غير معناها الأول وهو « الإنزال » من السماء إلى الأرض ، ليكون هذا التلبيسُ عَوْناً له على تأويله ٠

المأخذ الثامن : يظهر للمتمعن لآراء الشيخ أنه ينكر « نزول المائدة » اتباعا لمذهب عقلى جامح يحاول أن يخضع الأخبار الغيبيةَ فى القرآنِ للمنطق المادى ٠

(١ ، ٢) هذه العبارات منقولة من قصص الأنبياء كما سبقت الاشارة ، ورأينا تجنبا للتكرار إيراد مآخذنا مع عبارته المنتقدة ٠

٦ ـ نسـيج الخيـال حـول المـائدة :

لم يقف خيال الروائيين عند محتويات المائدة كما سبق أن أسلفنا بل امتد ليصور أنَّ : واحدا من الحواريين وهو « شمعون » سأل المسيح عليه السلام عن طعامها أهو من طعام الدنيا أم من طعام الآخرة ؟ وأن المسيح عليه السلام أجاب : بأنه ليس منهما ، وإنما اخترعه الله سبحانه وتعالى بقدرته ، ونحن لا نحاكم هذه الرواية إلى العقل لو صحت ، وإنما نحاكمها لأنها هجمةٌ على الغيب بالخيال والهوى .

وتصور رواية ثانية : أن الحواريين سألوا المسيح عليه السلام أنْ يُحْدِث لهم من آية المائدة **آية أخرى** ، فنادى سمكةً أن تحيا بأذن الله تعالى فاضطربت ، ثم قال لها عودى كما كنت ، فعادت مشوية .

وتصور رواية ثالثة : أن المائدة كانت تطير وترتفع ، ثم تهبط إليهم وهكذا استمر أمرها أربعين يوما .

وتصور رواية رابعة : أنه لم يأكل منها فقير إلا ولازمه الغنى طيلة حياته ، ولم يطعم منها مريض إلا فارقه المرضُ ، وظل مهاجرا له ما دام حيا .

وهكذا سطرت الروايات ، واختُلِقَتْ الأساطير ، ومن عجبٍ أن ننقل ما سبق من الروايات عن تفسير الزمخشرى ، والبيضاوى (١) وهما من كتب التفسير بالرأى لا بالرواية ، ولو جاءنا النقلُ الصّحيحُ بهذه الأخبارِ ما ترددنا فى قبولها لحظة من نهار .

٧ ـ التأويلات الصوفية للمائدة بأنها مادة الغذاء الروحى :

نقل البيضاوى (٢) فى تفسيره عن بعض الصوفية تفسيرا للمائدة ، وهو بنص عبارته : « المائدة هنا عبارة عن حقائقِ المعارف فإنها غذاءُ الروح ، كما أن الأطعمة غذاء البدن ، وعلى هذا فلعل الحال : أنهم رغبوا فى حقائق **لم يستعدوا للوقوف** (٣) عليها ، فقال لهم عيسى عليه السلام : إن حصلتم الإيمانَ فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها ، فلم يقلعوا عن السؤال وألحوا فيه ، فسأل لأجل اقتراحهم ، فبين الله سبحانه وتعالى أن إنزالها سهل ، ولكنْ فيه خطرٌ وخوفُ عاقبة ، فإن السالك إذا انكشف له ما هو أعلى من مقامه ، لعله لا يحتمله ولا يستقر له ، فيضل به ضلالا بعيدا » اهـ .

---

(١) انظر تفسير الكشاف للزمخشرى جـ ١ ص ٤٩١ وعنه نقل البيضاوى فى تفسيره « أنوار التنزيل وأسرار التأويل » ص ١٣٧ ط : المطبعة المصرية .

(٢) انظر تفسير البيضاوى ص ١٣٧ .

(٣) تعبر هذه العبارات عن « الفكر الباطنى » عند المتصوفة .

وذهب القشيرى : يحمل آيات سورة المائدة « أفكاره الصوفية » فقال (١) : « طَلَبَ المائدةَ « المسيحُ عليه السلام » لتسكن قلوبهم بما يشاهدونه من عظيم الآية وعجيب المعجزة ، فعذروا وأجيبوا إليها ، إذْ كان مرادهم حصول اليقين وزيادة البصيرة ·

ويقال كلٌّ يطلب سُؤْلَه على حسب ضرورته وحالته ، فمنهم من كان سكونه فى مائدة من الطعام يجدها ، ومنهم من يكون سكونه فى مائدة من الموارد يردها ، وعزيز منهم من يجد الفناء (٢) عن برهانٍ يتأمله ، أو بيان دليل يطلبه ·

وشَتَّان بين أمةٍ طلب لهم نبيهم سكوناً بإنزال المائدة عليهم ، وبين أمة بدأهم الله سبحانه بإنزال السكينة عليهم ، من غير سؤال أحدٍ قال الله تعالى : « **هو الذى أنزل السكينة فى قلوبِ المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم** » (٤ : الفتح) ·

وفرقٌ بين مَنْ زيادة إيمانه بآياته التى تتلى عليهم ، وبين من يكون سكونهم إلى كرامات وعطايا تباح لهم · فلما انتهى القشيرى إلى قوله جل ذكره : « **قال الله إنى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإنى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين** » (١١٥ : المائدة) أجابه إلى سؤاله (٣) لهم ، ولكن توعدهم بأليم العقاب لو خالفوا بعده ، ليعلم السالكون أن المراد إذا حصل ، وأن الكرامة إذا تحققت ، فالخطر أشد ، والحال من الآفة أقربُ ، وكلما كانت الرتبة أعلى ، كانت الآفة أخفى ، ومِحَنُ الأكابرِ إذا حَلَّتْ جَلَّتْ (٤) » أهـ ·

٨ ـ تعقيب :

تفقد الألفاظُ اللغويةُ دلالتها الحقيقية فى « الفكر الصوفى » ويُخْرَجُ بها إلى « متاهات » لا إلى « مجازات » فالمائدة هى « مائدة المعارف » ، والحقائق الدينية « أسرار محجبة » وعلوم « مضنون بها على غير أهلها » ، وإذا انكشفت لذوى « الرتب الأدنى » ضلوا ضلالا بعيدا ، والمعلوم لكل مسلمٍ أن الحقائق الدينية هى وحى الله إلى رسوله ، وكلما ازداد المسلم علما : كان العلم سلما إلى اليقين لا إلى « الشك » ، وكلما انكشف له حكم من أحكام

---

(١) انظر لطائف الاشارات جـ ٢ ص ١٥٠ ـ ١٥١ بتحقيق دكتور ابراهيم بسيونى ط : دار الكاتب العربى بالقاهرة واللطائف تفسير صوفى كامل للقرآن الكريم ·

(٢) الفناء : مصطلح صوفى : ولعله يعنى أن العزيز من فنى فى الله فكان فناؤه مغنيا له عن طلب الدليل والبرهان ، وتعالى الله علوا كبيرا عن هذه الشطحات . وقد يتوهم قارىء أن الكلمة هى « الغناء » بالغين ، وليس كذلك . وربما قصد بقوله « وعزيز منهم » أى قليل منهم …

(٣) أى أجاب الله سُبحانه المسيحَ الى طلبه المائدة للحواريين ·

(٤) يعنى إذا نزلت بهم المحنة أظهرت حقيقة معدنهم ·

الله ، واستمسك به : كان ذلك معبرا له إلى النجاة ، لا أن « يضل ضلالا بعيدا » كما يذكر البيضاوى أو تصبح « الآفة أخفى » كما قال القشيرى ولو وقف القشيرى مع أنوار قوله تعالى : « **وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون** » (٢ : الأنفال) ، وقفة متجردة لما قال ما قال ، ومع هذا فقد **أجاد** « القشيرى » حين قارن بين من كانت المائدة سكونا لهم ، وبين من بدأهم الله بالسكينة .

٩ ـ اختلافات المفسرين حول قوله تعالى : « هل يستطيع ربك » :

كان المتبادر إلى ذهن القارئ أنْ تكون هذه هى نقطة البدء لكننا بدأنا بالحديث عن المائدة إذ هى محور الموضوع وعنايتنا فى هذه المباحثِ هى بذكر التأويلات ، ثم نُكِرٌّ عليها بما يُجَلّى الحقيقة ، فأما قوله تعالى : « **إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء** » (١١٢ : المائدة) ، فالأقوال فى معنى هذه الآية كثيرة فبينما نرى مفسرا كالزمخشرى يرى أن هذا القول منهم دليل على أنَّ إيمانهم كان دعوى لا حقيقة ، وذلك إذ يقول متبعا طريقته فى الفنقلة(١) فإن قلت : كيف قالوا « هل يستطيع ربك » بعد إيمانهم وإخلاصهم ، قلت : ما وصفهم الله بالإيمان والإخلاص ، وإنما حكى ادعاءهم لهما ، ثم أتبعه قوله : « إذ قال الحواريون » فآذن أن دعواهم كانت باطلة ، وأنهم كانوا شاكين ، وقولهم : « هل يستطيع ربك » كلام لا يَرِدُ مثله عن مؤمنين معظمين لربهم ... « نقول بينما يقول الزمخشرى بهذا نجد مفسرا آخر ، بينه وبين الزمخشرى اختلافات فى العصر والمنهج والمذهب ، يقول بمثله ، وهذا المفسر هو ابن جرير الطبرى (٢)فقد أفاض فى مناقشة المسألة وانتهى إلى رأى (٣) هو : « وخبر الله تعالى ذكره عن القوم ينبئ بخلاف ذلك (أى بخلاف أنهم كانوا فى درجة اليقين) وذلك أنهم قالوا لعيسى إذ قال لهم : « اتقوا الله إن كنتم مؤمنين » .. « نريد أنْ نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا » فقد أنبأ هذا من قِبَلِهم أنهم لم يكونوا يعلمون أن عيسى قد صدقهم ، ولا اطمأنت قلوبُهم إلى حقيقةِ نبوته فلا بيان أبين من هذا الكلام ، فى أن القوم كانوا قد خالط قلوبَهم حَرَضٌ وشكٌ فى دينهم وتصديق رسولهم ، وأنهم سألوا ما سألوا من ذلك اختبارا » اهـ .

---

(١) انظر الكشاف جـ ١ ص ٤٩٠ ـ ٤٩١ .

(٢) نعنى بالاختلافات فى العصر أن الطبرى عاش بين ٢٢٤ و ٣١٠ هـ والزمخشرى عاش بين ٤٦٧ هـ ٥٣٨ هـ . والأول سنى وتفسيره بالأثر ، والثانى معتزلى وتفسيره بالرأى .

(٣) انظر تفسير الطبرى جـ ١١ ص ٢٢١ ط : المعارف .

١٠ ـ اختيارنا فى المســـألة :

والحق أنَّ اختيارنا فى المسألة لا يخالف فى شىء ما اختاره شيخُ المفسرين ، واستدل له بصريح دلالة ألفاظ القرآن ، وبما برهن عليه السياق (١) · ومع هذا فإن المنهج العلمى يقتضينا أن نذكر الرأى المخالف ليكون القارئ على بينةٍ ، وقد وجدنا عند القاسمى جلاء وبيانا لهذا الرأى :

١١ ـ رأى القاســـمى :

عَرَضَ القاسمى للقراءات فى الآية ثم للإشكال فيها ، فقال (٢) : « وههنا قراءتان : الأولى : (هل يستطيع ربُك) بالياء على أنه فعل وفاعل و (أن ينزل) المفعول ، والثانية بالتاء و (ربَّك) بالنصب أى سؤال ربك · فحُذِف المضاف · والمعنى : هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عنه ؟ وهى قراءة : علىٍّ ، وعائشة ، وابن عباس ، ومعاذ رضى الله عنهم ، وسعيد بن جبير والكسائى ·

قال أكثر المفسرين (٣) : الاستفهام على القراءة الأولى محمول على المجاز · إذ لا يسوغ لأحد أن يتوهم على الحواريين أنهم شكوا فى قدرة الله تعالى · لكنه كما يقول الرجل لصاحبه : هل تستطيع أن تقوم معى ؟ مع علمه بأنه يقدر على القيام ، مبالغة فى التقاضى (٤) ، وإنما قصد بقوله (هل تستطيع) هل يسهل عليك ، وهل يخف عليك أن تقوم معى ؟ فكذلك معنى الآية · لأن الحواريين كانوا مؤمنين عارفين بالله عز وجل ، ومعترفين بكمال قدرته ، وسؤالهم ليس لإزاحة شك ، بل ليحصل لهم مزيد الطمأنينة · كما قال إبراهيم عليه السلام : (ولكن ليطمئن قلبى) ولا شك أن مشاهدة هذه الآية العظيمة تورث مزيد الطمأنينة فى القلب ولهذا السبب قالوا (وتطمئن قلوبنا) وحاصله أنَّ « هل يستطيع » : سؤالٌ عن الفعل دون القدرة عليه ، وهو تعبيرٌ عنه بلازمه ، أو عن المسبب بسببه · وقيل المعنى : هل يستطيع ربك ؟ أى هل يستجيب دعوتَك إذا دعوته ؟ (فيستطيع) بمعنى (يطيع) وهما بمعنى واحد والسين زائدةٌ · كاستجاب وأجاب (٥) ، واستجبْ وأجب ، و (يطيع) بمعنى (يجيب) مجازا ، لأن المجيبَ مطيعٌ ·

---

(١) لولا خشية الإطالة لنقلنا رأى الطبرى كاملا فانظره إن شئت جـ ١١ ص ٢٢٠ الى ٢٢٢ ·

(٢) انظر كتاب (محاسن التأويل) جـ ٦ ص ٢١١٢ ، ٢٢١٣ ·

(٣) قوله « أكثر المفسرين » لا يخلو من مجانبة للدقة ·

(٤) فى الاستنهاض والمطالبة ·

(٥) تتضمن استجاب معنى أجاب . وفى زيادة المبنى زيادةُ معنى . تأمل : « فاستجاب لهم ربهم » (١٩٥ : آل عمران) . « ادعونى استجب لكم » (٦٠ : غافر) . تجد فيها الإجابة والعطاء . وبالنسبة للبشر وما فيهم من قصور جاء على لسانهم قوله تعالى : « نجب دعوتك ونتبع الرسل ...» (٤٤ : ابراهيم) ·

وذكر أبو شامة : أن النبى صلى الله عليه وسلم عاد أبا طالب فى مرض ، فقال له : يابن أخى ادع ربك أن يعافينى ، فقال : اللهم اشف عمى . فقام كأنما نشط من عقالٍ . فقال : يابن أخى إن ربَّك الذى تعبده ليطيعك . فقال : يا عم : وأنت لو أطعته لكان يطيعك . أى يجيبك لمقصودك ، وحَسَّنَه فى الحديث المشاكلةُ ، فظهر أنَّ العرب استعملته بهذا المعنى . ا هـ .

تاسعا : تأويل الفلاسفة لكيفية الوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

عند تفسير قول الله سبحانه وتعالى : « **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا ...** » (١ : الاسراء) استطرد الفخر الرازى مفندا (١) لشبهات منكرى المعراج ، فاستدل على وقوع المعراج بأن من يؤمن بنزول جبريل عليه السلام ــ من الملأ الأعلى ــ بالوحى ، يجب عليه أن يؤمن بصعود الرسول صلوات الله عليه بجسمه وروحه ليلة المعراج لأن معراج الرسول بجسده ، كنزول الملك وهو جسم . ثم ذكر تأويل الفلاسفة الذين يسميهم بالحكماء لكيفية الوحى وهو :

« زوال الحجب الجسمانية عن روح محمد صلى الله عليه وسلم ، حتى يظهر فى روحه من المكاشفات والمشاهدات بعضُ ما كان حاضرا متجليا فى ذات جبريل عليه السلام » ثم عقب الرازى على هذا التهافت الفلسفى بقوله : « تفسير الوحى بهذا الوجه هو قول الحكماء ، فأما جمهور المسلمين فهم مُقِرُّون بأن جبريل عليه الصلاة والسلام جسم ، وأنَّ نزوله عبارةٌ عن انتقاله من عالم الأفلاك إلى مكة (٢) » .

ونحن نعقب : بأن رأى الفلاسفة هذا ، اتباع للظن ومصادم لما جاء به القرآن فى شأن جبريل عليه السلام ، فالله سبحانه قد وصفه بأنه : « **ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى** » (٦ ، ٧ : النجم) ، فاستواؤه بالأفق الأعلى كما رآه رسول الله فى بدء الوحى « سادًّا عظمُ خَلْقِه ما بين السماء والأرض » فرآه على صورته الحقيقية (٣) التى خلقه الله عليها ، وهذا يؤكد الجسمانية والحركة لجبريل عليه السلام ثم قال تعالى : « **ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى** » (٨ ، ٩ : النجم) . فالدنو والتدلى والقرب هى حركات جسمانية من جبريل عليه السلام .

---

(١) تلخيص لما ذكره الفخر الرازى فى تفسيره الكبير جـ ٢٠ ص ١٤٨ .

(٢ ، ٣) فى باب « كيف كان بدء الوحى » من صحيح البخارى جـ ١ ص ٧ بحاشية السندى ط : الحلبى . ورد قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « فإذا الملك الذى جاءنى بحراء جالسٌ على كرسى بين السماء والأرض » وفى تفسير « سورة النجم » فى البخارى جـ ٣ ص ١٣٨ وردت رواية ابن مسعود أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ « رأى جبريل له ستمائة جناح » .

والقرآن صريح فى نزول جبريل عليه السلام ، كما فى قوله تعالى : « **وما نتنزل إلا بأمر ربك** » (٦٤ : مريم) ، وقوله سبحانه « **ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى** » (١٣ ، ١٤ : النجم) رأى رسول الله جبريل مرة ثانية على صورة الملائكة عند سدرة المنتهى ٠

ولقد رأى الرسولُ جبريلَ متشكلا فى صورة بشرية لرجل من العرب هو دحية الكلبى ، وفى حديث الصحيحين المروى عن أبى هريرة وعمر رضى الله عنهما ، قال عمر « بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات مرة إذ دخل علينا رجل : شديد بياض الوجه ، شديد بياض الثوب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ··· » إلخ الحديث ، فهذه كلها صفات حسية ٠

وفى حديث بدء الوحى فى الصحيحين ضم جبريلُ الرسولَ صلى الله عليه وسلم إلى صدره « ··· فأخذنى فغطنى (١) - بالتاء أو بالطاء - حتى بلغ منى الجهد مبلغه ثم أرسلنى ··· » (٢) كل هذا وغيره كثيرٌ يدحض دعاوى الفلاسفة فى كيفية الوحى (٣) ٠ على أن تصويرَ الوحى على أنه « مكاشفات » « ومشاهدات » على النحو المذكور ، قول على الله بغير علم ، وغَضٌّ من قيمة الوحى ، وتشكيك فى كيفية تلقى القرآن ، خاصة إذا علم القارئُ أنَّ هذه الألفاظ « المكاشفة والمشاهدة » انتقلت عند المتصوفة والفلاسفة عن وضعها اللغوى إلى وضع اصطلاحى ، وعندهم أن المكاشفة تقع بزعمهم « للولى » فهى دون الوحى ··· وإن زعم بعضهم أنَّ مقامَ الولاية أعلى من مقام النبوة والرسالة ، وعبر عن هذا التلبيس الإبليسى بقوله :

مقام النبوة فى برزخ فويق الرسول ودون الولى

عاشرا : تأويل الفجر : بتفجر الماء :

حول قول الله تبارك وتعالى : « **والفجر وليال عشر** » (**١ ، ٢ : الفجر**) ، **أورد المفسرون أقوالا حول معنى الفجر ، وكان من أغرب هذه الآراء رأى أورده الفخر**

---

(١) لم نجد فى عددٍ من المعاجم ما يسد النهمة فى معنى هذه الكلمة ، حتى انتهينا إلى الزمخشرى فى كتابه الفائق فى غريب الحديث والأثر جـ ٢ ص ٢٠٧ ط : الحلبى ٠ فوجدناه يقول : « الغت ، والغط ، والغطس : واحد هو المقل (أىْ الغمس) في الماء ، ولما كان من شأن مَنْ يغط صاحبه في الماء أن يدارك (يتابع) ذلك ، وأن يَضْغَطَ صاحبه ، ويبلغ منه الجهد ·· جاء حديث « ·· فغتني ·· » والمعنى : فغتني : ضغطني » اهـ بتصرف ٠

(٢) أنظر صحيح البخارى جـ ١ ص ٣ ط : الشعب ، ورواية البخارى « غطني » بالطا ، وقال ابن فارس فى المقاييس جـ ٤ ص ٣٧٩ : الغين والتاء ليس بشىء ، إنما هو إبدال تاء من طاء تقول : غططته وغتته ٠

(٣) فصلنا القول فى كيفية الوحى فى بحث عنوانه « القرآن الكريم من قضايا الوحى والتنزيل » ٠

الرازى فى تفسيره (١) وهو : « ... أوْ عنَى بالفجر : العيونَ التى تنفجر منها المياه وفيها حياة الخلق » وقد ذكر الرازى هذا التأويل بين جملة أقوال أخرى فى تفسير الآية ، وهذا التأويل يجد له عونا وظهيرا من بعض المعانى اللغوية للكلمة ، فابن فارس فى معجم المقاييس (٢) يقول : الفاء ، والجيم ، والراء : أصل واحد وهو التفتح فى الشىء ، من ذلك الفجر : انفجار الظلمة عن الصبح ، ومنه انفجر الماء انفجارا : تفتح ، والفَجْرة ، موضع تَفَتُّح الماء ، ثم كثر هذا حتى صار الانبعاث والتفتح فى المعاصى فجورا ولذلك سمى الكذب فجورا ، ثم كثر هذا حتى سُمِّىَ كلُّ مائلٍ عن الحق فاجرا ... ومن الباب : المفاجر : لانفجار الماء فيها ... ويومُ الفجار : يوم للعرب استحلت فيه الحرمة » اهـ ... وإلى معنى الشق والتفجر أشار الراغب بقوله (٣) : « ومنه تفجير الأرض عيونا وأنهارا ، ومنه قيل للصبح فجرا لكونه فجر الليل ، والفجورُ شَقٌّ فى سِتر الديانةِ » ومع ما ذكرناه من معاضدة بعض معانى الكلمة لما ذكره الرازى ، فهل يعنى هذا أن ذلكم التأويل لا يجافى الصواب ؟! الحق أن المراجع التى رجعنا إليها من كتب التفسير ذكرت للفجر معانى هى :

(١) الفجر هو « أول أوقات النهار ، الذى هو أحد قسمى الزمان » (٤) ، وقريب منه تعريف من عرفه بأنه : انفجار الظلمة عن النهار من كل يوم ، فيكون المقصود مطلق الفجر وقد نسب هذا الرأى إلى عَلِىٍ ، وابن الزبير وابن عباس رضى الله عنهم (٥) .

(٢) إن المقصود بالفجر النهار كله ، وعبر عنه بالفجر لأنه أوله وعُزِىَ كذلك إلى ابن عباس .

(٣) فجر أول يوم من المحرم : منه تنفجر السنة ، ونسب أيضا إلى ابن عباس وقتادة .

(٤) إن المقصود به صلاة الصبح .

---

(١) انظر تفسيره الكبير مفاتح الغيب سورة الفجر جـ ٨ المطبعة البولاقية أو جـ ٣٢ ط : عبد الرحمن محمد .

(٢) انظر معجم المقاييس جـ ٤ ص ٤٧٥ ، ٤٧٦ بتصرف . وقريب منه ما ورد فى معجم ألفاظ القرآن الكريم للأستاذ أمين الخولى جـ ٤ ص ٣١٩ .

(٣) انظر مادة فجر فى مفردات الراغب الأصفهانى . ص ٣٧٣ ط : الحلبى بإيجاز وتصرف .

(٤) أحكام القرآن لأبى بكر بن العربى المالكى ق ٤ ص ١٩١٣ . ويقصد بقسمى الزمان الليل والنهار .

(٥) انظر القرطبى جـ ٢٠ ص ٣٨ ، وانظر كذلك الفتوحات الإلهية فى تفسير الجلالين للجمل جـ ٤ ص ٥٢٨ .

(٥) فجر يوم النحر ٠

(٦) فجر الأول من ذى الحجة لأن « الليالى العشر » هى الليالى العشر من ذى الحجة ٠

هذه مجموع الآراء التى أحصيناها من كتب التفسير التى رجعنا إليها ، ولم نجد شبيها ـ فى الطرافة ـ بهذا التأويل الغريب الذى ذكره الرازى إلا إشارة ذكرها القاسمى (١) فى كتابه « محاسن التأويل » وهى : « والفجر » أى الصبح كقوله تعالى : « **والصبح إذا تنفس** » (١٨ : التكوير) أقسم تعالى بآيته ، لما يحصل به انقضاء الليل ، وظهور الضوء ، وانتشار الناس وسائر الحيوانات ، لطلب الأرزاق ، وذلك مُشَاكِلُ لنشور الموتى من قبورهم ، وفيه عبرة لمن تأمل ٠ أهـ ٠ وهذه الإشارة من القاسمى قد تكون محتملة ٠

ونعود إلى ذكر الرأى الذى نرجحه وهو أن المقصود بالفجر أول وقت النهار والذى يبين أن هذا الرأى هو الأرشد فى فهم الآ ية الدلائل الآتية :

١ ـ إن قرينة السياق تعين عليه ، فبعد ذكر الفجر ، جاء ذكرُ الليالى العشر ٠

٢ ـ إن كلمة الفجر لم تستعمل فى القرآن إلا فى معنى أول ضوء النهار كما قال تعالى : « **.... حتى يتبين لكم الخيطُ الأبيضُ من الخيط الأسود من الفجر** » (١٨٧ : البقرة) ، « **وقرآن الفجر إن قرآنَ الفجرِ كان مشهودا** » (٧٨ : الاسراء) ٠ « **.... من قبل صلاة الفجرِ وحين تضعون ثيابكم من الظهيرةِ** » (٥٨ : النور) ٠ « **.... سلام هى حتى مطلع الفجر** » (٥ : القدر) ٠

٣ ـ إن أقوال المفسرين قد أجمعت على أن المقصود بالفجر هو أول وقت النهار وإنْ اختلفوا فى جعل الفجر على إطلاقِه ، أو تحديد فجرِ يومٍ بعينه فإن هذا الاختلافَ هو من قبيلِ اختلافِ التنوع ٠

الحادى عشر : تأويل « الأوتـاد » بالأهرامـات :

عند قول الله تبارك وتعالى : « **وفرعون ذى الأوتاد** » (١٠ : الفجر) ، قال الشيخ محمد عبده (٢) : « إن أظهر أقوال المفسرين فيها ملاءمةً للحقيقة أن الأوتاد هى المبانى العظيمة الثابتة .... وما أَجْمَلَ التعبير عما ترك المصريون من الأ بنية الباقية بالأوتاد ، فإنها هى

---

(١) انظر محاسن التأويل جـ ١٧ ص ٦١٤٤ ، وتفسير الفجر بالصبح إذا تنفس قاله أبو السعود العمادى المتوفى سنة ٩٥١ هـ فى تفسيره إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم . جـ ٥ ص ٢٦٠ طبعة صبيح ٠

(٢) انظر تفسيره لسورة الفجر من جزء « عم يتسألون » ط : الشعب ٠

الأهرام ، ومنظرها فى عين الرائى فى منظر الوتد المغروز فى الأرض ، بل إنَّ شكل هياكلهم العظيمة شكل الأوتاد المقلوبة ... وهذه هى الأوتاد التى يصح نسبتها إلى فرعون على أنها معهودة للمخاطبين » .

هذا ما قاله الشيخ رحمه الله فلننظر هل أصاب ؟

(١) وصف الله فرعون بهذه الصفة فى سورة الفجر ، وفى قوله تعالى : « **كذبت قبلهم قومُ نوح وعادٌ وفرعونُ ذو الأوتادِ** » (١٢ : ص) . ووردت كلمة الأوتاد فى وصف الجبال فى قوله تعالى : « **ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتاداً** » (٧ : النبأ) ، واذا كان هذا هو استعمال الكلمة فى القرآن فما معناها فى اللغة ؟

(٢) الْوَتِدُ لغة (١) : « قطعة من خشب أو حديد تثبت فى الأرض أو الجدار يشد بها حبلٌ هو زمام لدابةٍ أو طُنُبٌ لخيمة ... ويقال : الجبالُ أوتادُ الأرض على التشبيه ، لأنها تثبت بها وتَحْفَظُها من الميدانِ والاضطراب » . وأما ابن فارس فقال (٢) : « الواو ، والتاء ، والدال : كلمةٌ واحدة : هى الوتد يقال وَتَدَهُ ، ووتد الأذن الذى باطنها كأنه وتد » وأضاف الفيروزا بادى (٣) : « وأوتاد الأرض جبالها ، ومن البلاد رؤساؤها ، ومن الفم أسنانه ، ووتد الوتد يتده وتدا ثَبَّتَه » وجاء من المجازى عند الزمخشرى (٤) « وتد بالمكان وهو واتدٌ : لا يبرح ثابتٌ » .

(٣) وأما أقوال المفسرين فى معنى الأوتاد فهى (٥) :

أ ـ ذو الأوتاد : ذو البناء المحكم ، كان كثير البنيان ، والبنيان يسمى أوتادا .

ب ـ ذو الجنود الكثيرة ، فسميت الجنود أوتادا ، لأنهم يُقَوُّون أمره كما يُقَوِىَ الوتد البيتَ ، وقال ابن قتيبة : « العرب تقول : هم فى عز ثابت الأوتاد ، يريدون دائما شديدا » .

وقريبٌ من هذا الرأى من فسرها بأنه ذو القوة والبطش ، أو لأن كثرة الجنودِ تقتضى كثرةَ الخيام والمضارب والأوتاد .

---

(١) انظر معجم ألفاظ القرآن الكريم إعداد مجمع اللغة العربية ص ٦٢١ .

(٢) انظر معجم المقاييس جـ ٦ ص ٨٣ . والوتد : بفتح التاء وبكسرها .

(٣) انظر القاموس المحيط جـ ١ ص ٣٥٦ .

(٤) انظر أساس البلاغة ص ١٠٠٤ .

(٥) انظر فى معانى الأوتاد تفسير القرطبى جـ ١٥ ص ١٤٤ ، ١٤٥ ، جـ ٢٠ ص ٤٨ . والكشاف للزمخشرى جـ ٣ ص ٣٣٥ ، تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٥٠٨ . تفسير البيضاوى ص ٥٦٨ .

جـ - إن المقصود بالأوتاد : أوتاد الحديد التى كان يشد إليها من يعذبهم ، فقيلٍ كان يَرْبِطُ الرجلَ كلَّ قائمة من قوائمه فى وتدٍ ثم يُرسل عليه صخرةً عظيمة .

(٤) تأويل الشيخ محمد عبده للأوتاد بالأهرامات علاوة على مناقضته لما تقدم ، فإنه يقتضى قيام دليلٍ تاريخى : على أن فرعون الذى أرسل إليه الكليم عليه السلام ، بنى هرما من هذه الأهرامات ، أو دُفِنَ فى واحد منها حتى تصح نسبتها إليه ، وهذا الدليل التاريخى غيرُ قائمٍ ولا ثابت .

(٥) يشتم من وصف الشيخ للأهرامات بأنها هياكل عظيمة نزعة مفاخرة ... وهذه الأهرامات وإن كانت عظيمة بالمقياس المادى ، فهى ليست كذلك فى الميزان الاسلامى .

الثانى عشر : « الدابة التى تكلم الناس والتأويلات المتهافتة » :

حول قول الله تبارك وتعالى : « وإذا وقع القولُ عليهم أخرجنا لهم دابةً من الأرض تُكَلِّمُهم أنَّ الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون » ٨٢ : النمل ، وجدنا لبعض المفسرين تعسفا في التفسير ، ووجدنا عند غيرهم شططا في التأويل ، وأخذ كل صاحب هوى يحمل الآية على هواه ، أو يُحَمِّلُ ألفاظَها مشتهاه ، وهاك بسط القول : -

١ - خروج الدابة وظهور الأرواح : -

حاول الشيخُ طنطاوى جوهرى - جريا على مسلكه في التأويلات ، واتباعا لنهجه في تحميل ألفاظ الآيات النظريات المحدثات ، عَقْدَ الصلة بين خروج الدابة وبين خرافة ظهور الأرواح فقال (١) : « يقول الله تعالى : وإذا وقع القول عليهم : أى - شارف الوقوع ، وهو قرب قيام الساعة ، وحقت كلمة العذاب على نوع الإنسان ، فجهلوا المعنويات ، وعكفوا على الماديات ، وكذبوا الديانات ، وشكوا في الآيات ، وأصبحوا لا شرف لهم في حكوماتهم ولا أفرادهم ، ومردوا على الكذب والنفاق ، وازدادوا - بالعلم عمى ، وبالفلسفة ظلما ، أخرج لهم من الأرض من يطرق الموائد ويحركها ، ويمسك الأقلام في أيديهم ، ويكتب لهم ، ويتراءى لهم في أشكال وأزياء مختلفةٍ ، ووجوه نورية ، فتراه أبصارهم ، ويسمعون كلامه ، وطورا يبصرون أشكالا ، وتارة يقرؤون خطوطا ، وآونةً يسمعون صريرا وصوتا شديدا ، كالرعدِ القاصفِ ، وقد يحسون ببرودة تمر عليهم ، ثم تتحرك الأيدى بالكتابة (٢) ، فكان في عمله

---

(١) انظر « الجواهر في تفسير القرآن الكريم المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات » للشيخ طنطاوى . جوهرى جـ ١٣ ص ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ط : ٣ .

(٢) كان الشيخ طنطاوى متعدد المعارف ، متطلعا للجديد ، وقد خدعته « الروحية الحديثة » الوافدةُ من الغرب ، فكان ممن يشهدون جلساتها كما قرأنا عنه ، والعبارات المذكورة تصف ما يخادع به دعاةُ الروحية مَنْ يشهدون جلساتهم ، وهى مزاعم قريبة مما كانت تدعيه « بعض الجمعيات الروحية » وهي دعاوى ليست من الحقيقة في شىء ونقول بذلك عن خبرة ومدارسة ، لاعن تقليد ومشايعة .

أشبه **بمن يدب على الأرض** من الإنسان في تعقله وعمله ، وبما يجرى فوقها من الدواب في حركاتها وأعمالها الأخرى ، فهذا يشير له معنى قوله تعالى : « أخرجنا لهم دابة من الأرض » وهذه الدابة تبين للناس حقائقَ ، وتدرس لهم حكمة وتُريهم أنهم غافلون جاهلون ضالون ، فيجلس أمامها : أكبرُ الضالين ، وأعظم الفاسقين ، وأشد الغافلين ، ومن يدعى أنه مَلَكَ مقاليدَ العلمِ ، وبرع في الحكمة الهادية ، فيَخِرُّ ساجدا لرَبه ، خاضعا لخالقه ، موقنا أن روحه ستبقى بعد موته ، فهذا معنى تكلمهم ...... الخ ، وقرأ ابن مسعود « تكلمهم بأن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون » وهذا هو الحاصلُ الآن بعينِه ، وهذه معجزة للقرآن ، وحكمة ثابتة للفرقان ، فإن الآلاف المؤلفة من البشر اليوم في أنحاء العالم يوقنون إذا تحققوا مذهبَ الأرواح ، وليس الإيمان بكافٍ ، بل اليقين هو أكمل الإيمان ، فتعجب من الآية ، وانظر كيف كان هذا مظهرها : وهى مسألة ظهور الأرواح ، والقرآن يشير إليها .. » اهـ

ولما أحس الشيخ أنه أبعد النجعة عن الحقيقةِ ، وسلك التعسفَ سبيلا إلى فهم الآية ، عاد يقول : « إنى لم أقل : إن هذا هو المعنى ، ولكن أقول : إنه رَمْزٌ له (١) وإشارة ، فالآية باقيةٌ على ظاهر معناها ترمز إلى ما ذكرنا ، فالدابة باقية على المعنى الأصلى ، نُكِلُ علمَها إلى الله تعالى (٢) ، وتكون رمزا لهذا ، فهذا قسم من أقسام الكناية في علم البيان (٣) ، فاللفظ على حاله يُشير لما إقترب منه كما وضحه الإمام الغزالى في قوله صلى الله عليه وسلم : « لاتدخل الملائكةُ بيتا فيه كلبٌ ولا صورةٌ » فقد جعلهما على حالهما ، ورمز بهما إلى الشهوة والغضب (٤) ، فافهم ، فإذا فهمت هذا قَطَعَتْ جهيزةُ قول كل خطيب ، وَقُطِعَ لسانُ كل معترضٍ بعدك ، فقد سدت في وجهه أبوابُ الجدال ، « وكفى الله المؤمنين القتال » اهـ .

٢ ـ أ ـ خروج الدابة وأبطولة « الرجعة » : ـ

الرجعة من العقائد الأصيلة للشيعة كما هو معروف ، ولقد كانت آيةُ الدابة من بين الآيات التى يتخذون منها مستندا يدعمون به معتقدهم في الرجعة ، وفي هذا المعنى قال

---

(١) سلك الشيخ في تفسيره هذا المسلك الرمزى ، ولقد كانت « الرمزية » سلاحاً من أخبث أسلحة « الباطنية » لحرب الاسلام ، وتعطيل أحكامه ، والعبث بشرائعة ، ولقد أستعملت هذا السلاح الغادر « ربائب » الباطنية من الفرقِ الزائفة كالبهائية ، والقاديانية .

(٢) أن نكل علم الغيب الى الله : قاعدة جليلة ، ليت الشيخ أتبعها ووقف عندها .

(٣) هذا لا يسلم له ، فمن الذى قال إن الدابة : يُكَنَّى بها عن الأرواح .

(٤) لست أدرى كيف تدل كلمة « الكلب والصورة » على الشهوة والغضب ، وإذا كان هناك من صريح نصوص القرآن والسنة المطهرة ما ينهيان عن رذيلتى الشهوة والغضب ، فلماذا هذا الشطط في التأويلات ، وعجيبٌ أن يقول بهذه التأويلات من كتب « فضائح الباطنية » ليكشف عوارها ، ويهتك أسرارها ... ولكن هل قُطِعَتْ حبالُ الود بين الباطنية والتصوف ؟ .

الطبرسى (١) المفسر الشيعى في قوله تعالى : « **أخرجنا لهم دابة من الأرض** » تخرج من بين الصفا والمروة فتخبر المؤمنَ بأنه مؤمنٌ ، والكافر بأنه كافرٌ ، وعند ذلك يرتفع التكليف ، ولاتقبل التوبةُ ، وهو - يعنى خروجَها - عَلَمٌ (٢) من أعلام الساعة ، وقيل لا يبقى مؤمن إلا مسحته ، ولا يبقى منافق إلا حطمته ، تخرج ليلة جمع (٣) والناس يسيرون الى منى ..... ثم روى الطبرسى عن محمد بن كعب القرظى أنه قال « سئل عَلِىٌّ صلواتُ الرحمن عليه عن الدابة فقال : « أما والله مالها ذَنَبٌ ، وأن لها لحيةً » ثم قال الطبرسى وفي هذا إشارة إلى أنها من الإنس » ثم ذكر أن ابن عباس وحذيفة يقولان : « إنها من دواب الأرض » ثم قال الطبرسى : وروى عن وهب أنه قال : « وجهها وجهُ رجل ، وسائر خلقها خَلْقُ الطير » ثم عقب الطبرسى على هذه الرواية قائلا : « ومثل هذا لا يعرف إلا من النبوة الإلهية ، وقد رُوِىَ عن على عليه السلام أنه قال « إنه صاحب العصا والميسم(٤) » وروى على بن ابراهيم ابن هاشم (٥) في تفسيره : عن أبى عبد الله (٦) عليه السلام قال : قال رجل لعمار بن ياسر يا أبا اليقظان : « آية في كتاب الله أفسدت قلبى » (٧) قال عمار وأيّةُ آيةٍ هى ؟ فذكر له الرجلُ هذه الآيةَ ، وسأله عن دابةِ الأرض ؟ .

فقال عمار والله ما أجلس ، ولا آكل ولا أشرب حتى أريكها ، فجاء عمار مع الرجل إلى أمير المؤمنين وهو يأكل تمرا وزبدا ، فقال يا أبا اليقظان هلم ، فجلس عمار يأكل معه ، فتعجب الرجل منه ، فلما قام عمار ، قال الرجلُ : سبحان الله !! حلفت أنك لا تأكل ولا تشرب حتى تُرِيَنِّيها ، قال عمار : أريتكها إنْ كنتَ تعقل ، وروى العياشى هذه القَصةَ بعينها عن أبى ذر رحمه الله ، ثم ذكر الطبرسى الآية التالية لآية الدابة وهى قوله تعالى : « **ويوم نحشر مِنْ كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون** » ٨٣ : النمل ، ثم قال الطبرسى (٨) : « واستدل بهذه الآية على صحة الرجعة ، مَنْ ذَهَبَ إلى ذلك من الإمامية ، بأن قال إن دخول « مِنْ » في الكلام يوجب التبعيض ، فدل ذلك على أن اليَوم المشارَ إليه في الآية

---

(١) هو أبو على الفضل بن الحسن الطبرسى انظر تفسيره « مجمع البيان في تفسير القرآن » جـ ٢٠ ص ٢٤٨ : ٢٥١ ط : مكتبة الحياة بيروت ١٣٨٠ هـ .

(٢) بفتح العين واللام أى علامة .

(٣) هى ليلة النحر سميت بذلك لاجتماع الحجيج فيها بعد الإفاضة من عرفات . ويوم جمع هو يوم عرفة .

(٤) إشارة إلى ما ورد في بعض الروايات من أن الدابة تحمل عصا ومَيْسما . وانظر ابن كثير جـ ٣ ص ٣٧٥ ، ٣٧٦ .

(٥) مفسر شيعى معروف بالغلو والتطرف .

(٦) يعنى الحسين عليه السلام .

(٧) تنزه كتاب الله عن ذلك .

(٨) انظر تفسيره جـ ٢٠ صـ ٢٥١ .

يحشر فيه قوم (١) دون قوم ، وليس ذلك صفة يوم القيامة الذى يقول فيه سبحانه : « **وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا** » ٤٧ : الكهف ، وقد تظاهرت الأخبارُ عن أئمة الهدى من آل محمد صلى الله عليه وسلم في أن الله تعالى سيعيد عند قيام المهدى (٢) قوما ممن تقدم مَوْتُهم من أوليائه وشيعته ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ، ويَبْتِهِجُوا بظهور دولته ، ويعيد أيضا قوما ـ من أعدائه لينتقم منهم ، وينالوا بعض ما يستحقونه من العذاب في القتل على أيدى شيعته ، والذل والخزى ، بما يشاهدون من علو كلمته ، ولا يشك عاقل في أن هذا مقدور لله تعالى (٣) ، غير مستحيل في نفسه ، وقد فعل الله ذلك في الأمم الخالية ، ونطق القرآنُ بذلك في عدة مواضع : مثل : قصة عُزَيْر وغيره ، على مافسرناه في موضعه » اهـ .

ب ـ رد الطبرسى على متأولى الرجعة من الشيعة : ـ

أحس بعض عقلاء الشيعة أنَّ القولَ بالرجعةِ لاسند له من الحق ، فتأولوها على نحوٍ لا يصادم المعقول ، وندع الحديث عنهم للطبرسى إذ يقول : « على أن جماعة من الإمامية تأولوا ما ورد من الأخبار في الرجعة على رجوع الدولة ، والأمر والنهى دون رجوع الأشخاص ، وإحياء الأموات ، وأوَّلوا الأخبارَ الواردة في ذلك لَمَّا ظنوا أن الرجعة تنافى التكاليفَ ، وليس كذلك ، لأنه ليس فيها ما يلجئ إلى فعل الواجب ، والامتناع من القبيح ، والتكليف يصح معها كما يصح مع ظهور المعجزات الباهرة والآيات القاهرة ، **كفلق البحر ، وقلب العصا ثعبانا** ، وما أشبه ذلك ، ولأن الرجعة لم تثبت بظواهر الأخبار المنقولة فيتطرق التأويلُ إليها ، وإنما المعول في ذلك على إجماع الشيعة الإمامية ، وإن كانت الأخبارُ تعضده وتؤيده » (٤) .

مناقشتنا للطبرسى :

ونحن نعجب لهذا التناقض من الطبرسى بين قوله : إن جماعةً من الإمامية تأوَّلوا الأخبارَ الواردةَ في الرجعة ... ، قوله : إن الرجعة لم تثبت بظواهر الأخبار المنقولة ، فلماذا يؤلون أخباراً لا يعول عليها .

والحلقة الثانية : من حلقات التناقض : اعترافه بأن بعضَ الشيعة تأوَّلوا « الرجعة » ثم دعواه : إجماع الشيعة على الرجعة ، فأين الإجماع مع أن فريقاً من الشيعة يؤولون .

---

(١) من أحْسَنَ فهمَ القرآن ، وقرأ الآية في سياقها ولحاقها لا يقول بهذا الافتراء ، « ومِنْ » في هذا الموضع لابتداء الغاية ، كما ذكر الشوكانى .

(٢) المهدى : هو الإمام الثانى عشر عند الشيعة الإمامية ، يزعمون أنه مختبىء في غيابه من الأرض وسيعود ليملأ الأرض عدلا بعد ما ملئت جورا ، والكلام عن المهدى والأحاديث الواردة فيه ، وبيانُ صحيحها من غيره كُتِبَتْ فيه أبحاث .....

(٣) قدرة العلى الأعلى لا يشك فيها مؤمن ، ولكن هذه التخيلات المريضة والأوهام الباطلة لا سند لها من نقل ولا من عقل .

(٤) انظر : « الميزان في تفسير القرآن » لمحمد حسين الطباطبائى جـ ١٥ ص ٤٠٥ ، ٤٠٦ ط : الأعلمى ببيروت .

والحلقة الثالثة : اعترافه بأن الرجعة لم تثبت بظواهر الأخبار ، ثم يدعى أن العبرةَ بإجماع الشيعة ، والرجعةُ أمر غيب ، والأمور الغيبية لا تثبت إلا بالنقل ، لا بالإجماع ، إذ كيف يُجمع فريقٌ من الناس على أن أمرا سيقع إلا إذا كان لهم برهانٌ من كتابٍ من عند الله ، أو خبر عن نبى مرسل ، أو سَوَّلَتْ لهم أنفسُهم أنهم يعلمون الغيب !! .

ج - زعم الشيعة أن الرسول صلى الله عليه وسلم سمى عليا رضى الله عنه « دابة الأرض » .

ولم يقتصر الشيعة في أمر الدابة على ماسبق ذكره وإنما ينقل « الطباطبائى » (١) عن « القمى » تفسير آية النمل المذكورة أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مر بعلى رضى الله عنه ، وهو نائم بالمسجد فحركه برجله ، ثم قال له : قم « يادابة الأرض » ، فقال رجل من أصحاب النبى يارسول الله : أيسمى بعضُنا بعضا بهذا الاسم ؟ فقال لا والله ، ما هو إلا له خاصة ، وهو (الدابة) الذى ذكره الله في كتابه .... ثم قال ياعلى : إذا كان آخر الزمان أخرجك الله في أحسن صورة ، ومعك ميسم تسم به أعداءك ، ثم روى الطباطبائى : أن رجلا قال لأبى عبد الله عليه السلام ، إن هذه الآية إنما هى « تكلمهم » فقال كَلَمَهُم الله في نار جهنم ، إنما هى تكلمهم من الكلام ، ثم بين الطباطبائى : أن الروايات في هذا المعنى من طرق الشيعة كثيرة ، ثم نقل عن « القمى » مانقله قبله الطبرسى من أن قوله تعالى « ويوم نحشر من كل أمة فوجا » إنما هى في الرجعة وليست في القيامة » اهـ - بإيجاز .

ويذهب الطباطبائى (٢) إلى أن المقصود بالدابة ما يدب على الأرض من إنسان أو حيوان وأنَّ المقصود باخراجه : الإحياء والبعث بعد الموت .... وأن سكوت القرآن عن تفصيل القول في أخبار الدابة دليل القصد إلى الإبهام ، ليكون الكلام مرموزا فيه ... » وما ساق الطباطبائى هذه المقدمات إلا لِيَسْتَدِلَّ بها على الرجعة .

د - رأى شيعى معاصر : -

وتقضينا الأمانة العلمية أن نذكر رأيا لأحد الشيعة المعاصرين حول موضوع الدابة ونصه هو (٣) : « أما الدابة فقد كثر الكلام فيها والله سبحانه لم يبين ماهى ، والحديث عن

---

(١) هو على بن ابراهيم القمى الذى سبق ذكره . وكتابه في التفسير من المراجع الرئيسية عند الشيعة ، وهو مصنع لتفريخ الغلو والخرافة .

(٢) الميزان جـ ١٥ صـ ٣٩٦ .

(٣) انظر التفسير الكاشف جـ ٢٠ صـ ٤٠ للقاضى الشيعى اللبنانى محمد جواد مغنية وتفسيره يقع في سبعة مجلدات .

المعصوم في بيانها لم يثبت ، حتى لو صح سنده لم نعمل به لأنه خبرُ واحد (١) ، وهو حجة في الأحكام الفرعية ، لافى السمعيات ، وأصول العقيدة ، والقول بغير علم حرام ،فلم يبق إلا الأخذ بظاهر الآية الذى يدل على أن الله سبحانه عندما يحشر الناس للحساب ، يخرج من الأرض مخلوقا : يعلن أن الكافرين جحدوا الدلائل الواضحة والبراهين القاطعة على وجود الله ووحدانيته » .

هـ ـ تسرب الرواية الشيعية حول الدابة إلى بعض التفاسير السنية :

وجدنا الرواية الشيعية القائلة بأن الدابة هى على رضى الله عنه قد تسربت إلى بعض التفاسير السنية ومثال ذلك ما أورده البغوى (٢) ونصه : « وروى عن على أنه قال ليست بدابةٍ لها ذنب ، ولكن لها لحية ، ثم عقب البغوى بقوله : كأنه يشير إلى أنها رجل والأكثرون على أنها دابة » وما أورده البغوى ، أورده ابن كثير (٣) وكذلك ذكره القرطبى (٤) وغيرهم .

٣ ـ الدابة وعصا موسى عليه السلام : ـ

ذكر الفيروز ابادى (٥) في تفسير آية الدابة ما يلى : « وإذا وقع : وجب ، القول عليهم : بالسخط والعذاب ، أخرجنا لهم دابة من الأرض بين الصفا والمروة وهى عصا (٦) موسى ، ويقال معها عصا موسى ، تكلمهم (أن الناس كانوا بآياتنا) : بآيات ربنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن ، ويقال بخروج الدابة « لا يوقنون » : لا يصدقون وإن قرأت تَكْلِمُهم : بنصب التاء : تضربهم وتجرحهم » .

٤ ـ الدابة : بين الكَلْمِ والكلامِ :

وردت لقوله تعالى : « تكلمهم » من الآية قراءتان : ـ

الأولى : (تُكَلِّمُهم) بضم التاء وتشديد اللام المكسورة ، وقد قال القرطبى (٧) عنها إنها قراءة العامة ، أى جمهور القراء واستدل لها بقراءة « أُبَيٍّ » تنبئهم ، والذى أرجحه أن

(١) نزعة اعتزالية تتجهم للحديث ، والصحيح أن خبر الواحد يتلقى بالقبول إذا ثبتَتْ صحته ، والشيعة الذين يرفضون خبر الواحد يؤمنون بالموضوعات الدسيسة في الدين .

(٢) انظر معالم التنزيل للبغوى جـ ٥ صـ ١٣٠ بهامش تفسير الخازن .

(٣) انظر هذه الرواية عند ابن كثير في تفسيره جـ ٣ صـ ٣٧٦ .

(٤) انظر تفسير القرطبى ج ١٣ ، ص ٢٣٦ .

(٥) انظر « تنوير المقباس من تفسير ابن عباس » لوحيد بن يعقوب الفيروز ابادى ونسبة هذا التفسير لابن عباس غير صحيحة ـ على التحقيق ، والنص المنقول من ص ٣٨٧ ط : التجارية ومن صـ ٣٢١ ، ٣٢٢ ط / بيروت .

(٦) كذا بطبعتى الكتاب المذكورتين وفرق بين أن تكون العصا هى الدابة ، وبين أن تكون الدابة معها العصا كما ذكرت ذلك روايات أخرى .

(٧) انظر تفسير القرطبى جـ ١٣ ، ص ٢٣٦ .

قراءة (أُبَيّ) هذه ليست قراءة ، وإنما هى من باب التفسير ، وقالوا في تفسير القراءة إنها تكلمهم ببطلان الأديان سوى الإسلام ، وقيل تكلمهم بما يَسُوءُهُم ، وقيل تكلمهم بلسان ذلق يسمعه من قَرُبَ وبَعُدَ « أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون » أى بخروجها لأن خروجها من الآيات .

وبعض المفسرين حمل هذه القراءة على أنها تكثير وتضعيف (١) من « تُكَلِمُهُم » وفي هذا قال الزمخشرى (٢) : ويجوز أن يكون « **تُكَلِّمُهُم** » بضم التاء وتشديد اللام المكسورة من الكلم أيضا على معنى التكثير ، يقال فلان مكلم أى مجرح ، فهى عنده كقراءة « لنحرقنه » بتشديد الراء التى فسرت بقراءة على رضى الله عنه لنحرقنه » بغير تشديد الراء .

والثانية : هى « تَكْلِمُهم » بفتح التاء وسكون الكاف وكسر اللام ، من الكَلْمِ وهو الجرح وفسر بعضهم « كَلْمَها » بما رواه أبو أمامة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « تخرج الدابة فتسم الناس على « خراطيمهم » وبما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وعن على أيضا من أنها تُكَلِّم المؤمن (٣) وتَكْلِمُ الكافر أى تجرحه (٤) .

٥ ـ تأويل الدابة بدودة القطن : ـ

وأما الذين إذا ذكر خبر من أخبار الغيب اشمأزت نفوسهم ، وتجهمت وجوههم ، فقد كبر عليهم أن يخرج الله دابةً من الأرض تكلم الناس ، فحاروا وداروا واستبانوا أنهم لا يستطيعون التكذيب ، فبحثوا عن مخرج للتأويل وأعانهم على بحثهم هذا أن أسعفتهم رواية ابن عباس التى يقرأ فيها تَكْلِمُهم (٥) بفتح التاء وبتخفيف اللام من الكلم وهو الجرح وأنه رضى الله عنه لما سئل هل هى تُكَلِّمهم أو تَكْلِمهم فقال : « كل ذلك تفعل تُكَلِّم المؤمنَ ، وتَكْلِمُ الكافرَ » فارتضى دعاة العقلانية هذه القراءة لأنها أقرب إلى التصورات المادية ، ولقد سمعت منذ عشرين عاما محاضرا يقرأ هذه الآية الكريمة ويفسر دابة الأرض ـ بأنها حشرات الزرع وخص **دودة القطن** من بين هذه الحشراتِ ، لأنها كلمت القوم وآذتهم بإتيانها على محصول القطن وكانت مصر وقتها تمر بمحنة زراعية من جراء إتلاف هذه الدودة البغيضة للقطن ، وما أظن هذا المحاضر بهذا التأويل إلا آثرا له عن غيره ، وليس آتِياً به من عند نفسه ، وغاب عنه أنها من اماراتِ الساعةِ ، وأنَّ القطنَ لا يُزْرَعُ في كل بلدان العالم .

---

(١) نفسه ص٢٣٨ ، وهو رأى المفسر ابن أبى حاتم ، وانظر « فتح القدير » للشوكانى جـ ٤ ص ١٥٢ .

(٢) انظر الكشاف جـ ٢ ص ٤٦٢ .

(٣) من الكلام : أى تخاطبه .

(٤) انظر القرطبى جـ ١٣ ص ٢٣٨ .

(٥) انظر في أسانيد هذه القراءة تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٣٧٤ ، وتفسير الخازن جـ ٥ ص ١٣٠ .

٦ ـ تأويل الدابة بالمذياع : ـ

وجاء مؤولٌ آخر (١) آمن بأن الدابةَ تكلم الناسَ ، ولكن تفسيره لكلامها كان تفسيراً هازلا كسابقه ، فقد قال : إن الدابةَ هى المذياعُ وإن كلامها هو هذه الأصوات : التى تتردد عبر الأثيرِ وأجهزةِ الاستقبال إلى آذان المستمعين ٠

٧ ـ تأويل الدابة بسفينة الفضاء : ـ

وعندما أطلقت أولُ سفينةِ فضاءٍ في الجو في خمسينيات هذا القرن سمعنا من يقول : إنَّ ـ سفينةَ الفضاءِ هذه هى الدابةُ التى حدثنا الله عنها في سورة النمل ، وهو تأويل لا سند له من اللغةِ ، ولا مسوغ له من السياق ، وإنما هو تأويلٌ متعسف ممجوج

٨ ـ الدابة والإسرائيليات : ـ

وكما كثرت هذه التأويلات الممجوجة حول الدابة ، كذلك كثرت الروايات الإسرائيلية (٢) حولها فجاءت روايات تصفها : بأن رأسها رأسُ ثَوْرٍ ، وعينها عين خنزير ، وأذنها أذن فيل ، وقرنها قرن أيْل ، وعنقها عنق نعامة ، وصدرها صدر أسد ، ولونها لون نمر ، وخاصرتها خاصرة هِرّ ، وذنبها ذنب كبش ، وقوائمها قوائم بعير ، إلى غير ذلك من الأوصاف المتناقضة المتضاربة المتنافرة ، التى تضحك الثكالى ، وجاءت روايات تصف مكان خروجها من تحت صخرة من صخور مكة ، وجاءت روايات تحدثنا عن أفعالها مع المؤمن والكافر ، وعن عصا موسى عليه السلام التى تحملها إلى غير ذلك من الروايات ، وأكثرها غير صحيح (٣) وفي الصحيح غنية ، وفي الزبد ما يغنى عن المخيض ٠

٩ ـ تصورات متوهمة في شأن الدابة : ـ

خبر الدابة من الأمور الغيبية التى يجب علينا أن نتلقاها مصدقين مؤمنين إلا أن نفرا من المفسرين أورد في شأنها مالا يقبل إلا إذا صح سنده عن سيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم فمن هذه الروايات القول بأنها هى فصيل ناقة صالح ، وهو قول يصفه القرطبى بأنه أصح الأقوال ، ولم يذكر لنا دليله على هذه الدعوى (٤) ومن هذه الروايات أيضا القول بأن الدابة هى الثعبان المشرف على بناء الكعبة الذى اقتلعته العُقابُ حين أرادت قريش بناء

---

(١) أمسكنا عن ذكر أسماء بعض هؤلاء المؤولين . فلعلهم تابوا عنها ولاعتبارات أخرى ٠

(٢) انظر تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٣٧٦ فقد ذكر هو وغيره بعض هذه الصفات التى لم ترد بها روايات صحيحة . وإنما خصّصْناه لتحرزه من كثير عن الإسرائيليات ومع ذلك فالكمال لله وحده ٠

(٣) وقد وصف الشوكانى في تفسيره جـ ٤ صـ ١٥١ هذه الأقوال بأنه لافائدة من التطويل بذكرها ٠

(٤) انظر تفسير القرطبى جـ ١٣ صـ ٢٣٥ ٠

الكعبة (١) ولا دليل أيضا على صحة هذه الرواية ، وروى أبو داود الطيالسى في مسنده عن حذيفة قال (٢) : « ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة فقال « لها ثلاث خرجات من الدهر ، فتخرج في أقصى البادية ، ولا يدخل ذكرها القرية (يعنى مكة) ، ثم تكمن زمانا طويلا ، ثم تخرج خرجة أخرى دون ذلك ، فيفشو ذكرها في البادية ، ويدخل ذكرها القرية (يعنى مكة) .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثم بينما الناس في أعظم المساجدِ على الله حرمة خيرها وأكرمِها على الله المسجد الحرام ، لم يَرُعْهم إلا وهى ترغو بين الركن والمقام تنفض عن رأسها التراب ، فارفض الناس عنها شتى (٣) ومعا ، وتثبتُ عصابةٌ من المؤمنين وعرفوا أنهم لن يُعْجِزوا الله ، فبدأت بهم فجلّت وجوههم ، حتى جعلتها كأنها الكوكب الدرى ، وولت في الأرض لا يدركها طالبٌ ولا ينجو منها هارب ، حتى إنَّ الرجل ليتعوذ منها بالصلاةِ فتأتيه من خلفه فتقول له يافلان آلآن تصلى ؟ ! فتقبل عليه فتسمه في وجهه ، ثم تنطلق ويشترك الناس في الأموال ، ويصطلحون في الأمصار ، يُعْرفُ المؤمنُ من الكافر ، حتى إن المؤمنَ يقول : ياكافر ، اقض حقى » .

١٠ - (أ) - هل الدابةُ داعيةٌ يبعث ليقيم الحجة على الكافرين :

نقل القرطبى (٤) في تفسيره : الرواية المنسوبةَ لعلى رضى الله عنه ، والقائلة بأن الدابةَ مالها ذَنَبٌ وإنما لها لحيةٌ ثم نقل تعليق الماوردى على هذه الرواية وهو : « وفي هذا القول إشارة منه إلى أنها من الإنس وإن لم يصرح به » ثم بين القرطبى الصلة بين هذه الرواية وبين تأويل من التأويلات الواردة في شأن الدابة وهو : « قال بعض المتأخرين من المفسرين : إن الأقرب أن تكون هذه الدابة **انساناً متكلماً** ، يناظر أهل البدع والكفر ، ويجادلهم لينقطعوا ، فيهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حىّ عن بينة » ا هـ .

(ب) تفنيد القرطبى لهذا التأويل : -

أخذ القرطبى بعد أن ذكر هذا التأويل ، يبين رأيه ورأى العلماء فيه فقال : « وعلى هذا فلا يكون في هذه الدابة آيةٌ خاصة خارقةٌ للعادة ، ولا تكون من أمارات الساعة ، لأن وجود المناظرين والمحتجين على أهل البدع كثير ، فلا تكون آيةً خاصة مقترنةً بوقوع

---

(١) انظر أيضا القرطبى جـ ١٣ ص ٢٣٦ .
(٢) نقلا عن تفسير القرطبى جـ ١٣ صـ ٢٣٥ .
(٣) انظر تفسير القرطبى جـ ١٣ ص ٢٣٦ .
(٤) انظر تفسيره جـ ١٣ ص ٢٣٦ بتصرف .

القول ، ثم فيه العدول عن تسميةِ هذا الإنسانِ المناظرِ الفاضلِ العالمِ ، الذى على أهل الأرض أن يُسَمُّوه باسم الإنسان ، أو بالعالم أو بالإمام ، إلى أن يسمى بدابة ، فهذا خروجٌ عن عادة الفصحاء وعن تعظيم العلماء … فالأولى ما قاله أهل التفسير ، والله أعلم بحقائق الأمور » ٠ اهـ ٠

● الرأى الذى نرتضيه حول الدابة :

بعد استعراض كل هذه الآراء السابقة (١) في شأن الدابة ، نرى أن المنهج الأرشد في هذه المسألة وما شابهها من المسائل الغيبيةِ ، أن نقف أمام ما جاءنا من كتاب الله ساجدين ، وأمام ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين ، وقد روى الإمام أحمد بسنده عن حذيفة بن أسيد الغفارى قال : « أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرفة ونحن نتذاكر أمر الساعة ، فقال : لا تقوم الساعةُ حتى تروا عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان ، والدابة ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وخروج عيسى بن مريم عليه السلام ، والدجال ، وثلاثة خسوف : خسف بالمغرب ، وخسف بالمشرق ، وخسف بجزيرة العرب ، ونار تخرج من قعر عدن تسوق أو تحشر الناس ، تبيتُ معهم حيث باتوا ، وتقيل معهم (٢) حيث قالوا » (٣) وإذاً فخبرُ الدابةِ من أخبارِ الغيب ، ومن علامات الساعة التى يجب أن نؤمن بها ، والمنهج السديد حيالها هو كما عبر عنه الشيخ شلتوت - رحمه الله بقوله (٤) : « وماذا علينا لو وقفنا في حديثنا عن المغيبات عند القدر الذى أخبر به القرآن ، ثم تركنا ما وراءه من التفصيل (٥) إلى اليوم الذى يأتى فيه تأويله وبيانه ، وليس الخبر متعلقا بعمل مطلوب من العباد ، وإنما هو إنذار ووعيدٌ وتهديدٌ » ٠

الثالث عشر : تأويلات حول أخبار جهنم :

وردت في القرآن الكريم آيات مجيدة ، تصف جهنم بأنها تتكلم « وتقول هل من مزيد » وأنها ترى أصحابها : « إذا رأتهم من مكان بعيد » ، وأنها : « تطلع على الأفئدة » وأن لها : « تغيظا وزفيرا » …… وكانت للمفسرين نظرات إلى هذه الآيات تختلف باختلاف مناهجهم ، فلنصطحبهم في تطوافهم ٠

---

(١) وقد ذكرنا القليل وأعرضنا من كثير ٠

(٢) من القيلولة والقائلة: وقال قَيْلًا نام وسَط النهار ٠

(٣) قال ابن كثير معقبا على هذا الحديث وهكذا رواه مسلم وأهل السنن من طرق مرفوعا ورواه مسلم أيضا موقوفا … وقال الترمذى حسن صحيح أنظر جـ ٣ صـ ٣٧٥ من تفسير ابن كثير ٠

(٤) انظر كتابه إلى القرآن الكريم صـ ١٤١ ط : الهلال ٠

(٥) ليس في هذا العبارة دعوة لإهمال ما جاءت به السنة ، وإنما هى دعوة إلى اطراح الظنون في أمور الغيب ٠

هــل تتكلم جهنم ؟

قال رب العزة جل جلاله : « **يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد** » ٣٠ : ق ، أفاد ظاهرُ هذه الآية الكريمة : أنَّ جهنم خوطبت وسئلت ، وأنها أجابت وقالت : هل من مزيد ؟ فمن المفسرين من آمن بظاهر ما دلت عليه الآية ، ووكل ما وراء ذلك إلى علام الغيوب ومنهم من طوحت به طوائحُ التأويلات فهام معها ....

فأما أهل الإثباتِ فهذه آراؤهم : -

١ - **رأى ابن كثير** : « قال عند تفسيره لهذه الآية الكريمة (١) : « يخبر تعالى أنه يقول لجهنم يوم القيامة هل امتلأت ؟ وذلك لأنه تبارك وتعالى : وعدها أنْ سيملؤها من الجنة والناس أجمعين ، فهو سبحانه وتعالى يأمر بمن يأمر به إليها ، ويُلقى (٢) وهى تقول هل من مزيد : أى هل بقى شىء تزيدونى ؟ هذا هو الظاهر من سياق الآية ، وعليه تدل الأحاديث ، ثم ذكر ابن كثير من صحاح الأحاديث ما يؤيد رأيه ومنها : ما رواه البخارى (٣) عن أنس ابن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يلقى في النار وتقول هل من مزيد ؟ حتى يضع قدمه فيها فتقول قط قط » ، وما رواه الإمام أحمد عن قتادة عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد ؟ حتى يضع رب العزة قدمه فيها فينزوى بَعْضُها إلى بعض ، وتقول : قط قط ، وعزتك وكرمك ، ولا يزال في الجنةِ فَضْلٌ حتى ينشئ الله لها خلقا آخر فيسكنهم الله تعالى في فضول الجنة » ثم رواه مسلم من حديث قتادةَ بنحوه ، وروى ابن كثير عن مجاهد أنه قال : « لا يزال يقذف فيها حتى تقولَ قد امتلأت ، وتقول هل من مزيد » وعن عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم نحو هذا فعند هؤلاء أن قوله تعالى : (هل امتلأت ؟) إنما هو بعد ما يضع فيها قدمه فتنزوى ، وتقول حينئذ هل بقى في مزيد يسع شيئا ؟ قال العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما : وذلك حين لا يبقى فيها موضع يسع إبرة والله أعلم » أ هـ .

٢ - رأى القرطبى :

وأما القرطبى فقد عرض لرأى المثبتين ولمقالة المؤولين ثم كان للمثبتين ظهيرا وبيان ذلك أنه قال (٤) : « يوم نقول لجهنم هل امتلأت » لما سبق من وعده إياها أنه

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ ٤ صـ ٢٢٦ ، صـ ٢٢٧ .

(٢) أى : ويلقى فيها .

(٣) انظر كتاب التفسير من البخارى جـ ٣ صـ ١٣٧ ط : الحلبى وفي نفس الصفحة رواية ثانية وهى « ... فيضع الرب تبارك وتعالى قدمه » ورواية ثالثة « فلا تمتلىء حتى يضع رجله » .

(٤) انظر تفسير القرطبى جـ ١٧ صـ ١٨ ، ١٩ .

يملؤها، وهذا الاستفهام على سبيل التصديق لخبره ، والتحقيق لوعده ، والتقريع لأعدائه ، والتنبيه لجميع عباده ٠ « وتقول » جهنم « هل من مزيد » أى ما بقى فىّ موضعٌ للزيادة ، كقوله عليه السلام : « هل ترك لنا عقيل من رَبْع أو منزل : أى ما ترك ، فمعنى الكلام الجحد ويحتمل أن يكون استفهاما بمعنى الاستزادة ، أى هل من مزيد فأزداد ؟ ٠ وإنما صلح هذا للوجهين ، لأن في الاستفهام ضربا من الجحد ٠ وقيل : ليس ثَمَّ قولٌ وإنما هو على طريق المَثَلِ ، أى أنها فيما يظهر من حالها بمنزلة الناطقة بذلك ، كما قال الشاعر :

امتــلأ الحـــوض وقال قطنى مهـــــلا رويـــدا قد ملأت بطنى

وهذا تفسير مجاهد (١) وغيره أى هل فِيَّ من مسلك ، قد امتلأت ٠ وقيل : يُنطق الله النارَ حتى تقول هذا كما تنطق الجوارح ٠ وهذا أصح على ما بيناه في سورة « الفرقان » ثم صنع القرطبى صنيع ابن كثير في الاستظهار لرأى المثبتين بالصحاح من الأحاديث التى ذكرنا بعضها من قبل ، ومنها حديث وضع القدم ، وإن كان له من المتأولين ..... (٢) ٠

٣ ـ رأى الشوكانى :

وأما موقف الشوكانى فكان كما قال (٣) : « .... والأولى أنه على طريقة التحقيق ولا يمنع من ذلك عقل ولا شرعٌ ، قال الواحدى : قال المفسرون أراها الله تصديق قوله : « لأملأنَّ جهنم » ، فلما امتلأت ، قال لها (هل امتلأت وتقول هل (٤) من مزيد) أى قد امتلأت ولم يبق في موضع لم يمتلئ ، وبهذا قال عطاء ومجاهد ومقاتل بن سليمان ٠ وقيل إن هذا الاستفهام بمعنى الاستزادة : أى أنها تطلب الزيادة على من قد صار فيها » وقيل إن المعنى : أنها طلبت أن يزاد في سعتها لتضايقها بأهلها ، والمزيد : إما مصدر كالمحيد ، أو اسم مفعول كالمنيع ، فالأول بمعنى هل من زيادة والثانى بمعنى هل من شىء تزيدونيه .... » اهـ ٠

ونختـــــار من المؤولين : -

---

(١) قارن هذا بما سبق نقله من تأويلات مجاهد رحمه الله ، ليتضح لك منهجه ٠

(٢) قال القرطبى في تفسيره جـ ١٧ ص١٩ : « قال علماؤنا رحمهم الله : أما معنى القدم هنا فهم قوم يقدمهم إلى النار ، وقد سبق في علمه أنهم من أهل النار ، وكذلك الرجل وهو العدد الكثير من الناس وغيرهم ، يقال رأيت رجلا من الناس ورجلا من جراد ، وقال الشاعر :

فمر بنا رجل من الناس وانزوى إليهم من الحى اليمانين أرجل

واستشهد لصحة تأويل الرجل والقدم بالجمع من الناس بما ورد في تتمة الحديث « ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضول الجنة »

وليس هذا التأويل من القرطبى مُسَلَّما ، فإنَّ الحديثَ من أحاديث الصفات والخلاف حولها معروف بين المثبتين والنفاة ٠

(٣) انظر تفسيره فتح القدير جـ ٥ ص٧٧ ٠

(٤) فيكون الاستفهام منها مقصودا به تقرير امتلائها ، وعلى الثانى يكون على حقيقته الطلبية ٠

٤ ـ الزمخشرى :

قال **الزمخشرى** (١) : « ..... وسؤال جهنم وجوابها **من باب التخييل** الذى يقصد به تصويرُ المعنى في القلب وتثبيته ، وفيه معنيان : أحدهما : أنها تمتلئ مع اتساعها ، وتَبَاعِدِ أطرافها ، حتى لا يسعها شيء (٢) ولا يزداد على امتلائها لقوله : « لأملأن جهنم » والثانى : أنها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها موضعٌ للمزيد ..... » .

٥ ـ رد ابن المنير (٣) على الزمخشرى :

قال ابن المنير (٤) : « قد تقدم انكارى عليه إطلاق « التخييل » في غير موضع ، والنكير ههنا أشد عليه ، فإن إطلاق « التخييل » قد مضى له في قوله : « والأرض جميعا قبضته يوم القيامة » ٦٧ : الزمر ، وفي مثل قوله « بل يداه مبسوطتان » ٦٤ : المائدة ، وإنما أراد به حمل الأيدى على نوع من المجازِ فمعنى كلامه صحيح ، لأنا نعتقد فيهما المجاز ، وندين الله بتقديمه عن المفهوم الحقيقى (٥) فلا بأس عليه في معنى إطلاقه ، غير أنا مخاطبون باجتنابِ الألفاظ ، الموهمة في حق جلال الله تعالى ، وإن كانت معانيها صحيحة ، وأىُّ إيهام أشد من إيهام لفظ التخييل ؟ ألا ترى كيف استعمله الله فيما أخبر أنه سحر وباطل في قوله : « **يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى** » ٦٦ : طــه ، فلا يُشَكُّ في وجوبِ اجتنابه ، ثم يعود بنا الكلام إلى إطلاقه هنا فنقول : هو منكر لفظا ومعنى ، أما اللفظ فقد تقدم ، وأما المعنى فلأنَّا نعتقد أن سؤال جهنم وجوابها حقيقة ، وأن الله تعالى يخلق فيها الإدراك بذلك بشرطه ، وكيف نفرض « التخييل » وقد وردت الأخبارُ وتظاهرت على ذلك : منها هذا ، ومنها لجاج الجنة والنار ، ومنها اشتكاؤها إلى ربها فأذن لها في نفسين ، وهذه وإن لم تكن نصوصا فظواهر يجب حملها على حقائقها ،

لأنا متعبدون باعتقاد الظاهر ، ما لم يمنع مانع ولا مانع ههنا ، فإن القدرة صالحةٌ ، والعقل يُجَوِّزُ ، والظواهر قاضية بوقوع ما صوره العقل ، وقد وقع مثل هذا قطعا في الدنيا كتسليم الشجر وتسبيح الحصى في كف النبى صلى

(١) انظر تفسيره « الكشاف » جـ ٣ ص ١٦٣ ط : الحلبى .

(٢) مقصوده : أنها لا تضيق عن كثرة العدد .

(٣) هو ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الإسكندرى وكتابه مطبوع على هوامش الكشاف وعنوانه « الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال » .

(٤) انظر الانتصاف بهامش الكشاف جـ ٣ صـ ١٦٣ .

(٥) وقع ابن المنير فيما عابه على الزمخشرى ، ولو قال : وندين الله بتقديسه عن مشابهة خلقه ، لكان أمس بالحقيقة رحما فإن السلف يثبتون بغير تمثيل ولا تكييف ، وتأمل كبوته حين نفى « المفهوم الحقيقى » عن بعض آى القرآن . . ومقصده معروف لأهل الاختصاص ..... ولكن ما هكذا ياسعد تورد الإبل ..... وغفر الله لنا وله ووفقنا لاتباع نهج الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه .

الله عليه وسلم وفي يد أصحابه ، ولو فُتِحَ باب المجاز والعدول عن الظاهر في تفاصيل المقالة(١) لاتسع الخَرْقُ ، وضل كثيرٌ من الخلقِ عن الحق ، وليس هذا كالظواهر الواردة في الإلهيات مما لمْ يجَوز العقل اعتقادَ ظاهرها (٢) ، فإن العدول فيها عن ظاهر الكلام بضرورة الانقياد إلى أدلة العقل المرشدة إلى الحق !! فاشدْد يدك بما فصل في هذا الفصل مما أرشدتك به إلى منهج القرب والوصل ، والله الموفق » ا هـ ٠

تعليق وجيز : هذه العبارات الأخيرة تمثل ما تركه « المعتزلة » من قواعد في تفكير « الأشاعرة » ٠

كيفية دعاء النـــار للكافرين :

ومما له عُلْقَةٌ بما سبق من سؤال النار وجوابها ، ما ورد في وصفها من قول الحق جل ذكره : **« تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى »** ١٧ ، ١٨ : المعارج ٠ وفي معنى (تدعو) كانت للمفسرين هذه التأويلات :

١ ـ الدعاء على ظاهره ، بمعنى القول والنداء ، فتقول : إلّى يا مشرك ، إلّى يا منافق أو بتعبير ابن كثير (٣) : « تدعو النار إليها أبناءها الذين خلقهم الله لها وكانوا في الدار الدنيا يعملون عملها فتدعوهم يوم القيامة بلسان طلق ذلق ··· » وهذا الرأى في تفسير الدعاء ذكره أكثرُ المفسرين حتى أولئك الذين ينهجون منهج القول بالتمثيل والتخييل ، كالزمخشرى (٤) مثلا فقد كان هذا **الرأى من بين الآراء** التى ذكرها ، أما القرطبى (٥) فقد قال عنه : أنه هو الحقيقة التى تدعمها آى القرآن وصحيحُ الأخبار ، ودعاء « لظى » يكون بخلق الحياة فيها حين تدعو وخوارق العادة كثيرة » ٠

٢ ـ الدعاء بمعنى الإهلاك ، تقول العرب : دعاك الله : أى أهلكك الله (٦) ٠

٣ ـ الدعاء ليس من جهنم وإنما هو من خزنتها ، وأسند دعاؤهم إليها من قبيل الإسناد المجازى ٠

٤ ـ الدعاء : هو تمكنها من عذابهم وقد نقل القرطبى (٧) في هذا المعنى عن

---

(١) كذا بالأصل ومقصده تفاصيل الغيبيات ٠

(٢) ليتنا نتأسى بما قاله الإمام مالك رحمه الله « الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ····· »

(٣) انظر تفسير ابن كثير جـ ٤ ص٤٢١ ٠

(٤) انظر تفسير الكشاف جـ ٣ ص٢٦٨ ٠

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن جـ ١٨ ص٢٨٩ ببعض تصرف ٠

(٦) كان هذا الرأى من بين الآراء التى ذكرها القرطبى ، والزمخشرى ، والشوكانى وقاله ثعلب ، ونقله ابن سيده في المخصص جـ ٢ ص ١٣٣ ونقله عنه الشيخ المغربى في تفسير جزء تبارك مرتضيا له ٠

(٧) انظر القرطبى جـ ١٨ ص٢٨٩ ٠

الخليل قوله أنه ليس كالدعاء (تعالوا) ولكن دعوتها إياهم تمكنها من تعذيبهم » .

٥ ـ إن الدعاء هو من قبيل التمثيل قال الزمخشرى (١) : « (تدعو) مجاز عن احضارهم كأنها تدعوهم فتحضرهم كقول ذى الرمة : تدعو أنفه الريبُ ... » وكان هذا الرأى من بين الآراء التى ذكرها القرطبى (٢) أيضا فقال : « وقيل : هو ضَرْبُ مثلٍ ، أى أن مصير من أدبر وتولى إليها ، فإنها الداعية لهم ، ومثله قول الشاعر :

ولقد هبطنا الواديين فواديا   يدعو الأنيس به العضيضُ الأبكمُ

العضيض الأبكم : الذباب . وهو لا يدعو وإنما طنينه نبَّه عليه ، فدعا إليه » .

دفاع الشيخ المغربى عن المجاز في تفسير الآية :

انتهج الشيخ المغربى (٣) في تفسير الآية نهج القائلين بالمجاز ، وأسرف على نفسه حين أخذ في الرد على القائلين بالحقيقة وهاك نص رأيه : ـ « ..... وقوله « تدعو من أدبر وتولى » أى تنادى وتهتف بالذى أدبر وأعرض عن الإيمان ، وقال (تدعو) لأن تهيؤ جهنم ، وتبرجها للمعرضين عن الإيمان ، وَتَفَتُّحَ أبوابها لدخولهم كأنه في المعنى هتاف بهم ، ودعاء لهم ، وهو ما يسمونه « لسان الحال » كما أن الدعاءَ بالقول (لسان المقال) وهذا الضرب من التعبير كثير الشيوع في كلام العرب وأشعارهم ، لا سيما إذا أرادوا الحكاية عن شىء لا يَعْقِل ، ووصْفَ أحواله ومنه قوله :

شكا إلَيّ جملى طوال السرى   يا جملى ليس إلى المشتكى
صبرا جميلا فكلانا مبتلى

والجمل لا يمكن أن يشكو بلسان مقاله ، وإنما يشكو بلسان حاله ، فإن آثار الأين (٤) والكلال والحفاء البادية عليه ، كأنها ألسنة تنطق بالشكوى إلى صاحبه .

وقال أبو النجم ـ الرجاز المشهور ـ يصف روضته : « تقول للرائد أعْشَبْتَ فأنزل » أى أنها لاستجماعها ما يلزم للقوم المسافرين من : مرعى ، وماء وظل ، إذا وصل إليها رائدهم يبتغى لهم مكانا للنزول ، استوقفته تلك الروضة ، بحيث لا يمكنه تجاوزها دون النزول فيها بقومه ، فهى كأنها تقول له : (أعْشَبْتَ) أى أصبتَ عُشْباً « فانزل » على الرحب والسعة » ومثله قول الراجز الآخر :

---

(١) انظر الكشاف جـ ٣ ص٢٦٨ .
(٢) انظر القرطبى جـ ١٨ ص ٢٨٩ .
(٣) انظر تفسيره لـ « جزء تبارك » ص٤٩ ط : الشعب بالقاهرة .
(٤) الأين : الإعياء ، وانظر القاموس جـ ٤ ص ٢٠٠ .

امتـلأ الحـوض وقال قطنى مَهْـلًا رويـدا قد ملأت بطنى

فهذا ما يسمونه « لسان الحال » ، وله شواهد كثيرة جدا في القرآن والحديث ، وقد غفل عنه الكثيرون فحملوه على الحقيقة ، وجعلوه من الخطاب بلسانِ المقال ، ولا حجة لهم : إلا أنَّ الله تعالى قادر على كل شيء ، وَمَنْ ذا الذى ينكر قدرته تعالى ، ولكننا نرى أنَّ حَمْلَ هذه الآيةِ ونظائرِها على التمثيل كما ذكرنا عن أهل اللسان في الحكاية عن مالا يَعْقِلُ أمثلُ وأبلغُ من حملها على الحقيقة ، ولا داعى عقلا أو شرعا للحمل عليها .... » ا هـ .

تعقيب على دعاوى الشيخ المغربى :

قال الشيخ : « إنه لا يرى داعية من العقل أو الشرع ، تدعوه إلى فهم « دعاء النار » على حقيقته » .

ولست أرى أى قرينة استظهر بها الشيخ ليصرف دلالةَ الدعاء عن الحقيقة إلى المجاز ، إلا قرينة استبعاد الوقوع ، وما نشأ هذا الاستبعاد إلا من تحكيمِ العقل المتقوقع في آفاقه الضيقة ، وجعل قوانين العالم المحسوس المشهود ، حَكَماً على أخبار مُسْتَكِنَّةٍ في أرحام الغيوب ، ولو استشرفنا إلى آفاق أرحب لقلنا : « آمنا به كل من عند ربنا » من ٧ : آل عمران .

هل ترى النارُ أصحابَها حقيقة ؟

قال الحق جل ذكره في وصف جهنم « **إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا** » ١٢ : الفرقان .

وكانت اتجاهات المفسرين في فهم الآية كما يلى : -

١ - حمل الرؤية على حقيقتها ، وكذلك التغيظ والزفير ، وليس هناك ما يمنع من أنْ يجعل الله لها حسا وإدراكا ، وقد وصف القرطبى (١) الحملَ على الظاهر بأنه هو الأصح مستدلا بما روى مرفوعا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كذب على متعمدا فليتبوأ بين عينى جهنم مقعداً » قيل يا رسول الله وهل لها عينان ؟ قال : « أما سمعتم الله عز وجل يقول : « إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا » ١٢ : الفرقان ، يخرج عَنَقٌ من النار له عينان تبصران ، ولسان ينطق ، فيقال وُكِّلْتُ بكل من جعل مع الله إلاها آخر ، فلهو (أى العنق) أبصر بهم من الطير بحب السمسم فيلتقطه » (٢) .

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن جـ ١٣ ص٧ ، ٨ .

(٢) قال القرطبى عن سند هذا الحديث : ذكره رزين في كتابه ، وصححه ابن العربى في قبسه ، .... وخرجه الترمذى من حديث أبى هريرة .... وقال هذا حديث حسن غريب صحيح ، وانظر القرطبى جـ ١٣ ص٨ ، والسمسم : بالكسر هو الجلجلان .

وقيل : ترى النار أصحابها من مسيرة مئة عام (١) ، وقيل : خمسمئة عام (٢) ، وهذا هو معنى « من مكان بعيد » عند بعض المفسرين ، وهذه الروايات غير مرفوعة إلى المعصوم صلى الله عليه وسلم ، فهى ليست إلا من باب الحشو والتزيد .

٢ - فسرت الرؤية بمعنى : إذا رآهمْ خزنتها ، سمع المُعَذَّبُون للخزنة تغيظا وزفيرا ، وهذا من الآراء المذكورة في تفسير الآية (٣) ، وجوزه الزمخشرى بقوله (٤) : « ويجوز أن يراد : إذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار ، وشهوةً للانتقام منهم » أ هـ .

٣ - حمل الرؤية على المجاز بمعنى : إذا ظهرت لهم فكانت بمرأى الناظر (٥) أو بعبارة الزمخشرى (٦) : « ..... رأتهم) ... من قولهم : « دورهم تتراءى وتتناظر » ومن قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تتراءي ناراهما (٧) » كأن بعضها يرى بعضا على سبيل المجاز ، والمعنى إذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد سمعوا صوت غليانها ، وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر » ا هـ .

رد ابن المنير على الزمخشرى :

وجرى ابن المنير على محمود عادته في الرد على الزمخشرى فقال (٨) : « لا حاجة إلى حمله على المجاز ، فإن رؤية جهنم جائزة ، وقدرة الله تعالى صالحة (٩) ، وقد تضافرت الظواهر على وقوع هذا الجائز ، وعلى أن الله تعالى يخلق لها إدراكا حسيا وعقليا ألا ترى إلى قوله « سمعوا لها تغيظا » وإلى محاجتها مع الجنة ، وإلى قولها « هل من مزيد » وإلى اشتكائها إلى ربها فأذن لها في نفسين ، إلى غير ذلك من الظواهر التى لا سبيل إلى تأويلها إذ لا مُحْوِج إليه ، ولو فتح باب التأويل والمجاز في أحوال المعاد ، لتَطَوَّح الذى يسلك ذلك إلى وادى الضلالة والتحيز إلى فرقِ الفلاسفة (١٠) . فالحق أنا متعبدون بالظاهر ما لم يمنع مانع ، والله أعلم »

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ناقلاً له عن السدى انظر جـ ٣ ص٣١٠ وكتابة « مئة » بهذه الصورة الإملائية صحيحة .
(٢) ذكره القرطبى جـ ١٣ ص٧ .
(٣) ذكره كثير من المفسرين كالقرطبى والشوكانى ولم يرتضياه .
(٤) انظر الكشاف جـ ٢ - ص٤٠١ .
(٥) انظر فتح القدير جـ ٤ ص٦٤ ولم يرجح الشوكانى هذا الرأى .
(٦) انظر الكشاف جـ ٢ ص٤٠١ .
(٧) الحديث النبوى في النهى عن تقارب منازل المسلمين والكافرين .
(٨) انظر الانتصاف بهامش الكشاف جـ ٢ ص٤٠١ .
(٩) لو قال : وقدرة الله تعالى لا يؤودها شيء في السماوات والأرض . لكان أوفق .
(١٠) إشارة الى الآراء الفاسدة التى أدخلتها الفلسفة في عقول بعض المسلمين .

كيفية اطلاع النار على الأفئدة !!

ومما هو متعلق بما سبق وموصول به قول الله جل ذكره : « نار الله الموقدة . التى تطلع على الأفئدة » ٦ : ٧ : الهمزة .

وحول « اطلاع النار على الأفئدة » كانت تأويلات المفسرين كما يلى : -

١ - الاطلاع بمعنى البلوغ ، قال الطبرى (١) : « أى التى يَطَّلِعُ ألمُها ووهجُها القلوبَ ، والاطلاع والبلوغ قد يكونان بمعنى ، حكى عن العرب سماعا : « متى طَلَعْتَ أرْضَنا » و « طلعت أرضى » أى بلغتها » ا هـ . ومن هذا المعنى ما ذكره القرطبى (٢) : عن خالد بن أبى عمران عن النبى صلى الله عليه وسلم : « أن النار تأكل أهلها ، حتى إذا طلعت على أفئدتهم انتهت ، ثم إذا صدروا تعود فذلك قوله تعالى : « نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة » وخص الأفئدة لأن الألم إذا صار إلى الفؤاد مات صاحبه . أى أنهم في حال من يموت وهم لا يموتون ، كما قال الله تعالى : « ثُمَّ لا يموت فيها ولا يحيا » ١٣ : الأعلى فهم إذاً أحياءٌ في معنى الأموات » ا هـ .

٢ - ومما يقرب من سابقه تفسير الاطلاع بما قاله الألوسى (٣) : « أى تعلو أوساط القلوب وتغشاها ، وتخصيصها بالذكر ، لما أن الفؤاد ألطف مافي الجسد وأشده تألما بأدنى أذى يمسه ، أو لأنه محل العقائد الزائغة ، والنيات الخبيثة ، والملكات القبيحة ، ومنشأ الأعمال السيئة ، فهو أنسب بما تقدم من جميع أجزاء الجسد » .

٣ - أن المقصود بالاطلاع : العلم ، قال الزمخشرى (٤) : « ومعنى اطلاع النار عليها أنها تعلوها وتغلبها وتشتمل عليها أو تطالع على سبيل المجاز معادن موجبها » ا هـ ، وقد بسط هذا الرأى الأخير للزمخشرى الألوسى (٥) حين قال : « .... أو أن يراد الإطلاع العلمى - والكلام على سبيل المجاز - وذلك أنه لما كان لكل من المعذبين ، عذاب من النار على قدر ذنبه المتولد من صفات قلبه ، قيل إنها تطالع الأفئدة التى هى معادن الذنوب ، فتعلم ما فيها فتجازى كلا بحسب ما فيه من الصفة المقتضية للعذاب » .

---

(١) انظر تفسير الطبرى جـ ٣٠ ص ١٩٤ ط : الحلبى الثالثة بتصرف قليل ولم يذكر الطبرى وهو المفسر الموسوعى غير هذا الوجه في المسألة .

(٢) انظر تفسير القرطبى جـ ٢٠ ص ١٨٥ .

(٣) انظر روح المعانى للألوسى جـ ٣٠ ص ٢٣١ ، ٢٣٢ ط : الدمشقى ، القاهرة ، وقد نقل الألوسى أكثر عباراته في هذه المسألة عن الزمخشرى انظر الكشاف جـ ٣ ص ٣٥٨ ، وقريب من هذا ما فعله الشوكانى في « فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير » جـ ٥ ص ٤٩٤ .

(٤) انظر الكشاف جـ ٣ ص ٣٥٨ .

(٥) انظر روح المعانى جـ ٣٠ ص ٢٣٢ ، وقد وجدنا أن الألوسى قد جمع في هذه المسألة آراء العلماء السابقين بما يشبه الاستيعاب بينما مر بهذه الآية بعض المفسرين في عجل لا يتوانى .

٤ ـ وجمع الشيخ محمد عبده (١) بين قولى الزمخشرى آنفى الذكر فقال : « ولا يخفى عليك أن الفؤادَ إنما يطلق على القلب ، إذا لوحظ أنه بمعنى موضع الوجدان والشعور ، فكأنه قال : التى تعلو مشاعرهَم ، ومداركَهم ، ومواطنَ الوجدانِ من نفوسهم .

أى أنَّ سلطانَ هذه النار على قوى الوجدان والشعور التى هى مواطنُ النياتِ والمقاصدِ ، ومساكنُ الفضائل والرذائل . وقد قيل : إن معنى الاطلاع هنا المعرفة والعلم ، أى أن هذه النار تعرف مافي الأفئدةِ فتأخذ من تعرفهم أهلًا لها ، من أهل الوجدان الخبيث .

والنار التى تعرف (٢) من يستحق العذابَ بها لا تكون من النيران المعروفة لنا في الدنيا ، بالضرورة ، وعلى كل لا يخلو الكلامُ ـ على هذا التأويل الثانى ـ من التمثيل والتجوز » .

٥ ـ وأما القائلون بالتفسير الإشارى (٣) فكان رأيهم الذى ذكره عنهم « الألوسى » (٤) هو : « إن ما ذكر إشارة إلى العذاب الروحانى الذى هو أشد العذاب » .

• ولم يبين لنا أصحاب التفسير الإشارى الفرق بين العذاب الجسمانى والعذابِ الروحانى !! ولم يبينوا الصلة بين ألفاظ الآية الكريمة وبين هذا العذاب ..... هذا مع إيماننا بأن الله سبحانه يجمع على المجرمين أنواعا من العذاب ، كما هو مفصل في آى القرآن الكريم .

• **وفي نهاية المطاف** : يتبين للقارىء المسلم أن كثيراً من التأويلات كانت صَدًّا عن الحق الواضح المشرق ، وصَرْفاً عن الصراط المستقيم إلى متاهات من الظن ، ، وإلى أودية من الخيال والوهم ..... ثم هى هجمات على الغيب المستور بشطحات العقول ، وتقول على الله بغير العلم .

والطريقة المثلى : هى أن ننقاد لنور القرآن ، وأن نعرض عن شطحات الذين يتبعون أهواءهم ، وأن نطلب الحق والميزان من سنة خير الأنام ـ صلوات الله وسلامه عليه ، وآخر دعوانا أنْ الحمــد لله رب العالمين .

---

(١) انظر تفسير « جزء عم يتساءلون » ص ١١٨ ط : الشعب .
(٢) قيل إنها تعرف أصحابها بأمارات فيهم يعرفها الله بها .
(٣) سمى القشيرى كتابه في التفسير بلطائف الإشارات » ولم نجد هذه الإشارة فيه عند هذه الآية انظر اللطائف جـ ٦ ٣٣٥ .
(٤) انظر روح المعانى جـ ٣٠ ص ٢٣٢ .


سيرة
و
تاريخ





نشأت الدعوة في مكة المكرمة ، وكانت أول مدرسة لها هى دار الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى ، حيث كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يلتقى بالرعيل الأول هناك ، فيعلمهم العقيدة الصحيحة ، وينتزع ما بقى في قلوبهم من آثار الوثنية ، ويقتلع من نفوسهم قدسية الأصنام ومنزلتها ، ويغرس فيها الإيمان باليوم الآخر ، وما فيه من البعث والحساب والجنة والنار إلى غير ذلك من أصول العقيدة .

وقد تميزت مدرسة الدعوة بخصائص لم تتوفر لغيرها ، كان لها أكبر الأثر على الدعاة ، فخرجت جيلا ضحى في سبيل الدعوة بما يملك من النفس والمال والولد ولم يضن عليها بشيء تحتاج اليه ، كما كان للجهد العظيم الذى بذله الدعاة نتائج هائلة وثمرات جيدة ، وبذلك أصبحت مدرسة الدعوة في تلك الآونة مدرسة فريدة في موضوعها ، فريدة في منهاجها ، فريدة في نتائجها .

خصائص مدرسة الدعوة :

أول هذه الخصائص ربانية المنهج :

لقد كان منهج هذه المدرسة من صنع الله - تبارك وتعالى - جاء به جبريل من عنده سبحانه وحيا يوحى ، لهذا كان منهجا متكاملا ، لم يترك شيئا مما تصلح به البشرية في دينها ودنياها إلا حث عليه وأمر به .

وكان أول ما اهتم به المنهج هو تصحيح العقيدة من الانحراف الذى طرأ عليها ، لأن الغاية من خلق آدم وذريته هو تحقيق معنى العبودية لله - عز وجل - في الأرض باتباع المنهج القويم الذى جاء به الأنبياء والمرسلون ، وذلك بعبـــادة الله - تعالى - واخـلاص الطاعـــة له - سبحانه -

وكان الناس في تلك الآونة من الزمان قد نسوا البعث بل أنكروه ، كما هو حالهم في فترات الزمان المتباعدة ، فكانت الدعوة الاسلامية عاملا مهما من عوامل إيقاظ هذا المعنى في النفوس ، وركزت عليه تركيزا بحيث لم يعد هناك مجال للشك فيه .

وقد ثبَّت المنهج هذه العقيدة بأساليب مختلفة ، فضرب الأمثلة ، وانتقل من المعقول إلى المحسوس ، ولفت أنظار الناس إلى قدرة الله فيما حولهم وفيما يجرى بينهم حتى تكون الوقائع الماثلة شاهدة على ما يخبرهم به الله في كتابه على لسان نبيه .

وحيث كان المنهج ربانيا فإنه جاء مناسبا لكل زمان ومكان ، لا يعتريه نقص ، ولا يطرأ عليه تغيير ، لأن صفة الربانية لهذا المنهج تكسبه معنى الصلاحية والثبات ، وكونه منهجا لآخر رسالة في هذه الحياة يكسبه معنى الخلود إلى آخر هذه الحياة ، فلسنا إذاً في حاجة إلى تغييره من فترة إلى فترة ، ولا في حاجة إلى التعديل فيه من حين إلى حين .

وأما ثانية الخصائص فهى **جمعها بين مصالح الدنيا والآخرة :**

قد يخطر بالبال أن ربانية المنهج في تلك المدرسة يدل على أنها تتناول أمور الدين فقط ، ولا تلتفت إلى الدنيا في قليل ولا كثير ، والواقع خلاف ذلك فإن تلك المدرسة قد جمعت بين مصالح الدنيا والآخرة ، في تناسق تام وتوازن عجيب ، فلم تترك أحد الجانبين يطغى على الآخر ، ولم تهمل شيئا منهما على حساب الآخر ، ذلك لأن الإسلام ينظر إلى الدنيا على أنها هى المزرعة التى يحصد منها الإنسان زاده للآخرة ، بل هى الجسر الذى يعبر عليه ليصل إلى مقره الذى يسعى جاهدا لبلوغه .

ومن جانب آخر فإن الأعمال الدنيوية كلها تتحول إلى أعمال دينية إذا حسنت فيها النية ، فأنت تأكل لتعيش فقط هذا عمل دنيوى صرف ، وأنت تأكل لتستعين على طاعة الله ، وتقوم بواجبك ، بهذه النية ينقلب العمل الدنيوى إلى عمل دينى لك أجره ومثوبته ، وأنت تتزوج لتكون رب أسرة وتنجب البنين والبنات ، وأنت نفسك تتزوج لتعف نفسك وتغض

بصرك وتحفظ فرجك ، أما الزواج الأول فدنيوى صرف ، وأما الثانى فدينى صرف ، وكلاهما زواج ستكون فيه رب أسرة وأبا للبنين والبنات ٠

وهكذا كل الأعمال تستطيع أن تحولها إلى أعمال دينية مهما كانت درجتها الدنيوية ، ويكون لك عليها من الأجر والثواب مثل بقية الأعمال العبادية أو الدينية الصرفة ٠

وبذلك تكون مدرسة الدعوة الإسلامية قد مزجت مزجا تاما بين أعمال الدنيا والدين ، ونهجت في سبيل توحيد الأعمال نهجا قويما عبر عنه القرآن فقال : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين » (١) ٠

ألم تر أن الآية الكريمة جمعت بين ابتغاء الآخرة ، وتذكير الإنسان بنصيبه من الدنيا حتى لا يكون في شغله بطلب الآخرة ما ينسيه نصيبه من الدنيا ؟

ونحن نلاحظ في الآية أيضا أنها أمرت بالإحسان ، وهو من أعمال الآخرة ، وحذرت من الفساد في الأرض وهو من أعمال الدنيا ٠

إن الآية الكريمة قد مزجت بين العمل الدائب للآخرة بكل أنواعه وبين العمل الدنيوى الذى يعود على الناس بالنفع والخير ، وإنك مهما حاولت التأمل في الآية لن تشعر بفاصل بين العمل للدنيا والعمل للآخرة ، ومهما أرهفت حسك الأدبى فلن تدرك - مهما بالغت - ثقلا أو صعوبة في الانتقال من أعمال الآخرة إلى أعمال الدنيا ، لأن الآية الكريمة قد ساقتهما في نسق واحد ، وتأليف فريد ٠

إنك بحسك الأدبى وذوقك الفنى تدرك أن موسيقى الألفاظ واحدة في الآية من أولها إلى آخرها ، وتقسيم الفواصل لا يختلف فيها ، ونلاحظ أن أعمال الآخرة وردت في الآية بصيغة الأمر وأعمال الدنيا جاءت بصيغة النهى ، ولعل ذلك لكثرة ما يقع الناس في المحظورات فجاءت صيغة النهى للتحذير من الوقوع في مخالب الدنيا ومفاتنها التى تشغل الناس عن أعمال الآخرة فناسب أن تأتى صيغة الأمر لأعمال الآخرة (وابتغ ... وأحسن) وناسب أن تأتى أعمال الدنيا بصيغة النهى (ولا تنس ... ولا تبغ) ٠

---

(١) القصص الآية : ٧٧ ٠

وإنك لتلاحظ هذا المزج في كثير من آيات القرآن الكريم وتلمسه واضحا في قوله - تعالى - : (قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له) (١) .

فإن الآية الكريمة جمعت بين العبادة ورمزت لها بالصلاة ، وبين الأعمال العادية وأشارت إليها بالنسك وهو الذبيحة ، ثم أجملت فجعلت حياة المؤمن ومماته لله ، وذكرت التوحيد بنفي الشرك .

وهكذا تتناول الآية أعمال الدين الخالصة والأعمال التى هى في الأصل عمل دنيوى حولها الإسلام إلى عبادة ، ثم تذكر التوحيد صراحة وهو العقيدة التى لا يقبل من الإنسان سواها .

وآية أخرى ، يقول - تبارك وتعالى - : (فصل لربك وانحر) (٢) والآية كما ترى تجمع بين الصلاة التى هى أهم أركان الإسلام بعد الشهادتين ، وبين الذبح الذى هو أمر لا حرج على من لم يفعله ولا إثم والصلاة في الآية وإن كان المقصود بها صلاة العيد إلا أنها من جنس الفريضة التى فرضها الله على المؤمنين ، وهى في الأصل عمل دينى لا يشوبه شائبة من شوائب الدنيا .

والخصيصة الثالثة هى : **تساوى الناس جميعا أمام نظمها** : فليس هناك عبيد وأحرار ، ولا سادة وعوام ، ولا نبلاء ودهماء بل الكل في ذات الله سواء ، يجمعهم الإيمان بالله ، ويفاضل بينهم العمل الصالح ، ويتنافسون في ميدان التقوى الرحب الفسيح .

وكان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يقول لهم : « كلكم بنو آدم ، وآدم خلق من تراب ، لينتهين قوم يفتخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان » (٣) .

والله - عز وجل - يقول في القرآن الكريم : « يأأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » (٤) .

---

(١) الانعام الآية : ١٦٢ ، ١٦٣ .
(٢) الكوثر الآية : ٢ .
(٣) رواه البزار .
(٤) الحجرات الآية : ١٣ .

ومادام الناس كلهم أولاد آدم - عليه السلام - فكيف يفرق بينهم في النسب ؟ وكيف يفخر بعضهم على بعض ؟

ومادام الناس جميعا من أب واحد وأم واحدة فكيف يسوغ بينهم التخاصم والنزاع ؟

إن الأولى للناس جميعا أن يتعارفوا وأن يأتلفوا ، وأن يكونوا جميعا في منزلة واحدة أمام قوانين النظام الذى ردهم إلى أصلهم ، ونهاهم أن يفتخروا بآبائهم ٠

قال الشاعر :

الناس من جهة التمثيل أكفاء ... أبوهم آدم والأم حواء

فان يكن لهم في أصلهم شرف ... يفاخرون به فالطين والماء

ومن أجل تحقيق تلك المساواة كانت التكاليف عامة لم يكلف بها جنس دون جنس ، وكانت الواجبات على الجميع سواء بسواء لم يعف منها أحد مهما كان ٠

كذلك كانت المحظورات محظورات على كل المسلمين لم يستثن منها أحد مهما كان شريفا ، والمنهيات محرمة على الجميع لم يعف منها مسلم قط ٠

وهكذا كانت المساواة في الحقوق والواجبات من خصائص تلك المدرسة ومميزاتها ٠

وباجتماع تلك الخصائص في مدرسة الدعوة تفوقت الدعوة على كل ما عداها ، وأصبحت مدرستها فريدة في نهجها ، فذة في تربيتها ، وحيدة في تفوق نتائجها ٠

ولقد أصبحت هذه الخصائص شعارات لتلك المدرسة عرفت بها ، وغرستها في قلوب طلابها ، فآمنوا بها إيمانا أصبح واقعا عمليا في حياتهم ، وكانوا النماذج الحية التى يراها الناس لتلك الدعوة بسلوكهم قبل كلامهم ، وبواقعهم قبل دعاياتهم ٠

وانتظم الصحابة - رضوان الله عليهم - في تلك المدرسة ، وحرصوا على أن يتلقوا فيها علومهم ، حتى كان الرجلان المشتركان في تجارة أو نحوها يتناوبان مجالس العلم ، ويخبر

الحاضر منهم الغائب بما سمعه من العلوم في نوبته فيتعلمه منه (١) .

واستطاع هؤلاء الأصحاب أن يتحملوا الأمانة ، وأن يبلغوها كما حملوها ، وكان - صلى الله عليه وسلم - يحثهم على التبليغ ويرغبهم فيه ويعلمهم أن المبلَّغ قد يكون أوعى من السامع ، وأن حامل الفقه قد يكون غير فقيه ، ويخلص من هذا إلى وجوب التبليغ على المسلمين فيقول - صلى الله عليه وسلم - : « بلغوا عنى ولو آية » (٢) .

كما كان - صلى الله عليه وسلم - يبين للمسلمين الأسباب الداعية إلى التبليغ الموجبة للقيام به فيقول : « نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه) (٣) .

وهكذا يوضح الرسول - صلى الله عليه وسلم - منزلة تبليغ الدعوة ونقلها إلى من لم يسمعها ، لأن الدعوة قد تصل عن طريق البلاغ إلى من يقدرها قدرها ويدرك منها ما لم يدركه غيره ولو كان سمعها من فم الداعى إليها ، وقد يكون حماس المبلِّغ للدعوة ودأبه على نشرها وحرصه على القيام بحقها أعظم ممن سمعها ، وذلك لأن فقهه لأهدافها ، وإدراكه لمراميها يشعره بعظم حقها عليه ، فيبذل من وقته ليبلغها ومن ماله لينشرها ، ومن فقهه ليرغب فيها .

وليس أدعى للتضحية في سبيل المبدأ من فقهه والإيمان به وليس أقوى للنفس وأجرأ للقلب في سبيل نشر الفكرة من عقيدة تسيطر على صاحبها فتحوله إلى حركة لا تهدأ ، وعمل لا يفتر حتى يصل إلى غايته .

ولن يتأتى ذلك إلا لرجل فهم دعوته ، وأدرك عظمتها فدفعه ذلك إلى العمل الدائب من أجل تبليغها وإيجاد القلوب التى تحملها وتضحى في سبيلها .

ولهذا كان حرص رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على تبليغ الدعوة إلى من لم تبلغه ، وحملها إلى كل مكان لعلها تصادف من يعيها ، ويفهم حقيقتها ، ويدرك عظمتها ، فيهبُّ لحملها ويتولى الدفاع عنها حتى ينصرها الله - عز وجل - .

---

(١) البخارى (١/ ١٨٥) .
(٢) رواه البخارى .
(٣) رواه الترمذى .

الصحابة في ميدان الدعوة :

شحن الصحابة - رضى الله عنهم - تلك الشحنة الإيمانية العميقة ، وخالطت بشاشة الإيمان سويداء قلوبهم وعلموا أن من حقها عليهم تبليغها لكل من يلقونه ، وحملها إلى كل مكان يذهبون إليه ·

لم يغب عن الصحابة أن الطريق لن يخلو من عقبات ، وأن تبليغ الدعوة سيحملهم الكثير من المشقات ، وأنهم سيواجهون أصحاب عقائد فاسدة يذعنون لها ويدافعون عنها ، ولم يثنهم ذلك عن حمل ذلك العبء الثقيل مضحين بأنفسهم وأموالهم ، وجهدهم وأوقاتهم ·

خرج أبو بكر - رضى الله عنه - بعد أن التقى برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتلقى عنه أصول الدعوة ، فبشر بها ودعا إليها كل من يثق فيه ، وعرضها على أصدقائه في أسلوب أخاذ ، فاستجاب له جماعة من وجهاء مكة وآمن على يديه كبار الصحابة : عثمان بن عفان ، الزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ·

ولم يكد هؤلاء الأفاضل يعلنون إسلامهم ، ويذعنون للحق الذى دعاهم إليه أبو بكر حتى ذهب بهم إلى رسول الله فأسلموا (١) ·

ويجلس أصحاب رسول الله يوما فيتذاكرون قريشا وموقفها من الإسلام ويتمنون لو أن أحدا يسمعهم من القرآن ما قد يكون سببا في هدايتهم أو يغيظهم ويقلقهم ، فيقولون : من من رجل يسمعهم القرآن ؟ ويتطوع عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - ويخاف عليه الصحابة أن يؤذيه القوم وليس له عشيرة تمنعه إن أرادوه بسوء ·

قال ابن مسعود : دعونى فإن الله سيمنعنى ·

وغدا الداعية إلى حيث يجتمع القوم في أنديتهم حول الكعبة وقام عند المقام ، وأخذ يتلو سورة الرحمن ·

---

(١) ابن هشام (١/ ٢٣٢) ·

وأنصت أعداء الله إلى ما يردد ابن مسعود ، وتساءلوا في دهشة ماذا قال ابن أم عبد ؟

وأجاب بعضهم ، إنه يتلو بعض ما جاء به محمد ، فانهالوا عليه ضربا في وجهه ، وهو يتلو غير مبال بما يفعلون به ، حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ ٠

وانصرف الداعية الجرىء إلى أصحابه ، وقد أثر الضرب في وجهه ، فرق له المسلمون ، وقالوا : هذا الذى خشينا عليك ، فقال : ما كان أعداء الله أهون على منهم الآن ، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غدا ٠ قالوا : لا ، حسبك ، قد أسمعتهم ما يكرهون (١) ٠

ويتوالى الدعاة ، وتختلف أساليب التبليغ ، فتارة تكون بنشر الدعوة بالكلمة والتفصيل ، وتارة تكون بالتمسك بها والإصرار عليها ، وتارة أخرى تكون بالصبر على الأذى في سبيلها ، وتحمل المشقات من أجلها ٠

والأسلوب الأخير وإن كلف الدعاة كثيرا من الدماء ، وكثيرا من الجهد وكثيرا من العناء إلا أنه أثبت أن للدعوة رجالا قد آمنوا بها إيمانا ملك عليهم حواسهم ومشاعرهم ، وتغلغل في قلوبهم تغلغلا أنساهم آلامهم وما يلقون في سبيلها من المتاعب والصعاب ٠

وكثيرا ما يكون الصبر والثبات أبلغ في التأثير من الكلمة مهما كانت بليغة مقنعة ، وكثيرا ما يذل الصبر والثبات كبرياء الجبارين فيستسلمون أمام هذا الصمود صاغرين ٠

لقد أذل بلال العبد الضعيف كبرياء أمية بن خلف ، وأرغمه بصبره وثباته على الحق على أن يطلب من أبى بكر شراءه ليخلصه منه ٠

يقول ابن هشام : إن أبا بكر مر بأمية بن خلف وهو يعذب بلالا فقال له : ألا تتقى الله في هذا المسكين ؟ حتى متى ؟ ! (٢) ٠

وكأن ابن خلف كان ينتظر أن يقول له أبو بكر ذلك ، وكأنه قد نفد صبره ، ووهنت عزيمته ، ولم يعد له قدرة على التعذيب ، لقد صبر بلال صبرا أتعب ابن خلف ،

---

(١) ابن هشام (١/ ٢٧٥) ٠
(٢) نفسه (١/ ٢٧٨) ٠

وأفقده الأمل في أن يستجيب بلال لما يعرضه عليه من العودة إلى الكفر، فاستسلم، وقد صادفت كلمة الصديق هوى في نفسه لم يكن ليفصح عنه مخافة أن يرمى بالضعف - وهو السيد المطاع - أمام صبر هذا العبد الضعيف، ولهذا لم يكد الصديق يلقى عليه كلمته حتى قال : أنت الذى أفسدته، فأنقذه مما ترى (١) ·

وإننا لنفهم من كلمة أمية بن خلف أمرين هامين جديرين بالتأمل ·

أمـا الأول : فهو أن الصديق - رضى الله عنه - كان لا يكف عن تبليغ الدعوة ونشرها في كل الأوساط، السادة والعبيد، والأغنياء والفقراء ولهذا يرميه ابن خلف بأنه هو الذى أفسد بلالا ·

وأمـا الثانى : فهو إفلاس ابن خلف أمام صبر بلال، وعجزه عن الاستمرار في التعذيب، ورغبته في التخلص من هذا المأزق الذى انحدر إليه ولم يعد قادرا على التخلص منه، نلمس ذلك في قوله لأبى بكر : فأنقذه مما ترى ·

إن ابن خلف لو بقى لديه شيء من الأمل في عودة بلال إلى الكفر لما ضحى به، ولظل يعذبه حتى يحقق ذلك الأمل، لأنه يعلم تمام العلم أن انتقال بلال إلى بيت أبى بكر يضمن له الحياة الهادئة في ظل العقيدة التى يحاربها، ويعذبه من أجل تركها والعدول عنها ·

وهكذا يكون بلال - رضى الله عنه - قد أذل كبرياء ابن خلف بصبره وأرغمه على الاستسلام لما يريد بثباته ·

ولندع هذا المشهد المثير لنقف أمام مشهد أكثر منه إثارة وأعجب منه دهشة، إنه مشهد امرأة ضعيفة تقهر بصبرها كبرياء رجل قاس عنيد، أما المرأة فهى جارية بنى مؤمل، وأما الرجل فهو عمر بن الخطاب ·

لقد ظل عمر يعذب تلك الجارية المسكينة ليصرفها عن دينها ويردها إلى الشرك والوثنية، ولكن الجارية أبت العودة إلى الكفر وأصرت على الإيمان بالله وحده، ويستمر عمر في تعذيب المرأة وتزداد المرأة ثباتا وتمسكا ·

---

(١) ابن هشام (١/ ٢٧٨) ·

وها نحن أولاء نرى عمر يكـــل ويتعب ، ولكن صبر المرأة وثباتهـا لم يضعفـا ولم يهنـــــا .

والمشهد يصور لنا ابن الخطاب وهو لا يزال على الشرك جالسا ليستريح مما أصابه من التعب والإرهاق يلتقط أنفاسه التقاطا كأنه عائد من معركة مع خصم ذى بأس شديد .

وفي الجانب الآخر نشاهد الجارية وقد لاذت بإيمانها ، واعتصمت بعقيدتها واقفة كالطود لم ينل منها الأذى إلا ما ينال الصخرة حين يقرعها الوعل بقرنه .

ويعتذر عمر بن الخطاب للجارية آسفا لعدم قدرته على التعذيب أكثر من ذلك فيقول : إنى اعتذر إليك ، إنى لم أتركك إلا ملالة (١)

وترد عليه الجارية في استعلاء المؤمن بإيمانه ، واعتزازه بعقيدته فتقول : كذلك فعل الله بك (٢) .

لا شك أنه مشهد يثير العجب ، ويبعث إلى الدهشة عمر بن الخطاب يضعف أمام امرأة ، المعذب يصيبه الملل والتعب ، والمعذبة لا تسترحمه ولا تستعطفه ، المعذب يعتذر لعدم قدرته على التعذيب أكثر من ذلك ، والمعذبة مستعدة لتحمل أكثر من ذلك في سبيل عقيدتها ومن أجل إيمانها .

ويستسلم عمر بن الخطاب القوى الجبار أمام صمود الجارية الضعيفة ، والحق أن المسألة ليست مسألة عمر والجارية ، ولا هى مسألة قوة وضعف ، ولكنها في حقيقتها قصة الإيمان والكفر ، وقصة الإيمان والكفر بعيدة الأغوار في أعماق التاريخ ، لا يخلو منها جيل من الأجيال منذ خلق الله الإنسان .

نرى صور تلك القصة تتكر متماثلة مع اختلاف الزمان والأجيال يبدؤها ولدا آدم - عليه السلام - وتتكرر مع نوح وقومه ، ثم مع ابراهيم والنمرود وتتضح معالمها في قصة موسى مع فرعون ، حيث يتحدى السحرة العزل فرعون ، ويصرون على إيمانهم بعد أن هداهم الله إليه ، وذاقوا لذته ، يهددهم فرعون بعذاب تقشعر منه الأبدان (لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ، ولأصلبنكم في جذوع النخل ، ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى) (٣) .

ويظن فرعون أنهم سينزعجون من هذا التهديد ، وأنهم سيخرون بين يديه ساجدين خوفا من العذاب ، ونسى أن الإيمان قد استقر في قلوبهم فأصبحوا بفضله قادرين على الصمود

---

(١) ابن هشام (١/ ٢٧٨) .
(٢) نفسه .
(٣) سورة طه الآية : ٧١ .

في وجه الكفر ، وأصبحت عقيدتهم أعز عليهم من حياتهم ، فأجابوا على التهديد بالصمود ، وعلى الوعيد بالتحدى (قالوا : لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا ، فاقض ما أنت قاض ، إنما تقضى هذه الحياة الدنيا ، إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر ، والله خير وأبقى) (١) ٠

ويفاجأ فرعون المتغطرس بهذا التحدى ممن كانوا بالأمس عبيداً له فينخلع قلبه ، ويطيش صوابه ، ولكنه لم يستطع أن يمضى وعيده ، ولا أن ينفذ تهديده ، وكان كعادته يتوعد ويقف عند هذا الحد ولا يتعداه ٠

وسياق الآيات الكريمات لا يعطى مدلولا واضحا لنتيجة هذا التهديد ، هل نفذ فرعون وعيده ، أم تراجع أمام هذا التحدى ، وبلع ريقه أمام هذا الصمود ، وزعم أن أتباعه هم الذين حالوا بينه وبين التنفيذ ، كما حكى عنه القرآن الكريم حين قال : (ذرونى أقتل موسى ، وليدع ربه ، إنى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد) (٢) ٠

إن فرعون يزعم أن قومه واتباعه هم الذين يحولون بينه وبين قتل موسى ، ولولاهم لقتله ، فهو يقول لهم : (ذرونى) أى اتركونى والحق أن أحدا لم يمنعه ، ولم يكن في رعيته من يستطيع أن يمنعه أو أن يحول بينه وبين تنفيذ ما يريد ، ولكن بهت أمام تحدى الإيمان وصمود المؤمنين ٠

والذى يبدو من سياق الآيات أن فرعون هدد ولم ينفذ ، وتوعد وتوقف ، حيث لم تشر الآيات إلى مصير السحرة الذين آمنوا برب هارون وموسى ، والذى يظهر كذلك أن فرعون انهزم نفسيا أمام تحدى السحرة واستهانتهم بما توعدهم به ، فلم يقدر على أكثر من القـــــول ٠

وهكذا تتكرر الصورة ، ولا تزال تتكرر حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهكذا يقف الدعاة في وجه الظلم والطغيان ، ويعلنون في ميدان الدعوة إيمانهم بالحق ، وتحديهم للباطل ، وصبرهم على الأذى في سبيل الله حتى يتحقق لهم النصر ٠

الدعوة تواجه التيارات المضادة :

دأبت مدرسة الدعوة على تخريج دعاة مسلحين بسلاحين مهمين في حياة الدعاة هما : الإيمان والعلم ٠ والإيمان سلاح لا يغنى عنه سلاح مهما كان ، إذ هو الدرع الواقى من هجمات الأعداء ، وكنز لا ينفد في إمداد الدعاة بالصبر على الاذى ، والثقة في الله ، والصمود في وجه الطغاة ٠

---

(١) طه الآيتان : ٧٢ ، ٧٣ ٠

(٢) غافر الآية : ٢٦ ٠

أما العلم فهو الفقه الدقيق في أهداف الدعوة ووسائلها ، وكيفية تبليغها والحرص على نشرها ، والفقه في الدعوة بهذا المفهوم أمر واجب على الدعاة ٠

فالدعاة مهما كانت جرأتهم في الحق ، وقدرتهم على المواجهة ، وصبرهم على الأذى ، وصمودهم في ميدان الدعوة فإن ذلك كله لا يسد مسد الفقه في الدعوة والعلم بدقائقها وطرق تبليغها ، ولئن كانت هذه الأمور ضرورية للدعاة فإن الفقه في الدعوة من أهم الضروريات ٠

إن فهم الداعية لحقيقة دعوته هو الذى يمكنه من تبليغها ، ويجعله قادرا على رد الشبهات عنها ، وتفنيد افتراءات المبطلين الذين لا يكفون عن إثارة الشبهات ، وإشعال الفتن ، وإلصاق التهم ، وتجريح الا برياء ٠

وليكن معلوما لدى الدعاة إلى الله أن الحماس للحق لا يغنى غناء الفقه ، وأن الجرأة في التبليغ لا تسد مسد الفهم ، وأن الصبر على الأذى لا يقوم مقام العلم ، ولهذا وجدنا الدعاة في ميدان الدعوة يواجهون أعداءهم بالحجج التى تدحض باطلهم ، والأدلة التى تدعم دعوتهم في مواجهة خصومهم ، والبراهين التى تمكنهم من كشف زيف الباطل الذى يقف في طريق دعـــــوتهم ٠

ولقد كان هذا الفقه للدعاة أمضى من الأسلحة في أيدى المحاربين اقتحموا به العقول فأذعنت للحق ، وطرقوا به القلوب فلانت لذكر الله ٠

إن أى دعوة لا تمد دعاتها بالفقه في مبادئها ، والفهم لغايتها ووسائلها لهى دعوة محكوم عليها بالفشل ، لأن مشكلات الدعاة لا تحل عن طريق السيف بقدر ما تحل عن طريق الإقناع والفهم ولأن الدعوة إذا استقرت في القلب يعجز السيف عن إخراجها منه وهذا هو المفهوم الحقيقى لقوله ـ تبارك وتعالى ـ : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن) (١) ٠

إن الفقه الدقيق لأسرار الدعوة وأهدافها ، والذى يستطيع الداعية عن طريقه إقناع خصمه ، وإزالة الأباطيل من رأسه لهو السلاح الحقيقى الذى يجب أن يتسلح به الدعاة ، لأن الدعوة لا بد أن تواجهها تيارات مضادة وأفكار معادية ، ومن المعلوم أن الفكرة لا تحارب بالسيف مهما كانت باطلة ، وأن العقيدة لا تقاوم بالقهر ولو كانت فاسدة ومن أجل هذا كان الفقه ومعرفة كيفية إقناع الخصم أجدى على الدعوة من السيف والمدفع ٠

ومع أن الدعوة لا تستغنى مطلقا عن السيف والمدفع إذ هما الوسيلة الفعالة لإقناع

---

(١) سورة النحل الآية : ١٢٥ ٠

المعاندين والجاحدين ، وإخضاع الطغاة والمتجبرين إلا أن الفقه والإقناع نتائجهما أعظم وفوائدهما أكثر .

ولكي ندرك تلك الحقيقة سنسوق هنا نماذج من حياة الدعاة في العصور المختلفة لنرى كيف كانت الحجة والبرهان والفقه والإقناع هي الوسائل التي كان يستعملها الدعاة حتى إذا ما استعصى الأمر ونفد الصبر لم يكن بعد ذلك الا السيف

والناس إن ظلموا البرهان واعتسفوا فالحرب أجدى على الدنيا من السلم

١ ـ في عصر موسى : أرسل الله ـ عز وجل ـ موسى إلى فرعون ، وأمره أن يطلب من فرعون ترك بني اسرائيل ليذهبوا معه ، ويحررهم من عبوديتهم له ولكن فرعون لج في العناد ، وهدد موسى بالسجن والعقاب (قال : لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين) (١) .

وإن المتدبر لتلك الآية الكريمة ليلمح فيها تهديدا رهيبا ، كما يلمس من التعبير « لأجعلنك من المسجونين » إن سجون فرعون كانت مملوءة بالمظلومين من أمثال موسى ـ عليه السلام ـ حيث يفيد التعبير أن موسى سيكون واحدا من المسجونين الكثيرين ولن يضير فرعون أن يضاف سجين جديد إلى الأعداد الهائلة التي تغص بها سجونه .

وموسى ـ عليه السلام ـ لا يعبأ كثيرا بهذا التهديد المخيف ، مع أنه لا يخفى عليه ما يكون عادة في سجون الظالمين من النكال والتعذيب ، وبخاصة وقد سبقه يوسف ـ عليه السلام ـ فسجن في أحد سجون الفراعنة ظلما بعد ما تبينت براءته ، ولبث في السجن بضع سنين ، ولكنه خرج منه موفور الكرامة ، محمود السيرة ، مرفوع الرأس ، حيث نصبه فرعون الذي سجنه وزيرا على خزائن الأرض ، فماذا يضير موسى ـ عليه السلام ـ لو أدخل سجن فرعون ؟ وهل نال السجن من عزيمة يوسف شيئا حتى ينال من عزيمة موسى ؟ وماذا لو سجن واتخذ من السجن ميدانا لنشر الدعوة ؟ ألم يفعل ذلك يوسف من قبل حين قال : (يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) (٢) ؟ ؟

لم يلتفت موسى ـ عليه السلام ـ إلى هذا التهديد الأجوف ، وتذرع بالحلم ، وقال لفرعون في هدوء : أتسجنني ولو جئتك بآية بينة تثبت لك صدق دعواي ؟ (قال : أو لو جئتك بشيء مبين) (٣) ؟

---

(١) الشعراء الآية : ٢٩ .
(٢) سورة يوسف الآية : ٣٩ .
(٣) الشعراء الآية : ٣٠ .

ويتظاهر فرعون بأنه لا يرفض البرهان ، وأنه مستعد للإذعان للحق متى ما أثبته ببينة مقبولة (قال : فأت به إن كنت من الصادقين) (١) .

وهنا يظهر موسى ـ عليه السلام ـ من المعجزات ما لا يماري فيها إلا جاحد عنيد فيحول العصا حية تسعى ، ويخرج يده بيضاء مشعة يراها كل من نظر إليها بعكس ما كانت عليه في الأصل من الأدمة ـ أى السمرة ـ .

ويتنكر فرعون لما وعد به ، ويوحي إلى الملأ حوله أن الذى رأوه إنما هو سحر وأن موسى ساحر بارع .

ونحن نلاحظ في الآيات التى قصها القرآن الكريم علينا أن موسى لم يواجه فرعون بالسلاح ، ولم يذهب إليه بجيش ليجبره على الدخول في دينه ، مع علمه تمام العلم أن فرعون ظالم جبار ، وأنه لن يسلم للحجة والبرهان ، ومع هذا لم يكن له سلاح الا الحجة والبرهـــان .

ويخلف موسى رجل من آل فرعون ، يقوم فيهم داعيا إلى الله حين هم فرعون أو هدد بقتل موسى ، ونرى في دعوته حججا عقلية يذعن لها العقلاء ، ويستجيب لها أولو الأبصار ، والقرآن الكريم يحكى لنا ما حاج به قومه ، فلا نرى فيه تهديدا بالقوة ، أو إرهابا بالسلاح قال ـ تعالى ـ : « وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه : أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ، وقد جاءكم بالبينات من ربكم ، وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم ، إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب ، يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض ، فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا » (٢) .

لقد كانت تلك الحجج كافية لإقناع فرعون ، وإظهار الحق له بعد أن تجاهله ، ولكن العناد والجحود حالا بينه وبين الحق ، فلج في طغيانه ، ولم يستطع أن يرد على الحجة بالحجة ، فقال قولة العاجز المفحوم : (ما أريكم الا ما أرى ، وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) (٣) .

ويترك الداعية فرعون سادرا مع غيه ، لاجا في عناده ، ويلتفت إلى قومه مشفقا عليهم ، حريصا على هدايتهم ، فيذكرهم بما حدث للأمم السالفة ، وما ينتظرهم يوم القيامة إذا هم لم يطيعوا رسول الله موسى ـ عليه السلام ـ .

لقد تفنن الداعية في عرض حججه فساقها مرة في صورة استفهام ، ومرة في صورة الدليل العقلى ، فأمر موسى لا يخلو من أن يكون صاحبه كاذبا أو صادقا فإن كان كاذبا فسيعود

---

(١) الشعراء الآية : ٣١ .

(٢) سورة غافر الآيتان : ٢٨ ، ٢٩ .

(٣) غافر الآية : ٢٩ .

عليه ضرر كذبه ، وإن كان صادقا ينزل بكم بعض ما تهددكم به ، ومرة ثالثة يخوفهم من بأس الله ، ومما حل بالأمم قبلهم ثم يلتفت إلى قومه وكأنه يقول لهم : لا تسمعوا لفرعون فإنما يريد لكم الدمار والهلاك . (واتبعون أهدكم سبيل الرشاد) (١) .

ثم يتعجب من إصرارهم على الباطل ، وإلحاحهم عليه في قبوله ، فيقول : « ويا قوم مالى أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار » (٢) ويثبت لهم بالأدلة المنطقية أن الذى يدعونه لعبادته ليس له دعوة ولا يستطيع الاستجابة لمن دعاه ، ثم يعذر إليهم بقوله : « فستذكرون ما أقول لكم ، وأفوض أمرى إلى الله ، إن الله بصير بالعباد » (٣) .

٢ ـ في عصر عيسى : ويمضى الزمن سريعا ، ورسل الله تترى لا يخلو منها جيل والدعاة يتابعون عرض دعوتهم ، ويعملون على نشر فكرتهم ، فيرسل عيسى ـ عليه السلام ـ الدعاة إلى القرى النائية يدعون أهلها إلى الدين الصحيح « واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون ، إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث ، فقالوا : إنا إليكم مرسلون ، قالوا : ما أنتم إلا بشر مثلنا ، وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون ، قالوا : ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون ، وما علينا إلا البلاغ المبين » (٤) .

وفي هذه القرية يتعرض الدعاة للتكذيب ، فيحاولون دفع هذا الاتهام ، والمدعوون يصرون على تكذيبهم ، وكأنهم كانوا ينتظرون أن يكون الدعاة من الملائكة أو من جنس آخر غير الجنس الآدمى فقالوا : ما أنتم الا بشر مثلنا ، وجهلوا أن الدعاة لا بد أن يكونوا من جنس المدعوين ، وإلا لما استجابوا لهم ، ولا فهموا عنهم ، ولا استطاعوا التلقى عنهم ، ولهذا قال ـ تعالى ـ : « قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين ، لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا » (٥) .

ولما كان ذلك غير ممكن ، لأن الناس لا يستطيعون مواجهة الملائكة ولا يطيقون الاستماع اليهم ، أخبر سبحانه ـ بأنه حتى ولو أرسل ملكا لا بد أن يكون على هيئة الآدميين ، ليتمكن من التبليغ دون أن ينفر منه الناس ، وليتلقى منه الناس دون صعوبة أو عناء .

ومن أجل هذا أخبر الله ـ عز وجل ـ بأنه لو أرسل ملكا لجعله على صورة البشر حتى يتمكنوا من رؤيته إذ لا قبل للبشر برؤية الملائكة قال ـ تعالى : « وقالوا : لولا أنزلنا عليه

---

(١) غافر الآية : ٣٨ .
(٢) غافر الآية : ٤١ .
(٣) غافر الآية : ٤٤ .
(٤) سورة يسٓ الآيات : ١٣ ـ ١٧ .
(٥) الاسراء الآية : ٩٥ .

ملك ، ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ، ثم لا ينظرون ، ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ، وللبسنا عليهم ما يلبسون » (١) ٠

ونلاحظ أن الدعاة لم يكن لديهم الا محاولة إقناعهم ، فلما أعرضوا ولجوا في طغيانهم قال لهم رسل عيسى ـ عليه السلام ـ : « وما علينا إلا البلاغ المبين » نحن لا نملك قهركم على الحق ، ولا نستطيع إرغامكم على الإيمان به ، وإنما نحاول إقناعكم ، ونعمل مخلصين على إرشادكم ، ولكم بعد ذلك الخيار فيما تختارون ٠

ويطول الحوار ، والدعاة يواجهون الدعوة المضادة بالصبر والحلم محاولين إظهار الحق في صور من المناقشة المتبادلة بين الفريقين

يقول أصحاب التيارات المضادة : « إنا تطيرنا بكم ، لئن لم تنتهوا لنرجمنكم ، وليمسنكم منا عذاب إليم » (٢) ٠

ويجيبهم الدعاة قائلين : « طائركم معكم أئن ذكرتم ، بل أنتم قوم مسرفون » (٣) ٠

وترى واضحا في كلام المدعوين أنهم يتعللون بأوهام وأباطيل ويحاولون لصق التهم بالدعاة ، زاعمين أن ما يحل بهم من البلاء إنما هو بسبب وجود الدعاة بينهم ، وينسون أنهم بابتعادهم عن الحق ، وعداوتهم لأهله ، وإسرافهم في الغى يستحقون ما هم فيه من البلاء ، بل وأكثر منه ٠

ثم نرى منهم لجوءا إلى حيل المفلسين من البراهين ، والمصرين على الضلال من غير أن يكون لديهم عليه حجة ، فيهددون الدعاة باتخاذ أبشع أنواع التعذيب ٠

ولكن الدعاة لا يلتفتون إلى مثل ذلك التهديد ، فهم يسمعونه في كل يوم ، وهم مؤمنون بأنه لن يصيبهم إلا ما قدر لهم ، ويعتقدون أن أقسى ما ينزل بهم هو العذاب حتى الموت ، وتلك هى الشهادة التى يتمناها الدعاة المخلصون ، لأنها تقربهم من غايتهم ، حيث لا يروى شجرة النصر إلا الدماء ، ولا يكتب للدعوة النجاح إلا إذا قدمت الشهداء وتلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا ٠

ولهذا يحاول الدعاة رد الأمور إلى أصولها ، ويبينون أن ما ينزل بالناس إنما هو بسبب انصرافهم عن الحق ولجاجهم في الباطل فيقولون في هدوء الواثق من الحق ، وطمأنينة المؤمن بالقضاء والقدر (طائركم معكم) لسنا نحن سبب ما نزل بكم من القحط وقلة المطر ولكنكم أسرفتم في الضلال ، وتماديتم في الباطل فاستوجبتم ما حل بكم (بل أنتم قوم مسرفون) ٠

---

(١) الأنعام الآيتان : ٨ ، ٩ ٠

(٢ ، ٣) سورة ياسين الآيتان : ١٨ ، ١٩ ٠

وتقف الآيات عند هذا الحد ، فلا تتكلم عن مصير الدعاة ، ولا تبين ماذا تم على أيديهم . والذى يظهر من السياق أنهم انصرفوا راجعين من حيث أتوا وقد بلّغوا ، وليس عليهم إلا ذلك « إن عليك إلا البلاغ » (١) .

ويخلف رسل عيسى رجل من أهل القرية فهم الدعوة وآمن بها ، وأيقن أن من حقها عليه أن يحملها إلى الناس ، وأن يدعو إليها من لا يؤمن بها ، فلما بلغه أن أهل القرية عصوا الدعاة ، ولم يدخلوا معهم في دعوتهم أقبل مسرعا ، ودعا قومه إلى الطاعة والإيمان ، وواجه عنادهم بالحجة والبرهان « قال : يا قوم اتبعوا المرسلين ، اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون » (٢) .

ونلمح من خلال الآيات أن قوم الرجل انكروا عليه كلامه واتهموه بالمروق ، وكأنهم سألوه ، هل أنت على دينهم ؟ فقال : « وما لى لا أعبد الذى فطرنى ، وإليه ترجعون ؟ أأتخذ من دونه آلهة إن يردنى الرحمن بضر لا تغنى عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون ، إنى إذا لفى ضلال مبين » (٣) .

إن الداعية حسب سياق الآيات قد فهم دعوته فهما دقيقا مكنه من شرحها لهؤلاء المنكرين ، أما تراه يقرر الوحدانية بأسلوب منطقى فريد ، ويثبت بطلان الشرك ببراهين محسوسة لا ينكرها إلا معاند متغطرس ، ثم يبين أن من يفعل ذلك فهو في ضلال مبين ولو كان هو الداعية نفسه .

وهكذا يقيم عليهم الحجة ، ويلزمهم بالبرهان ، فلا يكادون ينطقون .

٣ ـ **وفي عصر خاتم النبيين :** تمضى المسيرة المباركة إلى غايتها ، غير عابئة بما يواجهها من مؤامرات الحاقدين ، ولا مكترثة بافتراءات المفترين ، يقودها خاتم النبيين ، وترعاها عناية رب العالمين .

وتظل الدعوة في طورها السرى ثلاث سنين ، وهو طور التربية والتعليم ، يخرج بعده الدعاة وقد فقهوا دعوتهم ، واستنارت بصيرتهم ، وعقدوا العزم على نصرة الحق مهما طالت محنتهم

---

(١) الشورى الآية : ٤٨ .

(٢) يس الآيتان : ٢٠ ، ٢١ .

(٣) يس الآيات : ٢٢ ـ ٢٤

وتواجه الدعوة الفتية التيارات المضادة (سنة الله في الذين خلوا من قبل) (١) ويتذرع الدعاة بالحلم والصبر ، ويقابلون الفكرة بالفكرة ، ويقرعون الحجة بالحجة .

ونحن قد رأينا نماذج رائعة من ثبات الدعاة وتحملهم ، وسنعرض هنا نماذج حية لأساليب نشر الدعوة في مواجهة الأفكار المعادية ، وفقه الدعاة وطرق إقناع الخصم .

١ ـ **الطفيل بن عمرو :** أسلم الطفيل لما سمع القرآن الكريم من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رغم تحذير قريش أياه من سماعه حتى وضع في أذنيه القطن .

ولم يكد يستقر الإيمان في قلبه حتى استأذن من رسول الله في الذهاب إلى قومه ليدعوهم إلى الإسلام ، فأذن له ، وبدأ الطفيل بأبيه فأسلم ، وثنى بزوجه فلم تخالفه ، ثم توجه إلى قومه فأبطئوا عليه ، ولكنه لم ييأس .

يقول ابن هشام : (قال ـ الطفيل ـ : فلم أزل في أرض دوس أدعوهم إلى الإسلام .... حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتا من دوس ، ثم لحقنا برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بخيبر فأسهم لنا مع المسلمين) (٢) .

والذى يلفت النظر في قصة الطفيل موقفان لا بد من تجليتهما حتى يتعلم الدعاة كيف يدعون إلى الله .

الأول : لما أبطأ قوم الطفيل في الدخول في الاسلام ذهب إلى الرسول وطلب منه أن يدعو عليهم ، فدعا لهم الرسول قائلا : اللهم اهد دوسا ، وأمر الطفيل أن يرجع إلى قومه ، وأن يدعوهم ويرفق بهم ، فرجع حتى كان اسلامهم على يديه (٣) .

ومن هنا يجب أن يتعلم الدعاة أن الناس لا يستجيبون لأول وهلة ، لأن لهم عقيدة يتعلقون بها فلابد من الصبر عليهم والرفق بهم ، حتى يتبين لهم الحق ، وحينئذ يسارعون إليـــــــه .

الثانى : أن الإيمان لما استقر في قلب الطفيل خرج منه الخوف من تلك الآلهة التى كان يعبدها ، فلم يعد يحفل بها ولم يعد لها مكانتها في نفسه ، ونحن نلمس ذلك عندما أمر زوجه أن تذهب إلى حمى الصنم الذى كانوا يعبدونه فتغتسل هناك حتى يعرض عليها الإسلام .

---

(١) الأحزاب الآية : ٦٢ .

(٢) ابن هشام (٢/ ٢٤) .

(٣) نفســه .

قالت زوجه : بأبى أنت وأمى ، أتخشى على الصبية من ذى الشرى ـ الصنم ـ شيئا ؟
قال : لا ، أنا ضامن لذلك (١) .

لقد أصبح ذو الشرى ذلك الصنم الذى كان يعظمه الطفيل ويرهبه حجرا لا يضر ولا ينفع ، وأصبح الطفيل يزدريه ويحتقره ، بل ويحتقر أولئك الذين لا يزالون يعظمونه ، ويدعون له مكانة تعدل مكانة الإله ، وهو لا يعدو أن يكون حجرا قطعوه من الجبل ، وصنعوه بأيديهم ثم دانوا له من دون الله بالإجلال والتضرع والا بتهال .

ولم يكتف الطفيل ـ رضى الله عنه ـ بهذا الموقف من الآلهة ، ولكنه أبى إلا أن يكون له معها شأن آخر ، فألح على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يبعثه إلى ذى الكفَّين ـ صنم عمرو بن حممه ـ ليحرقه فأذن له الرسول ، وخرج إليه ، وجعل يوقد عليه النار ويقـــــول :

يـــاذا الكفين لست من عبـــادكـــا ميـــلادنا أقـــدم من ميـــلادكا
إنى حشوت النار في فؤادكا (٢)

إن إحراق الطفيل للصنم الذى كان قومه يخضعون له ، ويعطونه ولاءهم ، لدعوة عملية للكفر بتلك الآلهة ونداء صريح بالوحدانية التى جاء بها الإسلام ، إذ كيف يحرق الإله دون أن يدفع عن نفسه ؟ أتراه ذل وهان إلى ذلك الحد ، أم قدم نفسه هو الآخر فداء للإنسانية ، وتحملا لخطايا بنى آدم المغفلين ؟؟

إن العقل الإنسانى يرفض هذه وتلك ، ويأبى إلا أن يكون للإله قدرة يدفع بها عن نفسه من أراده بسوء ، بل إن العقل ليذهب إلى ما هو أبعد من ذلك ، إنه يرفض أن يتمكن الإنسان مهما كانت قدرته أن يدخل مع الله في صراع وهو العاجز المفتقر إليه في كل أحواله .

أفلا يكون ذلك وحده كافيا لرد هذه العقول إلى صوابها وتحويلها إلى ما يجب أن تكون عليه بعد ضلالها .

وهكذا يكون الطفيل داعية بعمله أكثر مما دعا قومه بكلامه ، وكيف لا ؟ وقد رآه قومه يسخر من ذى الشرى ويضمن عجزه عن أن يصيب صبيا بسوء ، ثم ها هو ذا يحرق ذا الكفين دون أن يصيبه أدنى مكروه ، إنه بعمله هذا أثبت لقومه عجز ما يعبدون ، فعليهم أن يتوجهوا بعبادتهم وطاعتهم لمن يدعوهم إليه .

---

(١) ابن هشام (٢ / ٢٤) .
(٢) ابن هشام نفسه .

٢ ـ ضمام بن ثعلبة : وهذا الرجل صنف آخر من أصناف الدعاة وفد على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ نائبا عن بنى سعد بن بكر ، وأناخ بعيره على باب المسجد وعقله ، وأقبل على الجالسين في المسجد فسألهم ، أين ابن عبد المطلب ؟

فأجابه الرسول ، أنا ابن عبد المطلب · وكأن الرجل قد خاف أن يكون المجيب شخصا آخر غير الذى يريد فقال : محمد ؟ قال : نعم ·

فقال ضمام : يا ابن عبد المطلب ، إنى سائلك ومغلظ لك في المسألة فلا تجدن في نفسك ، فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا أجد في نفسى ، فسل عما بدا لك · فسأل ضمام الرسول :

هل هو رسول الله حقا ؟ وهل الذى أرسله أمره بأن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا ؟ وأخذ يسأله عن فرائض الإسلام كلها ، والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجيبه في كل مرة ، اللهم نعم ، فلما فرغ · قال ضمام : فإنى أشهد ألا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله وسؤدى هذه الفرائض ، وأجتنب ما نهيتنى عنه لا أزيد ولا أنقص ، ثم انصرف ·

فقال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إن يصدق ذو العقيصتين يدخل الجنة (١) ·

وأتى ضمام بعيره ، فأطلق عقاله ، وانطلق به حتى دخل على قومه فاجتمعوا عليه ينظرون ما وراءه ، وبماذا جاءهم من عند رسول الله ·

وكان ضمام كما رأينا رجلا صريحا واضحا لا يعرف اللف ، ولا يؤمن بالمناورات ، وبالسرعة التى صدق فيها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وآمن به ، هاجم اللات والعزى ، لم يجامل في الله أحداً بعد أن آمن به ، ولم يهادن في دينه أحدا ولو كان الإله الذى كان يعبده من قبل ، ويخضع له ، لقد استبان له الحق ، واتضح له الطريق فما له لا يبينه للناس ؟ وماله لا يفضح هذا التزييف الخطير في عقيدة قومه ، وهو رسولهم الذى ائتمنوه ليوضح لهم ما خفى عنهم ؟

لقد كان ضمام أمينا على ما اؤتمن عليه ، ناصحا لقومه بقدر ثقتهم فيه ، فلم يرد أن يظل قومه على شركهم لحظة واحدة بعد ما عرف الحق ، واتخذه دينا له ، لهذا كان أول ما تكلم به ضمام بعد أن اجتمع عليه قومه قوله : بئست اللات والعزى ، واندهش القوم لما سمعوا من ضمام ، وخافوا عليه أن يصيبه الجنون أو البرص أو الجذام ، ولكن ضماما سخر من قولهم ، فاجابهم ويلكم ، إنهما ما يضران ولا ينفعان (٢) ·

وانتهز ضمام فرصة إصغاء القوم ، وقد رأى على وجوههم وجوما لم يعهده فيهم ،

---

(١) ابن القيم (٣/ ٩٦) ·

(٢) ابن القيم (٣/ ٩٦) ·

ولاحظ عليهم اضطرابا شديداً ، ولعل القوم قد تربصوا بضمام أن يحل عليه سخط آلهتهم ، أو تنزل به لعنة الأصنام .

لقد تأكد الناس - حسبما كان في رؤوسهم من الأوهام - أن ضماما هالك لا محالة ، وأن الآلهة لن تدعه سالما وقد اعتدى على قدسيتها ، وانتهك كرامتها ، فنظروا إليه آسفين عليه ، متوقعين له الدمار .

وكان وجوم القوم واضطرابهم ، واشفاقهم على ضمام فرصة اهتبلها ضمام وقال لهم : إن الله قد بعث رسولا ، وأنزل عليه كتابا ، استنقذكم به مما كنتم فيه (١) .

وأعلن ضمام إسلامه أمام قومه ، وشهد شهادة الحق فقال : وإنى أشهد ألا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله وإنى قد جئتكم من عنده بما أمركم به ، ونهاكم عنه (٢) .

وأقبل المساء وضمام يتمتع بكامل صحته ، لم يصبه جنون ولا جذام ، ولا برص ولا هلاك ، ونظر إليه الناس سليما معافى ، لم تستطع الآلهة أن تصب عليه لعنتها فهى إذن عاجزة ، ولم تنزل به غضبها ونقمتها فهى لا محالة غير قادرة ، ولو كانت آلهة تستحق التقدير والاحترام لما سكتت على هذا الهوان .

وعرف الناس الحق في كلام ضمام ودعوته ، فآمنوا بما آمن به ودخلوا جميعا في دين الله ، قال الراوى : فو الله ما أمسى في اليوم في حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلما (٣) .

قال ابن عباس : فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة (٤) . .

٣ ـ جعفر بن أبى طالب : وكان جعفر - رضى الله عنه - نسيج وحده ، تفرد بخصائص لم يشاركه فيها أحد ، فقد كان مقدَّم أصحاب رسول الله بين يدى النجاشي ، والمتصدى لأعداء الله حين حاولوا إغراء النجاشي بطردهم من بلاده ، واستطاع جعفر بعقله الراجح ، وأسلوبه الفريد ، وحجته البالغة أن يستحوذ على قلب النجاشي ، ويستميله إلى صفوف المسلمين كما تمكن من ان يأخذ منه أمانا له ولأصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأقاموا في الحبشة على خير ما يحبون .

علمت قريش بطيب مقام المهاجرين ، وغاظها ما صاروا إليه من الأمن والاطمئنان ، فدبروا أمرهم ليكيدوا المهاجرين الفارين بدينهم إلى حيث يطمئنون على عقيدتهم ، ويتمكنون من عبادة ربهم .

---

(١) ابن القيم (٣ / ٩٣) .
(٢) نفسه .
(٣) ابن هشام (٤ / ١٦٢) .
(٤) نفسه .

أرسل أهل مكة رجلين من أشرافهم هما : عمرو بن العاص ، وعبد الله بن أبى ربيعة ، والرجلان مخزوميان ، وجهزوهما بالهدايا الثمينة للنجاشي وبطارقته ، وأمروهما أن يقدما هدايا البطارقة قبل أن يدخلا على النجاشي حتى يساعدوهما عند النجاشي فيما قدما من أجلـــــه .

ولا يخفى على الإنسان سبب اختيار عمرو بن العاص لتلك المهمة فهو مع كونه شريفا من أشراف قريش ، داهية من دهاة العرب المعدودين يستطيع بذكائه إقناع من أمامه بما يريد ويتمكن بحيلته إن لم تسعفه الحجة من بلوغ مأربه .

ولكن جعفر الداعية المؤمن ، قد أفسد عليه رأيه ، وعطل فيه دهاءه ، فلم تعد لديه القدرة على الإقناع ، ولم تسعفه الحيلة ليدبر المكيدة التى جاء من أجلها .

دخل عمرو وعبد الله على النجاشي ، وحاولا ايغار صدره على من عنده من المسلمين ، ووقف إلى جانبهما جماعة البطارقة فقد جعلتهم الرشوة يميلون إلى الباطل ، ويقفون إلى جوار الظالمين ولكن النجاشي رفض أن يسمع في المهاجرين قولا أو يتخذ منهم موقفا حتى يرى رأيهم ، ويسمع قولهم ، وقال : فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ، ورددتهم إلى قومهم وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما ، وأحسنت جوارهم ما جاورونى (١) .

وجىء بجعفر وأصحابه ، فلما وقفوا على باب النجاشي صاح جعفر : يستأذن عليك حزب الله ، فأذن لهم النجاشي أن يدخلوا بأمان الله وذمته (٢) .

كانت تلك الصيحة براعة استهلال من جعفر ، فقد أعلن قبل دخوله أنه هو وجماعته من طراز آخر غير ما عرف النجاشي ، فلو حصل ما يخالف نظام الدخول على الملوك كان العذر مقدما ، ثم إن النجاشي رجل على دين المسيح فهو يعرف الله ويوحده ولذلك لم يكد يسمع قول جعفر : يستأذن عليك حزب الله ، حتى قال : نعم فليدخلوا بأمان الله وذمته .

كان جعفر ـ رضى الله عنه ـ لبقا أريبا مسددا ، فلما أذن له النجاشي بالدخول لم يسجد له كما كان يفعل الداخلون عليه ، فقال لهم : ما منعكم أن تسجدوا لى ؟ قالوا : نسجد لله الذى خلقك وملكك . وإنما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الأوثان ، فبعث الله فينا نبيا صادقا ، وأمرنا بالتحية التى رضيها وهى السلام تحية أهل الجنة (٣) .

وأكد جعفر ـ رضى الله عنه ـ هو وأصحابه بهذا الكلام الصيحة التى صاحها بباب النجاشي ، فهم ليسوا عبيداً إلا لله وحده ، له يسجدون ، وبه يعتزون ، وعليه يتوكلون .

---

(١) ابن هشام (١/ ٢٩٠) .
(٢) مختصر السيره ص ٩٦ .
(٣) نفســه

إن اعتزاز الإنسان بعقيدته في مثل تلك المواقف التى ترتجف فيها قلوب المنافقين أكبر دليل على صدقه في دعواه ، إذ لو كان كاذبا لنافق حتى لا يؤذى ، وداهن حتى يصل إلى مأربه ، والمسلم قد يجامل غيره ليستميله ، وقد يلاطفه ليدله على الحق ، كل ذلك لا بأس به مادام لا يمس العقيدة ولا يكون على حسابها ، أما أن يصل الأمر إلى حد التهاون في العقيدة ، وصرفها إلى غير الله ـ عز وجل ـ فذلك ما يرفضه المؤمن ولو علقت له المشانق ، وذلك ما فعله جعفر وأصحابه ٠

إن السجود لغير الله انحراف فى العقيدة يؤدى إلى الكفر ، ومظهر من مظاهر الضعف النفسى لا يفعله إلا جبان خوار ، ولهذا رفض المهاجرون أن يسجدوا للنجاشي ، ولو أدى ذلك إلى طردهم من مأمنهم وإخراجهم يسيحون فى الأرض على غير هدى ٠

ولقد كان ذلك الموقف الجرىء من جماعة المهاجرين الذين يعيشون فى غير بلادهم مهددين فى كل لحظة بالطرد والإبعاد عن أرض وجدوا فيها طمأنينة قلوبهم والأمان على دينهم من أهم الأسباب التى جعلت النجاشي يقف على حقيقة صدقهم ، ويعتز بوجودهم فى بلاده ويمنحهم الأمان مادامو فى جواره ٠

وأدرك جعفر الداعية الأريب أنه فى موقف حرج ، وأن الأمر يتطلب إعطاء الملك حقه من الاحترام والتقدير ، وإن الحاجة إلى اقناع الملك بسلامة موقفهم أهم من الدخول في مناقشة مع الخصم اللدود فقال : إنك ملك لا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم ، وأنا أحب أن أجيب عن أصحابى (١) ٠

وطلب من النجاشي أن يسمع من كلا الطرفين حتى يقف على حقيقة الأمر ، وهنا قال عمرو بن العاص لجعفر : تكلم ٠

فالتفت جعفر إلى النجاشي وقال : سله أعبيد نحن أم أحرار ؟ فإن كنا عبيداً قد أبقنا من موالينا فارددنا عليهم ٠

فقال عمرو : بل أحرار كرام ٠

قال جعفر : هل أرقنا دما بغير حق فيقتص منا ؟

قال عمرو : ولا قطرة ٠

قال جعفر : فهل أخذنا أموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها ؟

قال عمرو : ولا قيراط ٠

وهنا تبين الأمر للنجاشي ، وآمن بسلامة موقف المهاجرين ، إن هذه الأمور التى ثبتت

---

(١) مختصر السيره ص ٩٦ ٠

براءتهم منها هى التى من أجلها يطلب المرء فإذا لم يكن هناك شىء من ذلك فعلام يلح هؤلاء في طلبهم ؟

وهنا قال النجاشي لا بن العاص : فما تطلبون منهم ؟

وسقط فى يد عمرو ، فلم يستطع إدانتهم بشىء من ذلك حتى يسلمهم الملك إليه ، ولكنه قال : كنا وهم على دين واحد ، فتركوا ذلك واتبعوا غيره .

وتطلعت نفس النجاشي لمعرفة الدين الجديد ، فقال لجعفر : ما هذا الدين الذى قد فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا في دينى ، ولا فى دين أحد من هذه الملل ؟

وحانت الفرصة للداعية اللبق فانتهزها ، ونحن قد لاحظنا أن جعفر - رضى الله عنه - حتى هذه اللحظات لم يتكلم كلمة واحدة عن الإسلام ، ولعله ترك الكلام عن الدعوة حتى تحين الفرصة وتتهيأ النفوس للتلقي ، فيكون شوقها إلى الاستماع أعظم ، وتقبلها لما يلقى عليها أكثر .

ولعل النجاشي نفسه ، وقد طال بين يديه الأخذ والرد والقيل والقال دون أن يسمع شيئا عن الدين الجديد قد شغف بأمر هذا الدين ، وتاقت نفسه ليعرف شيئا عنه ، فسأل جعفر هذا السؤال ، ولم يتردد جعفر فى الإجابة ، وكأنه أدرك لهفة النجاشي وتعلقه بمعرفة الدين ، فأسهب فى الإجابة والنجاشي منصت يستمع إليه وذكر جعفر كل ما كانوا يفعلون فى الجاهلية من أعمال سيئة ، وقفّى عليها بتعاليم الدين الذى جاءهم به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبين أن الله أنقذهم مما كانوا فيه ببعثة المصطفى الذى دلهم على الخير وحذرهم من الشر وأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر وحثهم على مكارم الأخلاق ومحامد العادات .

وركز جعفر على إبراز التوحيد لأنه أساس العقيدة التى جاء الإسلام لينشرها فى العالمين ، ولأن أى دين لا يقوم على أساسها فهو باطل لا يغنى عن صاحبه شيئا ، ثم التفت جعفر إلى النجاشي وكأنه أراد أن يستعديه على هؤلاء الذين يلاحقونهم فقال : فلما صدقنا النبى وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده ، ولم نشرك به شيئا ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، عدا علينا قومنا ، فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان .

فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا فى جوارك ، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك (١) .

واشتاق النجاشي بعد هذا الحديث الطلى عن الدين الجديد لأن يسمع شيئا من

(١) ابن هشام (١/ ٢٩٠) بتصرف .

الوحى الذى أنزل على نبى هذا الدين . فقال لجعفر : هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟

فقال جعفر : نعم .

فقال النجاشي : فاقرأه على .

فقرأ جعفر (كهيعص) صدرا من سورة مريم ، فلما سمعه النجاشي بكى وبكت أساقفته ، ثم قال : إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة .

ونظر النجاشي إلى عمرو وصاحبه ، وطردهما من مجلسه ، وأمر برد ما حملا إليه من الهدايا ، وقال : انطلقا ، فو الله لا أسلمهم إليكما ، ولا يكادون .

وحز فى نفس عمرو أن يطرد من مجلس الملك هذه الطردة ، وكبر عليه أن يعود بهذه النتيجة المؤسفة ، وكيف يرجع إلى قومه دون أن يحقق لهم ما أرادوا وهم لم يختاروه إلا لإيمانهم بأنه الشخصية العبقرية القادرة على تحقيق تلك المكيدة ، إن عودة عمرو دون أن يكون معه المهاجرون من المسلمين خيبة أمل فى دهائه ، وحكم بالفشل على عبقريته ، وقضاء على منزلته بين قومه .

وفكر عمرو كثيرا فى الأمر ، وهداه تفكيره إلى مكيدة لم يجربها بعد ، فعزم على تنفيذها وقال : والله لآتينه غدا عنهم بما استأصل به خضراءهم (١) .

ودخل على النجاشي من الغد ، وقال : أيها الملك إنهم يقولون فى عيسى بن مريم قولا عظيما ، فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه .

وأرسل النجاشى إلى المسلمين ، وسألهم عما يقولون فى عيسى بن مريم - عليه السلام - ورد عليه جعفر - رضى الله عنه - فقال : نقول فيه ما جاءنا به نبينا - صلى الله عليه وسلم - هو عبد الله ورسوله وروح منه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول .

فأخذ النجاشى عودا من الأرض وقال : والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود .

والتفت إلى جعفر وأصحابه وقال : اذهبوا فأنتم شيوم بأرضى - أى آمنون - من سبكم غرم ، من سبكم غرم ، من سبكم غرم ما أحب أن لى دبرا من ذهب - أى جبلا - وأنى آذيت واحدا منكم .

والتفت مرة أخرى إلى عمرو وصاحبه ، وقال لحاشيته : ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لى بها ، فوالله ما أخذ الله منى الرشوة حين رد على ملكى فآخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس فىّ فأطيعهم فيه ، فخرجا من عنده مقبوحين (٢) .

---

(١) ابن هشام (١/ ٢٩٠) .

(٢) ابن هشام (١/ ٢٩١) بتصرف .

ونجح جعفر الداعية فقد بلغ الدعوة إلى النجاشى نفسه ، وأقنعه بالحق الذى جاء به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأسلم ، ومات مسلما (١) ٠

وباء رسولا قريش بخيبة أمل لم يتوقعها أحد ، ولم تفلح عبقرية عمرو ودهاؤه فى بلوغ الأمل الذى علقته قريش عليهما ، وسعد المسلمون بجوار النجاشى ، وبقوا عنده حتى عادوا يوم فتح خيبر يتزعمهم جعفر بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ وقد سر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقدومه ، وقبله بين عينيه ، والتزمه وقال : ما أدرى بأيهما أسر : بفتح خيبر ، أم بقدوم جعفر ؟ (٢) ٠

باستعراض هذه النماذج من حياة الدعاة وطرائقهم فى تبليغ الدعوة نفهم الأمور الآتيـــــــة ٠

١ ـ إن على الدعاة أن يتفقهوا فى الدين ، وأن يتعلموا الأمور التى سيبلغونها لغيرهم ، لأن الجهل يترتب عليه أضرار تعرض الدعوة لهجوم أعدائها عليها ، وتمكنهم من النيل منها وتشويهها ٠

والإنسان عادة لا يستطيع أن يمنح شيئا ليس عنده ، إذ فاقد الشىء لا يعطيه ، والناس أعداء لما جهلوا ، فاذا لم يكن الداعية على جانب من العلم والفقه يمكنه من شرحها ، ودفع الشبهات والافتراءات عنها كان ضرره عليها أكثر من نفعه

ولهذا فإن الطفيل بن عمرو لما دخل الإسلام فى قلبه تبع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى دخل بيته ثم دخل عليه ، وأخبره بأنه أسلم ، وقال : اعرض على أمرك ، فعرض عليه الاسلام ، وتلا عليه القرآن ، ثم استأذن رسول الله فى أن يدعو قومه إلى ما آمن به ، فأذن له الرسول ، ولما دعا الطفيل والده واستجاب قال له : اذهب فاغتسل ، وطهر ثيابك ثم تعال حتى أعلمك ما علمت (٣) ٠

هكذا يقول الطفيل : (حتى أعلمك ما علمت) وهو بهذا يدعو إلى شىء تعلمه وفهمه ، إذ ليست الدعوة حماسا وخطبا ولكنها علم وعمل ٠

وأما ضمام بن ثعبلة فإنه لما وفد على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يغادر مجلسه حتى تعلم أركان الاسلام ، وعرف الحلال والحرام ، وعاد إلى قومه فأعلن إسلامه ، وقال لقومه : إن الله بعث رسولا ، وانزل عليه كتابا استنقذكم به مما كنتم فيه ، ثم نطق بالشهادتين وقال : وإنى قد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه (٤) ٠

---

(١) ابن الجوزى (١/ ٦٠) ٠

(٢) ابن هشام (٣/ ٢٣٢) ، والبيهقى ٠

(٣) ابن هشام (٢/ ٢٣) ٠

(٤) ابن القيم (٣/ ٩٦) ٠

وهكذا يكون ضمام قد تعلم وفقه ما يجب أن يدعو إليه قبل أن يقدم على تبليغ الدعوة ، ويتحمل أمانتها ، وهكذا يجب أن يكون الدعاة فى كل زمان ومكان ·

٢ ـ نشر الدعوة واجب على الدعاة مهما كانت الظروف التى يوجدون فيها ، فالإمساك عن التبليغ جريمة فى حق الدعوة لا يغفرها إلا العمل الدائم من أجل نشرها ·

وليس معنى هذا التهور فى التبليغ وعدم مراعاة الظروف التى يوجد فيها الداعية ، ولكن المقصود انتهاز الفرص المواتية وعدم تضييعها ، واستعمال الأسلوب المناسب لكل وضع يعيش فيه الدعاة ، وهذا هو تفسير الآية الكريمة « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » (١) ·

والقرآن الكريم يحكى لنا قصة داعية أدخل السجن ظلما ولبث فى السجن بضع سنين ، ولم تحل الظروف القاسية التى يعيش فيها بينه وبين تبليغ الدعوة ، ولم تكن أسوار السجن الرهيب لتصرفه عن بيان الحق وإعلانه ، لقد وجد فى السجن من ينصت إليه ، فليكن السجن ميدان دعوته ، وأحس من المساجين ميلا إليه وشغفا به فليكن هؤلاء هم البذور التى يستنبتها فيحصد منها الخير الوفير ·

وجهر يوسف ـ عليه السلام ـ بالتوحيد وهو فى أعماق السجن ، ودعا إليه من حوله حين واتته الفرصة ولم يضيعها « يا صاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار » ؟ (٢) ·

٣ ـ ليس للدعوة أسلوب معين يجب اتباعه عند التبليغ بل لكل بيئة ما يناسبها ، ولكل عقلية خطاب ، ولكل مقام مقال ومن أجل هذا قال على ـ كرم الله وجهه ـ : حدثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله ؟ (٣) ·

وأسلوب القرآن الكريم فى الدعوة لم يلتزم خطا واحدا ، ولم يأت على وتيرة واحدة ، بل خاطب المؤمنين بأسلوب ، وخاطب أهل الكتاب بأسلوب آخر ، وخاطب الملحدين المشركين بأسلوب غير الأسلوبين السابقين (٤) ·

---

(١) النحل الآية : ١٢٥ ·

(٢) يوسف الآية : ٣٩ ·

(٣) البخارى (١/ ٢٢٥) ·

(٤) يراجع كتابنا أسس الدعوة ·

وكان اختلاف الأسلوب مع كل جماعة لا لمجرد التنويع والتظرف فى الحديث ، ولكن كان لاختلاف الوسائل المقنعة لكل جماعة من الجماعات السابقة ، فما يناسب المؤمنين لا يناسب المعاندين ، وما يقنع أهل الكتاب قد لا يقنع الملحدين ٠

فعلى الداعية إذاً أن يدرس البيئة التى يعيش فيها ، والظروف المحيطة به ، وأحوال الناس الذين يقيم بينهم ، وعليه أن يقيم بينهم ، وعليه أن يتعرف على كل ما يتصل بحياتهم من الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وهل هناك مؤثرات خارجية ، وضغوط طارئة تضعهم تحت ظروف غير طبيعية فتصبغهم بصبغة مؤقتة يمكن أن يتخلصوا منها بزوال هذه المؤثرات وتلك الضغوط ، أم أن هذه الصبغة نتيجة جهل بالحقائق ، وعدم معرفة بما يجب أن يكونوا عليه ؟

يجب أن يدرس الداعية ذلك كله ، ثم يضع خطة عمله على أساس تلك الدراسة الوافية التى تمكنه من ممارسة مهمته بنجاح ٠

٤ ـ وعلى الداعية أن يختار الموضوعات الملائمة التى تعالج مشكلات الناس وتقدم لهم الحلول المناسبة التى تجعلهم يؤمنون بأن الدعوة الإسلامية هى التى تحقق لهم أكبر قدر ممكن من السعادة والخير فى تلك الحياة ، وحينئذ لا يتطلعون إلى غيرها ، ولا يؤملون الخير فى سواها ٠

أما أن يكون الداعية فى واد والمدعوون فى واد آخر ، أو أن يعيش الداعية بعقلية غيره ، ويجبر المدعوين على التلوين بذلك اللون الذى لا يتناسب وأسلوب حياتهم ، أو أن يرجع الداعية بالمدعوين إلى عصر غابر ودهر سالف ، ثم يتعرض لمشكلات ذلك العصر ، فيكون كمن يصيح فى واد أو ينفخ فى رماد ، فذلك فى الحق ضياع للجهد ، وتفتيت للقوى ٠

نعم لو كانت مشاكل ذلك العصر متشابهة بمشكلات العصر الذى نعيش فيه فلا بأس بالتعرض لها مع ربطها بمشاكلنا واقتراح الحلول المناسبة لها ، وعلى الداعية فى هذه الحال أن يتناول الموضوع بما يتناسب مع عصره الذى يعيش فيه ، وأن ينظر إليه بعقلية العبقرى الذى يضع الأمور فى نصابها ، ويبتكر الحلول التى تقضى على المشكلة من أساسها ٠

وعلى هذا يكون اختيار الموضوعات غير المناسبة كتزهيد الفقراء فى الدنيا ، وحثهم على تركها والبعد عنها ضرب من الحمق والسفه لا يناسب مقام الدعاة إلى الله ـ عز وجل ـ وهل

وجدوا منها شيئا حتى يزهدوا فيها ويرغبوا عنها ؟ وهل وجد الفقير ما يقيم به صلبه ويسد به جوعه حتى تدعوه إلى الإقلال من متاع الدنيا والبعد عن زخارفها ؟؟.

ومثل هذا تماما الذين يتكلمون عن المزدكية والمانوية (١) ، وينسون الشيوعية والبهائية والقاديانية ، فهؤلاء يحاولون إحياء الموتى بعد أن مضت تلك المعجزة ، ومضى صاحبها - عليه السلام - إن المزدكية والمانوية وأمثالهما مذاهب درست وكذلك الجبرية والمعتزلة والمرجئة وغيرها مما هو على شاكلتها فلسفات نفقت ولم يعد لها فى عالم الناس إلا هذه الآثار التى ضمتها الكتب القديمة بين صفحاتها كما يضم التابوت رفاتا قد جيف وأنتن ، والناس لا يجنون من وراء نبشه إلا ان يزكموا بتلك الرائحة الكريهة ·

إن الأولى للدعاة ألا ينبشوا تلك القبور ، ولا يفتشوا عن هذه الجيف فقد آل أمرها إلى الله عز وجل - وهو - سبحانه - سيتولى حسابها عما قدمت من خير أو شر ، وليس معنى هذا أن نسكت عنها لو حاولت الظهور فى أى شكل من الأشكال ، أو فى أية صورة من الصور ، كما حاولت المزدكية الظهور فى صورة الشيوعية ، وكما حاولت المعتزلة أن تأخذ شكل العقلانية ، فعلى الدعاة حينئذ أن يتصدوا لها قبل أن تنفض التراب عن وجهها ، وأن يعمقوا لها قبرها قبل أن تنهض على قدميها ، ولا يكون ذلك بالسب والإقذاع واللوم والتعنيف ، فتلك طريقة المفلسين ، وشأن السفهاء والعاجزين ، وإنما يكون بالتحقيق العلمى الرصين الذى يكشف بطلانها ، ويرد شبهاتها ، ويفضح زيفها ·

إن الشيوعية والبهائية والقاديانية مذاهب تعيش الآن فى رؤوس فريق من الناس مولعين بها يعملون على نشرها ، ويجهدون فى التبشير بها ، حتى دخلت كل بيت ، وغزت اكثر القلوب ، وهذه المذاهب وإن لم يؤمن بها الناس كعقيدة إلا ان أفكارها وفلسفتها أصبحت تهيمن على عقول كثيرة

فالشيوعية تنبذ كل الديانات ، وترى أنها وسيلة يستغلها الأغنياء لبسط نفوذهم على الفقراء (٢) ·

والقديانية كرست جهدها فى وقف حركة الجهاد التى اقضت مضاجع المستعمرين ، والتى هى فريضة على المسلمين (٣) ·

وأما البهائية فقد ألغت الصلوات الخمس ، وأباحت لأتباعها ارتكاب الشهوات كيفما

---

(١) هما مذهبان فارسيان قديما يقولان بأن العالم مركب من أصلين قديمين أحدهما نور والآخر ظلمة وجعلت المزدكية الناس شركاء فى المال والنساء كشركتهم فى الماء والنار والكلأ ·

(٢) المستجد فى الأدب مادة شيع ·

(٣) القاديانية لأبى الحسن الندوى ص ٢٥ ·

شاءوا فى خمسة أيام قبل زمن الصيام ، وحرمت على المرأة الحجاب إلى غير ذلك مما أشاعته بين الناس (١) ٠

ونحن نرى من هذا العرض أن هذه المذاهب حرب على الإسلام صراحة ومع ذلك لا نرى فيها الا نزرا يسيرا من البحوث والمؤلفات ، وأغلب الظن أن الدعاة لم يطلعوا عليها ، بل لم يسمعوا عنها ٠

إن ترك هذه المذاهب الفاسدة تنفث سمومها بين الناس ، وتبيض وتفرخ فى عقولهم جريمة لن يغفرها الله للدعاة إلا إذا بذلوا أقصى الجهد فى فضحها وايقاف المسلمين على حقيقتها وأسرارها حتى يتجنبوها ويكتفوا شرها ٠

وإن الأفضل للدعاة إلى الله أن يدرسوا هذه المذاهب ، ويقفوا على خباياها ومكنوناتها ، وأن يضعوا البحوث العلمية المرتكزة على الحقائق لدحضها وبيان فسادها ، وينظموا المحاضرات والندوات لتعريف المسلمين بها وتحذيرهم من شرها ، وذلك خير لهم من أن يهاجم بعضهم بعضا ، أو يعلنوا الحزب على الدارسين الهلكى ٠

٥ ـ البناء قبل الهدم من واجب الدعاة لأنهم يريدون أن ينقلوا الناس من وضع سيئ إلى وضع حسن ، ويخرجوهم من الضلال إلى الهدى ٠

ومن المعلوم أن الإنسان بفطرته يحب ما نشأ فيه وشب عليه وليس من السهل على نفسه أن يتركه إلا إذا حصل على ما هو خير منه إنه يتشبث به لأنه ماضيه الذى يرجع إليه ، وحاضره الذى يعتز به

وكلنا ندرك أن صاحب الكوخ المتداعى لا يسمح مطلقا بهدمه وهو مستعد للدفاع عنه بنفسه لأن الكوخ الحقير أفضل عنده من سكنى العراء ٠

وكلنا يوقن بأننا لو بنينا لصاحب هذا الكوخ قصرا منيفا ، أو بيتا نظيفا وراودناه على ترك هذا الكوخ ليسكن هذا البيت لاستجاب للدعوة ، وقد يتردد فى بادئ الأمر لصعوبة فراق ما ألفه ، ووحشة النفس من الجديد ولكن تردده لا يلبث أن يتبدد حينما يذكر حاله فى هذا الكوخ ، وما كان يدهمه فيه من الحشرات والهوام ، وحين يمنى نفسه بما ينتظره من السعادة والهناء فى قصره الجديد ، بل إنه ليتأكد من سعادة نفسه وطمأنينة قلبه وهناء باله حينما يقارن بين المنزلين : كوخه المتداعى وقصره المشيد ٠

(١) هذه هى البهائية ص ٨ ٠

إن الدعاة الذين يهدمون قبل أن يبنوا كهؤلاء الذين يهدمون الكوخ ويتركون صاحبه فى العراء ولو لفترة قصيرة حتى يشيدوا له البناء ، فهم حينئذ ينفرون ولا يبشرون ، ويضيقون ولا ييسرون ، أما الذين يقيمون البنايات مع وجود الأكواخ ، ويشيدون القصور إلى جانب القبور ، فهؤلاء يعطون فرصة المقارنة والاختيار ، ويتيحون للعقول حرية التأمل والانتقاء ، ولن تكون النتيجة إلا الرضا بالأحسن ، والإقبال على ماهو أفضل ، وسيقوم ساكنو الأكواخ بعد ذلك يهدمونها بأيديهم .

ويجب على الدعاة بعد تشييد البناء ، ودعوة الناس إلى الانتقال إليه هدم الأكواخ ، وعدم التساهل فى تحطيمها ، فكثيرا ما تحن النفوس إلى ماضيها ولو كان ضلالا ، وكثيرا ما تعود إلى سالفها ولو كان فسادا .

وإن وجود هذه الأكواخ مما يذكر النفوس بماضيها ، ويعود بها إلى سالفها فتحن له وتتمنى العودة إليه .

وهذه هى طريقة الدعاة إلى الله - عز وجل - فى كل زمان ومكان منذ أرسل الله الرسل ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ولو أننا استعرضنا تاريخ الدعوة لوجدنا أن جميع الرسل يدعون أقوامهم إلى توحيد الله - عز وجل - أولا ، ثم يكرون على ما يعبدون من دون الله فيظهرون عجزها ، ويفضحون زيفها ، ويثبتون أنها لا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا .

ونحن نرى فى هذا أن دعوة الناس إلى التوحيد هى البناء الشامخ الذى يبذل الدعاة جهودهم فى تشييده وإقامته ، وإظهار محاسنه وإبراز روعته ، وأن إظهار عجز الآلهة الأدعياء وفضح بطلانها هو هدم هذه الأكواخ المتداعية التى لم تعد تصلح للتشبث بها بعد أن ارتفع صرح الحق وعلا .

هكذا كانت خطة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع قومه دعاهم أولا إلى الإيمان بالله ورسله قبل أن يدعوهم الى الكفر بآلهتهم وطلب منهم التوجه بالعبادة لله وحده ، قبل أن يطلب منهم نبذ أصنامهم وأوثانهم .

إن أول كلمة جهر بها - صلى الله عليه وسلم - لدعوة قومه بعد أن جمعهم على الصفا هى قوله : إنى رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة ، وفى البخارى « إنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد » وكلتا العبارتين تدعوانهم إلى الإيمان به مرسلا من قبل الله الواحد الأحد .

وفى الدلائل للبيهقى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة ذهب إليه قومه ، وطلبوا منه أن يبعث إلى ابن أخيه محمد - صلى الله عليه وسلم - فينهاه عن سب آلهتهم وتسفيه عقولهم، فبعث أبو طالب إلى رسول الله ، وسأله : أى ابن أخى ،

ما بال قومك يشكونك ؟ يزعمون أنك تشتم آلهتهم وتقول وتقول ·

وأجاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : أى عم ، إنى أريدهم على كلمة واحدة يقولونها ، تدين لهم بها العرب وتؤدى إليهم بها العجم الجزية ·

فقال القوم : كلمة واحدة ، نعم وأبيك عشرا ، فما هى ؟

قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لا إله إلا الله ·

عندئذ قام القوم فزعين ينفضون ثيابهم ، وهم يقولون : « أجعل الآلهة إلها واحدا ؟ إن هذا لشىء عجاب » (١) ·

ويقول ابن اسحاق : فلما بادى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قومه بالإسلام ، وصدع به كما أمره الله ، لم يبعد منه قومه ، ولم يردوا عليه ـ فيما بلغنى ـ حتى ذكر آلهتهم وعابها ، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه وأجمعوا خلافه وعداوته (٢) ·

ومن هذا نعلم أن الرسول بنى قبل أن يهدم ، ودعا إلى الإسلام قبل أن ينادى بنبذ الأصنام ، وتلك هى الخطة المثلى للدعاة والحيدة عنها إغراق فى متاهة لا يعلم عاقبتها إلا الله وحده ·

وعلى الدعاة وهم يبنون أن يوطنوا أنفسهم على الصمود للعقبات والثبات أمام الصعوبات ، حتى يجتازوا المحن ، ويتغلبوا على الفتن ، وتكون العاقبة بمشيئة الله ـ عز وجل ـ لهم ، وسأذكر هنا أهم العقبات ليعمل الدعاة جاهدين على تذليلها ·

ا ـ العادات الموروثة :

وقد عبر عنها القرآن الكريم حاكيا ما تشبث به المشركون حيث يقول : « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون » (٣) ·

وتلك عقبة لا تزيلها القوة ، ولا يتغلب عليها بالعنف والشدة ولكنها تحتاج إلى اقناع عقلى ، وصبر من الدعاة وحلم حتى يثبتوا لهم أن ما جاؤوهم به من الخير أحسن مما ورثوه عن آبائهم ·

ب ـ الخداع العقلى : وهذه عقبة لم تعرف فى طريق الدعاة الا فى العصر

---

(١) سورة ص الآية : ٥ ·

(٢) ابن هشام (١/ ٢٣٨) ·

(٣) الزخرف الآية : ٢٢ ·

الحديث ـ أى بعد الثورة الصناعية ، وتمرد العلماء على الكنيسة ـ حيث زعم الناس أن الأديان عقبة فى طريق التقدم العلمى وحسبوا أن الإسلام كالمسيحية فى ذلك ، وراج زعمهم وشاع كلامهم حتى اقتنع به كثير من المسلمين أنفسهم لجهلهم بحقيقة الإسلام ٠

وتلك العقبة لا تذلل إلا بالوقوف على حقيقة الإسلام وضرب الأمثلة العملية لما قام به علماء المسلمين من جهود جبارة فى خدمة العلم واظهار أن الإسلام دين يحث على العلم ، ويدعو إليه ، ويفضل العلماء على غيرهم ، وتوضيح أن علماء المسلمين خدموا العلم فى فنونه المختلفة من طب وهندسة وكيمياء وفيزياء وبصريات ورياضيات وغيرها (١) من أنواع العلوم كل ذلك فى ظل الإسلام وتحت راية القرآن ٠

ومن المعلوم أن الخلفاء قد تبنوا تلك الحركة العلمية الواسعة ، وشجعوا العلماء على المضى فيها وأجزلوا الجوائز للمتفوقين منهم ، وكان أقرب الناس إلى الخلفاء هم العلماء كما يشهد بذلك التاريخ ، فكيف يكون الإسلام عقبة فى طريق التقدم العلمى ؟ اللهم إنها فرية لا يراد من ورائها إلا تعويق المد الإسلامى السريع الذى أذهل أعداء الإسلام ٠

جـ ـ واقع المسلمين المتخلف : لاشك أن المسلمين متخلفون عن الركب الحضارى المتطور الذى يبدع كل يوم جديدا ، ويستغل هذا التخلف أعداء الإسلام مدعين أنه لو كان الإسلام قادرا على النهوض بالأمم والشعوب لما صار المسلمون إلى هذا الحد من التخلف المقيت ٠

والحق أن واقع المسلمين يعطى هذا الانطباع السيئ فى نفوس الناس ، ولكن على الدعاة أن يتعرفوا على حقيقة الأمر ، ويقفوا على الأسباب الحقيقية المؤدية إلى هذا التخلف البغيض ، وحينئذ يمكنهم أن يردوا تلك الشبهة ، ويحطموا هذه العقبة ٠

إن تخلف المسلمين عن ركب الحضارة المتطور المبدع يرجع إلى سببين وكلاهما بعيدان كل البعد عن حقيقة الإسلام وماهيته ٠

أما أولهما : فالاستعمار الغربى الذى استولى على البلاد الإسلامية فى غفلة من أهلها ، وقد خرج هذا الغزو الصليبى مكشرا عن أنيابه السود مملوءا بالحقد والكراهية للإسلام والمسلمين ، وعمل جاهدا على إبعاد المسلمين عن مصادر قوتهم وتقدمهم ٠

لقد علم هؤلاء المستعمرون أن الإسلام هو سر قوة المسلمين ، وهو العامل الحقيقى للتقدم الذى أحرزوه يوم كانوا مستمسكين به فعملوا على إبعاد المسلمين عن دينهم ، وعلموا أن البلاد الإسلامية العربية منها وغير العربية فيها من الخيرات والثروات ما يجعلها أغنى وأرقى

---

(١) يراجع تاريخ العلم عند العرب للكاتب الإيطالى أليدو ميلى ٠

بلاد العالم ، فاستغلوا هذه الخيرات لأنفسهم وحرموا سكان البلاد الأصليين من خيرات بلادهم ، وأقاموا صناعات بلادهم على تلك الخامات التى استخرجوها من بلاد المسلمين ٠

إن أبسط قواعد الذوق الإنسانى أن يحترم النزيل صاحب البيت الذى ينزل فيه ، وأن يقدم له العون فيما يعجز عن القيام به ، وأن يقف إلى جواره فيما يحتاج إلى معونة ، ولكن الاستعمار الغربى كان قد حرم من أبسط قواعد هذا الذوق فسرق خيرات البلاد التى نزل فيها وأذل صاحب البيت الذى آوى إليه ، لقد كان من واجب الإستعمار ذوقيا وإنسانيا أن يطور هذه البلاد التى احتلها ، وأن يدرب أهلها على ما يحتاجون إليه من أنواع الصناعات التى حذقها ، ولكن هيهات وهو فى الحقيقة لم يستعمرها إلا لإضعافها وإذلالها ٠

وأما ثانيهما : فهو ابتعاد المسلمين عن دينهم ـ الإسلام ـ وهذا السبب كما رأينا يرجع إلى السبب الأول ، وإن تصريحات زعماء الاستعمار لتعطى هذا التصور بوضوح ، ولم يحاول الاستعمار أن يخفى وجهه الكالح فى محاربة الإسلام ومحاولة إبعاد المسلمين عن دينهم ، يقول القسيس زويمر فى مؤتمر القدس الذى دعا إليه المبشرين فى العالم : ليست مهمتكم إدخال المسلمين فى المسيحية ، فإن فى هذا هداية لهم وتكريما ، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله ، وبالتالى فلا صلة تربطه بالأخلاق التى تعتمد عليها الأمم فى حياتها (١) ٠

لقد كان إبعاد المسلمين عن دينهم هدفا أساسيا من أهداف الكنيسة بالتعاون مع الجيوش الصليبية الغازية ، وقد نجحت فعلا فى ذلك نجاحا يفوق كل نجاح ٠

وهكذا يكون الاستعمار هو السبب الحقيقى فى هذا التخلف الخطير فى الدول الإسلامية ، وليس الإسلام ، وهكذا يتحمل الاستعمار وزر هذا التخلف وحده دون أن يشاركه فيه أحد ، ولهذا استحق الاستعمار لعنة الله ـ تعالى ـ كما استحق لعنة هذه الشعوب التى رزئت به ٠

هذه هى أهم العقبات فى طريق الدعاة فى العصر الحديث ، ولا أنكر أن هناك عقبات أخرى ، ولكنها لا تبلغ مبلغ هذه من الأهمية ، ولن يستطيع الدعاة التغلب على هذه العقبات وغيرها إلا بالعلم والدراسة الموضوعية المدعمة بالبراهين والأدلة ، ولعل هذا من الأسباب التى نلتمسها لنزول أول آيات من القرآن الكريم تحث على القراءة وتدعو إلى العلم ٠

« إقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم » (٢) ٠

---

(١) المخططات الاستعمارية ص ٧٨ ٠

(٢) سورة العلق الايات : ١ ـ ٥ ٠


شخصيات
إسلامية



حبيب الرُّوم

لفضيلة الشيخ محمد شريف الزيبق
المدرس بكلية الدّعوة

هو حبيب بن مسلمة بن مالك الأكبر الفهري القرشي ، أبو عبد الرحمن . يعتبر من أقران خالد بن الوليد وأبى عبيدة فى الشجاعة والإقدام والأثر الجميل فى الفتوح الاسلامية ، لأنه شب على الحرب ، وألف منذ صغره الطعن والضرب ، فقضى معظم حياته فى الحروب (١) . وكان يقال له : حبيب الروم لكثرة دخوله بلاد الروم ، وما ينال من الفتوح فيها . وقد روى الخطيب عن مصعب بن عبد الله أنه قال : كان حبيب شريفاً قد سمع من النبى صلى الله عليه وسلم . وأنكر الواقدى سماعه (٢) .

وقال مكحول : سألت الفقهاء ، هل كان لحبيب صحبة ، ؟ فلم يعرفوا ذلك ، فسألت قومه فأخبرونى أنه قد كانت له صحبة ، وقال العباس الدورى : أهل المدينة ينفون عنه الصحبة ، وأهل الشام يثبتونها ، وكذا قال أبو يوسف أيضا (٣) . واضطربت الرواية عن الواقدى فمرة يُروى عنه قوله : (ونحن نقول أنه ولد قبل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بسنتين) ومرة يروى عنه قوله : (وحبيب يوم توفى النبى صلى الله عليه وسلم ابن اثنتي عشرة سنة) . والظاهر أن صحة الرواية الأولى أن حبيباً ولد قبل هجرة النبى صلى الله عليه وسلم بسنتين ، فقد جاء في تهذيب تاريخ دمشق : قال محمد بن عمرو : الذى عند أصحاب روايتنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وحبيب ابن اثنتي عشرة سنة ، وأنه لم يغز معه شيئاً ، وفى رواية غيرنا أنه غزا معه ، وحفظ عنه أحاديث (٤) .

---

١ ـ أشهر مشاهير الإسلام رفيق العظم ص ٨٢٨ وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٤ / ٣٥
٢ ـ تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٤ / ٣٥ وأسد الغابة ١ / ٤٤٩ والإصابة ٢ / ٢٥
٣ ـ تهذيب تاريخ دمشق ٤ / ٣٥
٤ ـ تهذيب تاريخ دمشق ٤ / ٣٥ والاستيعاب لابن عبد البر ١ / ٣٢١

وفوده على النبى صلى الله عليه وسلم

أخرج الحافظ ابن عساكر بسنده أن حبيباً قدم على النبى صلى الله عليه وسلم غازياً ، وأن أباه أدركه بالمدينة فقال : يا نبى الله : إنه ليس لي ولد غيره يقوم في مالِي وضيعتي وعلى أهل بيتى ، فرده معه ، وقال : لعلك أن يخلو لك وجهك بي فى عامك ، فارجع ياحبيب مع أبيك ، فرجع ، فمات مسلمة فى ذلك العام ، وغزا حبيب فيه ٠

ويؤكد الحافظ ابن عساكر أن حبيباً صحب النبى صلى الله عليه وسلم وروى عنه ، وأخرج الإمام أحمد عن حبيب أنه قال : (شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم نفّل الربع والثلث في الرجعة) ، ورواه الحافظ بأسانيد متعددة عن حبيب أنه قال : (إن النبى صلى الله عليه وسلم نفّل الثلث) ، وقال الفضل ، قال أبى : أنكر بعض العلماء أن يكون حبيب غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعضهم يقول : إنه كان معه في غزوة تبوك ، وهي آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو ابن إحدى عشرة سنة ٠

شهـــــوده معركة اليرموك

يروى ابن عساكر أن حبيب بن مسلمة خرج الى الشام مجاهداً في حياة أبى بكر ، وشهد اليرموك أميراً على بعض كراديسه (١) ٠ ويذكر البلاذرى أن أبا عبيدة عقد لحبيب بن مسلمة على خيل الطلب ـ جعله قائداً لفصيلة راكبى الخيل المطاردة ـ فكان يقتل من أدرك من جنود الروم الفارين (٢) ٠

ويبدو أن حبيباً ظل في جيش أبى عبيدة وشارك في مواقعه في بلاد الشام ، يقول البلاذرى : (وسار أبو عبيدة من حلب إلى أنطاكية وقد تحصّن بها خلق من أهل جند قنسرين ، فلما صار بمهروبة ـ وهي على قريب من فرسخين من مدينة أنطاكية لقيه جمع للعدو ففضّهم وألجأهم الى المدينة ، وحاصر أهلها من جميع أبوابها ، وكان معظم الجيش على باب فارس والباب الذى يدعى باب البحر ، ثم إنهم صالحوه على الجزية والجلاء فجلا بعضهم وأقام بعضهم ، فأمنهم ووضع على كل حالم منهم ديناراً وجريباً ، ثم نقضوا العهد فوجّه اليهم أبو عبيدة عياض بن غنم ، وحبيب بن مسلمة ففتحاها على الصلح الأول)(٣) ٠

---

١ ـ تهذيب تاريخ دمشق ٤ / ٣٥
٢ ـ فتوح البلدان للبلازري ١٤١
٣ ـ فتوح البلدان ١٥٢

ولايته أنطاكية

وبعد توطيد الفتح ولى أبو عبيدة حبيباً أنطاكية ونواحيها ، فغزا الجرجومة فلم يقاتله أهلها ، ولكنهم بدروا بطلب الأمان والصلح ، على أن يكونوا أعواناً للمسلمين ، وعيوناً ومسالح في جبل اللكام ، وأن لا يؤخذوا بالجزية ، وأن ينفّلوا أسلاب من يقتلون من عدو المسلمين إذا حضروا معهم حرباً في مغازيهم ، ودخل من كان في مدينتهم من تاجر وأجير وتابع من الأنباط وغيرهم وأهل القرى في هذا الصلح فسموا الرواديف ، لأنهم تلوهم وليسوا منهم (١) .

فتوحـــــــه : وكان الجراجمة يستقيمون للولاة مرة ويعوجّون أخرى فيكاتبون الروم ويمالئونهم (٢) ويذكر البلاذرى أن حبيباً فتح قرقيسيا صلحاً ، وأنه لما ولى معاوية بن أبى سفيان الشام والجزيرة وجه حبيب بن مسلمة الى ملطية ففتحها عنوة ، ورتب رابطة من المسلمين مع عاملها ، وشحنها بجماعة من أهل الشام والجزيرة وغيرها ، فكانت طريق الصوائف (٣) .

وكان حصن الحدث فتحه حبيب بن مسلمة أيام عمر بن الخطاب (٤) . وفتح حصن زبطرة وهما حصنان قديمان للروم (٥) . وإلى حبيب ينسب موضع (بطنان حبيب) لأن أبا عبيدة أو عياض بن غنم وجهه من حلب ففتح الحصن فنسب إليه (٦) .

وفوده على عمر بن الخطـــاب في خلافته

روى ابن عساكر من طرق أن حبيب بن مسلمة كان يلى الصوائف على عهد عمر ، ويبلغ عمر عنه ما يحب ، ولم يثبته (أى بالجيش) حتى قدم عليه في حجة ، وكان تام القامة ، فسلم على عمر ، فقال له : إنك لفي قناة رجل ، قال : إنى والله وفي سنانها ، وفي رواية أنه قال له : إنك لجيد القناة ، قال : وجيّد سنانها . قال عمر : افتحوا له الخزائن فليأخذ ما شاء ، ففتحوها له ، فعدا عن الأموال وأخذ السلاح ، وفي رواية أخرى لابن عساكر أن عمر لما عزل عياض بن غنم عن الجزيرة ولّى حبيب بن مسلمة وضم إليه أرمينية وآذربيجان ، ثم عزله وولى عمير بن سعد الأنصارى وسعيد بن عامر بن خديم (٧) .

١ ـ فتوح البلدان ١٦٤
٢ ـ فتوح البلدان ١٨٠
٣ ـ فتوح البلدان ١٨٩
٤ ـ فتوح البلدان ١٩٣
٥ ـ فتوح البلدان ١٩٥
٦ ـ فتوح البلدان ١٥٤
٧ ـ الاستيعاب ١ / ٣٢٦ وأشهر مشاهير الإسلام ٨٢٨

وكان حبيب بن مسلمة كثير الغزو للروم شديد النكاية فيهم ، دخل مرة أرض الروم على جيش فاهتم عمر بأمرهم ، فلما بلغه خروج حبيب ومن معه خرّ ساجداً لله ، وكان لكثرة خوضه الحروب محبوباً من الناس ، ومشهوراً بالشجاعة ، منوّها باسمه على ألسن الشعراء ، مدحه حسّان بن ثابت رضى الله عنه بقوله :

يا أيها الناس أبدوا ذات أنفسكم	لا يستوى الصدق عند الله والكذب
قوموا بحق مليك الناس تعترفوا	بـغارةٍ عُـصُـب مـن فوقـها عُـصُـب
فيهم حبيب شهاب الموت يقدمهم	مستلئماً قد بدا في وجهه الغضب

ولايته أرمينية

ولما استخلف عثمان بن عفان كتب الى معاوية وهو عامله على الشام والجزيرة وثغورها يأمره أن يوجه حبيب بن مسلمة إلى أرمينية ، تقديراً منه لبلائه وأثره الجميل في فتوح الشام وغزو الروم .

ويذكر ابن كثير في حوادث سنة ٢٨ نقلًا عن الواقدى أن حبيب بن مسلمة غزا أرض الروم (١) ، ولما قتل عبد الرحمن بن ربيعة استعمل سعيد بن العاص أخاه سلمان بن ربيعة ، وأمدهم عثمان بأهل الشام عليهم حبيب بن مسلمة (٢) .

شهوده حروب صفين وغيرها مع معاوية

ذكره ابن سعد في الطبقة الخامسة فقال : نزل حبيب بالشام ولم يزل مع معاوية في حروبه في صفين وغيرها ، ووجهه الى أرمينية والياً عليها ، فمات بها سنة ٤٢ ولم يبلغ خمسين سنة (٣) .

بعثه معاوية مع شرحبيل بن السمط ومعن بن يزيد بن الأخنس في سفارة الى على ابن أبى طالب كرم الله وجهه ، فدخلوا عليه ، فبدأ حبيب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

---

١ ـ البداية والنهاية ٧ / ١٥٣
٢ ـ البداية والنهاية ٧ / ١٦٠
٣ ـ الطبقات الكبرى ٧ / ٤١٠

أما بعد : فإن عثمان بن عفان كان خليفة مهدياً عمل بكتاب الله وثبت لأمر الله ، فاستثقلتم حياته ، واستبطأتم وفاته ، فعدوتم عليه فقتلتموه ، فادفع الينا قتلته إن زعمت أنك لم تقتله ، ثم اعتزل أمر الناس فيكون أمرهم شورى بينهم فيولى الناس أمرهم من أجمع عليه رأيهم ، فقال له على : وما أنت لا أم لك ، وهذا الأمر وهذا العزل ، فاسكت فإنك لست هناك ، ولا بأهل لذاك ، فقال له حبيب : أما والله لترينى حيث تكره ، فقال له على : وما أنت ولو أجلبت بخيلك ورجلك لا أبقى الله عليك إن أبقيت ، اذهب فصعّد وصوّب ما بدا لك ، وكان فيما قال لهم على : لا أقول إن عثمان قتل مظلوماً ولا ظالما ، فقالوا نحن نبرأ ممن لم يقل إن عثمان قتل مظلوماً ، وخرجوا من عنده ، فتلا قوله تعالى (إنك لاتسمع الموتى ولاتسمع الصم الدعاء إذا ولّوا مدبرين ۰ وما أنت بها والعمى عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) ثم قال لأصحابه : لا يكن هؤلاء أولى بالجد في ضلالتهم منكم بالجد في حقكم وطاعة نبيكم ، ويعقب الحافظ ابن كثير على ذلك بقوله : وهذا عندى لا يصح عن على رضى الله عنه (١) ۰

وكان حبيب على ميسرة جيش معاوية يوم صفين ، وفي رواية أخرى أنه كان على الميمنة (٢) ۰ وقد بارز حبيب الأشتر فاقتتلا قتالاً شديداً ولم يغلب أحد أحداً (٣) ۰ وشهد حبيب التحكيم ثاني عشرةٍ من أهل الشام (٤) ۰ قال أبو عمر بن عبد البر : كان أهل الشام يثنون على حبيب بن مسلمة ، قال سعيد بن عبد العزيز : كان حبيب بن مسلمة فاضلاً مجاب الدعوة ، ويقال إن معاوية كان قد وجه حبيباً بجيش إلى نصر عثمان بن عفان ، فلما بلغ وادى القرى ، بلغه أن عثمان قد قتل ، فرجع ولم يزل مع معاوية في حروبه (٥) ۰

وكان حبيب يلح على معاوية بالعمل بسيرة أبى بكر وعمر ، روى ابن عساكر عن ابن عجلان قال : لما أتى معاوية موت حبيب بن مسلمة سجد ، ولما أتاه موت عمرو بن العاص سجد ، فقال له قائل : يا أمير المؤمنين سجدت لوفدين وهما مختلفان ، فقال أما حبيب فكان يأخذنى بسنة أبى بكر وعمر ، وأما عمرو فيأخذني بالامرة الامرة فلا أدرى ما أصنع (٦) ۰

---

١ ـ البداية والنهاية ٧ / ٢٥٩
٢ ـ البداية والنهاية ٧ / ٢٦١ وتهذيب تاريخ دمشق ٧ / ٣٥
٣ ـ البداية والنهاية ٧ / ٢٦٢
٤ ـ البداية والنهاية ٧ / ٢٧٨ والاستيعاب ١ / ٣٢١
٥ ـ الاستيعاب لابن عبد البر ٣٢٦
٦ ـ تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ / ٣٦

كان مجاب الدعوة :

أخرج البيهقي والطبراني عن أبي هبيرة أن حبيباً كان مستجاب الدعوة ، وكان قد أمرّ على جيش ، فدرّب الدروب ، فلما لقي العدو قال للناس : اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يجتمع ملأ فيدعو بعضهم ويؤمن بعضهم ـ أو قال : سائرهم ـ إلا أجابهم الله ، ثم حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : اللهم احقن دماءنا ، واجعل أجورنا أجور الشهداء(١)

وفـــــــاته

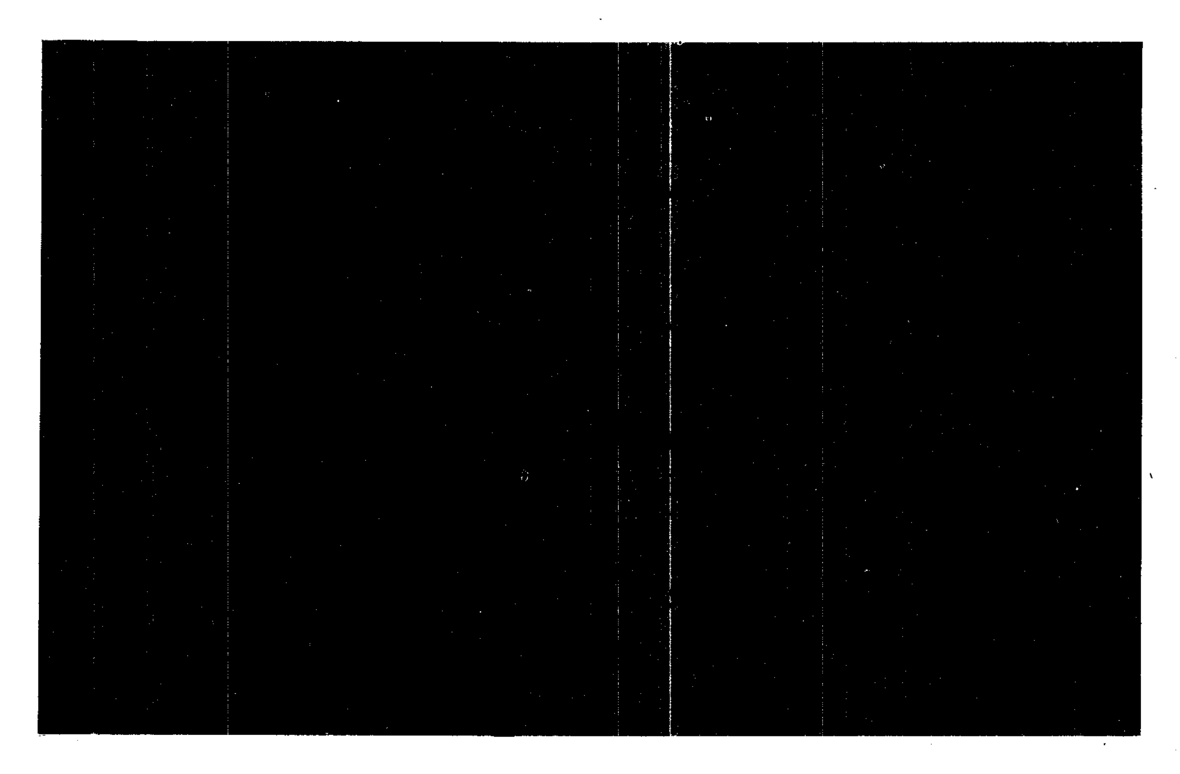
اختلف في محل وفاته فقال البلاذري إنه لما أمره عثمان بالانصراف الى الشام نزل حمص فنقله معاوية الى دمشق فتوفى فيها سنة ٤٢ ، وقال ابن عبد البر : إن معاوية وجهه الى أرمينيا والياً عليها فتوفى فيها سنة ٤٢ وذكر ذلك ابن سعد وابن عساكر ، وأنه مات ولم يبلغ الخمسين كما تقدم (٢) وفي رواية لابن عساكر أن حبيباً دخل الحمام فأطال المكث فيه فمرض مرضه الذي مات فيه .

وقال أبو زرعة الدمشقي : إن لحبيب ولداً كثيراً عندنا بحوران ، ومنزلة بطرف من أطراف حوران .. وكان بعضهم يصهر إليّ ، ورثاه شريح بن الحارث بقوله :

ألا كل من يُدعى حبيباً وإن بدت مروءته يفدي حبيب بني فهر
همام يقود الخيل حتى كأنما يطأن برضراض الحصا جاحم الجمر

رضي الله عنه وأرضاه وعفى عنه في المجاهدين والقادة الفاتحين .

١ ـ الاستيعاب ١ / ٣٢١ والإصابة ٢ / ٢٥
٢ ـ فتوح البلدان ١٩٥ والطبقات الكبرى ٧ / ٤١٠ وتهذيب تاريخ دمشق ٧ / ٣٦



كانت الهند من أسبق البلاد في مناصرة الدعوة الاسلامية الى التوحيد والاعتصام بالسنة النبوية بدليل مسارعة علمائها في تأليف ونشر كتب عديدة بمختلف اللغات في هاتين الدعامتين اللتين يقوم عليهما صرح الاسلام . وفي مقدمة هؤلاء العلماء العلامة المحقق المجتهد صديق حسن خان . وكان عالما جليلا وداعية مجتهدا وقد بلغ عدد مؤلفاته في العلوم الاسلامية حوالى ٢٢٢ كتابا ومنها ٥٦ في اللغة العربية . وقبل أن أقوم بتطواف سريع حول بعض هذه المؤلفات التى ساهمت مساهمة فعالة في نشر الدعوة الاسلامية الخالصة في أرجاء شبه القارة الهندية أرى من المناسب أن ألقى ضوءا على تاريخ حياته بصفة عامة .

أسرته ومولـــــده

ولد صديق حسن خان في مدينة « بريلى » في شمالى الهند ، وكانت ولادته يوم الأحد وقت الضحى في التاسع عشر من جمادى الأولى سنة ١٢٤٨ هـ واشتهرت مدينة (بريلى) التى هى موطن جده من جهة الأم ، بدور العلم والعلماء منذ قرون . وقد توفى والده (حسن خان) وهو في السادسة من عمره وبقى الطفل يتيما في كنف أمه . ثم جاءت به من « بريلى » الى مدينة (قنوج) التى كانت موطن آبائه .

نشأته وتعليمه

وأكمل تعليمه الابتدائى على النظام القديم المتبع في ذلك الزمان في ربوع الهند ، فقرأ من الفارسية بعض الكتب الابتدائية ثم المبادئ من الصرف والنحو في اللغة العربية ونبذة من المسائل الفقهية ٠

وبعد ذلك ذهب صديق حسن خان الى مدينة « كانبور » في الهند الوسطى وتعلّم هناك بعض الكتب في البلاغة العربية مثل (مختصر المعانى) و (الفوائد الضيائية) ثم ارتحل الى (دلهى) لتحصيل العلوم لدى عالمها ومفتيها الشيخ (محمد صدر الدين خان) وأثناء اقامته في دلهى أكمل دراسته في مختلف العلوم والفنون وأتم مقاصده منها بذهنه الثاقب ورغبته الملحة في تحصيل الكفاءة العلمية والمقدرة الأدبية في لغات ثلاث ، العربية والفارسية والاوردية ٠

رحلته في الخـــــارج

وقد سافر « صديق حسن خان » الى الحجاز وبعض البلدان العربية الأخرى ومن أساتذته المعروفين ، الشيخ محمد يعقوب الدهلوى المهاجر المتوفى بمكة المكرمة في سنة ١٢٨١ هـ ، واستحصل منه الشيخ صديق حسن خان سند القرآن الكريم ، كما درس علم الحديث على القاضى زين العابدين محمد الأنصارى اليمانى ، وأخذ الاجازة في الحديث النبوى من الشيخ عبد الحق الهندى تلميذ الامام الربانى القاضى محمد بن على بن محمد اليمانى الشوكانى ٠

تزوجه بأميرة بهوبـــال

وبعد عودته من الحجاز الى الهند انتقل العلامة صديق حسن خان من « قنوج » الى مدينة (بهوبال) في ولاية (مادهيا براديش) في وسط الهند ، وقد ذاع صيته في تلك الأيام كامام في العلوم الاسلامية ومؤلف بارع في العلوم العقلية والنقلية ٠ وكاتب قدير في اللغات العربية والفارسية والأوردية ومجتهد متواصل في ميدان الدرس والتأليف والتدوين ولم يلبث أن تزوج بأميرة بهوبال (شاهجهان بيجوم) التى كانت تحكمها حينذاك ٠

نقطة تحول في حياته العلمية

وكان تزوج العلامة صديق حسن خان (بالأميرة شاهجهان بيجوم) وتلقبه بأمير بهوبال نقطة تحول لا في حياته العلمية فقط بل في النشاط العلمى والعهد التأليفى في الهند كلها فكان له موهبة الهية في الكتابة وفي التأليف حتى قيل أنه كان يكتب عشرات الصفحات في يوم واحد ويكمل كتابا ضخما في أيام قليلة ، ومنها كتب نادرة على منهج جديد . وعندما ساعدته الظروف المنصبية والاقتصادية على بذل المال الكثير في طبعها وتوزيعها ، قد تكللت مساعيه العلمية بنجاح منقطع النظير .

من مؤلفاته العربية

وقلنا أن مؤلفاته في اللغة العربية وحدها يبلغ ستة وخمسين كتابا . وهى تشمل علوم التفسير والحديث والفقه الاسلامى والصرف والنحو والبلاغة والشعر والمنطق وعلوم الحكمة والطب والفلسفة . وأما تفسيره المشهور « فتح البيان في مقاصد القرآن » فيقع في عشرة مجلدات ضخمة بالحجم الكبير وقد طُبِعَ من جديد سنة ١٩٦٥ م بالقاهرة . وهو أول تفسير من نوعه اذ يخلو من الاسرائيليات والجدليات المذهبية والمناقشة الكلامية . وأن تفسير القرآن ينقسم الى قسمين ، تفسير بالرواية ، وتفسير بالدراية ، وقد جمع صديق حسن خان في مؤلفه المذكور هذين النوعين من التفسير حتى خرج نادرا ونافعا في العالم العلمى .

ويقول المؤلف مبينا الغرض الأساسى من التفسير وفائدته : (إن أعظم العلوم مقدارا وأرفعها شرفا ومنارا وأعلاها على الاطلاق وأولاها تفضيلا بالاستحقاق وأساس قواعد الشرائع والعلوم ومقياس ضوابط المنطوق والمفهوم ورأس الملة الاسلامية وأساسها وأصل المذاهب الفقهية ومنبعها الأول ـ وأعز ما يرغب فيه ويعرج عليه وأهم ما تناخ مطايا الطلب لديه هو علم التفسير لكلام العزيز القدير ، لكونه أوثق العلوم بنيانا ، وأصدقها قيلا وأحسنها تبيانا ، وأكرمها نتاجا وأنورها سراجا وأصحها حجة ودليلا ، وأوضحها محجة وسبيلا ، وقد حاموا جميعا حول طلابه وراموا طريقا الى جنابه ، والتمسوا مصباحا على قيامه ومفتاحا الى فتح بابه) .

وها هو ذا تعريف المؤلف لعلم التفسير فيقول « هو علم باحث عن نظم نصوص القرآن ، وآيات سور الفرقان ، بحسب الطاقة البشرية وبوفق ما تقتضيه القواعد العربية ، قال الفنارى : الأولى أن يقال : علم التفسير معرفة أحوال كلام الله سبحانه وتعالى من حيث

القرآنية ومن حيث دلالته على ما يعلم أو يظن أنه مراد الله تعالى بقدر الطاقة الانسانية . وهذا يتناول أقسام البيان بأسرها ولا يرد عليه ما يرد على سائر الحدود ومبادئ العلوم اللغوية وأصول التوحيد ، وأصول الفقه وغير ذلك من العلوم الجمة » .

وأضاف : « والغرض منه معرفة معانى النظم ومعرفة الأحكام الشرعية العملية ، وفائدته حصول القدرة على استنباط الأحكام الشرعية على وجه الصحة ، وموضوعُه كلام الله سبحانه وتعالى الذى هو منبع كل حكمة ومعدن كل فضيلة ، وغايته التوصل الى فهم معانى القرآن واستنباط حكمه ليفوز بالسعادة الدنيوية والأخروية وشرف العلم وجلاله باعتبار شرف موضوعه وغايته فهو أشرف العلوم وأعظمها .)

الـــــدين الخـــالص

ومن أجل مؤلفاته بالعربية كتاب سماه (الدين الخالص) . وقد جعل المؤلف الكتاب قسمين ، وعبر عنهما (بالنصيب الأول) و (النصيب الثانى) وطبع بالقاهرة في أربعة أجزاء -

وخصص النصيب الأول بمباحث التوحيد ، والنصيب الثانى بمباحث الاعتصام بالسنة والاجتناب عن البدع . وجاء الكتاب حافلا بمباحث التوحيد والسنة وسماه المؤلف (الدين الخالص) مقتبسا اسمه من قوله سبحانه وتعالى (ألا لله الدين الخالص) - ولم يدع المؤلف آية من آيات التوحيد الواردة في القرآن الا أتى عليها بالبيان الوافى لاثبات التوحيد الخالص ، ونفى الشرك بجميع أنواعه وأصنافه ، وكان غاية في الترغيب في اتباع السنة ورد البدعة بأقسامها وأطرافها مع الرد على تحريف الغُلاة وتأويل الجاهلين وافراط المتعصبين وتفريط المبطلين . فيقول في مقدمة الكتاب : « .... هذا كتاب ناطق ببيان مادلت عليه كلمة الاخلاص والتوحيد وأفهمته من رد أنواع الضلال من الشرك والبدعة والتقليد وهى التى جعلها ابراهيم عليه السلام كلمة باقية في عقبه موصلة أصحابها الى دار السلام . طالما كان يخطر لى بالبال أن أحرر في تلك الدلائل صحيفة كاملة وأحبر لهذه المسائل رقيمة حافلة . ولكن يعوقنى الزمان الحاضر الحائز للفتن عن البلوغ الى هذا المرام ولا يساعدنى في الدهر الماشى على خلاف المراد على سلوك هذه السبل ، سبل السلام .

« وكنت دائما بالمرصاد لانتهاز الفرص تحصيلا لهذه البغية على ما يراد الى ان وجدت - بحمد الله وحسن توفيقه - فرصة نزرة اختطفتها من أيدى آناء الليل والنهار ، وزمانا

يسيرا سرقته من حركات الفلك المحدد الدوار مع هجوم الأشغال وتشتت البال من كثرة الاسقام والاعتلال واختلاف الرجال ، فجعلتها وقتا لزبر هذا المرقوم على سبيل الارتجال وجناح الاستعجال بالتفصيل والاجمال ، فجمعت ـ حسب ما تمكنت وقدر ما تحصلت ـ آيات بينات وأحاديث شريفة وردت في اثبات التوحيد ونفى الاشراك واتباع السنة ورد البدع مع تفسيرها الذى حرره العلماء الفحول وشرحها الذى أذعن له السلف الصالح للأمة وأئمتها بالتلقى والقبول ضاما اليها من مقالات أهل العلم المتقدمين منهم والمتأخرين ، ما وقفت عليها جامعا لاشتات هذه الأبواب المتفرقة في الدواوين المؤلفة اليها ، فجاء بحمد الله أجمع ما يجمع في هذا العلم ....) .

ويجد القارئ ما اشتمل عليه هذا الكتاب من المباحث الهامة من عناوين أبوابها العامة المقسمة الى موضوعات يحتوى عليها كل باب ، فدونك نماذج من ذلك :

(١) باب في الآيات القرآنية الدالة على توحيد الله تعالى :

أ ـ أعظم آية في القرآن وأفضلها حيث قال : عن أبى بن كعب أن النبى صلى الله عليه وسلم سأله : أى آية من كتاب الله أعظم ؟ قال : آية الكرسى قال : « ليهنك العلم يا أبا المنذر » أخرجه أحمد ومسلم ، وقد ورد في فضلها غير هذا ، لاشتمالها على أصول التوحيد ..... الخ .

ب ـ دليل وجود الصانع :

سئل بعض الأعراب : ما الدليل على وجود الصانع الواحد ؟ قال : إن البعرة تدل على البعير ، وآثار القدم تدل على المسير . فهيكل علوى بهذه اللطافة ومركز سفلى بهذه الكثافة أما يدلان على وجود الصانع الخبير ؟ وفي القرآن من دلائل التوحيد كثير وتكرير قوله تعالى : « لا إله الا هو » للتأكيد وفائدة تكريرها الاعلام بأن هذه الكلمة أعظم الكلام وأشرفه ، وفيه حث العباد على تكريرها والاشتغال بها . فانه من اشتغل بها اشتغل بأفضل العبادات ، وبالاشتغال بها ترسخ قدم التوحيد في قلوب العباد ... الخ .

جـ ـ رد التثليث والتقليد :

وقال الله تعالى : (وما من اله الا الله) فيه رد على من قال بالتثليث من النصارى ، وقال تعالى ؟ (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا) وذلك أن النصارى عبدوا غير الله ، هو المسيح ، وأشركوا به ، وهو قولهم : أب وابن وروح القدس فجعلوا الواحد ثلاثة . (ولا يتخذ بَعْضنا بعضاً أربابا من دون الله)

وتبكيت لمن اعتقد بربوبية المسيح وعزير واشارة الى أن هؤلاء من جنس البشر وبعض منهم ، وازراء على من قلد الرجال في دين الله فحلل ما حللوه وحرم ما حرموه عليه ٠ فان من فعل ذلك فقد اتخذ من قلده ربا ، ومنه : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) ٠٠٠الخ ٠

د ـ أرجى آية لأهل التوحيـــد :

وقال تعالى « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء » ٠ وهى أرجى آية لأهل التوحيد ، فانه سبحانه لم يوئسهم عن المغفرة ٠ عن على قال : ما في القرآن أحب الى من هذه الآية (ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما) ٠ وعن جابر قال : جاء أعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ما الموجبتان ؟ قال : من مات لا يشرك بالله دخل الجنة ، ومن مات يشرك به دخل النار) أخرجه مسلم ٠٠٠ الخ ٠

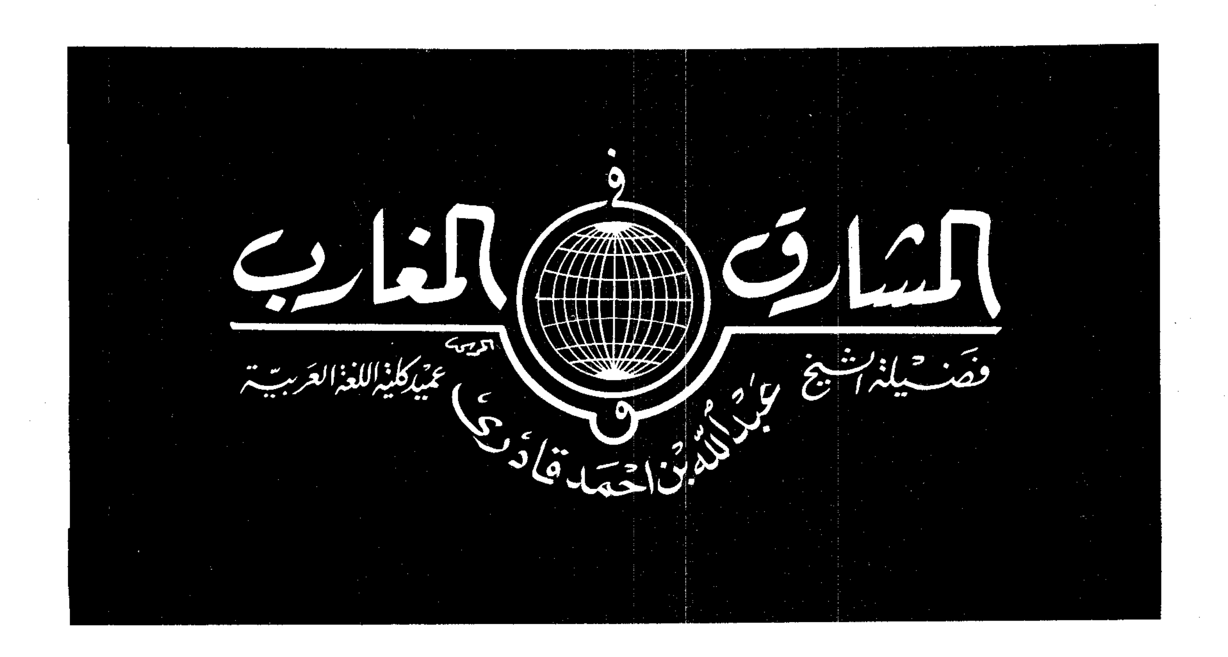
درس من حيـــــاته

وجدير بالذكر والاعتبار أن زواجه بأميرة بهوبال الغنية واشتغاله بالشئون السياسية والادراية لم يثنه عن نشاطه العلمى ، ولم تصرفه بحبوحة العيش وفخفخة الدولة عن خدمة العلم والدين ، بل استفاد ، بثاقب فكره من هذه النعم لتحقيق هدفه الأسمى وغايته الرفيعة ٠




مع جولات عالمية





*** من لوس أنجلس الى طوكيو :**

وفي يوم الأحد الموافق ١٣٩٨/٨/٨ هـ · جاء الينا الأخ تاج الدين شعيب مبكرا ، وبعد أن أدينا لمدير الفندق ما بقى له عندنا من الحساب توجهنا الى مطار لوس انجلس الدولى أخذ الموظف المختص حقائبنا الكبيرة كالعادة في باب مبنى المطار وسلمنا البطاقات ذات الأرقام ، ودخلنا الى الموظف المختص لأخذ بطاقات دخول الطائرة وكنت أظن أن هناك موظفين آخرين مختصين بالجوازات للتأشيرة الخاصة بالخروج ، ولكن الموظف الذى أجرى معاملة التذاكر هو الذى انهى معاملة الجوازات ·

كان الموظف المختص في الطائرة التى حملتنا من لندن الى نيويورك قد كتب المعلومات اللازمة في بطاقات وألصق بجواز كل منا البطاقة الخاصة به وأخذ صورة لكل منها ·

وفي مطار لوس انجلس لم يزد الموظف على المقارنة بين البطاقة الملصقة بالجواز والبطاقة الموجودة عنده وهى صورة لها ثم أخذ البطاقة الملصقة بالجواز ولم يختم على الجوازات ·

وكنا ننزل في الفنادق في جميع المدن الخمس الأمريكية دون أن يطلبوا منا الجوازات أو مجرد ذكر الهوية اكتفاء بالمعلومات التى أخذت منا عندما دخلنا البلاد ، ثم ان كل فندق يعطى الجهات المختصة الاسم ، وهى تسجله وكل ذلك يتم عن طريق الكومبيتر ·

يكون فيه جميع المحيطات والبحار وكل أرض الله خاضعة لراية لا اله الا الله محمد رسول الله وإنه لآت باذن الله ، واذا لم يكن على أيدى جيلنا هذا الذى ألف التبعية والتأخر عن حمل الراية فلا بد أن يأتى الجيل الذى يتحقق ذلك على يديه ، كما قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل . إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شىء قدير » .

وقال تعالى : **« ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل على نفسه والله الغنى وأنتم الفقراء وأن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم »**

*** في هنولولو (١) :**

وبعد خمس ساعات هبطت بنا الطائرة في مطار هنولولو اذ كان ذلك في الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والأربعين بتوقيت لوس انجلس .

وفي قاعة مبنى مطار هنولولو قعد بجوارنا رجل عمره بين خمس وأربعين وخمسين سنة فجرى حديث بينه وبين الزميل الدكتور محمد بيلو فقلت لزميلى سله عن دينه فسأله فقال : إنه لا يدين بدين قلت له : قل هل تحب أن تعرف شيئا عن الدين الاسلامى فسأله فقال : لا أريد أن أدخل في حديث الأديان وكل همى هو جمع المال .

قلت : قل له اذا كان عنده شك في وجود الله فنحب أن نناقشه ونزيل عنه الشك بالأدلة . فقال له ذلك فقال : هو لا يشك في وجود خالق للكون ولكنه لا يحب البحث في هذا الموضوع قلت : سله اذا كان يحتمل أن يكون الدين حقا واحدا في المائة وأن هناك احتمال حياة أخرى فيها جنة ونار يجزى فيها المطيع بالجنة والعاصي بالنار ولو واحدا في المائة أيضا الا يحفزك هذا أن تبحث عن الحقيقة حتى ينتفى عنك احتمال الواحد في المائة فترتاح نفسك الى ما تفعله حرا لا يقيدك شيء ، أو يزيد هذا الاحتمال حتى يصبح مائة في المائة فترتاح نفسك الى التدين والتعبد وتسير في طريق الحياة وأنت على علم به ؟ فأجاب : أنا قد سمعت أن بعد الحياة الدنيا حياة أخرى ولكن لا أعترف بذلك ولا أريد البحث في هذه الأمور مطلقا ، وأنا رجل تاجر يهمنى أن أربح في تجارتى فقط .

---

(١) وتعرف الآن بـ « هاواي » .

وقد أدخلت أولادى في مدرسة مسيحية وهم يدرسون الدين المسيحى وسبب ادخالى اياهم فيها ليس من أجل الدين وانما من أجل أن الدراسة فيها ناجحة أكثر من المدارس الأخرى ٠ وعندما وصل الى هذا الحد كان موعد اقلاع الطائرة من مطار هنولولو قد اقترب فتركناه وشأنه ٠

والملحوظ أن هذا الصنف من الناس يصعب التفاهم معه لأنه يأبى النقاش مطلقا ٠

وبعد ساعتين تقريبا أقلعت الطائرة مواصلة رحلتها الى طوكيو عاصمة اليابان ، والفرق الزمنى بين هنولولو والمملكة احدى عشرة ساعة ، فالساعة الواحدة بعد الظهر يوم الأحد في هنولولو والساعة الثانية بعد منتصف الليل في المملكة العربية السعودية من صباح الاثنين ٠

* سبقنا الليل في أمريكا وسبقنا في اليابان :

وفي هذه الرحلة الطويلة لم تدركنا ليلة الاثنين في لوس انجلس لاننا سافرنا منها في الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والأربعين صباح الأحد ، ولم ندرك الليلة نفسها في اليابان اذ كان شمس الإثنين قد طلعت على اليابان ونحن لا نزال في الطريق بعيدين عنها وكان وصولنا مطار طوكيو في الساعة الرابعة والدقيقة الثلاثين بتوقيت اليابان من مساء يوم الإثنين

* فاتتنا خمس صلوات دون أن نشعر :

لذلك فقد فاتت علينا خمس صلوات ونحن لا نشعر بها ، وهى مغرب ليلة الاثنين وعشاؤها وفجر يوم الاثنين وظهر يوم الأحد وعصره ، لأننا صلينا فجر يوم الأحد في مدينة لوس انجلس وعندما وصلنا طوكيو صلينا الظهر والعصر جمعا واتضح أن ذلك كان ظهر وعصر الاثنين ٠

* من المضايقة الى النوم :

وفي أثناء الرحلة كنت ، كما ذكرت من قبل ، أطل باستمرار من النافذة لأرى عجائب مخلوقات الله ، ولكن المضيفة بدأت تغلق النوافذ لاجل عرض فيلم للركاب كعادتهم ٠ وأغلقت أنا نصف النافذة الأعلى وأبقيت نصفها الأسفل لأنظر منه ، ولكن المضيفة طلبت اغلاقها كاملة لأن الضوء يؤثر على رؤية الناس الفيلم فطلبت من زميلى أن يقنعها بأن راحتى أنا في النظر

الى البحر وسحبه ولا حاجة لى في النظر الى الفيلم فحاول أن يدافع عنى ولكن المضيفة استنجدت بزميل لها فجاء يرجو غلق النافذة ، لأن المشاهدين يتضايقون من الضوء فاستسلمت له بغلق النافذة ولجأت الى النوم العميق لمدة ساعة وثلاثين دقيقة ، وكان ذلك بعد تناول طعام الغداء في مطعم ركاب الدرجة الأولى في الطابق الأعلى من الطائرة وهو يقع في مقدمة الطائرة · أيقظنى زميلى بعد مضى المدة المذكورة وقال : ان شئت أن تحظى ببغيتك فان مقاعد الطابق الأعلى فارغة ويمكننا أن نصعد لنشاهد البحر من هناك وقد أذن لنا المضيفون بذلك ·

* في الطابق العلوى من الطائرة :

صعدنا وقعدنا ننظر الى ذلك الكون العجيب ، فكنا نرى خضرة البحر المختلطة بزرقة السماء تتناثر بينهما قوافل متقطعة من السحاب فكانت مناظر تأخذ بالالباب الى خالقها سبحانه ، لذلك لم نشعر بطول المدة ولم نمل على الرغم من طولها فعلا ، وبقينا في الطابق الأعلى الى أن أضاءت الاشارة بطلب عودة كل راكب الى مقعده فعدنا وقد رفع ذلك الفيلم الثقيل على النفس الذى حرمنا من لذة التمتع بآيات الله الكونية · ولكن ربّ ضارة نافعة فقد استفدت من تلك الوجبة الطيبة من النوم ·

* طلب غريب وتلبية أغرب :

مر بنا مساعد قائد الطائرة فحيانا واغتنم زميلى الفرصة فأبدى له رغبته في رؤية غرفة القيادة وآلات القيادة ، فأجابه بكل هدوء : ستراها وذهب ، والظاهر أنه استراب من هذا الطلب الغريب ، ولكنه قد وعد بتلبيته ، وعندما بدأت الطائرة تهبط شيئا فشيئا جاء الرجل الى الزميل وقال له : اذا هبطت الطائرة فانتظر قليلا وهبطت الطائرة وخرج الركاب وانتظرنا فجاء الرجل واصطحبنا الى غرفة القيادة وبها القائد وبعض مساعديه ، والغرفة ضيقة ، فأشار القائد للزميل الى الآلات التى توجه بها الطائرة يمنة ويسرة وعلوا وسفلا واستواء فشكرهم على ذلك ورجعنا فأخذنا حقائبنا اليدوية ونزلنا الى المطار ·

علقت على ذلك في نفسى ، فقلت : هل يجرؤ الزميل أو غيره أن يطلب من طيارينا في الشرق هذا الطلب في الجو ؟ واذا طلب ذلك هل تثبت أعصاب القائد وطاقم الطائرة كلهم ؟ واذا ثبتت فهل يسكتون عن هذا الطالب أو سينزل من الطائرة فيجد البوليس في انتظاره للتحقيق معهُ ؟ دارت بذهنى هذه المعانى كلها وتمنيت من أعماق قلبى أن توجد هذه المعاملة

الحسنة لدى موظفينا ، ومنهم من هو في قمة الأخلاق الحسنة ـ الذين نتمنى من بعضهم الكلمة الطيبة وقت معاملته التى هى فرض عليه لأنه يستلم أجرا عليها ٠

وليعذرنى القارئ في هذه التعليقات فليست هى من آثار العاطفة المجردة ، بل إنها واقعة بعد تفكير وقد عزمت وأنا أكتب هذه المذكرات أن أكون منصفا ، فأذكر لأهل الغرب مالهم وما عليهم ، وأقارن بين سلوكهم سلبا كان أو ايجابا وبين سلوكنا ، ونحن أمة مسلمة ، يجب أن نكون قدوة لغيرنا من الناس : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ٠

دخلنا في قاعة مطار طوكيو الكبير الجديد الذى هو محاط بحراسة أمنية شديدة لحمايته من هجمات الجيش الأحمر الذى سبق أن قام بحملة عنيفة عليه فحطم برج المراقبة فيه وقطع خطوط المواصلات السلكية ، ولا زال يهدده ، ولذلك كثر فيه رجال الأمن المسلحون وكان ـ التفتيش دقيقا ، على خلاف ما جرى في دول الغرب ، ولكن المفتشين عاملونا معاملة لم يعاملوها أحدا غيرنا ممن رأينا فسألونا : أسعوديون فأجاب الزميل : نعم هذا سعودى ، وأنا سودانى ٠ فأشروا على حقائبنا ولم يفتشوها ٠

*** لا تفزع فنحن من ذوى الملايين :**

وذهب الزميل يسأل عن المواصلات ويصرف بعض الشيكات السياحية الى الين اليابانى ، فقيل له : المسافة بين المطار وبين طوكيو تزيد عن سبعين ميلا والأجرة عشرون ألف ين يابانى ، فرجع الىّ فزعا من هذا الرقم الهائل الذى لا قدرة لنا في تحمله ٠ فقلت له : ان الدرهم المغربى قيمته ضئيلة جدا وأرقامه مخيفة ، فلعل الين مثله فسل عن القيمة فرجع ووجد أن الأمر سهل فالدولار الأمريكى على الرغم من هبوطه الشديد يقابله مائة وثمانية وتسعون ينّا يابانيا فقلت له : لقد أصبحنا يا أستاذ من ذوى الملايين والحمد لله ٠

وكنا نتوقع أن يستقبلنا بعض أعضاء المركز الاسلامى في طوكيو حيث سبق أن اتصلنا بهم من لوس انجلس قبل سفرنا بيوم أو يومين هاتفيا ولكنهم لم يتمكنوا ، لأن هذا المطار لا يسمح لأحد أن يأتى اليه الا اذا كان مسافرا ، وللاستقبال محطة أخرى يذهب المسافر اليها تنقله الحافلات المخصصة وهناك يجد من يستقبله والمحطة المذكورة تقع بين المطار وبين المدينة ، وكان أعضاء المركز قد أوفدوا شخصا لاستقبالنا فيها ولكن لعدم علمنا بهذه الترتيبات لم نذهب الى المحطة المذكورة ٠٠

* في الفندق القريب :

وكنا مرهقين ارهاقا شديدا لطول السفر ولم نشعر بالارهاق الا بعد نزولنا في المطار ففضلنا أن ننزل في فندق قريب من المطار لننام فيه الى الصباح ثم نذهب الى طوكيو وهذا ما فعلناه ٠

* مرافسة بالأرجل بدل الملاكمة بالأيدى :

ذهبنا الى الفندق المذكور ، وهو يقع على تل من التلال الصغيرة وتحيط به الغابات من كل جهة ، واستأجرنا غرفة وصلينا المغرب والعشاء ثم أخذنا مضاجعنا لنرتاح بعد ذلك السفر الطويل ولكن الزميل حرك مفتاح التلفزيون ، فاذا شابان يابانيان يترافسان بأرجلهما في حلبة مغالبة عنيفة في جمع حاشد من الناس ، وهذه أول مرة نرى فيها الملاكمة أو بالأحرى المرافسة بالأرجل فأخر ذلك علينا النوم قليلا ولكنا بعد ذلك نمنا نوما عميقا الى الصباح ، وبعد أن صلينا الفجر قرأنا حزبنا المعتاد في سفرنا حيث كنا نتدارس كل يوم لا سفر فيه جزءا من القرآن الكريم ٠

حاولنا بعد ذلك الاتصال بالمركز الاسلامى هاتفيا ولكن حصل خطأ لم نتمكن بسببه من الاتصال ، اذ كنا نتصل برقم نظنه رقم المكتب وهو رقم منزل أحد أعضاء المكتب ولا يوجد في المنزل أحد كان هذا يوم الثلاثاء ١٣٩٨/٨/٢٠ هـ ٠

* من الفندق الى طوكيو :

اضطررنا أن نستأجر سيارة خاصة ٠ وأعطينا السائق عنوان المركز فأخذ يقرؤه فلم يعرفه فرجع الى الفندق يسأل عنه فدله عليه بعض الموظفين ، وسار بنا بعد ذلك في طريق تتلوى في بعض الأماكن مثل الثعبان ، وفي بعضها الآخر تكون مستقيمة الا أن الشوارع هناك ضيقة في الغالب ، نظرا لكثافة السكان وضيق الأرض بالنسبة لحاجتهم اليها للسكنى والزراعة ، وكانت تحيط بنا الأشجار الكثيرة من الجانبين ، وكذلك المنازل السكنية الصغيرة التى كنت أقول في نفسى إن مساحة الحجرة في هذه المنازل ربما لا تتسع الا للياباني الواحد ، أو لقصار الناس من غيرهم ، وكانت العمارات متصلة في الغالب حتى كانها جزء من مدينة طوكيو بعد ذلك كانت تحيط بنا المصانع من الجانبين وكانت الشوارع مزدحمة بالسيارات لكثرتها ، ولكن على الرغم من الزحمة الشديدة لم نسمع صوتا لبوق سيارة من تلك السيارات ،

حيث كل سائق آخذ مكانه لا يحاول الاعتداء على مكان أحد ، ويشعر بأن وقوف من أمامه وقوف عادى لوجود الزحمة فليس في حاجة أن يزعج الناس ببوق سيارته بدون مناسبة أو فائدة ، كما نفعل نحن في بلدان ما يسمى بالشرق الأوسط ، اذ تجد بعض السائقين يسير وحده في الشارع وهو مستمر في الضغط على بوق سيارته ، كما تجد الأصوات ترتفع عندما تتغير الاشارة الكهربائية من اللون الأحمر الى اللون الأخضر ، مع أن كل سائق لا يرغب في أن يقف فور انفتاح الطريق أمامه فلا يحتاج الى من يحثه على السير ولكنها طبيعة غالبة سيئة ألفها الناس فاستمرؤوها ٠

أما في بلاد الغرب ، ومثلها اليابان ، فان صوت بوق السيارة يعتبر ضرورة فلا يسمع الا ظن بأن أمرا ما كاد يحدث أو قد حدث ٠ وبعد مسافة اختار سائقنا طريقا سريعا يمر تحت الأرض حيث دفع مبلغا من المال في أحد مراكز المرور وذهب مسرعا السرعة المحدودة ولا يوجد في هذا الشارع الا القليل من السيارات وفي اتجاه واحد ، ولكن المبلغ الذى دفعه السائق حسبه علينا ضمن الأجرة ٠

*** هذا مشرق وذاك مغرب وأنا في الوسط :**

وكان السائق يدخن ولكن تدخين اليابانى المقتصد ٠ وكان زميلى يحاول أن يسلى سائقنا ببعض الكلمات الانجليزية لاننا نحن نتكلم بلغتنا وهو لا يدرى ما نقول ولكن السائق لا يتكلم الانجليزية وربما كان عنده كلمات قليلة في حدود اختصاصه ، ولذلك يرد على الزميل بلغته اليابانية ، أما أنا فكنت لا أدرى ماذا يقول هذا ولا هذا الا أننى كنت أعرف أن أحدهما يسير مشرقا والآخر يسير مغربا فالزميل قد يأتى بالمبتدأ باللغة الانجليزية بمعنى والسائق يأتى بخبر المبتدأ بمعنى في واد آخر باللغة اليابانية ، وأنا علّى أن أتمتع بتلك الأصوات وأسكت ولو كانت عندى لغة ثالثة لا يفهمها زميلى ولا السائق لكانت تشكيلة جيدة تحقق بيت الشعر الذى افتتحنا به سفرنا :

أقول له زيدا فيسمع خالدا   ويكتبه عمرا ويقرؤه بكرا

*** تهنـــا ولكنها أسعفتنا :**

وعندما ظن سائقنا أنه في المنطقة التى فيها المركز أخذ يحاول العثور على المكان ، يلتفت للارقام المكتوبة على الجدران فنزل للتأكد فيجد أنه غيره وأخذ يمر بالشوارع الفرعية الأشد ضيقا ثم يعود الى الشارع الرئيسى وهكذا حتى كاد ييئس ، وفي آخر الأمر مر بشارع

ضيق فالتقى بصاحب دراجة نارية يبدو أنه من أهل الحارة فسأله فلم يهتد الى ذلك ، وبينما نحن واقفون تحت أحد المنازل والسائق يسأل وصاحبنا الزميل محمد بيلو يحاول مساعدته في السؤال باللغة الانجليزية اذ سمعت الحوار امرأة من الدور الثانى فعرفت أن ههنا غرباء في حاجة الى المساعدة فنزلت تسأل : مابكم ؟ باللغة الانجليزية ففرح الزميل الذى تساوى رأسى معه قبل ذلك على الرغم من محاولته التفاهم مع السائق وغيره باللغة الانجليزية دون جدوى فكلمها وأعطاها العنوان . فأشارت للسائق الى مكان قريب جدا فيه المركز وأنقذتنا مما نحن فيه .

*** في المركز الاسلامى :**

وكان في المركز الأخ الدكتور عبد الباسط السباعى المصرى فخرج وأخذ الحقائب من السيارة وطلب منا الدخول الى المركز ريثما يتم تأمين الحجز في الفندق . فدخلنا وأخذ الأخ عبد الباسط يعتذر لعدم استقبالنا في المطار ، وذكر السبب في ذلك وهو أنه لا يسمح لغير المسافر أن يذهب الى المطار الجديد ، كما ذكر أنه كان غائبا مع بعض الزائرين من المسلمين في بعض المناطق خارج مدينة طوكيو وأنهم بعثوا من يستقبلنا في المحطة التى سبق الكلام عليها ولكنه لم يجدنا لعدم مجيئنا اليها . ورحب بنا ترحيبا حارا .

اتصل بعد ذلك بفندق يسمى « كيوبلازا » في مدخل البلدة وهو لا يبعد كثيرا عن المركز فحجز لنا غرفة وأستأجرنا سيارة وذهب هو معنا الى أن تم النزول والاستقرار في الفندق . ثم تركنا لنأخذ راحتنا على أن يعود الينا في المساء لوضع الترتيبات اللازمة لزيارة الجمعيات الاسلامية في طوكيو وخارجها حيث أمكن ذلك .

وقبل أن يتركنا نزل معنا الى أحد مطاعم الفندق الذى هو مختص بالوجبات السمكية لنجمع أنا وزميلى بين طعام الافطار وطعام الغداء جمع تأخير ، لأن الساعة كانت عندئذ الثانية ظهرا ، ويشاركنا الأخ عبد الباسط .

*** الشوكة والملعقة :**

وعندما قدم لنا الطعام أخذت ألتمس الشوكة والمعلقة فلم أر شيئا ، واذا الأخ عبد الباسط يخرج من القرطاس خشبتين صغيرتين ملتصقتين من جهة مفترقتين من الجهة الأخرى فيفصلهما هو ويرينا كيف يأكل بهما بدلا عن الملعقة والشوكة وقال ان هذه هى التى يأكل بها اليابانيون : وهما عودان مملسان أطول من المرسام « قلم الرصاص » قليلا أصلهما واحد

ولهما فرعان . ولا يفصلهما الا الآكل عندما يخرجهما من القرطاس دليلا على أنهما جديدان لم يأكل بهما أحد . وأخذ الأخ عبد الباسط يأكل بهما بسهولة وهو يمسكهما بصفة خاصة . أما أنا فلم يكن عندى استعداد لأتمرن في ذلك الوقت فطلبت شوكة وملعقة وأكلت كعادتى . وأما زميلى الدكتور فحاول أن يحوز قصب السبق فيصبح يابانيا في تلك اللحظة ولكنه سرعان ما انهزم ولحق بى فطلب الشوكة والملعقة .

*** لطف المعامـــــلة :**

وفي هذا المطعم سمعنا تلك الكلمة العاطفية التى يعبر بها اليابانيون لمن يخاطبهم أو يطلب منهم شيئا ويهزون معها رؤسهم تعبيرا عن استعدادهم لخدمتك أو سماع كلامك أو غير ذلك . والكلمة هكذا : « هي » بفتح الهاء وسكون الياء ، وأنها تعنى طيب ، أو مرحبا ، أو أبشر عندنا ، فكنا اذا طلبنا شيئا قال القريب منا : هى وطلب من زميله القيام به فأجابه : هى ، وهكذا فانك تسمع هذه الكلمة باستمرار : هى ، هى ، هى ، في كل مكان .

وبعد الغداء ودعنا الأخ عبد الباسط وصعدنا الى الغرفة لنرتاح .

*** نحن أولى بالدعوة الى الله :**

كنا في فنادق الغرب نجد كتاب الانجيل في كل فندق أما في فنادق اليابان فيوجد الانجيل ومعه كتاب بوذا المقدس عندهم .

وقد علقت على ذلك فقلت : لم ننزل في فندق في البلدان التى زرناها الا وجدنا فيه الانجيل وفي اليابان والبلاد المجاورة في شرق آسيا أضيف اليه كتاب بوذا ، ونحن عندنا لا يوجد المصحف في الفنادق في بلاد المسلمين ، وقد يقال : أن وجود المصحف في الفنادق قد يعرضه للمس الكفار له واهانته ، ولكن هذا لا يرد في فنادق مكة والمدينة التى لا يدخلها الا المسلمون ، واعترافا بالفضل فانى وجدت في فترة من الفترات المصاحف في فندق شبرا بمكة ، لأن به موظفين صالحين ، ولا أدرى ان كان ذلك لا يزال مستمرا أم لا ؟

وفي الفنادق الأخرى التى في غير مكة والمدينة يمكن أن يعطى المسلم مصحفا ويترك غير المسلم ، بل يمكن أن يوضع فيها ترجمة معانى القرآن الكريم ليقرأها غير المسلم فتكون حجة عليه ودعوة الى الاسلام بل يمكن أن توضع بعض الكتب الاسلامية المفيدة .

ولكن مع الأسف الشديد نرى الامم الأخرى التى دينها باطل وهى لا تقيم له وزنا ولكنها تحاول اظهار الاعتزاز به .

والأمة الاسلامية التى دينها وحده هو الحق تتهرب من الدعوة اليه واظهاره بمظهر المنقذ للبشرية ، ولكن فاقد الشيء لا يعطيه ، فكثير من الذين يتولون شؤون الفنادق بعيدون عن هذه المعانى وان كان يوجد من فيه خير كثير ولعله كان غافلا فيوقظه هذا التنبيه ۰

بل اننى أقترح على الخطوط الجوية العربية كلها وأخص منها « السعودية » أن يكون في طائراتها بعض الكتب الاسلامية المفيدة مثل ترجمة معانى القرآن الكريم والمصحف نفسه ويعطى للمسلم ، وغيرها لتكون دعوة لغير المسلم وتذكيرا للمسلم ۰

ولقد سرنى وجود تسجيلات في بعض الطائرات السعودية للقرآن الكريم (١) ، وأرى أنه ينبغى تسجيل ترجمة معانى القرآن وبعض الكتب المترجمة الى اللغة الانجليزية أو الفرنسية أو الأردية ليستفيد منها غير العرب ولعل هذه الاقتراحات تجد أذنا صاغية ، وأجهزة منفذة ، لأنها من وسائل الدعوة الى هذا الدين ۰

وفي المساء جاء الينا الأخ عبد الباسط السباعى في غرفتنا وشرح لنا نشاط الجمعيات الاسلامية الموجودة في اليابان وخيرنا في برنامج الزيارة أنقتصر على زيارة الجماعات الموجودة في طوكيو أم نزور بعض الجمعيات في خارجها ، وكنا نرغب أن نزور بعض الجمعيات خارج العاصمة مع الجمعيات ـ الموجودة فيها ولكن بعد تشاور بينى وبين زميلى فضلنا الاقتصار على زيارة الجمعيات الموجودة في طوكيو فقط لضيق الوقت ۰

* ليس هذا هو المنهج في الدعوة :

وفي يوم الأربعاء الموافق ١٣٩٨/٨/٢١ هـ بعث لنا الدكتور السباعى أحد العاملين في المركز اصطحبنا الى المركز حيث تم الاجتماع ببعض أعضاء الجمعية الخيرية الاسلامية التى يرأسها **محمد سوادة** اليابانى وكان موجوداً في الاجتماع ۰ وبعد أن تم التعارف بيننا بدأ رئيس الجمعية يشرح لنا ما تريد أن تقوم به في المستقبل من النشاط الاسلامى ، كبناء جامع كبير وانشاء كلية اسلامية وغير ذلك ، ولكن طلبت منه أن يجيب على بعض الأسئلة والاستفسارات فوافق ۰

---

(١) ولكنه عمل صالح خلط بعمل سيء ۰ وهو الأغانى المسجلة والموسيقى التى تجد إقبالا من الركاب أكثر من إقبالهم على القرآن الكريم ۰

فسألته : كم عدد أعضاء جمعيتكم ؟ فقال : عشرة آلاف شخص قلت في مدة كم تم اسلام هؤلاء ؟ قال : في مدة ثلاث سنوات • قلت متى أسلمت أنت ؟ قال : منذ أربع سنوات • قلت : إن دخول الناس أفواجا في دين الاسلام أمر عادى ولكن هذه الأعداد الضخمة في خلال ثلاث سنوات وأنت لم يمض على اسلامك الا سنة واحدة من وقت دعوتك لهؤلاء فهل فهمت أنت الاسلام فهما صحيحا وأفهمت هؤلاء الناس كذلك ؟ •

فقال : أما أنا فقد قرأت عن الاسلام قبل أن أدخل فيه واتصلت ببعض أعضاء جمعية مسلمى اليابان ، وقابلت عمر ميتا مترجم معانى القرآن الكريم •

كما تعرفت على الاستاذ صالح السامرائى وأعطانى شريطا مسجلا عن الصلاة وأبديت بعد ذلك رغبتى في الاسلام فشجعنى الأخ صالح على الدخول فيه ، وأما جماعتى فكنت أدعوهم الى الاسلام وأطلب منهم أن ينطقوا بالشهادتين فقط ولا الزمهم بشىء غيرها •

قلت له : وهل لا زلت تتابعهم جميعا الى الآن ، ولا زالوا جميعا مسلمين ؟ قال : لم استطع أن أتابعهم وكثير منهم ترك الاسلام •

ثم علقت على الموضوع ، فقلت : الواجب في الدعوة الى الاسلام اتباع منهج الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو أن يكون الداعى نفسه عالما بالاسلام مطبقا لما علم ، وأن يدعو الناس الى الشهادتين ويفهمهم معناهما ثم يشرح لهم مبادئ الإسلام ويطلب منهم الالتزام بها ، ووجود قليل من الناس يفهمون الإسلام فهما جيدا ويطبقونه خير من الأعداد الكبيرة بدون ذلك •

كما يجب أن يكون الهدف رضا الله تعالى ، لارئاسة ولا مغنما دنيويا والمشروعات الإسلامية بعد ذلك سهلة اذ وجد الرجال ، فانهم سيقومون بها هم •

فاعترف الرجل بأن أسلوبه في إسلام هؤلاء الناس كان خطأ ولذلك لم يبقوا على الإسلام كلهم ، كما وعد بأنه سيسلك السبيل الذى أشرت به •

رافقنا بعد ذلك الأخ على الزعبى السورى ، أحد العاملين في المركز فركبنا في القطار ونزلنا في المحطة الرئيسية لشركة ذلك القطار ، وهى على قرب من الفندق الذى نزلنا به ، وهذه المحطة تتكون من خمسة طوابق تحت الأرض وذكر الأخ على أن ثلاثة ملايين نسمة تنطلق من هذه المحطة يوميا الى أعمالها ، بخلاف المحطات الأخرى ، ولا غرابة في ذلك فسكان مدينة طوكيو يبلغ عددهم ثلاثة عشر مليون نسمة •

*** أمم تحت الأرض :**

وهنا رأينا الناس مثل النمل كثرة ونظاما على الرغم من أنهم يمشون في كل اتجاه ، وهم يتعاملون في التعرف على اتجاهاتهم مع اللافتات الارشادية التى كتبت على الجدران ، فترى الفرد أو الجماعة يقفون لحظة لينظروا الى الكتابة ثم ينطلقون بسرعة الى الجهة التى يريدون دون أن يسأل أحد أحدا ودون أن تسمع منهم أصواتا وضجيجا ، بل اذا كلم أحد صاحبه كلمه بصوت خافت لا يسمعه الا صاحبه ، ويتعاملون في الاجراءات اللازمة لركوب القطار مع الالآت المركبة في الجدران ، فالذى عنده قروش معدنية يقف أمام الماكينة ويدخل المبلغ اللازم في الماكينة ويضغط على الزر فتناوله الماكينة البطاقة ذات القيمة ، واذا كان المبلغ النقدى أكثر من قيمة البطاقة دفعت له الباقى ٠

*** الآلة تبيعك ما تحتاج اليه :**

واذا كانت عنده أوراق نقدية ذهب الى آلة أخرى ليدخل المبلغ الورقى فتصرف له الآلة ذلك وتدفع له قيمته نقدا معدنيا يدا بيد وهكذا أصبحت الآلة تتعامل مع الناس بسرعة ودقة متناهية يسرت الأمور ، وحالت بينهم وبين التعقيدات الناتجة عن معاملة بعضهم مع بعض وان كانت عطلت أيدى البشر عن العمل فكانت بسبب ذلك الشكوى العالمية من البطالة ٠

ونزلنا الى الأسواق الأرضية فوجدنا اليابانيين فيها ، كأنهم قطع من يأجوج وماجوج ، وهكذا كلما نزلت الى طابق من الطوابق الأرضية وجدتهم فيه أكثر من الطوابق الأعلى منه ، وهكذا تمتد الأسواق في مدينة طوكيو في طوابق متعددة في الأرض الى مسافات لو أراد الانسان أن يمشى حتى يقطعها لاحتاج الى الزاد والراحلة ، لولا الآلات التى يمكنه أن يناولها نقوده فتناوله طعامه وشرابه في أى مكان وانك لتظن في كل طابق أنه يضم كل سكان طوكيو ٠

وتجولنا في أحد فروع بعض الشركات الذى يتكون من سبعة طوابق فوق الأرض وعدد من الطوابق الأرضية وفيه من البضائع ما يحتاجه الانسان الكبير والصغير الرجل والمرأة من لباس وأثاث وآلات مختلفة ، في كل طابق تجد صنفا من الأصناف وفي كل صنف أنواع وأشكال ٠

وفي صباح يوم الخميس الموافق ١٣٩٨/٨/٢٢ هـ ٠ تجولنا أيضا في بعض الأسواق يرافقنا الأخ على الزعبى ، والأخ عباس نبيل السورى الذى تخرج في الجامعة الإسلامية ، وهو مبعوث دار الإفتاء هناك ، يقوم بالدعوة والتدريس في بعض الجمعيات الإسلامية والمركز الإسلامى ٠

* **مع بعض أعضاء المؤتمر الإسلامى :**

وبعد الساعة السادسة مساء كنا على موعد مع بعض أعضاء المؤتمر الإسلامى التى يرأسها الدكتور شوقى فتاكى ، وهو طبيب له عيادات متخصصة والعاملون معه أغلبهم أطباء ، وكانوا مجتمعين في قاعة كبيرة يتلقون درسا من أحد خريجى الأزهر في اللغة العربية ، وعندما وصلنا طلب منا القاء كلمة في الحاضرين ، وكانوا رجالا ونساء ٠

فألقيت فيهم كلمة تضمنت بيان القاعدة الأساسية للإسلام وهى شهادة أنْ لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠ وخلاصة لما تضمنتاه من عبودية مطلقة لله تعالى وإتباع كامل لرسوله صلى الله عليه وسلم ، وكان من ضمن الحاضرين السكرتير الخاص لرئيس الجمعية ، وكان الحاضرون كلهم يظهر عليهم التفاعل مع الكلمة على رغم أنها تترجم مرتين مرة باللغة الانجليزية وأخرى باليابانية ، إلا أن السكرتير المذكور لم يكن كغيره منسجما مع الدرس ، ولذلك ناول الأخ عباس نبيل ورقة صغيره يشعره فيها بقرب انتهاء الوقت ، وكان الأخ عباس هو المترجم باللغة الانجليزية ٠ وعندما شعرت بذلك اختصرت الكلام وختمته بنصيحة وجهتها للنساء اللاتى كن مسلمات عدا واحدة فهى بوذية ، وكن غير محتشمات في لباسهن فطلبت منهن أن يقتدين بنساء الرسول صلى الله عليه وسلم ونساء أصحابه ولا يقلدن نساء الغرب اللاتى خرجن عن الفطرة فذقن عذاب الدنيا قبل الآخرة ٠

وهناك شكوك في بعض الجمعيات الإسلامية الحديثة في اليابان بسبب ظهورها بعد أزمة البترول ومحاولات تلك الجمعيات الحصول على مساعدات مادية وعدم الاهتمام الحقيقى بتطبيق الأوامر الإسلامية ٠

وقد سبق الحديث عن الجمعية الخيرية التى ذكر رئيسها أن عشرة آلاف شخص دخلوا خلال ثلاث سنوات ، وأنهم لا يحصل منهم الا مجرد النطق بالشهادتين وكنت أود أن أحصل على وقت التقى فيه بالدكتور شوقى لأسأله مباشرة عن بعض الأمور المتعلقة بجمعيته ولكن لما لم يرتب لقاء معه لم أطلب أنا ذلك ، ونسأل الله أن يكونوا مسلمين حقا ولكن المبالغات كثيرة في أعداد المسلمين وفي النشاط الإسلامى ينبغى التريث في تصديق ما يقال ٠

هذا مع العلم أن فطرة اليابانيين وأخلاقهم أقل انحرافا من أهل أوربا وأمريكا فيما يبدو ، وذكر لى الإخوة الذين التقيت بهم في المركز الإسلامى أن تعاليم كتاب بوذا الذى يدين به أغلب اليابانيين فيه من الدعوة الى المبادئ ـ الخلقية ما يجعل اليابانى أقرب من المسيحى والوثنى الذى لا توجد تلك المبادئ في تعاليمه الى الإسلام ٠ بل قال الأخ على

الزعبى : ان اليابانى لا تنقصه الا شهادة أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله وكنت قلت له حينئذ · هذه مبالغة ، ولكن مع ذلك فأنا مقتنع بأنه لو وجد الدعاة المخلصون والمدارس الإسلامية لأبناء المسلمين وإمدادهم بالمدرسين الصالحين والكتاب الإسلامى المترجم بلغة اليابان لكانوا أقرب الناس الى الدخول في الإسلام ·

وللمركز الإسلامى جهود طيبة في ترجمة بعض الكتب الإسلامية وطبعها ونشرها ولكن الامكانات تحد من نشاط المسئولين عنه وقد طلبوا منى أن أبلغ المؤسسات الإسلامية في المملكة العربية عن حاجتهم الى المساعدة لطبع بعض الكتب الإسلامية التى ترجمت الى لغة اليابان ونشرها لتعم الفائدة كما زودونى ببعض تلك الكتب الصغيرة التى تم تسليمها للجامعة الإسلامية لينظر المسئولون في امكان طبعها ·

وطبيعة اليابانيين الهادئة ومعاملاتهم الحسنة وتواضعهم وانصاتهم للحديث وكونهم أقل من الغربيين انحلالا كل ذلك من عوامل قبولهم للاسلام بالاضافة الى أصالة تدينهم ـ العاطفى · فى الجملة ·

ولعلى أعود لهذا الموضوع مرة أخرى في مناسبة تالية باذن الله ·

* فروسية الانسان وغرائب الحيوان :

وفي مساء هذا اليوم شاهدنا على شاشة التليفزيون ـ اليابانى عجائب من التدريبات : فروسية ركوب الخيل التى كانت حركات الركاب ـ رجالا ونساء ـ عجيبة جدا ، وحيث كان الراكب يقف على جواده ويتجه الى الامام والخلف بسرعة فائقة وينزل فيلتصق ببطن الجواد ، أو يقف في الأرض ثم يقفز على ظهره بسرعة كذلك ·

كما رأينا حيوانا ، يشبه الدب ، وهو يسوق الدراجة مرة ، والسيارة مرة أخرى ويصعد على السلالم ماشيا على رجليه فقط رافعا يديه ، وينزل كذلك ، ويرفع يده تحية للحاضرين ، ويبارى سائسه فيقفز كل منهما على ظهر الآخر بسرعة وبحركات عجيبة ·

* في مسجد طوكيو :

ودعنا أعضاء جمعية المؤتمر الإسلامى وذهبنا الى مسجد طوكيو ، اذ كنا على موعد مع الأخ عبد الباسط السباعى لنصلى في المسجد صلاة العشاء ثم نعود الى الفندق ، وعندما وصلنا الى المسجد قال الأخ عبد الباسط للأخ عباس نبيل الذى رافقنا الى مقر جمعية المؤتمر الإسلامى : أما كنا على موعد مع جمعية مسلمي اليابان في الساعة السادسة مساء ؟ قال الأخ

عباس الذى أعلم أن هذا الوقت كنا فيه على موعد مع جمعية المؤتمر الإسلامى وكنا عندهم فعلا والظاهر أن سوء فهم حصل في الموعدين بين الأخ السباعى والأخ عباس ونحن لا نعلم عن ذلك شيئا • فقال الأخ السباعى : إنهم لا زالوا في انتظاركم •

*** مع جمعية مسلمى اليابان :**

صلينا العشاء جماعة في المسجد المذكور وذهبنا الى مقر جمعية مسلمى اليابان ، وجدناهم ينتظروننا في غرفة مستطيلة في منزل أحد الأعضاء فيما يبدو فيها وثائق الجمعية وبها تتم اجتماعاتهم •

وبعد التعارف وتقديم بعض الفواكه وشرب الشاى بدأ النقاش فيما يتعلق بجمعيتهم وأهدافها ووسائلها المتاحة فعرفنا بأنها من أقدم الجمعيات الإسلامية في اليابان ، اذ أسست منذ ست وعشرين سنة ، ومن أهم أهدافها : الحفاظ على بقاء الأعضاء أقوياء في ايمانهم وتعليم أبنائهم مبادئ الدين الإسلامى واللغة العربية •

وتمتاز الجمعية بالتريث في الأمور وعدم الطمع في كثرة عدد المسلمين بدون فقه في الدين والتزام بمبادئه ، فلا يدخل في الإسلام الا من اقتنع بأنه حق ورغب رغبة قوية في الدخول فيه •

كما أن لدى أعضائها كفاءات اسلامية لا توجد عند غيرهم من الجمعيات التى عرفناها فعدد من الأعضاء تخرجوا في جامعات عربية ومعلوماتهم قوية • فمنهم من تخرج من جامعة الأزهر ومنهم من تخرج من جامعة القاهرة ، وبعضهم تخرج من جامعة دمشق ، وبعضهم درس مدة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ولم يواصل دراسته ولكنه يعتبر نافعا نسبيا •

وهم ذوو أعمال في الشركات ، ولكنهم يخصصون بعض الأوقات لتدريس أعضاء الجمعية وأبنائهم • ويساعدهم الآن في تدريس اللغة العربية الأخ عباس نبيل ، ولرغبتهم في المزيد من المتعلمين في المعاهد الإسلامية فقد تقدموا بطلب منح من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وذكروا أن الجامعة وافقت على منحتين وهم يطلبون المزيد ، وكان المرشحون للمنح المذكورة حاضرين في الاجتماع وكلهم ذوو تخصصات مهمة في العلوم ، ومنهم من هو في جامعة علمية ، ولكنهم لشدة رغبتهم في دراسة الإسلام يفضلون ترك أعمالهم والسفر الى المدينة المنورة مع علمهم أنهم سيقضون مدة ليست بالقصيرة في تعلم اللغة العربية •

ولدى الجمعية استعداد لتوسيع نشاطها لو توافرت لها الامكانات اللازمة ، فهم في حاجة الى بناء مقر لهم يحتوى على بعض المكاتب الادارية وقاعة اجتماعات ، وفصول دراسية ومسجد كما أنهم في حاجة الى وسائل نقل للدعاة ، ومكتبة للمطالعة وهذا تقريرهم الذى قدموه للسفير السعودى في اليابان الذى كنا نود زيارته لنؤكد رغبتهم ونطلب محاولة تحقيقها لما لمسناه فيهم من الصدق والاخلاص ، ولكن السفير كان غائبا ٠

ولذلك فانى أناشد الجامعات السعودية وفي طليعتها الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض وكذلك المؤسسات المسئولة عن الدعوة والمساعدات الإسلامية أن تمد يد العون لهذه الجمعية وأمثالها ٠

ومن أهم ما يجب أن تعان به العالم الذى يساعدهم في الدعوة والتدريس (١) ٠

ويجدر بى أن أنقل للقارىء نبذة عن الإسلام والمسلمين في اليابان من كتيب أصدره المركز الإسلامي في طوكيو وفيها تعريف بالمركز نفسه ٠

*** « الإسلام والمسلمون في اليابان »**
نبذة تاريخية :

مانعمت اليابان بنور الاسلام الا بعد ثلاثة عشر قرنا من بدء البعثة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام في الوقت الذى وصل فيه الاسلام الى الصين بعد عشرات ـ السنين من الهجرة ففى أواخر القرن الماضى أسلم أول يابانى وهو المرحوم أحمد اريجا ، وكان مسيحيا كما أدى أول يابانى فريضة الحج عام ١٩٠٩ م وهو الحاج عمر ياماوكا ٠

ومنذ أوائل هذا القرن جرت محاولات عديدة لادخال الاسلام الى اليابان (الداعية المصرى على أحمد . الجرجاوى وآخرون عام ١٩٠٧ م عبد الرشيد ابراهيم مفتى مسلمى روسيا ١٩٠٩ م ، وجماعة التبليغ منذ عام ١٩٥٦ م) الا أن المحاولات الحقيقية بدأت منذ عام ١٩٦٠ م ٠

ففى عام ١٩٥٢ م أسس عدد من المسلمين اليابانيين الذين اهتدوا الى الاسلام قبل وأثناء

---

(١) انظر الملحق الثالث ٠

الحرب العالمية الثانية أثناء وجودهم في الصين والملايو وأندونيسيا أول جمعية لهم وأسموها جمعية مسلمي اليابان ٠

وفي عام ١٩٦١ م تشكلت أول جمعية للطلبة المسلمين وضمت الطلاب القادمين من مختلف البلدان الاسلامية للدراسة في اليابان وقد كونت جمعية الطلبة المسلمين وجمعية مسلمي اليابان أول مجلس مشترك للدعوة في اليابان هو المجلس الاسلامى المشترك الذى ضم ممثلين من جمعية مسلمي اليابان وجمعية الطلبة المسلمين وظل جهاز الدعوة هذا يخطط لنشر الاسلام في اليابان حتى عام ١٩٦٦ م فنشر رسائل عديدة عن الاسلام وأصدر جريدة اسلامية وقام بالدعوة ، ونظم دروسا تربوية عملية للشباب المسلم اليابانى وغير اليابانى وا بتعث العديد من الشباب اليابانى للدراسة في البلاد الاسلامية وفي أوائل ١٩٦٦ م طور المجلس نفسه وضم ممثلين عن الجمعيات الاسلامية الأخرى مثل الجمعية التركية وجمعية الطلبة الأندونيسيين وأطلق على نفسه المركز الاسلامى الدولى ونشط هذا المركز لمدة قصيرة اعتراه الضعف بعدها نظرا لعودة أكثر الطلبة النشطين الى بلادهم بعد انتهاء الدراسة فأصاب العمل الاسلامى في اليابان انحسار شديد ٠

وفي أوائل السبعينات جرت محاولات لإحياء المركز الاسلامى مرة أخرى فتعاون الداعية الباكستانى سيد محمد جميل مع جمعية الطلبة المسلمين وأسس مركزا للدعوة سرعان ما تقلص نظرا للظروف السياسية التى سادت باكستان في ذلك الوقت ، ولنقص الدعم المادى ٠

وفي أواخر عام ١٩٧٣ م عاد بعض الخريجين ممن كان يعمل في جمعية الطلبة المسلمين مرة ثانية لليابان بناء على الطلب الذى تقدمت به الجمعية لجلالة المرحوم الملك فيصل بن عبد العزيز ا بان زيارته لليابان للعمل على تنشيط الدعوة الاسلامية في اليابان فقام هؤلاء بالتعاون مع المهتمين بالدعوة من المسلمين اليابانيين وغير اليابانيين بانشاء المركز الاسلامى في اليابان كصيغة جديدة للمركز الاسلامى الدولى ٠

وفي أوائل عام ١٩٧٥ م بدأ النشاط الفعلى للمركز الاسلامى بافتتاح أول مقر صغير له بالقرب من مسجد طوكيو لينطلق من هناك بفضل الله تعالى العمل للدعوة الاسلامية مرة أخرى بقوة متجددة ٠

* تعريف بالمركز الاسلامى في اليابان :

المركز الاسلامى عبارة عن هيئة مستقلة للدعوة الاسلامية تهدف الى نشر دعوة الاسلام في اليابان عن طريق نشر الكتاب الاسلامى باللغة اليابانية في مختلف الموضوعات لتعميم كلمة ـ الاسلام المقروءة في كافة أنحاء اليابان وارساء قواعد الدعوة عن طريق اللقاء المباشر مع اليابانيين إما بادارة مناقشات أو اقامة محاضرات ، ومؤتمرات وتعليم اللغة العربية وتدريب المسلمين الجدد وجمع كلمة المسلمين .

* أهداف المركز :

يهدف المركز الى نشر الدعوة الاسلامية في مختلف أنحاء اليابان وتعريف اليابانيين بالاسلام من مصادره الأصلية وخاصة أن ما كتب عن الاسلام حتى الآن في اليابان من مصادر غربية مشوهة ولندرة المعلمين باللغة العربية من اليابانيين ولذلك وضع المركز نصب عينيه هدفين رئيسيين : هما ـ الدعوة المباشرة باللقاء والكلمة والمناقشة والحكمة والموعظة الحسنة وبنشر الكتاب الاسلامى المترجم من المصادر الاسلامية الأصلية باللغة اليابانية ليكون في متناول الجميع وتوزيعه بالمجان ..

* تمويل المركز :

يتم تمويل المركز عن طريق التبرعات والهبات من الحكومات الاسلامية والهيئات والمؤسسات والأفراد من مختلف البلاد الاسلامية .

وتجدر الاشارة هنا بأن رابطة العالم الاسلامى تقوم بدعم المركز بخمسين ألف دولار سنويا ، كما تلقى المركز تبرعات وهبات دفعة واحدة من حكومة المملكة العربية السعودية ودولة الامارات العربية المتحدة وقد استطاع المركز بعد أن تلقى هذه المساعدات أن يشترى مقرا صغيرا له في مدينة طوكيو حتى يتسنى له تسجيل المركز كاحدى الهيئات الدينية في اليابان والعمل جار في هذا الصدد منذ عامين وهو على وشك الانتهاء بإذن الله .

* مشروعات المركز :

١ ـ انشاء مقار ثابتة ومساجد صغيرة في مختلف المناطق خارج طوكيو حيث توجد تجمعات اسلامية بحيث تكون أماكن تجمع المسلمين ومراكز العمل والدعوة وهناك الآن احدى عشرة منطقة وضعت في الاعتبار ولقد بدأ العمل بانشاء ثلاثة مراكز في مدينة سنداى في شمال

اليابان ومدينة توكشيمافى جزيرة شيكوكو وأخرى في مدينة كيوتو عاصمة اليابان القديمة

٢ ـ انشاء معهد للدراسات الاسلامية يشتمل على مدرسة ابتدائية واعدادية وثانوية ومعهد عال للدراسات الاسلامية واعداد الدعاة ·

٣ ـ زيادة عدد الدعاة والمتفرغين للعمل الاسلامي من اليابانيين والأجانب في مختلف أنحاء اليابان

٤ ـ توسيع دائرة توزيع الكتاب الاسلامى في اليابان ·

٥ ـ تنفيذ مخطط سنوى لنشر الكتاب الاسلامى بمختلف تخصصاته ·

٦ ـ انشاء مسجد ومركز طوكيو الاسلامى الجديد ليفى بحاجة المسلمين والنشاط الاسلامى المتزايد في اليابان ·

٧ ـ انشاء دار نشر الكتاب الاسلامى بما فيها مطبعتها نظرا للحاجة الملحة لوجود دار نشر متخصصة في هذا المجال ····

* * *

هذا المركز ، وأشباهه من المراكز الاسلامية النشطة المهتمة بالدعوة الى الله بسبل ناجحة واضحة ، كنشر الكتاب المترجم بلغة القوم المدعوين والمدرسة ، والمسجد ، والدعاة المتفرغين ، يجب أن يدعم من قبل المؤسسات الاسلامية من جامعات وادارات دعوة ، وكذلك الحكومات الاسلامية وهذا من أفضل الأعمال التى يريد المسلم أن يقدمها لربه وعلى من لم يغز أن يجهز الغزاة ليدلل على إسلامه وقصده رفع كلمة الله تعالى وراية الاسلام ·

والأخوة العاملون في هذا المركز جادون في عملهم حسب استطاعتهم والأخ عبد الباسط السباعى يجيد اللغة اليابانية كاليابانيين ، لأنه مكث في اليابان مدة طويلة ، وحصل على المؤهلات العلمية من هناك وثقافته الاسلامية جيدة ، وكذلك زملاؤه الآخرون ، كالأخ على الزعبى ، وينبغى أن يستفاد منهم بترجمة الكتب النافعة المفيدة لتطبع وتنشر في اليابان ، **وانما نقلت ما سبق وعلقت عليه هذه التعليقات اليسيرة لاقامة الحجة على من يريد أن يسهم في الدعوة الى الله في اليابان ·**

*** معقل مفتوح :**

وهناك مجال آخر مهم لنشر الاسلام والدعوة الى الله وفرصة يعتبر تفويتها من الخسائر التى يتحمل المسلمون اثمها فقد تمت الموافقة على انشاء كرسى للدراسات الاسلامية في جامعة تشو أو معهد القانون المقارن ، والمسئولون في المعهد المذكور يطلبون مندوبين من الاساتذة

المسلمين المتخصصين ليقوموا في السنة الأولى بتدريس أساتذة الجامعة وفي السنة الثانية يدرس الأساتذة المسلمون والأساتذة اليابانيون الذين تلقوا الدراسة في السنة الأولى الطلبة وفي السنة الثالثة يفتح قسم لتدريس الشريعة الاسلامية في الجامعة .

وانى لعلى ثقة - والله أعلم بالغيب - أنه اذا وجد الاساتذة المختصون الدعاة الى الله الذين سلوكهم يدعو الناس قبل كلامهم أن كثيرا من أساتذة هذه الكلية سيصبحون مسلمين وسيكون من الطلبة كذلك مسلمون .

وهل ترى معقلا يجب الاهتمام به كهذا المعقل ؟

وأرى من الواجب أن تسبق المؤسسات المستقيمة الى هذا المجال قبل أن ينذب من مؤسسات أخرى من يسىء الى الاسلام والمسلمين وينفر اليابانيين من الاسلام إما بسلوكه وإما بفكره ، اللهم فاشهد .

ولا يفوتنى أن أنبه هنا - مرة أخرى - على أن رواتب المنتدبين للدعوة من المملكة الى الدول الغربية واليابان لا تكفيهم لغلاء المعيشة هناك ، وخاصة في اليابان ، فقد شكا الأخ عباس نبيل كما شكا زملاؤه في أمريكا ، ولعل هذا التنبيه يجد من ينتبه ويعيد النظر في الموضوع فانه جدير بذلك .

*** عمل بدون جعجعة :**

هذا ، ويمتاز اليابانيون بحسن المعاملة واللطف واتقان العمل الجاد الصامت الهادىء .
وقد أخبرنى الأخ على الزعبى **أن كثيرا من العاملين في الشركات يؤدون للشركات أوقات أطول من الوقت المطلوب منهم ، فقد يبقى العامل اثنتى عشرة ساعة في عمله ، والمطلوب منه ثمانى ساعات فقط وبدون مقابل ، من أجل اتقان عمله أو محاولة تطوير آلة واكتشاف جديد .**

ولقد دهشت عندما سمعت هذا الكلام وتذكرت حالنا نحن المسلمين الذين يعتبر العمل عندنا عبادة اذا قصد به وجه الله ولو كان مباحا .

انك لتجد الموظف منا يفوت في أول النهار زمنا قد يطول وقد يقصر كما يفوت فرصا في العمل وهو قاعد على مكتبه أو في مصنعه - لاسيما اذا لم يكن عليه رقيب من البشر لعدم خوفه من رقابة الله - يشرب الشاى أو البارد ويمزح مع زملائه أو غيرهم **كما يفوت وقتا كذلك في آخر الدوام باختلاق الأعذار أو بالاندساس والاختفاء عن عين المسئول البشرى .**

وإذا ما أحكمت الرقابة رأيت كثيرا منا يتذمر من هذا التشديد ويشكو ويحاول أن يترك مؤسسة العمل المتشددة الى مؤسسة أخرى متراخية دون حياء من الله ولا أداء لواجب الأجر المادى فهل تستحق أمة يعمل كثير من أفرادها هذا العمل أن تتقدم في دنياها أو تفوز في أخراها ؟

ولعل هذه الصفة التى ذكرها الأخ على خاصة باليابانيين أما في الغرب فالذى سمعته هو الحرص الشديد من الجانبين العامل وصاحب العمل ألا يحصل أحدهما على شيء من الآخر دون مقابل ٠

ومن الأمور التى تلفت النظر أن ابتذال المرأة في اليابان أقل منه في الغرب فلباس المرأة اليابانية أحسن من لباس المرأة الغربية ، كما أن قلة الحياء في الغرب أكثر من ذلك في اليابان ، وان كان الشر موجودا فيهما جميعا ٠

ومن العادات الطيبة التى ذكر أنها موجودة هو أن المرأة اليابانية تخرج للعمل تقليدا للمرأة الغربية ، ولكنها اذا تزوجت لزمت بيتها وقامت بواجب زوجها وأسرتها وليتها تبقى على هذه العادة ولا تستمر في سلوك سبيل المرأة الغربية المعذبة ٠

وتمتاز شوارع طوكيو بكثرتها في اتجاه واحد ، اذ تجد الشارع العادى على الأرض وتجد تحته شوارع في بطن الأرض ، وهكذا تجد فوقه عدة شوارع من الجسور التى تكاد تقترب من سطوح بعض العمارات لكثرتها ٠

كما أن شوارعهم تمتاز بالجمال في تخطيطها الهندسى والمرورى ٠ وسبب كثرة الشوارع في داخل الأرض وفي أعلاها ضيق الأرض وكثرة السكان والسيارات وشوارع اليابان فوق ذلك تظهر أكثر نظافة من شوارع بعض المدن الأمريكية ٠

والحقيقة أن التناسق والجمال يبدوان على أعمال اليابانيين ولو كان في الوقت سعة للبقاء هناك لرأينا كثيرا مما يمكن أن يذكر على سبيل المثال ٠ ولكن هذا الانطباع هو الذى خرجت به ٠

وبعد أن انتهينا من الاجتماع الذى تم مع جمعية مسلمى اليابان عدنا الى الفندق ، وكان الوقت متأخرا ونحن على أهبة السفر صباحا ، وكان معنا الأخ عباس نبيل الذى وعدنا بأن يحضر بعد صلاة الفجر ليصحبنا الى المحطة التى يسمح للمودعين بالوصول اليها ، ولكن الرجل نام فلم نره الى الآن ٠

*** الى مطار طوكيو :**

استأجرنا سيارة لايصالنا الى المحطة المذكورة ، وكان خروجنا من الفندق الساعة الخامسة صباحا يوم الجمعة الموافق ٢٣ / ٨ / ١٣٩٨ هـ · وكنا في سيرنا نرى الشمس أمامنا تارة ووراءنا تارة أخرى ، وعن اليمين مرة وعن اليسار مرة أخرى لكثرة التواء الشوارع ·

وفي طريقنا حصل خطأ من بعض السائقين كاد سائق السيارة التى أمامنا أن يصطدم بسيارة المخطئ الذى كان أمامه ، وكاد سائقنا أيضا أن يصطدم بالسيارة التى أمامه ولشدة الضغط على الكابح (الفرملة) حصلت أصوات مزعجة من السيارة التى أمامنا ومن سيارتنا ، ولكن أيا من السائقين لم يضغط على البوق ، بل كانه لم يحصل شيء ، ولم يزد سائقنا أن التفت لنا وقال :

عفوا عن الازعاج الذى حصل ·

ولو حصل مثل هذا عندنا لنزل السائقون الثلاثة بعد أن يزعجوا الناس بالأبواق وعطلوا سير الناس بترك سياراتهم في الطريق وقضاء مدة طويلة في الخصام وربما في الخناق حتى يأتى جنود المرور لفك الارتباط بالوسيلة المناسبة ·

وحصل أمر آخر يدل على ثبات جأش اليابانيين وعدم تأثرهم السريع فقد كان سائقنا يسوق سيارته ، وكابحها اليدوى مربوط وهو لا يشعر وعندما وصلنا الى المحطة كان الدخان مرتفعا تكاد السيارة تحترق وكنا نظن ذلك بسبب ربط كابح الرجل عندما حصل الخطأ في الطريق ولم يزد السائق على أن قال لنا عندما رآنا نشفق على سيارته : لاتهتموا فالأمر سهل وأخبرنا بسببه ولو كان هذا السائق في بلادنا الشرقية لأخذ يصيح ويسب وربما طلب زيادة في الأجرة لاننا السبب فيما حصل ·

وبهذه المناسبة قص لى الزميل ما جرى بينه وبين سائق مصرى أوصله الى بيته في مصر يدل على مضمون هذا التعليق ·

دخلنا الى قاعة المحطة فلم نجد أحدا من الموظفين لان وقتهم لم يحن بعد ، فانتظرنا وقبل أن يحن الوقت بخمس دقائق أخذ كل موظف مكانه ·

وكان أهم مافي الأمر هو التفتيش الدقيق على الأثاث كله سواء ما يؤخذ باليد أو ما ينقل الى الطائرة لشدة خوف الأجهزة المسئولة من أعمال التخريب التى أحدثها اليابانيون الساخطون على جعل المطار في تلك المنطقة والذين يغذى فيهم روح التخريب الجيش الأحمر ·

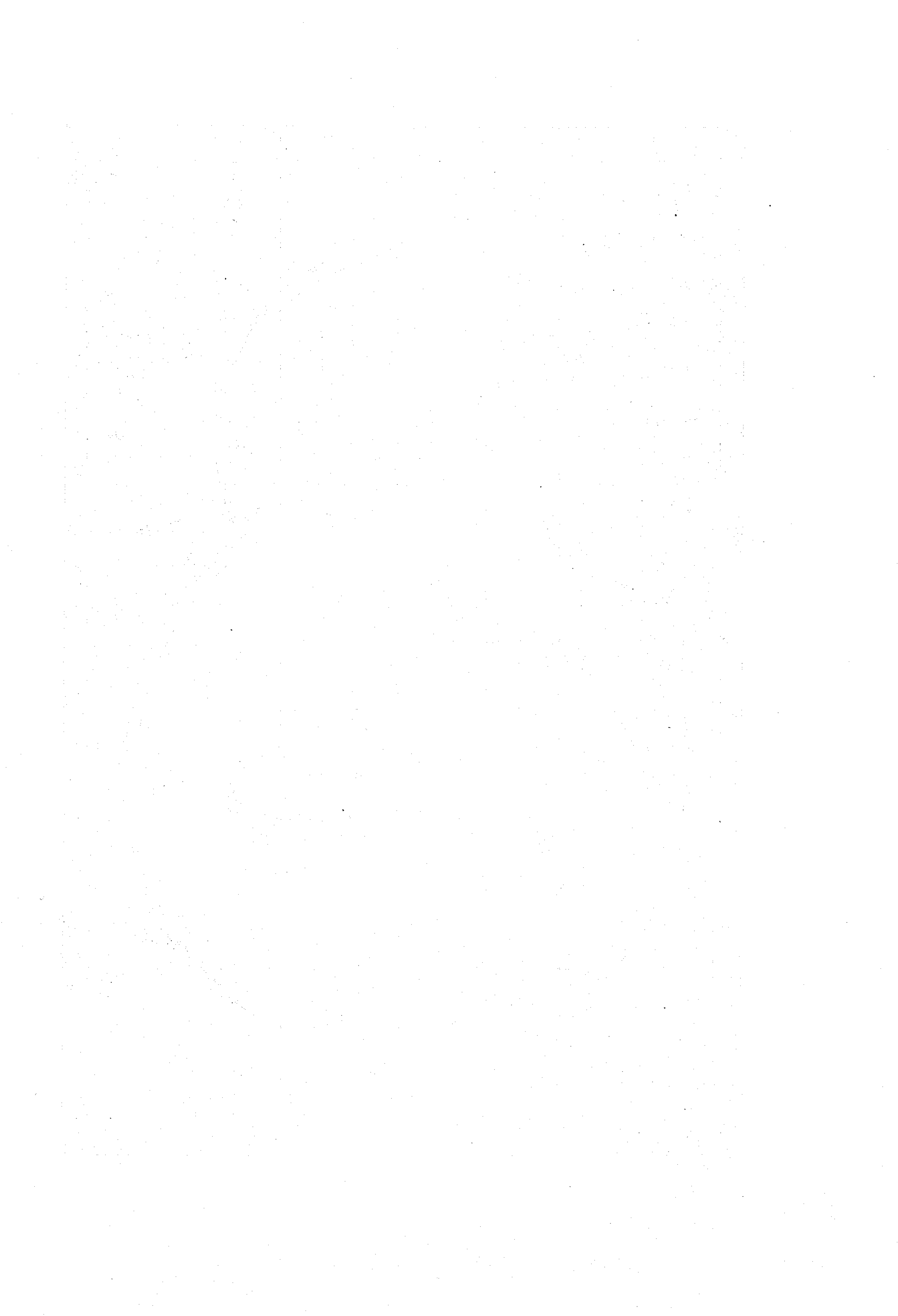
وبين فترة وأخرى تأتى الحافلات التى تنقل المسافرين مع أثاثهم بعد تفتيشه ونقله اليها ، تنقلهم الى المطار ، انتظرنا الى أن جاءت الحافلة التى عينت لنقلنا فذهبنا الى المطار ·

وبعد انهاء الاجراءات اللازمة انتظرنا في القاعة الى أن حان موعد اقلاع الطائرة ، وهى يابانية ، فدخلنا وكان اقلاعها في الساعة العاشرة صباحا الى هنغ كنغ ، وكان السحاب كعادته معى يغطى المحيط الهادى في طرفه الغربى · ولكنه كان يعطينا بين وقت وآخر فرصة لنتمتع فيها بغيره ·

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ :

قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

«من سورة يونس»



البديع عند الحريري

فضيلة الدكتور: محمد بيلو أحمد أبوبكر
قسم البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من أوتى جوامع الكلم، وبعث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه وزوجاته أمهات المؤمنين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

الحريري :

هو أبو محمد القاسم بن على بن عثمان الحريرى البصرى، ولد (١) ونشأ ببلد قريب من البصرة وتتلمذ على كثير من علماء البصرة، وعرف بالذكاء والفطْنة والفصاحة وحسن العبارة ورزق الشهرة وذيوع السيرة في التأليف، وله مؤلفات كثيرة منها كتاب المقامات الذى سنتناول الحديث عن البديع من خلاله إن شاء الله.

ويحكى أنه كان دميما قبيح المنظر، فجاء شخص غريب يزوره ويأخذ عنه شيئا، فلما رآه استزرى شكله ففهم الحريرى ذلك منه، فأسره في نفسه، فلما التمس الرجل أن يملى عليه قال له الحريرى :

ما أنت أول سار غره قمر ورائد أعجبته خضرة الدمن
فاختر لنفسك غيرى إننى رجل مثل المعيدى فاسمع بى ولا ترنى

فخل الرجل منه وانصرف. والحريرى نسبة إلى صنعه وبيعه للحرير

---

(١) وكانت ولادته سنة ست وأربعين وأربعمائة، وتوفى سنة خمس أو ست عشرة وخمسمائة. راجع مقدمة الشريشى في شرح المقامات.

وجولتنا في « البديع عند الحريرى » تدور حول مقاماته المشهورة ، ومن هنا نجد أمامنا سؤالا هو : ما المقامة في اللغة العربية ، ثم ماذا يعنيه الحريرى بالمقامة ؟ اذا استشرنا كتب اللغة العربية فستقول لنا : المقامات : هى المجالس وواحدها مقامة ، والحديث يجتمع له ، ويجلس لاستماعه يسمى : مقامة ومجلساً ، لأن المستمعين للمتحدث ما بين قائم وجالس ولأن المتحدث يقوم ببعضه تارة ويجلس أخرى ٠ كما أن المقامة هى المجلس يقوم فيه الخطيب يحض على فعل الخير ٠

وهذه المقامات الحريرية هى عبارة عن قصص خيالية من بنات أفكاره ابتدعها وملأها بالحكايات التى نوعها وفرعها ووشاها بالملح ، وزينها بدرر الفقر الجميلة ، وأتى فيها بالمعنى الدقيق للفظ الرقيق ، حتى أصبحت تاجا على هامة الفن الأدبى في اللغة العربية في عصره ، وظهرت روضة غناء تحوم في سمائها نفوس عشاق ذلك الأدب ، إلا أن أيدى المطامع لا تصل إلى حماها ٠ وكانت في البراعة في قمة الشهرة في ذلك العصر ، وسارت مسير النيرين في الآفاق الأدبية ٠ مما جعل علماء عصره يهتمون بروايتها عن الشيوخ الثقاة ، ويقيدون فرائد ألفاظها عن تحقيق وتدقيق ، ودارت كتابات حولها لبيان غوامضها وشرح أغراضها ، أو للتحدث عنها بالانصاف بين انفصالها واعتراضها ، من ذلك تلك الرسالة التى كتبها الإمام أبو محمد عبد الله بن أحمد الخشاب في الاعتراض على الحريرى ٠ ثم قام ابن برى بالانتصار له ٠

كما اهتم العلماء الى جانب ذلك بشرح الأمثال الواردة فيها ونسبتها الى القائلين وغير ذلك ، لأنها اشتملت على كثير من بلاغات العرب ولغاتها وأمثالها وأسرار كلامها ، ومن عرفها معرفة تامة ، وقف على فضل الرجل في اللغة العربية وسعة اطلاعه ، وغزارة مادته ٠

هذا ولم يكن الحريرى أول من طرق هذا الباب فقد سبقه إليه بديع الزمان الهمدانى (١) ٠ الذى ألف أربعمائة مقامة ، وكانت لطيفة الاغراض والمقاصد ، إلا أن من بين هذه المقامات مالا تبلغ عشرة أسطار (٢) ٠

فجاءت مقامات الحريرى أحفل وأجزل ، فلتقدمه فضله الحريرى على نفسه (٣) ٠

---

(١) ..... هو أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمدانى . يقال إنه كان ظريف النثر مليح غرر النظم فقد كانت له عجائب وغرائب . وانه لم يلف نظيره في عصره في ذكان القريحة وسرعة الخاطر وصفاء الذهن . وافاه الأجل بعد أربعين سنة من عمره عام ٣٩٣ هـ ٠

(٢) راجع الشريشى حـ ١ ص ١٤ ـ ١٥ ٠

(٣) راجع ذلك في مقدمة مقاماته ٠

وأشاد بعمله في أدب جم وتواضع بالغ ، مع علمه بفضل مقاماته على مقامات البديع ، لكنه تقدير اللاحق بالسابق · ومما يدل على فضل مقامات الحريرى أنها مذ ظهرت لم تستعمل مقامات البديع ، لهذا إذا دققت النظر تجد أن الحريرى لم يتجاهل فضل الله عليه ، فقد حصر فضل مقامات البديع على التقدم في الزمن حتى لا يبعد عن الحقيقة ، وهذا مذهب مستحسن حيث لم ير لنفسه فضلا على غيره ، بل جعل عمله مثل جرى الفرس الأعرج الذى لا يستطيع إذا اجتهد أن يلحق مشى الصحيح ·

والجانب الذى سندرسه للحريرى هو الجانب البديعى بالمعنى الاصطلاحى المتأخر تقريبا ، لا بالمعنى الواسع المتعارف لدى المتقدمين الأوائل ؛ لهذا يبدو أنه من المناسب أن نتناول معنى كلمة البديع وإن كان معناها معلوما عند أكثر قراء العربية ·

البـــــديع

إذا رجعنا الى الجانب اللغوى لهذه الكلمة فإننا سنجدها تدور حول الجديد والمخترع الحديث · فبدع الشىء يَبْدَعه بَدْعاً : أنشأه وبدأه ، وبَدَع الرَّكية : استنبطها وأحدثها · والبديع : المحدث العجيب ، وأبدعت الشىء : اخترعته لا على مثال سابق ، قال تعالى (بديع السموات والأرض) · أى خالقهما ومبدعهما ، فهو سبحانه وتعالى الخالق المبدع لا على مثال سابق ·

أما معناه في مصطلح علماء البديع أو البلاغة ، فقد عرفه الخطيب القزوينى بقوله : - هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلاله ، ومن هنا نتبين أن المناسبة ظاهرة بين المعنى اللغوى والمعنى الاصطلاحى ، لأن من شأن الجديد والمخترع الحديث أن يكون فيه حسن وطرافة وبهاء وروعة وإمتاع ، وهذا مما سوغ التسمية وقرب الصلة بين المعنيين · إلا أنه قد تفرع من القول بأن هذه الألوان محسنات ، تفرع من ذلك القول أنها ليست من مقومات البلاغة ولا الفصاحة ، فالحسن الذى تحدثه في الكلام عرضي لا ذاتى · هذا هو قول المتأخرين الذين فصلوا البديع من علمى البلاغة : المعانى والبيان ؛ إلا أن من رجال العصر الحاضر من له رأى غير هذا حول هذه الأصباغ البديعية ، إذا جاءت فطرية كما وجدت في الأدب العربى القديم ، واتفقت اتفاقا واطردت كما هى في كلامهم حيث تأتى عفو الخاطر وفيض الفطرة والسليقة ، من غير تكلف وإعمال فكر · فإن كانت بهذه الصورة فهو لا يرى أنها عرضية تابعة للبلاغة أو أنها لا تأثير لها في فن القول ؛ لأن الذين أخرجوا البديع من البلاغة اعتمدوا على التقسيمات البحتة ونظروا إلى ما

جاء منها مخالفا للفطرة والسليقة ، بل جاء بعد تفكر وتدبر وأعمال فكر وروية ٠ فهو يرجع بفن القول إلى أصله وميدانه وينظر إليه من زاوية الذوق والتأثير النفسى في المخاطب وبناء المعنى وعمقه ٠ فهى من هذا الجانب من مقومات البلاغة ؛ فمن أراد الوقوف على هذا يمكنه أن يرجع إلى كتاب الصبغ البديعى في اللغة العربية للدكتور أحمد ابراهيم موسى حيث قدم فيه دراسة متكاملة للبديع وخاصة في القسم الأخير من هذا الكتاب ٠

هذا وتناولنا لهذه الألوان البديعية لا يعنى أننا سنأخذها بتلك الصورة التقليدية المنهجية أو المدرسية ، فنعود بها إلى الترتيب المنطقى ، بل سنتناولها حسب ما نجدها واردة في الكتاب الذى نتناوله بالدراسة بعيدا عن تعقيد الأمور أو التكلف : ـ

المقابلة :

إذا أخذنا في تصفح الكتاب (المقامات) نجد الحريرى يورد هذا اللون البديعى في مقدمة خطبة المقامات مثل قوله : (ونعوذ بك من شِرَّة اللَّسَن ، وفضول الهَذَر ، كما نعوذ بك من مَعَرَّة اللَّكَن وفضوح الحصر).(١) ٠ فقد استعاذ منهما ؛ لأن الاقتدار على الكلام قد يؤدى إلى المطاولة في الجدل ، وتصوير الحق بصورة الباطل ، أو العكس ، وفي ذلك إثم على فاعله لهذا استعاذ منهما ثم قابل الاستعاذة الأولى بضدها ، وهى معرة اللكن وفضوح الحصر ٠ لأن صاحبها لا يحسن التعبير فيشين بذلك نفسه ويقصر عن المراد من أداء البيان وأورد الحصر إذ أن من تعتريه سيتوالى عليه الوهن والخجل فيفتضح ويشتهر عيبه بين الناس ، فالمقابلة ظاهرة بين شرَّةِ اللَّسَن وفضول الهذر وبين معرة اللكن وفضوح الحصر ٠ ويحسن هنا أن نلاحظ صنيعه في كون الكلمتين الأوليين انتهت كل واحدة منهما بالتاء ، في الوقت الذى انتهت التاليتان بالنون والأخيرتان بالراء ٠ كما دمج مع المقابلة الجناس الناقص بين اللسن واللكن وبين الفضول والفضوح ٠ وبنفس هذه البراعة البديعية نجد الحريرى يستمر ليقدم لنا في وقت واحد وخلال نسج مسجوع متوازن لونين أو أكثر ٠ انظر الى قوله في نفس المقدمة (ونستكفى بك الافتتان باطراء المادح وإغضاء المسامح ، كما نستكفى بك الانتصاب لإزراء القادح وهتك الفاضح ، ونستغفرك من سَوق الشهوات إلى سُوق الشُّبُهات) ٠ ففى هذه الجمل أتى بالمحسنات في أرقى العبارات ، منها السجع حيث نلاحظ انتهاء الكلمات التى قبل الفاصلة بالهمزة وهى : إطراء وإغضاء ، وإزراء ، ثم أتى بالفواصل الأخيرة بالحاء في توازن

---

(١) الشرة : القلق والانتشار ، ومنه أخذ معنى الشر ، ومنه شرر النار ٠ اللسن : حدة اللسان ٠ فضول : زوائد ـ الهذر : اكثار الكلام بغير فائدة ٠ المعرة : العيب والعار ـ اللكن : احتباس اللسان عند الكلام ٠ الحصر : العى وضيق الصدر ٠

بديع رائع ، وفي نفس الوقت قدم المقابلة بين إطراء المادح وإغضاء المسامح ، وإزراء القادح وهتك الفاضح . وأدرج خلال ذلك لونا ثالثا ، وهو الطباق مما لا يحتاج إلى تنبيه أو إشارة .

بل أردف ذلك بلون رابع ، وهو الاقتباس ، لأن في قوله : الإفتتان بإطراء المادح - إشارة إلى الحديث الشريف (عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، فإنما أنا عبد الله ورسوله ....) . وفي الجملة الأخيرة ألبس كلامه ثوب الكناية ، وذلك في قوله : (من سَوْق الشهوات إلى سوق المقامات الى سوق الشبهات) ؛ لأنه جعل ما ساقه من هذه المقامات كأنه شهوة اشتهى عملها ثم اشتبه عليه الأمر هل في ذلك رضا الله تعالى أم فيه سخطه . فكأنه ساق شهوة الى سوق يجهل التبايع فيها ، فلا يدرى ما سيكون ، فلعله خاسر الصفقة فيها . هذا ولا يخفى عليك ذلك التشبيه الضمنى الذى يفهم من تمثيل سوق المقامات إلى سَوق الشبهات . فهكذا تمر بك هذه الألوان في مقدمة هذا الكتاب ، فتجد اقتباسا آخر عند قوله : (حتى نأمن حصائد الألسنة ونُكفى غوائل الزخرفة .... وأنِلنا هذه البغية ولا تضحنا عن ظلك السابغ ، ولا تجعلنا مضغة للماضغ ....) . فهو يشير بقوله : (حصائد الألسنة) إلى حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه ... (قال : قلت : يارسول الله : إنا لنؤاخذ بما نتكلم ؟ فقال : ثكلتك أمك يا معاذ ، هل يكب الناس في النار على رؤوسهم الا حصائد ألسنتهم ؟) .

كما أشار بقوله : (ولا تجعلنا مضغة للماضغ) إلى قوله صلى الله عليه وسلم : (لما عرج بى مررت بأقوام لهم أظفار من نحاس يُخَمِشُون وجوههم ، وصدورهم ، فقلت من هؤلاء ياجبريل ؟ فقال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم (١) .

ومنها وصفه لسفينة : (فاتفق أن ندبوا في بعض الأوقات لاستقراء مزارع الرزداقات فاختاروا من الجوارى المنشآت جارية حالكة الشيات تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب) (١) . يشير هنا الى الآية الكريمة : (وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب) (٢) .

هذا وقد يأتى بالاقتباس خفياً وبصورة لطيفة مثل قوله في غلامه في المقامة السادسة والأربعين : -(بورك فيك ياطلا ، كما بورك في لاولا) كتابة عن شجرة الزيتون المذكورة

---

(١) راجع مسند أبى داود الآداب ٣٥ وأحمد بن حنبل ٢٢٤/٣ .

(١) الرزداق : الموضع الخارج عن القرية أو المدينة ويسمى الرستاق ومخلاف وكورة . والرزداق : فارسى .

(٢) سورة النمل الآية ٨٨ - جاء ذكر الأحاديث مختلطا بالآيات حسب ما أشرنا في أول كلامنا .

في قوله تعالى (... يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية) (١) ومن هذه الاشارات الخفية ما تلمحه في قوله : (آنست من قلبى القساوة حين حللت ساوة ، فأخذت بالخبر المأثور في مداواتها بزيارة القبور ، فلما صرت إلى محلة الأموات ، وكفات الرفات رأيت جمعا على قبر يحفر ومجنوز يقبر) . يشير بقوله : (وكفات الرفات) إلى قوله تعالى : (ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا) (٢) . أما ذكره لقساوة القلب وزيارة القبور فهو إشارة إلى الحديث الشريف : (عودوا المرضى واحضروا المقابر ، فإنها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة .) وإلى حديث أنس رضى الله عنه : (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ثم بدا لى ، فزوروها فانها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة) (٣) .

وكما نجده يشير الى الآية أو يأتى بجزء منها نجده أحيانا يأتى خلال حديثه بآيات كاملة مثل قوله في خطبة ألقاها في نفس المقامة الحادية عشرة ، قال (لمثل هذا فليعمل العاملون (٤) ، فاذكروا أيها الغافلون ، وشمروا أيها المقصرون ....) وقال في آخر هذه الخطبة : (كلا ساء ما تتوهمون ، ثم كلا سوف تعلمون .. (٥)) ومثل قوله : (كالباحث عن حتفه بظلفه والجادع مارن أنفه بكفه ، فألحق بالأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ..) (٦) ، حيث أورد آية كاملة وجزءا من الآية التى قبلها . أما قوله : كالباحث عن حتفه بظلفه ، فهو إشارة الى المثل العربى المعروف : وذلك أن ماعزة كانت لقوم فأرادوا ذبحها فلم يجدوا شفرة فنبشت بظلفها في الأرض فاستخرجت منها شفرة فذبحوها بها . وكذلك قوله : (والجادع مارن أنفه بكفه) إشارة الى قصير بن سعيد بن عمرو مولى جذيمة الأبرش . والمثل لو يطاع لقصير رأى ، معروف كما أن قصته مشهورة (٧) . هذا لو تتبعنا هذا اللون في كلام الحريرى لطال بنا الحديث ، فقد جمع الكثير من ذلك في هذا الكتاب لهذا نكتفى بما أشرنا اليه لننتقل الى لون آخر .

---

(١) سورة النور الآية ٣٥ .
(٢) سورة المرسلات الآية ٢٥ ، ٢٦ .
(٣) صحيح مسلم وأبى داود والترمذى (في الجنائز) .
(٤) سورة الصافات آية ٦١ .
(٥) سورة التكاثر آية ٤ .
(٦) سورة الكهف آية ١٠٤ . وراجع الشريشى جـ ١ ص ٢٣ .
(٧) من أراد الوقوف عليها فليرجع الى كتب الأمثال . والى الشريشى جـ ٣ ص ٤ ـ ٨ .

التوريـــــة

يبدو أنه من الأفضل أن ننتقل بسرعة إلى لون آخر من هذه الألوان البديعية التى لها لمعان واسع أو التى كان لونها متميزا بصفة معينة ، فعلى سبيل المثال التورية التى عرفها البلاغيون بأنها إطلاق لفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد البعيد منهما عند الإطلاق ، مع مصاحبة ذلك بقرينة خفية تدل على المعنى ، فإننا نجد الحريرى يتناول هذا اللون بصورة طريفة جديدة على خلاف ما تعارف عليه البلاغيون إذ جاء بها بصورة أسئلة دينية ، إلا أنه استطاع أن يلتزم إخفاء المعنى البعيد خلف ستارة سميكة لدرجة أنه يصعب أحيانا الوصول إليها الا لطبقة خاصة من أهل العبارة مما دعاه إلى شرح المقصود منها : فإلى المقامة الثانية والثلاثين الطيبية أو الحربية حيث ذكر مائة مسألة فقهية بصورة معينة نختار بعضها للتمثيل : (وينبغى أن يلاحظ أن الحريرى شافعى المذهب ...) فما أورده من الأسئلة والأجوبة جار على مذهبه . والدليل على ذلك قوله فيما بعد : (اشكر لمن نقلك عن مذهب إبليس إلى مذهب ابن إدريس)

هذه المسائل الواردة جارية على السؤال والجواب بين أبى زيد السروجى وفتى آخر :

(١) سأل الفتى : أيجوز الوضوء مما يقذفه الثعبان ؟ فأجاب نعم : وهل أنظف منه للعربان ؟ .

فالمعنى القريب للثعبان هو الحية ، والبعيد الذى أراده الحريرى هو الثُعبان من الثعب وهو : مسيل الوادى . (والعربان واحده العرب بضم العين ويجمع على العربان كالسود والسودان) .

(٢) قال : أيستباح ماء الضرير ؟ قال نعم ويجتنبُ ماء البصير . فالتورية هنا في الضرير والبصير : فالمعنى القريب المتبادر إلى الذهن هو الأعمى والبعيد هو : حرف الوادى ، والمعنى القريب للبصير هو ضد الأعمى والبعيد المقصود هو : الكلب .

(٣) قال : فهل يجب على الجنب غسل فروته ؟ قال : أجل وغسل إبرته . وهنا أيضا التورية جاءت في كلمتين الفروة والإبرة . فالمعنى القريب المتبادر للفروة هو واحد الفراء وهو مما يستعمل من جلود الضأن وغيره للجلوس والفرش وغير ذلك . والبعيد المراد هو جلدة الرأس . وكذلك الإبرة فإن المتبادر هو إبرة الخياطة المعلومة وبالطبع لا معنى لغسلها أما البعيد فهو عظم المرفق .

(٤) قال : أيجوز الغسل في الجِرَاب ؟ قال هو كالغسل في الجِبَاب . فالجراب المتبادر هو الوعاء المصنوع من الجلد ، ولا معنى لجواز الغسل فيه حتى يستفتى عنه ، والمعنى المقصود هو : جوف البئر . أما الجباب فهو جمع لجب ومنه : (وألقوه في غيابة الجب) ..

(٥) قال فهل يجوز السجود على الكراع ؟ قال نعم دون الذراع . والكراع هو مافي البقر والغنم بمنزلة الوظيف من الفرس والبعير وهو مستدق الساق وهو المورى به . أما الكراع المقصود فهو ما استطال من الحرة وهى أرض ذات حجارة سود .

(٦) قال أيجوز للدارس حمل المصاحف ؟ قال : لا ولا حملها في الملاحف . فالدارس المتبادر في الذهن هو الذى يدرس العلم . والمعنى البعيد منه هو الحائض .

(٧) قال : أتصح صلاة حامل القَرْوَة ؟ قال : لا ولو صلى فوق المروة .. والقروة هى جلدة الخصيتين إذا عظمت وهى الادرة وحملها لمن هى به لا يضر بالصلاة لكن معناها البعيد هى ميلغة الكلب . وميلغة الكلب هى ما يشرب فيه الكلب الماء ، فهو من ولغ .

(٨) قال : فإن أمَّهم ـ أى المصلين ـ من فَخْذه بَادِية ؟ قال : صلاته وصلاتهم ماضية . فالمتبادر من الفخذ هو العضو المعروف ، والبعيد : العشيرة و (بادية) أى يسكنون البدو .

(٩) قال : ما تقول فيمن أفقر أخاه ؟ قال حبذا ما توخاه . فالمعنى القريب أنه فعل به ما يصيره فقيرا ، والبعيد : أفقره بمعنى أعاره ناقته يركب فقارها .

(١٠) قال : أينعقد نكاح لم يشهده القوارى ؟ قال : لا ، والخالق البارى ، المعنى القريب للقوارى هو نوع من الطير مفرده قارية ، يتيمن به الاعراب . والبعيد هو : الشهود لأنهم يقرون الأشياء أى يتتبعونها (١) .

يبدو أن الأمثلة قد كثرت فأرجو أن لا تكون قد وصلت الى درجة الاملال ، هذا ويلاحظ أن الحريرى في الغالب يجعل القرينة : الحال أو السياق أو يضمن الجواب تلك القرينة فالأمر واضح فيما أظن . بهذا لا يحتاج الى شرح أو بيان .

---

(١) يمكن الرجوع الى الباقى من هذه الأسئلة في المقامات من ص ٣٣٧ ـ ٣٥٣ . طبعة صبيح .

والحريرى لم يكتف بهذه الأسئلة والأجوبة المائة في التورية ولكن رجع إلى هذه الألوان مرة أخرى في ميدان آخر وهو ميدان الشعر ، فأدعوك يا أخى لتقف معى على شيء من ذلك · وهذه الأبيات لا تقل عن الأسئلة التى مرت بنا في الخفاء ، فإلى المقامة الرابعة والأربعين حيث نجده يقول :

١ ـ عندى أعاجيب أرويها بِلَا كَذِبٍ عـن الـعـيَانِ فـكَـنُّونِى أبا الـعَـجَـبِ
رأيـــت ياقومِ أقْواماً غِذَاؤُهُـــمُ بَوْلُ العَجُوزِ وما أعنى ابْنَةَ العِنَبِ

فالمعنى القريب لبول العجوز بالطبع غير مراد ـ لذلك بادر بنفى معنى آخر قريب منه وهو الخمر فهو أيضا يسمى بول العجوز ـ وما أجدر به أن يسمى بذلك الاسم ـ لذلك قال ـ وما أعنى ابنة العنب · فالمعنى المقصود البعيد هو : لبن البقرة ·

٢ ـ وقَادِرِين مَتى مَاسَاءَ صُنعُهُمُ أو قَصَّرُوا فيهِ قالوا الذَّنبُ للحَطَبِ

فالمعنى المتبادر للقادر هو ضد العاجز ، ولكنه غير مقصود هنا فالمقصود هو : القَادِر بمعنى الطَّابخ في القِدْرِ ، والقَدِيرِ المطبوخ فيها ·

٣ ـ والتابعين عُقَاباً في مَسيرِهِمِ على تَكَمِيّهِمِ في البَيْضِ واليَلَبِ (١)

فالمعنى القريب للعقاب بضم العين نوع من الطير ، إلا أن البعيد المراد هنا هو : العُقاب بمعنى : الراية وكانت راية النبى صلى الله عليه وسلم تسمى العقاب ·

٤ ـ وَمُنْتَدِينْ ذوِى نُبْلٍ بَدَت لَهُمُ نَـبِـيـلَةٌ فَانْـثَـنوا مِـنــها إلَى الــهَربِ(٢)

المعنى القريب للنبيلة هو امرأة ذات فضيلة ، والبعيد المراد هو الجيفة ، ومنه تنبل البعير إذا مات وأروح يعنى نتن ·

٥ ـ ونِسوَةً بَعدَما أدْلَجْنَ من حَلَبِ صَبَّحْنَ كَاظِمَةً مِن غَيرِ مَا تَعَبِ

المعنى القريب لكاظمة : هو موضع على مرحلتين من البصرة على ما هو المتبادر · والمعنى البعيد لكاظمة : هو كَظْم الغَيظِ · وأدلَجْن : سرين في جوف الليل

٦ ـ وشَائِباً غَير مُخفٍ للمَشِيب بَدَا في البَدْوِ وهو فَتِىُّ السِّنّ لم يَشِبِ

(١) التكمى التغطى والكمى الشجاع التام السلاح · البيضة : المغفرة · واليَلَب : دروع من الجلود ثم اطلق على الحديد ·
(١) منتدين مجتمعين في ناد وهو المجلس · ونُبل : بضم النون بمعنى أصحاب فضل · وبالفتح بمعنى السهام ·

الشائب المتبادر هو الرجل الذى شاب شعره ، والبعيد المراد هنا هو مازج اللبن ، والمشيب اللبن الممزوج ، ويقال قيه : مشيب ومشوب ٠

٧ - وحَائِكاً أجذَم الْكَفَّينِ ذَا خَرسٍ   فان عجبتم فكم في الخلق من عجب

فالحائك هو الناسج من حاك الثوب نسجه ، إلا أنه لم يرد هذا المعنى إنما أراد الحائك الذى إذا مشى حرك منكبيه وفجج بين ركبتيه ٠

٨ - وسَاعِياً في مَسَرَّاتِ الأنام يَرَى   افْرَاحَـهـمُ مَأْثَـماً كالـظُّـلـم والـكذب

والإفراح من الأضداد وهو بكسر الهمزة : من أفرحته إذا سررته ، وأفرحته إذا غممته ، فالأول : هو المتبادر ولكن لم يرد الحريرى واحدا منهما وإن كان الثانى ملازما للأول فهو يقصد : إفراحهم بمعنى إثقالهم بالدين ، ومنه حديثه صلى الله عليه وسلم : ولا يترك في الاسلام مفرح أى مثقل من الدين ٠

٩ - ومُغْرَماً بِمُنَاجَاةِ الرجّال له   وماله في حَدِيث الخَلْقِ من أَرَبِ

فالمعنى القريب للخلق هو المخلوقات ، والمقصود : الكذب ٠

١٠ - وطَالَما مَرَّبِي كلب وَفِي فَمِهِ   ثَوْرٌ وَلَـــكـــنَّـــه ثَورُ بِلا ذَنَـــبِ

والمعنى القريب للثور هو ذكر البقر ٠ والثور المقصود هنا هو قطعة من الأقط (نوع من الجبن) ٠

١١ - وكم رَأيتُ بأقْطار الفَلا طَبَقاً   يَطِيرُ في الجو مُنْصَبًا إلى صَبَبِ

والطبق معروف وهو إناء مفرطح ، إلا أن المقصود هنا القطعة من الجراد (١) ٠

يبدو أننى قد أطلت في ذكر ألوان التورية النثرية والشعرية وحان أن ننتقل إلى لون آخر إلا أنه ينبغى أن نشير إلى القول بأن هذه التورية هى أقرب منها إلى الغاز منها التورية الاصطلاحية فقد علق عليها أبو العباس الشريشي بقوله : (لقد أحسن أبو محمد في هذه الفتاوى وأجاد وبلغ مبلغا من الاقتدار والاتساع فوق المراد ، وإن كان لا يوصف فيها بالابتداع فلقد أحسن في الاتباع ، فالسابق اليها هو أبو بكر بن دريد في كتاب سماه بالمَلَاحن وهو أن تورى بلفظ عن لفظ ، ثم تمم تلك الأغراض وحسنها أحمد بن عبيد الله في كتاب سماه بالمنقذ ، وفائدتها التخلص من الظلم أو تسلط غاشم ، لا أن يقتطع بها حق مسلم (٢)) ٠

---

(١) من أراد الوقوف على باقى الأبيات التى اختيرت هذه من بينها فليرجع الى المقامات ص ٤٩٩ ٠

(٢) راجع أن أردت الزيادة الشريشى جـ ٣ ص ١٥٠ ٠

هذا ولقرب هذا اللون إلى الأحجية أشير هنا إلى أن الحريرى لم يبخل بها فقد أوردها منظومة في المقامة السادسة والثلاثين فلتراجع هناك أما نحن فسنمضى إلى لون آخر ٠

الجنـــــــاس : -

يبدو أن الحريرى يعتبر من أقدر الكتاب في ايراد الجناس والسجع في الكلام ، أما السجع فهو من الأمور التى لا تفارق كلامه لهذا لا نتحدث عنه حديثا مستقلا بل ندعوك لملاحظته في كلامه كله وخاصة في النثر ، فانْظر مثلا إلى هذه القطعة الآتية التى نأتى بها مثالا لمقدرته في الجناس وتفننه فيه ، كما شرطنا سنشير إلى كل حكم بصور عامة لا نفصل القول ولا .نتناول الأجزاء والتقسيمات الفرعية يقول الحريرى على لسان أبى زيد الذى كان يسأل غلاما والغلام يجيب : (... وعَمَّ تسأل وفقك الله ؟ قال : أيباع ههنا الرطب بالخطب ، قال : لا والله ، قال ولا البلح بالمُلَح ؟ قال : كلا والله ٠ قال : ولا الثمر بالسمر ؟ قال هيهات والله ٠ قال : ولا العَصَائد بالقَصائد ؟ قال : اسكت عافاك الله ٠ قال : ولا الثرائد بالفرائد ؟ قال : أين أذهب بك أرشدك الله ؟ قال : ولا الدقيق بالمعنى الدقيق ؟ ... إلى أن قال الغلام : أمّا بهذا المكان فلا يَشْتَرِى الشعر الشعيرة ، والنثر بنثارة ، ولا القصص بقصاصة ، ولا الرسالة بغسالة ، ولا حكمة لقمان بلقمة ...

أما هذا الزمان فما منهم من يميح إذا صيغ له المديح ، ولا من يجيز إذا أنشد له الأراجيز ، ولا من يغيث إذا أطربه الحديث ، وعندهم أن مثل الأديب كالربع الجديب إن لم تَجُد الربعَ ديمةٌ لم تكن له قيمةٌ ولا دانته بهيمة ، وكذا الأدب إن لم يعضده نشب فدرسه نصب) (١) ٠

أعتقد أن كلامه هذا لايحتاج إلى تعليق ٠ إلا أنّ القارئ قد يتساءل هل هو في النثر فقط أم له منه في الشعر أيضا ، فأقول تعالَ لنطالع بعض أبيات له في الشعر حيث لا حاجة لنا في زيادة الشواهد في النثر فلنبدأ بالبيتين الآتيين : -

وقـــلـــت للائــــمى أقــــصر فإنى سأخــتار الـمَـقَام على الـمُـقَام
وأنــفــق ما جــمــعــت بأرض جَــمْــعٍ وأسـلو بالـحَـطِـيم عـن الـحُـطَام (٢)

فقد رأيت جمعه بين المَقام والمُقام والحَطِيم مع الحُطام ٠ فإليك بيتين أخريين يقول الحريرى :

---

(١) راجع المقامة الثالثة والأربعين ٠

(٢) المقام : مقام ابراهيم ٠ والمقام الثانى الإقامة في الوطن ٠ جمع : اسم المزدلفة لاجتماع الناس فيها . الحطيم : اسم حجر بمكة المكرمة ٠ راجع الشريشى جـ ٤ ص ١٤٢ ٠

لم يبق صاف ولا مصاف ... ولا مَعين ولا مُعين
وفي المساوى بدا التساوى ... فلا أمين ولا ثمين (١)

ففى هذين البيتين جاء بأربع كلمات في كل بيت وكان كلامه سلسا سهلا أكثر منه في النثر ٠

وأرى من المناسب أن نقرأ له هذه الأبيات الواردة في المقامة السابعة التى زينها بالجناس ويشرح فيها أبو زيد حاله فيقول :

لقد أصبحت مَوْقُوذَا ... بأوْجاع وأوْجالِ
ومَمْنُوًّا بِمُخْتَال ... ومُخْتَالٍ ومُغْتَال
وخَوَّانٍ من الاخْوَا ... نِ قَالٍ لِي لإقْلاَلِي
وإعمال من العما ... ل في تضليع أعمالى
فكم أصلى بأذحال ... وأمحال وترحال
وكم أخطِرُ فِي بَالٍ .. ... وَلاَ أخْطُرُ فِي بَالِ
فليت الدهرَ لَمَّا جا ... رَ أطْفَالِي أطْفَالِي
فَلولاَ أنّ أشْبَا لِي ... أغْلاَلِي واغْلاَلِي
لما جَهَّزتُ آمَالى ... إلى آلٍ وَلاَ وَالِي
ولا جَرَّرْتُ أذيَالِي ... على مَسْحَب إذْ لاَلى
فَمِحْرَابِي أحْرَى بِى ... وأسْمَالِيَ اسْمَى لِي
فهل حُرٌّيَرى تَخْفِيـ ... ـفَ أثْقَالى بِمِثقال
ويُطْفِى حَرَّ بِلْبَالِي ... بسربال وسروال (٢)

---

(١) مصاف : صادق في وده ٠ معين : بفتح الميم : ماء كثير قصد به صاحب كرم فهو استعارة ٠ معين : بضم الميم : الذى يعين بماله ٠ الثمين : النفيس الغالى الثمن يريد أن الناس قد استووا في الأفعال السيئة ٠ يشير بذلك إلى الحديث الشريف : لا يزال الناس بخير ما تباينوا فإذا استووا هلكوا . ومعنى ذلك أن الناس في الغالب إنما يتساوون في الشر ولا تجدهم كلهم فضلاء . لأن الخير قليل ٠ وعلى هذا بنى الشيوعيون نظرياتهم ولذلك يميلون إلى إثارة الأحقاء والفتن وزرع الشر بين الناس لمحو الخير بينهم ٠

(٢) في القاموس المحيط : السراويل : فارسية معربة (وقد تذكر ٠ الجمع : سراويلات أو جمع سروال وسروالة أو سرويل بكسرهن وليس في الكلام فعويل غيرها والسراوين بالنون لغة والشروال بالشين لغة أيضا ٠

فكلامه لا يحتاج إلى بيان فأنت ترى كيف جمع الكلمات المتجانسة فجاء لك بـ (أوجاع بجوار أوجال) وفي البيت الثانى : بمختال ومحتال ومغتال ، وفي الثالث ـ خوان ، وإخوان ـ في الرابع : إعمال وأعمالى وبينهما كلمة عمال · والخامس أذحال و أمْحال وترحال ثم أخطِر مع أخطُر : وبال مع بال : أخطِر الأول بكسر الطاء بمعنى أمشى وبال الأول بمعنى خلق قديم · وأخطر الثانى بضم الطاء أجُول والبال بمعنى الفكر · وأطفالى أطفالى : الأول بمعنى إطفاء النار من أطفأ · والثانى جمع طفل · وجمع بين أغلالى بالغين : وهو الغل الذى يوضع في العنق وأعلال : جمع علة ـ ثم جمع بين = اذيالى واذلالى · وبين محرابى وأحرابى ـ وبين = أسمالى وهو الثوب الخلق وبين أسمى لى : بمعنى أرفع لى · ثم أثقالى مع مثقال · وأخيرا سربال أى القميص مع سروال ·

الجنـــاس المزدوج

له أيضا في باب الجناس كثير من الجناس المزدوج ، نورد الأبيات الآتية على سبيل المثال وقد سمى هذه الأبيات بالمتائيم وهى

زُيّـِنَـتْ زَيْـنَـبُ بِـقَدّ يَـقُدُّ   وَتَلَاه وَيْلَاه نَـهْدٌ يَـهُدُّ
جُنْدُهَا جِيدُهَا وظَرْف وَطَرْف   نَاعِسٌ تَاعِسٌ بِـحَدٍّ يَـحُدُّ
قَدْرُهَا قَدْزَهَا ، وَتَاهَت وَبَاهَت   وَاعْتَدَت واغْتَدَت بِخَدٍّ يَخُدُّ
فَـارَقَتْنِى فَـأرَّقَتْنِي وَشَـطَّت   وَسَطَت ثُمَّ نَمَّ وَجْـد وَجِـدُّ
فَدَنَت فُدّيَتْ وَحَنَّت وَحَيَّتْ   مُـغْـضَـباً مُـغْـضِـياً يَوَدُّ يُوَدُّ

يبدو أن كلمات هذه الأبيات في حاجة الى الشرح فانظر الهامش (١) · هذا والظاهر أن الرجل قد تكلف وألزم نفسه ماليس بلازم لكى يأتى بهذا اللون المزدوج وعلى كل حال فقد أظهر القدرة الفنية وإن كانت بصورة معقدة التى تغضب شيخ البلاغة عبد القاهر الجرجانى ، ولعل مثل هذا التكلف هو الذى دعاه إلى القول بأن المعانى ينبغى أن تترك على سجيتها ؛ لأنها إذا تركت ستكتسى بالألفاظ الملائمة لها وعند ذلك تحسن ·

---

(١) بقد يقد : قد : قوام يقد : ينقطع لرقة خصره ، فقد جاء بلفظ (يقد) مكان ينقطع لضرورة الازدواج · تلاه : تبعه · ويلاه : دعا لنفسه بالويل والخسران ، لأنه رأى نهدا لا يستطيع أن يصبر عنه · الظرف : الرشاقة · والطرف : العين · الناعس : الفاتر النظر · والناعش : الذى ينعش من ينظر إليه ، ويروى تاعس : كما في هذا البيت بمعنى مهلك ، ويقال : إن معنى ناعش : بالشين ، حامل للناظر على النعش ، وعلى كل معناه يدور حول القتل ماعدا المعنى الأول الذى ذكره الشريشى · يحد : بضم الحاء ، يمنع أى يمنع من رآه من التسلى عنه · زها : تكبر · تاهت : زهت وهو ضرب من الكبر · باهت فاخرت وعظمت · اعتدت : ظلمت · يخد : بضم الخاء : يقطع في القلوب · شطت : بعدت · سَطَت : بطشت · نم : بالنون أفشى ما به من الحب · وَجَد : حزن من الحب · جد : اجتهاد · مغضيا : متغافلا · يود : يتمنى · يود : يحب · يود : الاولى بالبناء على الفاعل والثانى على المفعول. المعنى : لما أفشى لها وجدى ما أكنه لها من حب وأبصرت ما فعله هجرانها بى ، دنت منى عند ذلك شفقة وحيتنى وأنا الغضبان المتغافل المتناسى لما سلف منها من الهجران ·

وللحريرى مثل هذا الازدواج في النثر أيضا ونورد هنا مثالا يسيرا منه · قال في المقامة الثالثة الدينارية : ريا أخايرَى الذَّخائر ، وبشائر العشائر عموا صباحا وانعموا اصطباحا ، وانظروا إلىٰ من كان ذا نَدِي وَنَدىً ، وجِدَةٍ وجَداً وعَقَارٍ وقُرىً ومَقارٍ وَقِرىً ، فما زال به قُطُوب الخُطوب ، وحروب الكروب وشَرَرُ شَرِّ الحسود ، وانتياب النوب السود ، حتى صَفِرَت الراحة وقَرِعَت الساحة (١) ····) ومثل هذا كثير في كلام صحابنا ·

وللحريرى لون آخر من التجنيس وهو أن يفصل بين الكلمة واختها بكلمة واحدة يقول في ذلك · (أَرْعَى الجَار ولَوْجَار ، وأَبْذُل الوصال ، لمن صَالَ ، واحْتَمِلُ الخَلِيط ولو أبدى التَخْلِيط ، وأَوَدُّ الحَمِيم ولو جَرَّعَنِى الحَمِيم ، وأفضل الشفِيقَ على الشَّقِيق · وأفي للعشير وإن لم يكافئ بالعشير ، واستَقِلُ الجَزِيل للنَّزِيل واغْمرُ الزَّمِيل بِالجَمِيل وأُنَزِّلُ سَمِيرى مَنْزِلَة أَمِيرِى وأحل أنيسى محل رئيسى ، ····· وهكذا ، الى أن قال : ولا أُبالى بمن صرم حِبالي ، ولا أُداري من جهل مقداري ، ولاَ أُعْطى زِمَامِى مَنْ يَخْفِرُ ذِمَامِى (٢) ····) · وهذا الاسلوب كثير ومتنوع في نثره يطول الكلام في تتبعه والجرى وراءه ·

ينبغى هنا أن نشير إلى ذلك الجناس المركب الذى جاء به الحريرى في البيتين المطرفين المشتبهى الطرفين اللذين وصفهما بأنهما أمنا أن يعززا بثالث ، فأورد الجناس في أول كل بيت مع آخره ، وهما في المقامة السادسة والأربعين قال :

سِـمْ سِـمَة تَـحْـسُـنُ آثَارُها   واشْكر لِمَن أَعْطَى وَلَوْ سِمْسِمَة
والمَكْرُ مَهمَا اسْطَعْتَ لاَ تَأْتِه   لِـتَـقْـتَـنِى الـسُّؤْدَدَ وَالْـمَـكْرُمَة

فجانس بين : سم سمة وسمسمة ، وبين المكر مهما والمكرمة ·

أما من حيث الادعاء بأن البيتين لا يعززان ببيت ثالث فلم يكن الحريرى الوحيد الذى قال بذلك فقد سبقه في ذلك أبو دلف في بيتيه :-

---

(١) نَدِىّ : مجلس · ندى كرم · جِدىً : عطية · عقار وقرى : العقار : المال الذى لا ينقل كالمبانى والنخيل ، والقرى : جمع قرية · المقار : الجفان لإطعام الاضياف · والقِرىَ : طعام الضيف · قطوب : عبوس · الخطوب : الشدائد · الكروب : الهموم · قال النبى صلى الله عليه وسلم · مما أعلم أنه لا يقوله مكروب الا فرج الله عنه ـ كلمة أخى يونس : فنادى في الظلمات أن لا اله الا أنت ··· الآية · انتياب : نزول · النوب : النوازل · صفرت : خلت · قرعت : خلت من المال ·

(٢) أرعى : احفظ · جار : تعدى ومال عن الحق · ابذُل . أعطى · صال : صاح مخوفا · الخليط : الصاحب ويقع للواحد والاثنين والجمع بلفظ واحد · الحميم : الاول الصديق والثانى : الماء الحار · أفي للعشير : اعامل الصاحب بالوفاء ـ يكافىء بالعشير : يجازى بالعشر من فعلى · أميرى : الحاكم على · الأنيس الذى يؤنسك بحديثه · ورئيس القوم أفضلهم وأعزهم · صرم حبالى : قطع اسباب وصالى · اداري : أسوس وأحسن صحبته · يخفر ذمامى : ينقض عهدى ·

أنا أبو دلف المهدى بقافية جوابها يهلك الزاهى من الغيظ
من زاد فيها له رحلى وراحلتى وخاتمى والمدى فيها الى القيظ

الا أننا اذا قارنا قول الحريرى بقول أبى دلف ، ظهرت لنا سلاسة النظم وسهولته عند الحريرى حتى ان التكلف يكاد يختفى وراء هذه البراعة ، والمعنى عنده سهل واضح سام على خلاف ما يبدو لى في البيتين الآخرين ٠

القلب : ـ

الحديث حول الجناس قد يجرنا إلى الحديث عن القلب وذلك للصلة التى نلمسها بين الجناس وجناس القلب ، الذى هو ايراد كلمتين في جملة أو بيت واحد أحدهما معكوس الآخر مثل قوله : (حسامه فتح لأوليائه ، حتف لأعدائه) فالجناس بين : فتح وحتف لأنك إذا قلبت حروف أحد الكلمتين جاءتك الكلمة الأخرى ٠ فهذه الصلة نراها كافية من أن تنقلنا من الجناس إلى القلب ، الذى هو أن الكلام لو عكس كان الحاصل من عكسه هو عين ذلك الكلام السَّابقُ هو كما يكون في قلب الحروف يكون في قلب الكلمات ، ولا يضر عندهم : مد المقصور ولا قصر الممدود ، أو تخفيف المشدد أو تشديد المخفف ، كذلك جعل الهمزة ألفاً أو العكس ، أو تبديل بعض الحركات والسكنات ٠ وللحريرى في هذا الميدان براعة لا يشق له غبار ، فقد دخل الرجل في الميدان بالتدريج من المفردات إلى الجمل والأبيات الشعرية حتى المقالة أو الرسالة الكاملة ، وتكلف في ذلك تكلفا بالغا ولم يترك لونا من ألوان الكلام إلا قلبه ٠

دخل الحريرى باب القلب وسماه : مالا يستحيل بالانعكاس واخذ بالترتيب التصاعدى فبدأ بما يتركب من كلمتين مثل (ساكب كاس) ٠ و (لُمْ أَخَامَلَّ) (١) و (كَبِّرْ رَجَاء أَجْر رَبّك) (٢) ٠ و (من يرب اذا برينم) (٣) ٠ و (سَكّت كُلَّ مَن نَمَّ لَك تَكِسْ) (٤) ٠ أخيرا جاء بجملة مكونة من سبع كلمات فقال (لُذْ بكُل مؤمَّل إذَا لَمَّ وملك بَذَلْ ٠) (٥) ٠ بعد هذه الجمل جاء الحريرى بأبيات شعرية يمكن أن يقلب كل بيت منها

---

(١) لُمْ : من اللوم ـ مَلَّ : من الملل ٠

(٢) كبر : أى عظم الكبير وقدمه على نفسك ٠

(٣) يرب : يصلح ٠ بر : اكرم ٠ ينم : يزيد ٠

(٤) تكس : تكن كيسا وهو العاقل ٠

(٥) لذ : الجأ اليه ٠ مؤمل : مرجو لفعل الخير ٠

ويقرأ من الشمال إلى اليمين والمعنى لا يتغير وكذلك الوزن والقافية · اقرأ معى هذه الأبيات الواردة في المقامة السادسة عشرة المغربية : ـ

أُسْ أَرْمَلًا إذَا عَرَا ... وَارْعَ إِذَا المَرءُ أَسَا
أَسْنِدْ أَخَا نَبَاهَةٍ ... أَبِنْ إِخَاءً دَنِسَا
أُسْلُ جَنَابَ غَاشِمٍ ... مُشَاغِبٍ إِنْ جَلَسَا
أُسْرُ إِذَا هَبَّ مِرَاً ... وارْمِ بِهِ إِذَا رَسَا
أُسْكُنْ تَقَوَّ فَعَسَى ... يُسْعِفُ وَقْتٌ نَكَسَا (١)

فهذه الأبيات تقرأ من اليمين الى الشمال وبالعكس أى أنك تقلب الحروف من آخر البيت إلى أوله ، وهذا غير عكس الألفاظ الذى سنراه فيما بعد ·

عكس الكلمات

مر بنا عكس الحروف لدي الحريرى ونلتقى معه الآن لنلقى نظرة سريعة على عمله في قلب الألفاظ ، فقد قام بذلك في رسالة طويلة سماها : الرسالة القهقرية ، ويرى أبو العباس الشريشى أنه بلغ الغاية في كلا النوعين ، ويبدو أن أبا العباس يقول ذلك بقطع النظر عن التكلف وإعمال الفكر والتأمل الصادر من جانب الحريرى ، وهذا حق لاشك فيه : فاليك بها من خلال المقامة السابعة عشرة : ـ (الانسان صنيعة الإحسان ، ورب الجميل فعل الندب ، وشيمة الحر ذخيرة الحمد ، وكسب الشكر استثمار السعادة ، وعنوان الكرم تباشير البشر ، واستعمال المداراة يوجب المصافاة ، وعقد المحبة يقتضى النصح ، وصدق الحديث حلية اللسان ، وفصاحة المنطق سحر الألباب ، وشرك الهوى آفة النفوس ··· إلى أن قال : ·····وامتحان العقلاء بمقارنة الجهلاء ، وتبصر العواقب يؤمن المعاطب ، واتقاء الشُّنعة (٢) ، ينشر السمعة ، وقبح الجفاء ينافى الوفاء ، وجوهر الأحرار عند الأسرار) ·

والرسالة طويلة كما أشرنا فهى من مائتى لفظة · وهى كما رأيت تشتمل على أمثال وحكم ومواعظ وعبارات أدبية جمة ، وما فيها من السجع والطباق والجناس والكناية والمجاز يطول الحديث حوله ·

---

(١) أس : أعط ، الأوس : العطية · أرملا : فقيرا أفنى زاده · عرا : قصد · ارع : احفظ الصحبة · أسا : أتى بسوء ، واصله : أساء · نباهة : رفعة · إبن : باعد · دنس : عيب أى صاحب من يشرفك بذكره الجميل وباعد من يدنس عرضك وتعاب به · أسل جناب غاشم : أى جانب منزل ظالم لا تقربه · وسلوت يتعدى بعن وبنفسه تقول سلوت عنه وسلوته وسليته · مشاغب : مسارع للشر · هب : تحرك · مرا : جدال · رسا : ثبت · أسر : بالضم كن سريا أى سيد اذا مروءة اذا هاج الجدال · اسكن : الزم السكون والوقار · تقو : اراد تتقوى · يسعف : يساعد ويوافق · نكس : قصر بك ·

(٢) الشنعة : ما يقبح فعله ·

وقد وصفها صاحبها بقوله : إن أعلاها أسفلها ، وأولها آخرها ، وقال : ـ (أرضها سماؤها وصبحها مساؤها ، نسجت على منوالين وتجلت في لونين •) ؛ لأنك مختار أن تقرأها إن شئت من أولها وإن شئت من آخرها • إن سقتها على ترتيبها جاءت منقادة ، وإن أردت أن تردها على أعقابها وتعكسها قلت :

الأسرار عند الأحرار ، وجوهر الوفاء ينافى الجفاء ، وقبح السمعة ينشر الشنعة واتقاء المعاطب يؤمن العواقب ••• وهكذا إلى أولها • ويكون آخرها : ورب الاحسان صنيعة الإنسان • والرسالة كلها مكونة من مبتدأ وخبر • ولا شك إن هذا العمل قد كلفه جهدا عظيما بالغا ، إلا أنه كشف عن قدرة فنية عجيبة بقطع النظر عما يقوله العاجزون بعده •

يبدو من المناسب هنا أن نذكر شيئا من بديعيات صفى الدين الحلى ، فنورد هنا أربعة أبيات فقط • وهى من لون آخر عمودى أى أنها تقرأ من اليمين الى الشمال ومن أعلاها الى أسفلها • فإليك بها :

ليت شعرى .	لك علم	من سقامى .	يا شفائى
لك علم .	من زفيرى	ونحو لى .	وضنائى
من سقامى .	ونحولى	داونى إذ .	أنت دائى
يا شفائى .	وضنائى	أنت دائى	ودوائى

فهذه الأبيات الأربعة تكون تشكيلا هندسيا رائعاً ، فهى من أربعة أجزاء أى أن كل بيت له أربعة أجزاء ، فإذا أخذت الجزء الأول من كل بيت تكون لديك البيت الأول واذا قرأت من كل بيت (عموديا طبعا) الجزء الثانى تكون عندك البيت الثانى الى آخر هذه الأبيات الأربعة •

وهذا يكاد يشبه تلك الأشكال الرياضية التى يستعمل فيها العقل المجرد بعيدا عن العاطفة وإثارة الاحساس ، من خلال تجارب الحياة للشاعر ، مثلا الرياضيون يأتون بهذا الشكل الذى تراه أمامك لمجرد الرياضة الذهنية ، فأنت اذا جمعت الأعداد من اليمين الى الشمال أو الشمال الى اليمن كان الحاصل ١٥ وكذلك لو جمعتها من أعلى الى أسفل أو العكس فالحاصل واحد •

٢	٩	٤	١٥
٧	٥	٣	١٥
٦	١	٨	١٥
١٥	١٥	١٥	

يبدو أن هذا هو الداعى إلى القول بأن مثل هذا العمل مهما كلف من جهد ، واستنفذ من وقت ، مجانب لرواء الأدب وجماله ، ويرى النقاد أنه لا يبعث عليه الا الغرام بالصنعة والغلو في التكلف والولوع بحب الاغراب والشغف بالاتيان بما يستدعى الاعجاب ، ولكن لا يبعد أن يكون الاستنكار على هذه الأنواع كلها جملة واحدة هو من باب محاولة توسيع دائرة الأدب والفن ليدخل فيه كل من أراد وبأى شيء جمعه ، الا أن التوسط في كل شيء محمود ، فالعمل الذى جاء طريفا وممتعا ينبغى أن يقدر حق قدره ، فلا ينبغى أن يرفض ، لأن صاحبه قد بذل جهدا كبيرا فاق ما نستطيع نحن بذله ، فعلينا أن نعترف بحلاوة العسل مهما تعب الذى اشتاره ، لا نقول إنه مر لأن الذى وصل اليه اقتحم مالا يستطيع أمثالنا اقتحامه ·!!!!

والآن نعود الى الحديث عن البديع عند الحريرى ، يبدو أن الحريرى اذا تناول أى لون من الألوان يفرع منه لونا آخر جديدا فقد فرع فيما يظهر من الجناس الخطى هذا العمل الذى نشير اليه الآن وهو التزام حروف معينة ذات صفة متفقة واحدة في الكلام · وأبرز ذلك : اخراجه الكلام بحروف منقوطة فقط أو بغير نقط ، أو مختلطة ، فنقدم لك الآن من تلك الفنون البديعية التى اهتم بها وأبرز شأنها اللون الذى أورده في أبيات سماها بالعواطل أى الخالية من النقط ، اقرأ معى هذه الأبيات : ـ

اعدد لـحـسادك حد الـسلاح	وأورد الآمـل ورد الـسماح
وصارم الـلـهو ووصـل المَـهَا	وأعْمل الكُومَ وسُمر الرماح
وَاسْـع لإدْراك مَـحـلّ سَـمَا	عِـمَادُه لَا لِادّرَاع الـمِرَاح
والله ما السؤدد حسو الطلا	ولا مراد الحمد رُوْدٌ رَدَاح
واها لـحر واسـع صدره	وهَمُّه مَا سَرَّ أهل الصلاح

معانى المفردات تحت الخط (١) :

علق الحريرى على هذه الأبيات التى أوردها على لسان صبى من صبيانه ، بقوله : أحسنت يا بُدَيْر يا رأس الدير · وصفه بالاحسان وجعله بدرا بل صغر اسمه هذا للتمليح وزاد على ذلك بوصفه بأنه رأس الدير (ويعنى بالدير مجلسه) ولكن هل يوافق الأدباء والنقاد على ذلك ، فلننظر الى تعليق أبى العباس الشريشي على ذلك ·

---

(١) صارم : قاطع · المها : جمع مهاة وهى ولد البقر الوحشية . وأراد به هنا النساء مجازا الكوم : جمع كوماء وهى الناقة العظيمة السنام · العماد : قائمة الخباء · ادراع : لبس الدرع · المراح : الطرب والنشاط . يعنى بذلك كله : ينبغى عليك عدم الاشتغال باللهو ، بل عليك أن تنشغل بكسب الشرف · حسو الطلا : شرب الخمر · مراد : بفتح الميم : الطريق والمذهب وأصله المرعى · رُود : جارية ناعمة شابة · الرداح : العظيمة العجز · و (ما) في قوله (ماسر أهل) بمعنى الذى · واها : عجبا ·

أورد أبو العباس بعضا من أبيات قصيدة لأحمد بن الورد وهى من هذا اللون وأشار الى أن تلك القصيدة تصل إلى ثمانين بيتا ، ثم علق بقوله : (وما زال المحدثون يظهرون اقتدارهم في هذا اللون إلا أنه قلما يقع في ذلك بيت مستحسن ، فلذلك تركنا أن نمشى مع اشعار هذه المقامة فيما يماثلها وقد أكثر الناس القول في ذلك ، وفائدته أن يقال : قدر على لزوم مالا يلزم ، لا أن يقال قد أحسن فيما قال) (١) ٠

هذا مع أن أبا العباس أشار إلى عدم الجري وراء مثل هذا اللون ، إلا أنه أنشد ما يماثله عند ما أورد لأبى القاسم أبياتا لا تنطبق عليها الشفاه منها :

اتيناك ياجزل العطية إننا رأيناك أهلا للعطايا الجزائل
عقيل الندى يا حار عدنا عقيلة نعدك انتجاعا للحسان العقائل

فإنك تقرأ البيتين وشفتاك لا تنطبقان ، ويبدو أن هذا اللون البديعى مع ما فيه من التكلف الواضح ، إلا أنه لا يخلو من الطرافة والامتاع والتسلية بالاغراب ٠

ولا شك أن هذا اللون يصل أحيانا الى درجة كبيرة من التكلف المؤدى إلى الثقل ، وصعوبة المأخذ ، ويظهر ذلك واضحا جليا في الأبيات التى وصفها الحريرى نفسه بقوله لصبيه الذى قالها على لسانه ، قال إنها (الأبيات العرائس وإن لم تكن نفائس) ٠ فسماها بالعرائس لتزيينها بالنقط تشبيها لها بالزينة العربية التى كانت تتم بالنقط على خدى العروس نقطا صغارا بالزعفران ، ويلاحظ أن الحريرى يلتزم المقابلة حتى في التسمية ، لأن التى أوردها قبلها سماها العواطل لعدم تزيينها بالنقط ، المهم أنه استدرك على تسميتها بالعرائس بوصفها بأنها لم تكن نفائس ، فهى لا تتمتع بالقدر الرفيع في هذا الفن لما فيها من الضعف كما أن فيها التزام مالا يلزم ، لأنها جاءت لغرض بيان الاقتدار على هذا العمل الذى قام به ٠ ومع ما سبق من كلام أبى العباس إلا أنه قال في هذه الأبيات (مع أنها غير نفائس الا أنها أحسن مما قيل في بابها) وهذه شهادة للحريرى بالمقدرة الفنية في الأصباغ البديعية ، أراك أيها القارئ تتطلع الى هذه الأبيات فاليك بها : -

فتنتنى فَجَنَّنْتِنى تَجَنِى بِتَجَنّ يَفْتَنُّ غِبَّ تَجَنّى
شَغَفَتنى بِجَفْنِ ظَبْى غَضِيضٍ غَنِجٍ يَقْتَضِى تَفَيُّضَ جَفْنِى

---

(١) راجع الشريشى جـ ٤ ص ١٨٧ المكتبة الشعبية ٠

غَشِيَتْنِى بِزِيْنَتَيْنِ فَشَفَّتْـــ نِى بِزِيٍ يَشِف بَيْنَ تَثَنِّي
فَتَظَنَّيْتُ تَجْتَبِينِى فَتَجْزِيـ ـنِى بَنَفْثٍ يَشْفِى فَخُيِّبَ ظَنِى
ثَبَّتَتْ فِيَّ غِمشَّ جَيْبِ بتزيـ ـن خبيث يَبْغِى تَشَفِى ضغن
فَـنَزَتْ فِي تَـجـنُّـبِى فَـشَـنـتْـنِى بِنَشِيجِ يُشْجِى بِفَنِ فَفَنِ

المفردات تحت الخط : (١)

غالب ظني أن الحريرى يشير بمحبوبته التى سماها (تجنى) إلى تلك المرأة الجميلة الخبيثة الخداعة ، التى تهرب منها فتتبعك وتجرى خلفها وتطير منك ألا وهى الدنيا · لأنه كثيرا ماذم الدنيا وتقلباتها لولا ضيق المقام لأوردنا كثيرا مما قاله في ذلك ·

فلنعد الآن إلى فن الحريرى لنرى ما جاء به متوسطا بين الحالتين لنتحقق مصداق « خير الأمور أوساطها » فهو أفضل حتى في باب التكلف فانظر إلى ما قاله عندما خلط بين ما صنعه في الأبيات الأولى والتالية لها ، أى بين ترك النقط كلية والتزام التنقيط ، فقدأتى هنا بعد كل كلمة غير منقوطة بأخرى منقوطة فسماها الأبيات الأخياف أى المختلفة : فقال :

اسـمَـحْ فَـبَـثُّ الـسماح زَيْـن وَلَا تُـخِـبْ آملا تَـضَـيَّـف
ولا تُـجِزْ ردَّ ذى سؤال فَنَّن أَمْ في السؤال خَفَّفْ
ولا تَـظُـنَّ الدُّهُور تُـبْـقِى مال ضَـنِـيـن ولو تَـقَـشَّـف
واحلم فَجَفْنُ الكرام يُغْضِى وصدرهـم في الـعـطـاء نَـفْـنَـف
ولا تَخُنْ عهد ذى وِدَادِ ثَبْتِ وَلَا تَبْغ ما تَزَيَّف (٢)

فأنت ترى كيف جاء هذا الشعر المتكلف سلسا سهلا واضح المعنى قريبا إلى طرق أبواب القلوب بالنسبة لما سبقه · إذن التوسط خير في كل شيء · ويلاحظ هنا أيضا أن الحريرى مال إلى ذم الدنيا والتنفير منها بقوله : (ولا تبغ ما تزيف) حيث عَبَّر عنها بما يلازمها وهو الدرهم ·

وفي النثر أيضا : ـ

مرت بنا هذه الألوان في الشعر إذن لماذا لا يصنع مثل ذلك في النثر أيضا ؟ وهذا هو

---

(١) تجنى : اسم امرأة · بتجن : بدلال وتيه · الغَنَجُ : هو تكسير الكلام وتخنيثه · يقتضى : يتضمن · تفيض الجفن : سيلان الدموع · غشيتنى : أتتنى على غفلة · شفتنى : انحلت جسمى · بنفث : بلفظ وكلام · الجيب : القلب · نزت : وثبت · النشيج : صوت البكاء ·

(٢) مفردات الأبيات : اسمح : جُدْ · بث : نشر · تَضَيَّف : طلب منك أن تضيفه · فنن : أتى بالفنون من السؤال · ضنين : بخيل · يغضى : يتغافل · نَفْنَف : واسع · فالنفنف متسع الأرض · ثبت : صادق الود · تزيف : تنقص وصار زائفا . وهو هنا الدرهم الردىء المعبر به عن الدنيا ·

الذى حدث فلم تفته الفرصة لبيان أو اثبات هذه المقدرة في النثر ، وربما زاد عليها كما سنرى من الأمثلة الرمزية التى نسوقها الآن ، إذ له رسالتان غير منقوطتين في المقامة الثامنة والعشرين والمقامة التاسعة والعشرين ٠ وأرجو أن تلاحظ معى التزامه السجع والجناس وأحيانا الطباق ، في الأمثلة التى نوردها لك ٠ فإليك بجزء مما ورد في المقامة الأخيرة : (من المنثور غير المنقوط) ٠

الحمد لله الممدوح الأسماء ، المحمود الآلاء ، الواسع العطاء المدعو لِحَسْمِ الأدواء ، مالك الأمم ، ومصور الرِمَمَ ، وأهل السماح والكرم ، ومهلك عادٍ وإرَمْ ، أدرك كل سر علمه ، ووسع كل مصر حلمه ، وعَمَّ كل عَالَمٍ طَوْله ، وهَدَّ كل مارد حَوْله ، أحمده حمد موحد مُسْلِم ، وأدعوه دعاء مؤمل مُسَلِّم ، وهو الله لا اله الا هو الواحد الأحد العادل الصمد ٠٠٠ إلى أن قال : ٠٠وادكروا الحمام وسكرة مصرعه والرمس وهول مُطَّلَعِهِ ، واللحد ووحدة مُودَعِهِ ، والمَلَك ورَوْعة سؤاله ، ومَطْلَعِه ٠٠٠٠) ٠ والخطبة طويلة يكفى ما وقفنا عليه الآن ٠ وقد رأيت خلالها تلك الألوان البديعية التى أشرنا إليها ، فهى بكاملها لون آخر من الألوان الصورية أو الخطية ٠

فإلى صورة أخرى للحريرى وهى رسالة أخرى جاء بها بصورة تبادلية : كلمة منقوطة وأخرى خالية من النقط ، وهكذا إلى آخرها ، وردت في المقامة السادسة ٠ قال : (الكرم ثبت الله جيش سعودك يزين ، واللؤم غض الدهر جفن حسودك يشين ٠ والأروع يثيب والمعور يخيب ، والحلاحل يضيف ، والماحل يخيف ، والسمح يغذى ، والمحك يقذى ، والعطاء ينجى ، والمطل يشجى ، والدعاء يقى ، والمدح ينقى ، والحر يجزى ، والإلطاط يخزى ، واطراح ذى الحرمة غَيٌّ ، ومحرمة بنى الآمال بغى ٠٠٠٠) هكذا الى أن فرغ منها بهذه الصورة المعقدة المتكلفة ، فهى كما ترى أشد تعقيدا من القصيدة المماثلة لها في اللون ٠ يبدو أن المهم هو ابداء المقدرة على التشكيل ٠٠٠٠ والله أعلم ، ٠

الرســـــالة الرقطـــاء :

أما الآن فإلى لون آخر ورد في رسالة له سماها الرقطاء التزم فيها بصورة أخرى من هذه الصور الخارجية التى لا صلة لها بالمعنى ولا بالتحسين اللفظى ، ومع ذلك عاد أبو العباس ومدح هذا العمل وقال : (إنه أبدع فيها بما أراد وأغرب بها وأجاد) ٠ ودعاه هذا الاستحسان إلى إيراد كثير من القطع الشعرية الواردة في مدح الرسائل ، حتى قال : إن منها ما يجرى لها كالوصف ، أما تسميتها بالرقطاء فقد جاءت تشبيها لها بالدجاجة المرقشة المنقطة بسواد وبياض ٠ لأنها جاءت بحرف منقوط وآخر غير منقوط من أولها إلى آخرها ٠

ونظرا لكونه لم ينظم أبياتا مستقلة بهذه الصورة فقد قام بإدماج بعض الأبيات بهذه الصفة داخل هذه الرسالة ، فإلى شيء منها خلال المقامة السادسة والعشرين : ـ

(اخلاق سيدنا تحب ، وبعقوته يلب ، وقربه تحف ، ونأيه تَلَف ، وخلته نسب ، وقطيعته نصب ، وغربه ذلق ، وشهبه تأتلق وقويم نهجه بان ، وذهنه قلب وجرب ، ونعته شرق وغرب :

سَـيِد قُـلَّـبٌ سَـبُوق مُـبِرٌّ ‏ ‏ فَطِنٌ مُغْرِبٌ عَزُوفٌ عَيُوف
مُـخْـلِـفٌ مُـتْـلِـفٌ أغَرُّ فَرِيد ‏ ‏ نَابِــهٌ فاضِـــلٌ ذَكِيٌّ أَنُوف
مُغْلِقٌ إِنْ أَبَان طَبٌّ اِذَا نَا ‏ ‏ بَ هِياجٌ وجَلَّ خَطْبٌ مَخُوف)

واستمر هكذا نثر ثم شعر ثم نثر ثم شعر ، إلى آخر الرسالة التى يصعب تمييزها عن السابقة لها في الثقل والتعقيد : ـ

الملحق بالبديع :

قبل أن نخرج من الحديث عن البديع عند الحريرى نتساءل هل ترك ذلك الملحق الذى اعتاد البلاغيون أن يذكروه عقب الحديث عن المحسنات ويجعلوه ملحقاً به ؟ لم يبخل الحريرى ولم يترك ذلك اللون المسمى بالسرقات الشعرية الا أنه اخترع لنا لونا جديدا من نظم الشعر وقال إنَّ فيه سرقة ، ولكنها سرقة لا كالسرقات المألوفة ، لأنها تمت بأن وضع هو نفسه يده اليسرى في (جيبه) الأيمن ، لهذا يبدو لى أنه لا يستحق أن تقطع يده بسبب هذه السرقة ، وهذا اللون البديعى الحريرى ، صنعه بطريقة خاصة معينة وهى أن يأتى بأبيات من الشعر على قافية الراء مثلا فإذا حذفت الجزء الأخير من البيت ، تغير بحر القصيدة وتلون بلون آخر وخرجت القصيدة في ثوب آخر جديد وانتهت بقافية أخرى جديدة فالمثال أحسن موضح لجواب السؤال وإليك بما نقول من المقامة الثالثة والعشرين : ـ

يَاخَاطِــب الدنــيا الدَنِــيَّة إِنَــها ‏ ‏ شَرَكُ الرَّدَى وَقَرَارة الأَكْدَار
دار متى ما أضحكت في يَوْمِها ‏ ‏ أَبْكَت غَدَا بُعداً لَها مِن دار
وَإذا أَظَـلَّ سَحابُـها لَـم يَـنْـتَـقِـع ‏ ‏ مِـنْــهُ صَدَى لِـجَـهامِهِ الـغَرَّارِ
غَارَاتُــها مَا تَــنْــقَــضِي وَأَسِــيرها ‏ ‏ لَا يُـفْـتَدَى بِـجَلائِـل الأَخْـطَار
كَــمْ مُزْدَهِى بِـــغُرُوِها حَــتَّى بَدَا ‏ ‏ مُــتَـمرّداً مُـتَـجَاوِزَ المِـقْدَارِ
قَـلَـبَـتْ لَـهُ ظَـهْر المِجَنّ وَأَوْلَـغَـتْ ‏ ‏ فِـــيـــه المُدَى وَنَزت لِأَخْذ الـــثار

فَارْبَأْ بِعُمْرِكَ أَنْ يَمُرَّ مُضَيَّعاً ... فيها سُدَى مِن غَيْر مَا اسْتِظْهَار
وَاقْطَعْ عَلَائِقَ حُبِّهَا وَطِلَابِهَا ... تَلْقَ الهُدى وَرَفَاهَة الاسْرَار
وَارْقُبْ إِذَا مَاسَالَمتْ مِن كَيْدِها ... حَرْبَ العِدَى وَتَوَثُّبُ الغَدَّار
واعْلَم بِأَن خُطُوبَها تَفْجَا وَلَو ... طَال المدَى وَوَنَتْ سُرى الأَقْدَار

فهذه القصيدة إذا اقتطعت منْها الجزء الأخير صارت مثل ما أشرنا في أول الحديث هكذا :

ياخاطب الدنيا الدنية إنها شرك الرى
دارٌ متى ما أضحكت في يومها أبكت غدا
وإذا أظل سحابها لم ينتقع منه صدى
غاراتها ما تنقضى وأسيرها لا يفتدى

وهكذا إلى آخر الأبيات التى مرت بك . وهذه القصيدة يمكن أن تكون شاهداً لما أشرنا إليه من ذم الحريرى للدنيا وتقلباتها .

والآن لست أدرى بم نسمى هذه السرقة ، هل هى سرقة شرعية أو أنها سرقه شعرية غير شرعية ؟ المهم أنها ليست من السرقات الشعرية الاصطلاحية الملحقة بفن البديع وإن كانت بديعة أعنى طريفة في نفسها ، لأنهم يشترطون الانتقال من جيب شاعر إلى جيب شاعر آخر ، لكن هذا ربما جاز أن يسمى بالبديع الصورى فهو كما رأيت يهتم بالصورة والاتيان بالطرائف فيها ، وله قدرة في التشكيل واخراج أفانين القول وتقليب الأساليب .

وبعـــد :

فما رأى شيخ البلاغة العربية في هذا وأمثاله ، يقول الشيخ بعد مناقشات طويلة : (وعلى الجملة فإنك لاتجد تجنيسا مقبولا ولا سجعاً حسنا ، حتى يكون المعنى هو الذى طلبه واستدعاه وساق (١) نحوه ، وحتى تجده لاتبتغى به بدلا ولا تجد عنه حولاً ، ومن ههنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه ، وأحقه بالحسن وأولاه ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه ، وتأهب لطلبه ، أو ما هو لحسن ملاءمته ـ وإن كان مطلوباً ـ بهذه المنزلة وفي هذه الصورة . وذلك كما يمثلون به أبداً من قول الشافعى رحمه الله تعالى وقد سئل عن النبيذ ، « أجمع أهل الحرمين على تحريمه » (٢) .

أعتقد أن لكل قارئ الآن الحق في أن يحكم بنفسه على ما وقفنا عليه ، والله الموفق وصلى الله على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

---

(١) يقول المعلق بحواشيه : يظهر أن الأصل : وساقك نحوه .

(٢) راجع أسرار البلاغة ص ١٥ مطبعة الاستقامة بالقاهرة .



أختى العزيزة هل :

في الرسالتين السابقتين حدثتك عن الصيغة الأولى من الصيغ التى أدخل فيها على لم النافية الجازمة لمضارع رأى وهى : « ألم تر إلى » وأنت ترين أنها تتكون من همزة استفهام يليها لم النافية الجازمة لمضارع رأى مسندا إلى ضمير المخاطب متعديا بـ (إلى) الجارة .

وفي هذه الرسالة الثالثة أريد أن أحدثك عن الصيغة الثانية من الصيغ التى أدخل فيها على لم النافية الجازمة لمضارع رأى وهى : « ألم تر أن » وقد وردت هذه الصيغة في ثلاث عشرة آية من آيات القرآن الكريم :

الآية الأولى قوله تعالى : « ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد » . الآية (١٩) من سورة النساء .

الآية الثانية قوله تعالى : « ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم » . الآية (٧) من سورة المجادلة .

الآية الثالثة قوله تعالى : « ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدوابّ وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فماله من مكرم إن الله يفعل ما يشاء » . الآية (١٨) من سورة الحج .

الآية الرابعة قوله تعالى : « ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافّات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون » . الآية : (٤١) من سورة النور .

الآية الخامسة قوله تعالى : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير » . الآية (٦٣) من سورة الحج .

الآية السادسة قوله تعالى : « ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار » . الآية (٤٣) من سورة النور .

الآية السابعة قوله تعالى : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود » . الآية (٢٧) من سورة فاطر .

الآية الثامنة قوله تعالى : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما إن في ذلك لذكرى لأولى الألباب » . الآية : (٢١) من سورة الزمر .

الآية التاسعة قوله تعالى : « ألم تر أن الله سخر لكم مافي الأرض والفلك تجرى في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم » . الآية (٦٥) الحج .

الآية العاشرة قوله تعالى : « ألم تر أن الفلك تجرى في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور » . الآية (٣١) من سورة لقمان .

الآية الحادية عشرة قوله تعالى : « ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير » . الآية (٢٩) من سورة لقمان .

الآية الثانية عشرة قوله تعالى : « ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزّا » الآية (٨٣) من سورة مريم .

الآية الثالثة عشرة قوله تعالى : « ألم تر أنهم في كل واد يهيمون » . الآية (٢٢٥) من سورة الشعراء .

هذه هى الآيات الثلاث عشرة التى وردت فيها صيغة الاستفهام :

« ألم تر أن » .

واستفهام هذه الصيغة في هذه الآيات كلها استفهام تقريرى بمعنى الخبر فقوله تعالى : « ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق » معناه - والله أعلم - قد رأيت أن الله خلق السموات والأرض بالحق · وقوله تعالى : « ألم تر أنهم في كل واد يهيمون » · معناه - والله أعلم - قد رأيت أنهم في كل واد يهيمون ·

وقد تسألين وتقولين : إذا كان الكلام مع الاستفهام التقريرى بمعنى الخبر ، فلم لا يجيء هذا الكلام ابتداء على صورة من صور الخبر دون أن يتقدمه هذا الاستفهام ؟

أقول : هذا الاستفهام ينبّه المخاطب لما سيأتى بعده ، كأنما يقول له : انتبه ، أتسمع ؟ وشتان ما بين الكلامين يأتى أحدهما بعد تنبيه ويأتى الآخر ابتداء لم يتقدمه ما ينبه السامع لما بعده ·

أختى العزيزة هل :

من حقك عليّ أن أخبرك أن الزمخشرى في كشافه (١) قد قال في الاستفهام الوارد في قوله تعالى : « ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزّاً » قال ما يلى : « والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الآيات التى ذكر فيها العتاة والمردة من الكفار » ·

وتابعه على هذا الرأي أبو السعود في تفسيره (٢) فقال : « ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين» تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما نطقت به الآيات الكريمة السالفة » ·

وأقـــول : يحكم على الاستفهام ويبين معناه بالنظر إلى جملته ، وأى عجب في إرسال الله سبحانه وتعالى الشياطين على الكافرين تهيجهم إلى المعاصى وتغريهم بها إغراء · إن أحدا لا يستطيع أن يقول حقا إن في هذا عجبا ·

وادعاء أن التعجيب قد كان بما جاء قبل همزة الاستفهام ادعاء غير سليم · لأن همزة الاستفهام لها الصدارة في جملتها ، يستفهم بها عما بعدها ولا يستفهم بها عما قبلها ·

وقد تقدم أن قلت إن الاستفهام في هذه الصيغة استفهام تقريرى بمعنى الخبر · ·

أختى العزيزة هل :

أريد الآن أن أعود بك إلى هذه الصيغة الاستفهامية : « ألم تر أن » لأحدثك بما جاء فيها من كلمات وما يتصل بتلك الكلمات :

(تر) في هذه الصيغة مجزوم بـ (لم) وعلامة جزمه حذف الألف ، والفاعل ضمير المخاطب المستتر ، والمخاطب في هذه الصيغة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره ممن يصلح للخطاب ٠ و (تر) في هذه الصيغة بمعنى تعلم ، فهو يتعدى إلى مفعولين ٠ و (أن) التى تلت (تر) حرف توكيد ينصب المبتدأ ويرفع الخبر ، وهى في الوقت نفسه حرف مصدري تؤول مع خبرها بمصدر في محل نصب يسد مسدّ مفعولى (تر) ٠

ومتعلق الرؤية في هذه الآيات ـ ماعدا الآية الأخيرة ـ إخبار عن الله سبحانه وتعالى تبيّن فيما تبيّن أنه ـ جلّت قدرته ـ خلق السموات والأرض بالحق ، يعلم ما فيهن لا يخفى عليه شيء ، له يسجد ما فيهن ويسبّح ، ينزل الماء من السماء فينشأ عن ذلك نعم ومنافع كثيرة مختلفة لا تحصى ، ومن نعمه تعالى : تسخيره الفلك تجرى في البحر بأمره وإحسانه ، وإمساكه السماء أن تقع على الأرض ، وأنه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ، ويسخر الشمس والقمر كل يجرى إلى أجل مسمى ٠ وأنه تعالى يرسل الشياطين على الكافرين تهيجهم إلى المعاصى تهييجا فلا يرجى منهم خير ولا يتوقع بر ٠

هذا ما تعلقت به الرؤية الواردة في هذه الصيغة قد سقته إليك على وجه الإجمال دون تفصيل ٠ وقد جاءت هذه الأخبار جميعا مؤكدة بـ (أن) اهتماما بما تضمنته ومزيد عناية به ٠

أما الآية الأخيرة آية الشعراء فمتعلق الرؤية فيها هؤلاء الشعراء الذين لم يؤمنوا بربهم ولم يعملوا الصالحات ٠ وقد جاء قبل هذه الآية قوله تعالى : « والشعراء يتبعهم الغاوون » وقد يشك في صحة هذا بعض الناس ، وقد ينكره آخرون ، فجاء الاستفهام التقريرى مبينا أنه حق وصدق على وجه التوكيد والاستدلال ، والمعنى ـ والله أعلم ـ هؤلاء الشعراء يتبعهم الغاوون لأنهم يهيمون في كل واد على غير هدى يتبعون الشهوات ويقولون بألسنتهم الكذب ٠

أختى العزيزة هل :

دعينى أنتقل بك الآن إلى الصيغة الثالثة من هذه الصيغ التى أدخل فيها على (لم) النافية الجازمة لمضارع (رأى) · هذه الصيغة هى : « ألم تر كيف » وقد جاءت هذه الصيغة في ثلاث آيات من آيات القرآن الكريم :

الآية الأولى قوله تعالى : « ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون » · الآيتان : ٢٤ ، ٢٥ · من سورة ابراهيم ·

الآية الثانية قوله تعالى : « ألم تر كيف فعل ربك بعاد » الآية : (٦) من سورة الفجر ·

الآية الثالثة قوله تعالى : « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل » الآية : (١) من سورة الفيل ·

همزة الاستفهام في هذه الآيات الثلاث معناها التنبيه بمعنى طلب التأمل والتفكير · وهذا المعنى ظاهر في الآية الأولى لقوله تعالى بعد أن ضرب مثل الكلمة الطيبة : « ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون » · والتذكر هنا معناه التأمل والتفكير والاعتبار ·

أما في الآية الثانية والثالثة فقد ذكر الزركشى في كتابه البرهان (٣) أن الاستفهام في قوله تعالى : « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل » استفهام تنبيه بمعنى طلب التأمل والتفكير والتبصر · وما قاله الزركشى في استفهام سورة الفيل المتقدم يقال في استفهام سورة الفجر : « ألم تر كيف فعل ربك بعاد » · لأن صيغة الاستفهام في الآيتين واحدة ، ولأن متعلق الرؤية في الآيتين واحد ، فأصحاب الفيل وعاد وثمود وفرعون أمة واحدة أمة كفر وضلال وتكذيب بالرسل ·

وقد رأى الجلال المحلي في تفسير الجلالين (٤) أن استفهام سورة الفيل المتقدم استفهام تعجيب ، ورأى القرطبى في تفسيره (٥) وأبو السعود في تفسيره (٦) رأيا أنه للتقرير بمعنى قد علمت فعل ربك بهؤلاء الذين قصدوا حرمه ·

ورأيي أن ما ذهب إليه الزركشى أقرب إلى الصواب ، لأن قصص القرآن الكريم وأخباره عمن أهلكهم الله بذنوبهم تدعو إلى التأمل والتبصر والاعتبار قبل أن تدعو الى محض التعجيب والإخبار ·

قد تسألين وتقولين : إذا كان الاستفهام في هذه الآيات داعيا إلى التنبيه قائلا للمخاطب انظر بفكرك وتبصر ، ففي أى شيء يكون هذا التأمل والتفكير ؟ ·

أما في الآية الأولى فتعالى وانظرى إلى هذه الصورة الجميلة وتأملى ما اشتملت عليه :

الإيمان شجرة لها جذور عميقة في جوف الأرض تمتص الغذاء وتجد أسباب النماء ، ثم هى ذاهبة في السماء بأغصانها اللدنة وأوراقها الخضر لتمتص دفء الشمس وتعب نقي الهواء · فلا عجب أن تثمر ثمراً شهيا في كل حين بفضل من الله وإحسان ·

وهذا هو شأن المؤمن الذى استقرت في قلبه كلمة الإيمان : لا إله إلا الله · يحيا في قلبه ونفسه حياة آمنة مطمئنة ، يفعل الحسنات بفضل الله ما امتد به العمر ، ويعمل الصالحات بهدى منه تعالى في كل حين ·

وأما في الآية الثانية فموضع التأمل والتبصر مصارع الذين ظلموا ، مصارع عاد وثمود وفرعون الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد وظنوا أن لن يقدر عليهم أحد ، فصب عليهم ربك العذاب صبا يتذوقون طعمه تذوق المجلود طعم السياط ·

أما موضع التأمل في الآية الثالثة فهذه النهاية التى انتهى إليها أصحاب الفيل وقائدهم الذى امتطى الفيل · وكان من هوان هذا المغرور الأحمق وأصحابه على الله أن سلط عليهم خلقا ضعيفا من خلقه لا يساوى شيئا يذكر إذا قيس في نظر العين بحجم الأفيال ، فأرسلها عليهم جماعات من الطير تحمل في أرجلها حصيات صغيرة من سجيل ترميهم بها فتجعلهم كعصف مأكول ، وهل يصير العصف المأكول إلا رمادا تذروه الرياح ؟ !

والآن تعالى ـ أختى العزيزة ـ أحدثك بما في هذه الصيغة من كلمات بعد أن حدثتك عن معنى همزة الاستفهام فيها :

(تر) فعل مضارع مجزوم بـ (لم) وعلامة جزمه حذف الألف ، والفاعل ضمير المخاطب المستتر ، والخطاب هنا عام شامل للرسول صلى الله عليه وسلم ولغيره ممن يصلح

للخطاب · و (تر) بمعنى تعلم فهو ينصب مفعولين · و (كيف) اسم استفهام قد علق (تر) عن العمل في مفعوليه · وتعرب (كيف) في الآية الأولى : « ألم تر كيف ضرب الله مثلا ····· » مبنية على الفتح في محل نصب على الحال من (مثلا) · أما في قوله تعالى : « ألم تر كيف فعل ربك بعاد » · وفي قوله تعالى : « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل » فقد اختار ابن هشام في المغنى (٧) أن تعرب مفعولا مطلقا ، إذ المعنى أيَّ فعل فعل ربك · ولا يتجه فيه أن يكون حالا من الفاعل لأنه يقتضى أن الفاعل وهو الرب متصف بالكيفيات والأحوال (٨) ·

و (كيف) وما دخلت عليه ـ في الآيات الثلاث ـ في محل نصب سدّت مسدّ مفعولِي (تر) ·

أختى العزيزة هل :

لم يبق في هذه الرسالة إلا أن أحدثك عن الصيغة الرابعة من هذه الصيغ التى أدخل فيها على (لم) النافية الجازمة لمضارع (رأى) ، وهذه الصيغة هى : « ألم يروا إلى » ، فأسأل الله تعالى أن يكون فيك بقية من نشاط تعين على قراءة هذه البقية الباقية من هذه الرسالة ·

لقد وردت هذه الصيغة في خمس آيات من آيات القرآن الكريم :

الآية الأولى قوله تعالى : « أو لم يروا إلى ما خلق الله من شىء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجّدا لله وهم داخرون » ·الآية (٤٨) من سورة النحل ·

الآية الثانية قوله تعالى : « ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون » الآية (٧٩) سورة النحل ·

الآية الثالثة قوله تعالى : « أو لم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم » « إن في ذلك لآية وماكان أكثرهم مؤمنين » الآيتان : (٧) ، (٨) من سورة الشعراء ·

الآية الرابعة قوله تعالى : « أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء إن في ذلك لآية لكل عبد منيب » · الآية (٩) سورة سبأ ·

الآية الخامسة قوله تعالى : « أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شىء بصير » · الآية (١٩) من سورة الملك ·

هذه هى الآيات الخمس التى وردت فيها هذه الصيغة الاستفهامية : « ألم يروا إلى » ٠
ومتعلق الرؤية في الآية الأولى ما خلقه الله من شيء تنتقل ظلاله شيئا فشيئا من جانب إلى جانب صباح مساء ، ويسجد لله في ذلة وخضوع لا يستكبر ٠

ومتعلق الرؤية في الآية الثانية والخامسة هذه الطير المسخرات في جوّ السماء باسطات أجنحتهن حينا قابضاتهن حينا لا يمسكهن عن السقوط على الأرض إلا الله سبحانه وتعالى ٠

ومتعلق الرؤية في الآية الثالثة هذه الأرض وما أنبت الله فيها من أشجار كثيرة لاتعد ، وثمار طيبة شتّى لاتحصى ، ومن حدائق ذات بهجة مبثوثة في كل مكان ٠

ومتعلق الرؤية في الآية الرابعة هذه السماء والأرض تحيطان بالناس من كل جهة ، إن يشأ الله يخسف بهم الأرض أو يسقط عليهم قطعا من السماء ٠

وهمزة الاستفهام التى جاءت في هذه الصيغة أول كل آية من هذه الآيات الخمس معناها الإنكار والتوبيخ ، ينكر الله تعالى على هؤلاء الناس غير المؤمنين المدلول عليهم بواو الجماعة في قوله تعالى : « يروا » ينكر عليهم ويوبخهم ألا يروا هذه الآيات رؤية تأمل وتفكر واعتبار ، رؤية تقودهم إلى أن الله الذى خلق هذه الأشياء العظيمة الدالة على كمال قدرته وبديع صنعه إله واحد لا شريك له وأنه وحده المستحق للعبادة ٠

والإنكار هنا معناه لا ينبغى ، وقد يجيء بمعنى النفى المحض ، وسوف أنبهك على ذلك في موضعه ٠

أعود بك الآن إلى هذه الصيغة لأحدثك بما جاء فيها من مفردات :

« يروا » فعل مضارع مجزوم بـ (لم) وعلامة جزمه حذف النون وواو الجماعة فاعل مبنى على السكون في محل رفع ، والمراد به غير المؤمنين ، والرؤية هنا بصرية ولذلك عديت بـ (إلى) ٠ ولكنها ليست البصرية المحض بل البصرية التى يقع بها الاعتبار ويصحبها التأمل والتفكير في أحوال الشيء المرئيّ ٠

لعلك قد رأيت هذه الواو التى جاءت بين همزة الاستفهام ولم في « أولم يروا إلى » في الآية الأولى والآية الثالثة والآية الخامسة ٠

ولعلك قد رأيت أيضا هذه الفاء التى جاءت بين همزة الاستفهام ولم في « أفلم يروا إلى » في الآية الرابعة ٠

كثيرا ما تأتى هذه الواو وهذه الفاء العاطفتان بعد همزة الاستفهام ، وتشاركهما (ثم) على قلة ٠

ويرى سيبويه وجمهور النحاة (٩) أن الهمزة إذا كانت في جملة معطوفة بالواو أو الفاء أو بثم قدمت على العاطف تنبيها على أصالتها في التصدير وبقى العطف على ما قبل الهمزة ٠ والأصل في « أو لم يروا » وألم يروا ٠ والأصل في « أفلم يروا » فألم يروا ، بتقديم الواو والفاء على همزة الاستفهام ، ثم قدمت همزة الاستفهام لما لها من الصدارة وأخر العاطف فصارت الصيغة « أولم يروا » ٠ « أفلم يروا » وبقى العطف بعد تقديم الهمزة وتأخير العاطف بقى العطف على ماقبل الهمزة ٠

هذا مذهب سيبويه والجمهور ، وخالفهم جماعة أولهم الزمخشرى ، فزعم أن همزة الاستفهام مع هذا العاطف في موضعها ولم تقدم من تأخير ، وأن العطف على جملة مقدرة بين الهمزة والعاطف ، ويقدر المعطوف عليه هنا : أعموا ولم يروا ٠ أعموا فلم يروا ٠

وقد ضعّف ابن هشام الأنصارى في كتابه المغنى (١٠) رأى الزمخشرى هذا بأن فيه تكلفا لاداعى إليه ، وبأنه غير مطرد ، لأن الزمخشرى نفسه قد جزم في مواضع في القرآن الكريم بما يقوله سيبويه وجمهور النحاة ٠ وسيأتى ذكر بعض هذه المواضع في موضعها ٠

أما بعد فقد آن لهذه الرسالة الثالثة أن تنتهى ، وآن لك يا أخت أن تستريحى ٠

أسأل الله تعالى أن نلتقى عما قريب في الرسالة الرابعة ٠

وسلام الله عليك ورحمته وبركاته ٠

أختك

همزة الاستفهام

أ ـ مراجع ماجاء في هذه الرسالة الثالثة مرتبة ترتيب الأرقام الواردة فيها :

١ ـ تفسير الكشاف للزمخشرى جـ (٢) ص (٥٢٤) طبعة الحلبى بمصر ·
٢ ـ تفسير أبى السعود جـ (٥) ص (٢٨١) الناشر مطبعة ومكتبة عبد الرحمن محمد بالقاهرة ·
٣ ـ البرهان للزركشى جـ (٢) ص (٣٤٠) طبعة ثانية للحلبى بمصر ·
٤ ـ تفسير الجلالين هامش الفتوحات الإلهية جـ (٤) ص (٥٨٦) طبعة الحلبى بمصر ·
٥ ـ تفسير القرطبى جـ (٢٠) ص (١٨٧) الطبعة المصورة عن طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ·
٦ ـ تفسير أبى السعود جـ (٩) ص (٢٠٠) الطبعة السالفة الذكر ·
٧ ، ٨ ـ حاشية الدسوقى على مغنى اللبيب لا بن هشام الأنصارى جـ (١) ص (٢١٧) الناشر مطبعة ومكتبة المشهد الحسينى بالقاهرة ·
٩ ـ مغنى اللبيب لا بن هشام الأنصارى جـ (١) ص (٨ / ٩) تحقيق الدكتور مازن المبارك وزميله · الناشر : دار الفكر ·
١٠ ـ مغنى اللبيب لا بن هشام الأنصارى جـ (١) ص (٩ / ١٠) تحقيق الدكتور : مازن المبارك وزميله · الناشر : دار الفكر ·

ب ـ مراجع ذكرت معنى همزة الاستفهام في بعض الآيات الوارد ذكرها في هذه الرسالة الثالثة :

١ ـ الآية (١٩) من سورة ابراهيم :

تفسير الجلالين هامش الفتوحات الإلهية : جـ (٢) ص (٥٢٠) طبعة الحلبى بمصر ·

٢ ـ الآية (٨٣) من سورة مريم :

أ ـ تفسير أبى السعود : جـ (٥) ص (٢٨١) الناشر مطبعة ومكتبة عبد الرحمن محمد بالقاهرة ·

ب ـ تفسير الكشاف للزمخرشى : جـ (٢) ص (٥٢٤) طبعة الحلبى بمصر ·

٣ ـ الآية (٦٣) من سورة الحج :

أ ـ الفتوحات الإلهية جـ (٣) ص (١٧٨) طبعة الحلبى بمصر ·
ب ـ تفسير أبى السعود : جـ (٣) ص (٢٣٣) الطبعة السالفة الذكر ·

جـ - تفسير القرطبى : جـ (١٢) ص (٩١) الطبعة الثانية المصورة عن طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة .

د - تفسير البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى : جـ (٦) ص (٣٨٦) الطبعة المصورة عن طبعة السلطان عبد الحفيظ سلطان المغرب . الناشر : دار الفكر .

٤ - الآية (٤١) من سورة النور :

أ - الفتوحات الإلهية : جـ (٣) ص (٢٣٠) الطبعة السالفة الذكر .

ب - تفسير أبى السعود : ج (٦) ص (١٨٢) الطبعة السالفة الذكر .

٥ - الآية (٢٧) من سورة فاطر :

أ - تفسير أبى السعود : جـ (٧) ص (١٥٠ / ١٥١) الطبعة السالفة الذكر .

ب - تفسير البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى جـ (٧) ص (٣١١) الطبعة السالفة الذكر .

٦ - الآية (١) من سورة الفيل :

أ - البرهان للزركشى : جـ (٢) ص (٣٤٠) طبعة الحلبى بمصر (طبعة ثانية) .

ب - تفسير أبى السعود : جـ (٩) ص (٢٠٠) الطبعة السالفة الذكر .

٣ - تفسير القرطبى : جـ (٢٠) ص (١٨٧) الطبعة السالفة الذكر .

٧ - الآية (٤٨) من سورة النحل :

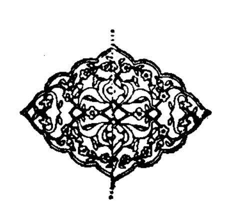
أ - الفتوحات الإلهية : جـ (٢) ص (٥٧٣) الطبعة السالفة الذكر .

ب - تفسير أبى السعود : جـ (٥) ص (١١٨) الطبعة السالفة الذكر .

جـ - تفسير البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى : جـ (٥) ص (٤٩٥) الطبعة السالفة الذكر .

٨ - الآية (٧) من سورة الشعراء :

تفسير أبى السعود : جـ (٦) ص (٢٣٤ / ٢٣٥) الطبعة السالفة الذكر .



المَرأَةُ المُسلِمَة

فضيلة الشيخ يوسف الهمذانى
مدرس بالمعهد الثانوى

دُرَّةٌ في صدَفٍ مكنونة — حرة تعلو على كل الدُّرَر

قد تناهت في سناء وسنى — وزَهَا رونقها حين استتر

نورها الوضاء صاف مشرق — شف عن قلب مضىء كالقمر

كسفت كل بريق زائف — لامع السطح تَسدى بالكدر

كاد أن يظهرها لألاؤها — باهِراً لولا ستور وخفر

فمضت كالنجم لَم يَسْمُ لها — كل ممدود الذِراع والبصر

صانها الله لموعود بها — أمَّل الخيرَ وأبلَى وصَبَر

شكر الله على آلائه — وحبا الله بفضل من شكر

فهداه لِحَصَانٍ بَرَّةٍ — والى الخيراتِ يهدى كل بَرّ

قدم الله بها بشرى له — بنعيم في الجنان مُدَّخَر

زاده نعمى وايناسا بها — فهى عيش وسلام وظفر

ورعى الله الذى بينهما — من صحيح الود دنيا وأخَر

* * *

" ما أضاعَ الحقَّ إلاَّ منْ بكاهْ "

للدكتور ابراهيم حسن ابراهيم

الأستاذ المشارك بكلية الدعوة وأصول الدين

لَهفِي عليكَ أخِي الشهيـ … ـدَ .. شهيدَ معركة الطُّغَاهْ

صَبُّوا عليكَ قنابلَ الـ … أحقادِ أعداءُ الحياهْ

قد مَزقوا الجسَدَ النحيـ … ـلَ ، فطار في كل اتجاهْ

في كل شبرٍ منك جز … ءٌ عاش يشكو للإلَهْ

فبعينِهِ ، وبسمعِهِ … كلُّ الذى فعلَ الجُنَاهْ

لكنَّه يُمْلِي لهُمْ … أمراً بحكمتهِ قَضَاهْ

فإذا تمكَّن عرشُهُمْ … وتربَّعوا فوقَ الجِبَاهْ

وتَرَدَّتِ الدنيا لهم … ثوبَ الصفاءِ حلاَ سَنَاهْ

وعلا غلوهمو وقد … خالوا الزمانَ دنَا جَنَاهْ

حُمَّ القَضاءُ فجُرِّدوا … من كل سلطان وجاهْ

ورمتهُمُ الدنيا عُرا … ةً مثلما ترمَى النَّواهْ

وتبرَّمتْ بِهمُو رُمُو … سُ طالما وسِعَتْ أباهْ

والتُّرْبَ يصرخُ .. يستَقِي … ءُ تقزُّزاً ممَّا يَراهْ

والدودُ من نَتَن الرَّوا … ئِح يشتَكِي همًّا بَراهْ

وجهنمّ تعوى تصيـ … ـحُ : لبئسَ ما جوفِي حَوَاهْ

ماذا جنَتْ أرضِي ؟! وأىّ … الذنبِ شعبى قد جناهْ

عشنا دهورا في سلا … مٍ .. كلُّنا يرعى أخاهْ

في ظلِّ شِرعةِ ربِّنا … سمَتِ الرعيّةُ والرُّعَاهْ

حكامُنا لدين كا … نوا قوةً تحمِى حِمَاهْ

والفتحُ يتلو الفتحَ والـ ... إسلامُ مسرعةٌ خُطاهْ
والخيرُ في كل البقا ... ع يضُوعُ ـ من عِظَمٍ ـ شذاهْ
سعد الجميعُ بعدلِ ديـ ... ـن الله .. ما عدلٌ سواهْ
والكفرُ باءَ بحسرةٍ ... يطوى ـ على كَمَدٍ ـ أساهْ
لكنَّ إبليسَ اللعيـ ... ـن يصيحُ : صبرا يا أباهْ
لايُوئِسَنَّكَ أن ترى الـ ... أقوامَ في خيرٍ سُعاهْ
فلربَّما خلْفٌ يجي ... ءُ .. يهدُّ مارفعَ البُناهْ
تمضِي القرونُ على الخبيـ ... ـث وما تلين له قناهْ
بل كلّما فَترتْ جِذا ... ءُ الكفرِ .. سعَّرها لظاهْ (١)
مترقِّبا كلَّ المرا ... صد .. بالعشيّ وبالغداهْ
ويظل يغوى بالضلا ... لِ قلوبِ جُهّال عُمَاهْ (٢)
وإذا رأى خَورَ العقيـ ... ـدة عند ذى ضَعف سباهْ
وبذا تبدَّل حالنا ... ويلاه ! ما فعلَ السّفاهْ ؟!
قد هدّموا صَرح القدا ... سة .. مزّقوا طهر الصلاهْ
هم فرّقوا منا الليو ... ث ، وأكثروا فينا الشّياهْ
هم أهدروا منا الدما ... ءَ .. وويلٌ من هُدرتْ دماهْ
هم أسلمونا للطغا ... ة .. وإنهم شرُّ الطغاهْ
جفِّفْ دموعك يا شقيـ ... ـقُ ؛ فلن نُفيدَ من البُكاهْ
سيظَلّ صوتُ شهيدنا ... يعلو كما يعلو صداهْ
قم يا شقيقى لاتنمْ ... عن أخذ ثأرِى في صِباهْ
مابالدموع يكون ثأ ... رٌ .. لا .. ولا تسمو الجباهْ
ما بالدموع نُعيد حقًّـ ... ـا ضائعا سلَبَ الغُزاهْ
ما بالدموع نُزيح عن ... قدْس الطهارة ما شجاهْ
ما بالدموع يعود بشـ ... ـرٌ للقلوب .. أو الشفاهْ
كفكِفْ دموعك ؛ ما أضا ... عَ الحقَّ إلا من بَكاهْ
ما للضعيف كرامةٌ ... إن الكرامةَ للكماهْ

---

(١) جذاء : جمع جذوة

(٢) عماه : عمي

حـــــــوّلْ دموعـــــــك يا أخيَ مدافـــعـــــاً تُردى الــبُــغـــــــاهْ
واجــعـــــــل أساك لـظىً يُـحـــرِّ ق كـلَّ أعـــــداء الــحــيـــــاهْ
واصـبُـبْ عـلـيـهـم من لـهـيـــــــب الـحـــق ما يُـعـيِ الــرُماهْ
واسـحـــــــــــــق عدوَّ الله .. ذا كَ جـــزاء ما اقــترفــت يـــداهْ
وتذكرَنْ أخاك قـــــــــــــــــــد لـــبَى الــنّــــدا لمـــاً دَعَاهْ
فـــعلى دُروبِ الـــحـــق ســـــر قُدماً كـــمـا ســـار الـــشهُدَاهْ

ذكريات من المدينة

شعر الشيخ عبد الحميد عباس

ألا كم نَعِمنا بظـلّ النخيـل فــسقـيا لأيامــنـا الـخــالـيـهْ
وكــم قد شربــنــا المــعينَ الزلالَ بــكــأسٍ على حــبِـنّا صافــيـه !
ويا لـيـت شـعرىَ أيـن الـجَريـنْ وأيـن المحـارِثْ والـسـانيـه !
ومـن لى بنفـح النسيمِ العليلِ مع الصحبِ في (برزةَ) العاليه !
فـهــل لى إلى ما مـضـى رجـعـةٌ إلى الأهل في أرضنا الغاليه !
تـمـر الـلـيالى وأيامـهـا عـلـيـنـا كأحـدوثةٍ بالـيـه

* * *


ردود
و
مناقشات

حوامع الدكتور مصطفى محمود

بقلم الشيخ محمد المجذوب

في ترجمتى التحليلية لأفكار الدكتور مصطفى محمود قلت - ص ٣٩٤ - :

(ومع أن الأخ الدكتور قد شارف مطالع الطريق الى الحقيقة ، وتكشف له الكثير من الحجب التى كانت تحول دونها ، فاستعاد إيمانه بالكتاب والنبيين ، وأدرك مسافة الخلف ما بين المخرفين والمؤمنين ، فهو لا يزال في مسيس الحاجة الى الاستزادة من قراءة الحديث الصحيح ، والاتصال بمؤلفات الصفوة من خدمة هذا العلم النبوى ليزداد قلبه اشراقاً بنور الوحى ، الذى لا يغنى فيه القرآن عن الحديث ، ولا الحديث عن القرآن) .

وها هى ذى ثلاث سنوات تعبر على تلك الكلمة ، وكأنما كتبت اليوم ، فهو لا يزال ضارباً في ملاحقة الأشعة التى تبرق لعينيه من أفق الحقيقة ، فإذا أضاءت له مشى على هدى ، وإذا زاغ عنها بصره جمد في موقعه لا يدرى كيف يتجه ..

ومن هنا جاء ذلك الاضطراب في مسيرته ، فبينما هو محلق في جواء النور يترنم بألحان السعادة فيشوق ويطرب ، اذا هو من الجانب الآخر ناشز الصوت ، مشوش النغم ، يخبط في ظلمات لا ضوء فيها ولا دليل . .

لقد أعانه حبه الحق على التحرر من كثير من أخطائه السابقة ، ولكنّ بقية من أشراك الفلسفة والتصوف ومؤثرات الاعتزال ، إلى قصوره المعهود في مجال الحديث تحقيقاً وفقهاً . . قد قعدت به عن الانطلاق المنشود ، فهى تشده بين الحين والآخر إلى القول بما لا يطمئن اليه عقله ولا قلبه ، فيبعث من لا يعرف خلفياته النفسية والفكرية على سوء الظن بمراجعه وبواعثه ، وسأقف من هذه المفارقات على بعض ما لمست في كتابه الذى جعل عنوانه (الله) .

● إن هذا الكتيب معرض غير منظم لمفهوماته في أخطر البحوث المتصلة بموضوع التوحيد .. فهو يتحدث عن ذات الله وصفاته وعمله سبحانه في الكون .. وما الى ذلك مما لا سبيل معه إلى العصمة من الشطط ، إلا أن يلتزم الكاتب فيه طريق الوحى من كتاب الله والصحيح في السنة .

ولقد قصرت طاقة الدكتور مصطفى في نطاق الوحيين ، فجاء عمله في هذا الكتاب كما قيل في شعر أبى تمام « كساحة الملوك فيه الذهب وفيه الخزف » .

فبينا هو يواجه القارىء بمثل هذا التقرير الجرىء عن الله تبارك اسمه (لا يمكن أن يقال انه فوق أو تحت أو عن يمين أو شمال ، أو داخل أو خارج . ـ ص ٨ ـ وأنه جلت صفاته (يتخلل كل شيء في حضور كامل ... ـ ص ٩ ـ) إذا هو ـ في ص ٣٥ ـ يقول (وكما لا يصح أن نتصور علاقة الله بنا اتحاداً فانه أيضا لا يصح أن نتصورها حلولاً ...) إلى أن يقول في الصفحة نفسها : (ويبقى الله دائماً في علاء مطلق وفي تنزيه وتجريد ، فهو العلى المتعال، له الفردانية الكاملة المبرأة عن الحلول والاحتواء في الزمان والمكان ...)

وغير خاف أنه في الفقرتين الأوليين إنما يستمد من رواسبه الصوفية التى تنفى عن الخالق جهة العلو وتقول بأنه الموجود في كل الوجود ، على حين يتنصل في الفقرتين الأخريين من ذلك المفهوم فيرفض كل مقررات الصوفيين ، ويقر لربه بالعلو المطلق اللائق بجلاله سبحانه .

وإنه لتناقض لا مفهوم له سوى أن الرجل في صراع مستمر بين مواريث التصوف وموحيات الشرع والعقل .

●واستمع اليه ينظر الى صفات خالقه من زاوية التمحل الاغريقى ، فيفسر معنى (الصمد) بأنه (ساكن سكوناً مطلقاً ـ ص ٩ و ١١ ـ) و (لا يتحرك ولا ينتقل ص ٩) .

وإنما يقرر ذلك لما رسب في ذاكرته من تعريفات فلسفية تنفى عن الحق سبحانه كل ما يضاد السكون ، لأنه بنظرهم خاص بالمحدثات التى يحتويها المكان ، فانتقالها دليل حدوثها .

ولا ندرى كيف يوفق بين هذه الظنون وبين الحقائق التى يحملها القرآن الخالد الى قلوب المؤمنين ، حيث يصف منزِلُه نفسَه عزَّ اسمه بالمجىء **(وجاء ربك والملك صفا صفا** ـ ٨٩/٢٢ـ)وبالاتيان (هل **ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظُلَل من الغمام والملائكة** ـ ٢/ ٢١٠ ـ) والتى يفصلها الحديث الصحيح في قوله (ص) : **(ينزل ربنا سبحانه وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر .. (١).**

ومن هذا المنطلق يأتى نفى الدكتور صفة الكلام عن ربه تبارك وتعالى فيقول: (وهو المتكلم بدون حروف وبدون كلمات ... ـ ص ١٢ ـ) يحدوه الى ذلك الحكم الخاطىء ماألفه في العادة من أن التكلم لا يكون إلا بلسان وشفتين ، ناسياً أن سبحانه ليس كمثله شيء ، وانه في زمان أصبح يسمع فيه الكلامُ من شريط لا شفة له ولا لسان ..

---

(١) من حديث متفق عليه

ولو هو قد عاد إلى قلبه لأنكر إنكاره ، إذ يعلم أن في نفى الحرف والكلمة عن كلام الله نفياً للقرآن نفسه ، الذى يتألف من الحروف والكلمات ، والذى يقرأ فيه قوله تعالى : (حتى يسمع كلام الله ـ ٧/٩) و (**قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربى . ـ** ١٠٩/٨٨)

ولقد تأخذه الشطحات) حتى يدخل في متاهات أصحاب وحدة الوجود الذين ينكرون عمل الانسان وأعيان الموجودات ، (فليس في الدنيا سوى الله . الوجود هو الله وأفعاله ولا غير ـ ص ٤٢ ـ) و (الزاهد الموحّد) ـ بنظره هو الذى تتلاشى من مداركه صور الأشياء حتى (لا يرى في أى شىء سوى الله وفعل الله ـ ٥٦/٥٧ ـ) .

وهكذا يمضى الدكتور في معميات الطرقيين يردد مزاعمهم حتى ليسوقه ذلك إلى الوقوع في أوهام صوفية النصارى الذين يصفون ربهم بأنه (محبة) فيصفه تعالى بأنه قوة ـ ص٦٤ـ وقد غفل عن كون القوة كالمحبة اسم معنى لاوجود له إلا في الذات الموصوفة به ، كعطف الأم على ولدها نسميه حباً ، وهو أثر من المحب لا قيام له الا به .. وغير بعيد عن ذلك اعتباره نحل النصرانية على اختلافها (متفقة على توحيد الله ، رغم قولهم بثالوث الأب والا بن والروح القدس ـ ٧٩ ـ) .

فلقد تلاشت في منظور الدكتور حدود الأشياء حتى لا يفرق بين التوحيد والشرك ! . وما أحسبه إلا قرأ قصة فولتير يوم أن تلقى أول درس في عقيدة التثليث على يد القس الجزويتى ، الذى حاول اقناع تلاميذه الصغار أن الثلاثة واحد ، فلما ترك الفصل لمدرس الحساب ، جعل هذا يدربهم على جمع الأعداد ، ثم جعل يختبر فهمهم للدرس فسأل فولتير : واحد زائد واحد ؟ . فأجاب فولتير : انهما اثنان ، فقال الأستاذ فاذا أضفنا اليهما ثالثاً ، أجاب الصغير : يصبح الثلاثة واحداً ... ويكرر الأستاذ السؤال مستعينا بوسائل الا يضاح ، فلا يغير فولتير من جوا به .. وحينئذ لم يجد المدرس بدا من توبيخه فصرخ به : حمار ! . ولكن الصغير رد بقوة : الحمار يا أستاذ هو القس الذى أرادنا على الا يمان بأن الثلاثة واحد ..

أما أنا فألمح في مسلك الدكتور آثار الرواسب الصوفية التى تصرفها الشطحات عن تبين الحدود ؛ فلا ترى أى فرق بين الكلام كما أنزله الله ، والديانات التى شوهها المحرفون ، فإذا العقائد جميعها واحدة في مفهوم القوم ، كما ينادى بذلك كبيرهم ا بن عربى في قوله :

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي اذا لم يكن ديني الى دينه دانى
فأصبح قلبي قابلاً كل صورةٍ فمرعى لغزلانٍ ودير لرهبان
وبيت لأوثانٍ وكعبة طائفٍ وألواح توراةٍ ومصحف قرآن

• ومن الرواسب الأخرى التى يعانى الدكتور مصطفى من عقابيلها ما استقر في تفكيره من نظريات النشوء والارتقاء .. فقد بدا لى أنه مأخوذ بكل ما تنطوى عليه من حق وباطل ، فهى بالنسبة اليه (قالب تفكير) لا يسعه مفارقته قيد أنملة .. وبدافع من ذلك نراه يجهد عقله لتحويل مدلولات الآيات القرآنية المتصلة بقضية الخلق ، الى توكيد كل ما يتعلق بمقولات الداروينيين في هذا الصدد ، ولو اضطر من أجل ذلك إلى رفض كل مفهومات السلف من مفسرى الكتاب الحكيم ، والى تجاهل كل البحوث التى ألفها أساطين العلماء شرقيين وغربيين ، في نقض تلك النظرية ...

ولعلى لاأجانب الواقع اذا قلت ان وقوفه عند ترديد هذه الأقاويل ، التى استنفدت أغراضها في الأوساط العلمية يمت بصلة وثيقة الى المؤثرات الماركسية السابقة ، فهو على الرغم من كفره بتلك الصلة،والحرب الشعواء التى يشنها على دعاتها ، لم يستطع التخلص من سلطانها على أفكاره،وبخاصة في معارضته للدعوة التى تملأ مصر هذهالأيام إلىتطبيق الشريعة الاسلامية،ثم في مفهوم التطور الذىتقولالماركسية بشموله المطلق لكل شيء دون استثناء...

وقد سبق أن ناقشنا الدكتور مصطفى في الجانب الأول أثناء تلاقينا في مدينة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وفي ترجمتنا له ونقدنا لأفكاره في كتاب (علماء ومفكرون عرفتهم) وعلى الرغم مما ألفينا لديه من حسن تفهم لخصائص الحكم الاسلامى ، لا يبرح جاثماً على موقفه المتنكر أو المتردد .. وهو موقف ناشيء عن ارتباطه المنهجى بتلك المؤثرات الخلفية ، التى تفرض عليه الظن بأن التطور الشامل لكل تحرك حضارى منظور ، لا يمكن أن يفقد سلطانه بازاء الوحى الذى تعهد الله سبحانه بحفظه كما أنزل والى الأبد .

• وقد أدى ارتباط الدكتور مصطفى بهذا المنهج الى ألوان من الشطط برزت آثارها في الكثير مما يكتب ويحاضر ..

ففى الجانب السياسى لا يستطيع أن يصدق أن نظام الاسلام يمكن أن يحقق مهمته في اصلاح الأوضاع البشرية ، بعد ذلك الانحراف الكبير الذى أحدثه التطور المستمر في هذه الأوضاع .. وقد فاته وهو الطبيب أن العمل الواجب نحو المريض هو تداركه بالعلاج الصحيح بالغاً ما بلغ ثمنه وزمنه .. وأن حرمانه من هذا العلاج توقعاً لشفائه عن طريق التطور ، لن يزيده إلا إمعانا في البلاء واقترابا من النهاية ... فخير لمصر إذن أن تبدأ بالعلاج الصحيح فوراً دون تأخير ، رحمة بنفسها وبالعالم الاسلامى ، ومن ثم بالمجموعات البشرية التى فقدت صمام الأمان في كل مكان .

وإيمانه بعدم محدودية التطور على مذهب الماديين هو الذى ساقه إلى تبنى نظرياتهم

المتهافتة في موضوع نشوء الشعور الدينى ، فراح يؤكد مزاعمهم بمثل قوله : (.. أدرك الانسان البدائى بوجدانه أن روحه في حاجة إلى عقيدة يأوى اليها ..) لكنه (لم يستطع أن يعرف حقيقة الآله المعبود من أول وهلة ....)(فظن أباه الميت هو الله فعبده وذبح له ..) ثم تطورت عبادة الأسلاف لتصبح عبادة لله ـ ٦١ و ٦٢ ـ) وينتهى من ذلك الى القطع بأن (أول خطوة نحو توحيد حقيقى .. هى التى حققها اخناتون نبىّ الفراعنة بحق-٦٣-)ويبقى عليه أن يحدثنا عن موقف الاسلام من ذلك فيقول:من هنا تأتى فكرة الاسلام عن الله الواحد الأحد المتعال الذى ليس كمثله شىء لتكون الذروة والخاتمة لذلك التجريد الخالص-٨١-).

فهو إذن يقرر جازماً أن الدين حاجة وجدانية خضعت لسلسلة من التجارب والتطورات صارت بها الى دائرة التوحيد في مرحلة متأخرة ، وكان أول المحققين لها أخناتون ـ ملك مصر العليا والسفلى ـ تماماً على النحو الذى يسلكه من يسمونهم علماء الاجتماع في الغرب ، والدائرين في فلكهم من أبناء المسلمين .. ، ولا تفسير لذلك سوى الغرور الذى صرف هؤلاء وأولئك عن نور الوحى إلى زخرف القول ، فأعرضوا عن نبأ السماء الذى لا يأتيه الباطل، الى محض الظن وما تهوى الأنفس .. وإلا فكيف يسمح مسلم لنفسه بالجرى وراء هذه الأوهام وهو يقرأ في كتاب ربه أن أول انسان هو أول نبى ، وأن معرفة الله وتوحيده هما الأمانة التى حُمّلها كل نبى الى قومه تحقيقاً للوعد الآلهى الذى تلقاه آدم في قول الحكيم العليم:(**.. فاما يأتينكم منى هدًى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى،ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا** ٢٠/ ١٢٣ ، ١٢٤) وانه لوعد صريح الدلالة بأنه تعالى مزوّد ذرية آدم على الدهر بالرسالات التى لا يضل المستضىء بها طريق الحق أبداً ، وإنما يتسرب الزيغ الى الانسان من مفارقته حقائق الوحى الى مغريات الشيطان الذى أقسم من يومه الأول ألا يدخر وسعا لافساد عقيدة الانسان الذى كرمه الله عليه ..

ولا جرم أن مجرد التسليم لأوهام القائلين بسبق الوثنيات لأصول التوحيد انما هو انكار لمحكمات القرآن الذى يقرر ـ كما أسلفنا ـ أن أول انسان هو أول داع لحقائق الاسلام.وإنا لنربأ بالدكتور مصطفى محمود ، وقد أخرجه الله من ظلمات الكفر الى نور الايمان ، أن يستمر على الثقة بأولئك الخراصين الذين يقول ربنا في أمثالهم (**ماأشهدتم خلق السموات والأرض ولاخلق أنفسهم،وما كنت متخذ المضلين عضدا** -١٨/ ٥١).

● ومرة أخرى نذكر بعلاقة هذه الأوهام بمزاعم داروين وماركس ، اذ ان مجرد الايمان بتنقل الحى خلال مراحل التطور من محض المادة الى الخلية الحية ، إلى التركيب

الأعلى الذى صار اليه الانسان، كاف لقبول كل طرح فكرى ينطلق من منافذ الظن ، الذى هو أكذب الحديث .. وفي هذه الحال لا يبقى مجال للقول بأب واحد للبشر كما يعلن البلاغ الآلهى ، بل لا بد من القول بأصول متعددة لأجناس بشرية متعددة ، فلا آدم ، ولا حواء ، وبالتالى لاأخوة انسانية و لا رسالة إلهية ، فلا وحى ولا دين ، وانما الدين ـ كزعم فرويد ـ (نوع من التسامى بغريزة جنسية ، كانت كراهية للأب فاستحالت مع التطور شكلا ظاهرياً من التكفير عن الذنب بحب لا يلبث أن يتحول إلى عبادة ـ ص ١٠٩ ـ) .

وطبيعى أن تصوراً كهذا لا يتسع للايمان بوجود الخالق الحكيم ، ولا يسوّغ القول بالميراث السماوى الذى يحدد المسيرة العليا للنوع البشرى عن طريق النبوة ، وأنا لا أسمح لقلمى باتهام الدكتور مصطفى بالانصياع لهذا الاتجاه المظلم عن سابق تصميم ، معاذ الله فأنا لا أزال على حسن الظن به على الرغم من اصراره على السير وراء أولئك الأفاقين ، الا أننى أصور المسلك الذى تورط فيه كما هو في الواقع . ومن قبل صور لنا الله تقدست كلماته واقع أناس قالوا كلمة الكفر ، فلم يشفع بهم مجرد انتسابهم إلى مجتمع الاسلام .

على أن ثمة زلة لا تقل وزناً عن هذه الطامات في كتاب الدكتور .. وذلك في زعمه نبوة أخناتون .. وهو قول عجيب يذكرنا بمفهوم النبوة في (العهد القديم) حيث نراها ضرباً من السمو الفكرى المكتسب ، فلا وحى ولا عصمة ، بل إن النبى في ذلك (العهد) لا يترفع عن اقتراف أدنى الدنايا ... وأعجب من ذلك وصفه اياه بأنه (نبى الفراعنة بحق ـ ٦٣ ـ) على حين لا يلبث أن ينسب اليه الضلال في أخص خصائص العقيدة فيقول : (إخناتون يخطىء في تصوره لله) إذ يزعم أنه (ابن الله الذى ولد من صلبه ـ ٨٣ ـ) .. تعالى الله عما يقول الظالمون ...

وبعد فهذه تفصيلات لمآخذ كنت قد كتبت خطوطها الأولى في أعقاب قراءتى لكتاب الدكتور عن (الله) جل جلاله .. ولما أعدت النظر فيها وجدتها لا تزال صالحة للبسط ، لأنه لا يزال مصراً عليها في أحاديثه المقروءة والمسموعة .. وسأكون جد مغتبط اذا أدت المرجو منها في تعديل أفكار ذلك الرجل الذى أحببت فيه الوداعة ، ولمست من خلال أحاديثه الخاصة صفاء الروح وحب الحق .. وأعجبت بالكثير من تأملاته المتوهجة ..

● وأخيراً أرى من الانصاف لذلك الكتاب أن لا أغفل الاشارة الى بعض حسناته التى تستحق كل تقدير ، وقد نثرت كالأزاهر الرائعة في أثنائه ، وحسبى أن أوجه نظر قارئه الى رده على المتصوفة المضللين ـ ٣٥ و ٥٥ ـ ومقارنته بين حالي الكافر والمؤمن ـ ٤٤ و ٤٥ ـ ونقوله البارعة عن عقلاء عرفوا طريقهم الى الحقيقة في ضوء المخابر والتفكير الحر ـ ٩٦ و ٩٧ ـ .

وما أكثر تعابيره المضيئة هنا وهناك ، وبينها مثل قوله في العقل والبصيرة : (وإنما شأن العقل كمصباح يلقي بنوره إلى مدى معين ثم تبدأ منطقة من الظلام ، لا دليل فيها الا

نور البصيرة ؛ وهدى القلب ـ ٥٤ ـ) وقوله الآخر في تعريف الزهد الحق بأنه (هو الضن بالحياة أن تضاع في اجتلاب الترف الفارغ ـ ٥٥ ـ) وما أحكم رده على القائلين بقدم المادة وتطورها طبقا لما يسمونه بالقوانين الجدلية حيت يقول ؛ (من الذى وضع تلك القوانين في المادة ؟ . وكيف يوجد نظام بلا منظم ؟ .. ونسوا أن إسقاطهم لقانون السببية وتصورهم لخلق بلا خالق هو اسقاط للعلم كله وخروج على الفكر العلمى في بداهاته الأولى ـ ١٠٧ ـ) ومن هذا القبيل تسفيهه مدعيات القائلين (ان الدين هو حسن السير والسلوك ومكارم الأخلاق .. وهى مما يهتدى اليه الانسان بعقله وبالوازع الاجتماعى بدون حاجة الى دين ...) فلهؤلاء الخراصين يقول ؛ (الدين ليس هو الأخلاق ، وانما هو مرتبة أعلى من الأخلاق .. فاذا كانت الأخلاق وظيفتها تحقيق الانتماء الى الجماعة الانسانية على أحسن صورة .. فالدين وظيفته أشمل ، وهى تحقيق الانتماء إلى الكون والوجود والله على أفضل وجه ـ ـ ١٠٨ ـ) .

ومن البديهيات التى لا تعزب عن مثل الدكتور مصطفى محمود أن لا سبيل الى توافر هذا الانتماء على وجهه الصحيح الا بالالتزام التام لمقررات الكتاب المحفوظ وسنة مبلغه المعصوم ، وهو مطلب مستحيل التحقيق اذا لم نضرب بكل رأى أو ظن يخالفهما عرض الحائط .. ولو اقتضانا ذلك أن نخسر تطبيل الدجالين وتزمير المهرجين ٠

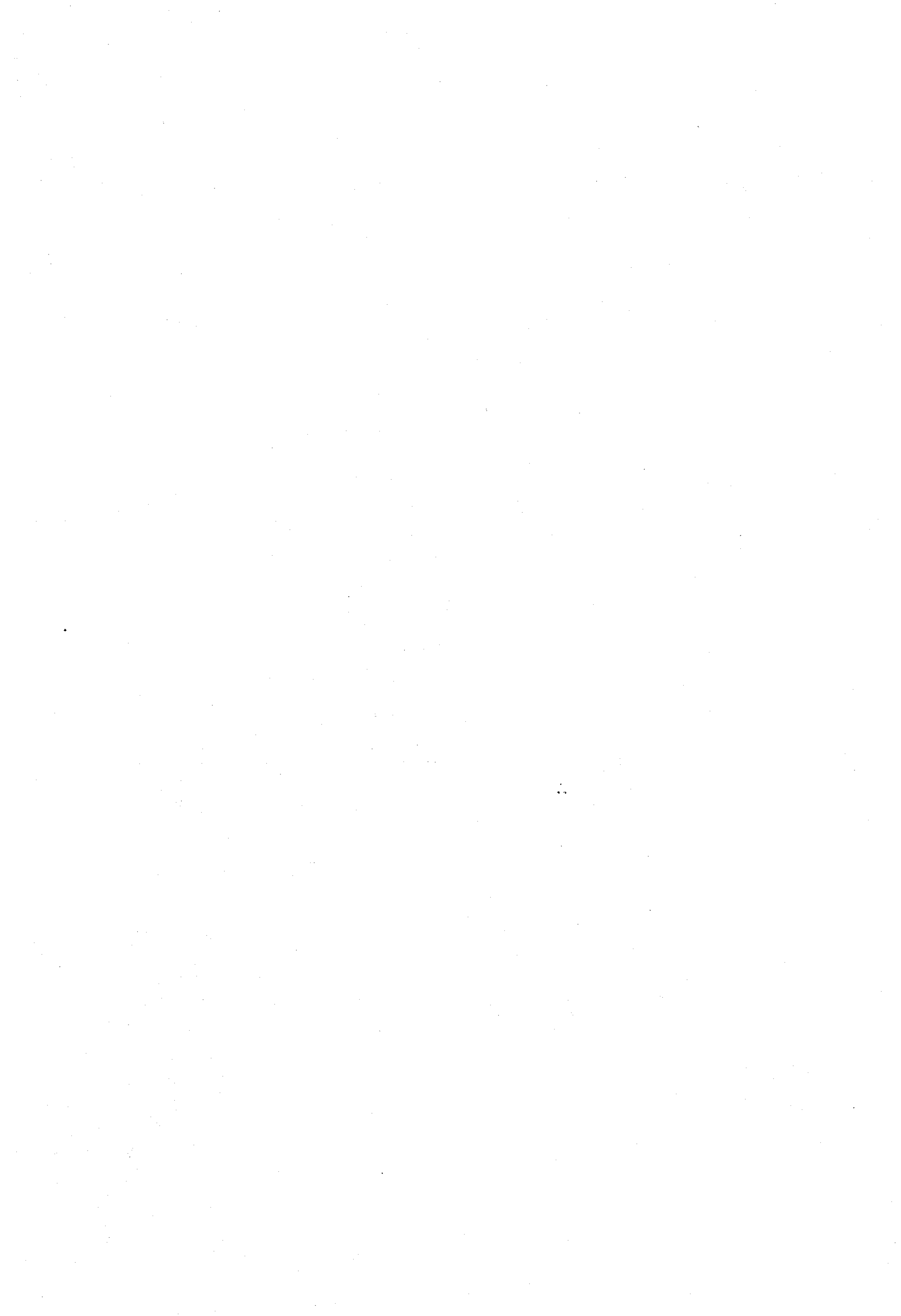
والله نسأل لنا وله العصمة من الزلل الوبيل ، والهداية الى أقوم سبيل .

قال الله تعالى :

ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ
وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾

من سورة الأنعام

إحياء التراث الإسلامي





الرد على الجهمية

(الحلقة الأولى)

للإمام الحافظ ابن منده ٣١٠-٣٩٥ هـ

تحقيق وتعليق الدكتور علي بن محمد بن ناصر الفقيهي

الأستاذ المساعد بكلية الدعوة وأصول الدين

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وبعـــد :

فإن لعلماء السلف دوراً كبيراً فى الرد على النزعات الفلسفية التى دخلت على الفكر الإسلامى من أعدائه ، ذلك أن الجهم بن صفوان المتوفى سنة ١٢٨ مائة وثمان وعشرين مقتولا ، أخذ مقالته فى نفى صفات الله تعالى عن الجعد بن درهم ، والجعد أخذ التعطيل عن أبان بن سمعان ، وأخذ أبان عن طالوت ، وأخذ طالوت عن خاله لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذى سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذه سلسلة سند المعطلة الذين انكرو صفات البارى تبارك وتعالى .

لذلك فقد نشط علماء السلف فى الرد على أهل التعطيل ، اذ ليس انكار الصفات الا رأيا فلسفيا تسرب الى صفوف المسلمين من أعدائه ، وردود السلف فى القرون الأولى تعتبر أول رد على هذه النزعات فى تأريخ الاسلام الذى توسع فيه من جاء بعدهم الى عصر شيخ الاسلام ابن تيمية .

وقد صنف السلف فى ذلك مؤلفات كثيرة تبين فساد آراء ومعتقدات هؤلاء المعطلة الذين أعمتهم أنوار النصوص الشرعية من الكتاب والسنة ، فأرادوا ردها ، وحتى يقبل منهم ذلك تستروا فى جُنّة ظلام التأويل ، وهو فى الحقيقة تحريف لتلك النصوص الصريحة عن مواضعها ، غير ان الذى نشر من هذه المؤلفات فى العقائد السلفية التى تعتمد على صريح القرآن وصحيح السنة قليل بالنسبة لما لم ينشر ، وعقائد الإسلام لا يمكن أن تكون قائمة على سوقها مؤتية لثمارها ان لم تتناول ما كتبه علماء السلف من القرن الثالث والرابع ومن نهج نهجهم من بعدهم الى عصرنا هذا .

وكتاب ابن مندة هذا (الرد على الجهمية) الذى نقدمه للقراء واحد من تلك السلسلة التى انتظمها كتاب الإمام أحمد بن حنبل فى الرد على الجهمية والزنادقة ، ومن سلك مسلكه كالبخارى والدارمي وغيرهما من علماء السلف .

نرجو الله تعالى ان ينفع به ، وأن يوفق المسؤولين فى جامعات المملكة الى نشر تراث سلفنا الصالح وإخراج ما خلفه علماؤنا لخدمة العقيدة الاسلامية المعتمدة على صريح القرآن وصحيح السنة ، إنه سميع مجيب ، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

الإمام ابن مندة : (٣١٠ هـ ـ ٣٩٥ هـ) .

هو الإمام الحافظ الجوال محدث الإسلام أبو عبد الله محمد بن اسحاق بن محمد بن يحي بن مندة (١) ، واسم مندة إبراهيم بن الوليد بن مندة بن بطة بن استندار بن جهار بخت ، وقيل اسم استندار هذا فيرزان . وهو الذى أسلم حين فتح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبهان .

---

(١) مصادر ترجمة ابن مندة :

١ ـ سير أعلام النبلاء ١١ / ورقة ٧ ـ ١٠ خ / المجمع اللغوي بدمشق .

٢ ـ تذكرة الحفاظ للذهبى ٣ / ١٠٣١ ط الثالثة سنة ١٣٧٦ هـ .

٣ ـ البداية والنهاية ١١ / ٣٣٦ ط الأولى سنة ١٩٦٦ م .

٤ ـ تاريخ دمشق لابن عساكر ١٥ / ورقة ٣٢ ـ ٣٤ خ / المجمع اللغوي بدمشق .

٥ ـ طبقات الحنابلة لأبى يعلى ٢ / ١٦٧ سنة ٣٧١ هـ السنة المحمدية .

٦ ـ المنتظم لابن الجوزى ٧ / ٢٣٢ ـ ٢٣٣ .

وقد استوفينا ترجمته فى تحقيقنا لكتاب الايمان الذى طبع بمطابع الجامعة الاسلامية .

مـولـده :

ولد سنة عشر وثلاثمائة أو احدى عشرة وثلاثمائة وقد لقى ا بن مندة منذ صغره عناية وتوجيها من أبيه فقد بث فى روحه التقى وحب السنة المطهرة ، ولذا نجد فى ترجمته أن أول سماعه كان فى سنة ثمانى عشرة وثلاثمائة ، وعمره حينذاك بين السابعة والثامنة ٠ وتوفى سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ٠

أسـرتـه :

وبيت بني مندة بيت علم ورواية وتمسك بالسنة وذب عنها ، يقول الذهبى فى ترجمة ا بن مندة : وقد أفردت تأليفا بابن مندة وأقاربه وما علمت بيتا فى الرواة مثل بيت بنى مندة بقيت الرواية فيهم من خلافة المعتصم والى بعد الثلاثين وستمائة (١) ٠

حياتـه العلميـة :

والباحث فى حياة الإمام الحافظ ا بن مندة يجد فيها مثال العالم العامل الدؤوب الجاد فى تحصيل العلم والحريص على جمعه وتطبيقه فى المسائل الدينية لا سيما ما يتعلق منها بالأمور الاعتقادية ، فهو الحافظ المحدث الذى لم يبلغ أحد مبلغه فى كثرة الشيوخ الذين سمع منهم وأخذ عنهم ، وهو بعد ذلك المصنف فى الحديث وعلومه ، وفى التفسير والتاريخ ، وفروع العقيدة ٠ وذلك لعلمه أن مصدر العقيدة الإسلامية الصحيحة بعد كتاب الله تعالى السنة المطهرة ٠ ولذلك نجد من مؤلفاته فى العقيدة الكتب التالية :

كتاب الصفات ، كتاب الرد على اللفظية ، كتاب فى النفس والروح ، وقد ذكر هذه الكتب الثلاثة الذهبى (٢) ضمن مصنفات ا بن مندة ، وهى فى حكم المفقود ٠ وكتاب التوحيد ومعرفة اسماء الله وصفاته على الاتفاق والتفرد (٣) ٠ وكتاب الإيمان على رسم الاتفاق والنفرد (٤) ، وكتاب الرد على الجهمية ، وهو هذا الذى نحن بصدد تحقيقه ونشره ٠ وقد ضمن هذا الكتاب الرد عل فرقة الجهمية وعلى رأسها زعيمها الأول ومؤسس بدعتها جهم بن صفوان

---

(١) خلافة المعتصم سنة ٢٤٨ البداية والنهاية ١١ / ٢ ٠

(٢) سير اعلام النبلاء ١١ / ٨ / ٢ ٠

(٣) الظاهرية . توحيد ٣٦ (١٤٧) ورقة قبل ٥٢٧ هـ فؤاد سزكين تاريخ التراث ص ٥٢٩ ٠

(٤) طبع بمطابع الجامعة الاسلامية بتحقيقنا ٠

المتوفى سنة ١٢٨ مقتولا (١) ، ذلك الذى تأثر بعناصر فلسفية فى نفى الصفات ، وبعناصر يهودية ، وصابئة ، وبوذية فى ترمذ والكوفة وحران (٢) ، فطلع على الناس ببدعته فى نفى الصفات ، والقول بخلق القرآن والقول بالجبر لأن الله عنده ، لا يمكن ان يتصف بصفة تكون مشتركة بينه وبين خلقه · فذلك فى تصوره ، يقتضى التشبيه ، الا أنه أثبت أن الله قادر وفاعل لأن العبد لا يوصف عنده بقدرة ولا فعل (٣) لأنه يقول بالجبر · ولما كان مذهبه هذا يؤدى الى تعطيل الصفات ، والى تعطيل التكليف ، والشرع ، وابطال النبوات والرسالات لأن الانسان عنده ، لا كسب له ولا اختيار وانما هو ريشة فى مهب الرياح ، اشتد انكار السلف عليه وبينوا بطلان مذهبه ، ومن هؤلاء ابن مندة فقد استعرض فى هذا الكتاب عددا من الصفات التى انكرها الجهمية ، ورد على هؤلاء المنكرين لحقائق هذه الصفات ، بما ورد فى القرآن الكريم ، وما ثبت فى صحيح السنة ، مما رواه الشيخان وغيرهما ثم اتبعهما بأحاديث وآثار منها الحسن ومنها الضعيف ، أوردها بأسانيدها وأشار الى ضعف بعضها أو عدم ثبوته ، والضعيف منها لا يَعْدُو أن يكون إيراده متابعة أو استشهادا ، اذ الاعتماد على ما جاء فى كتاب الله الكريم والثابت من السنة ، الوارد فى الصحيحين وغيرهما فقد صدر المصنف الأبواب التى ذكرها بالآيات القرآنية والأحاديث الثابتة ·

ثم أورد بعد ذلك آثارا من أقوال الصحابة والتابعين ليبين بها أن مذهب سلف هذه الأمة فى آيات الصفات وأحاديثها اثبات معانيها لله عز وجل من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل ، بل على أساس قوله تعالى : « ليس كمثله شىء وهو السميع البصير » كما قال إمام دار الهجرة مالك بن انس رحمه الله تعالى لمن سأله عن قوله تعالى « الرحمن على العرش استوى » كيف استوى ؟ فقال له : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة ، ثم قال : ولا أراك الا مبتدعا وأمر بإخراجه ·

وحين ظهرت بدعة الجهم واعتنقها كثير من الناس لجهلهم بالكتاب والسنة هب علماء السنة للرد على هذه البدعة ، ولبيان المذهب الحق فى ذلك أداء للأمانة ووفاء بالعهد الذي أخذه الله على العلماء فى بيان الحق وعدم كتمانه ·

وقد ذكر الذهبي فى كتابه (العلو للعلي الغفار) عددا من الأئمة الذين انكروا على الجهمية آراءهم المنحرفة ، وما الجهمية الا آراء واعتقادات يعتنقها كثير من الناس حتى الآن ، وهم لا يعرفون والبعض منهم يتجاهلون تجاهل العارف أنها آراء الجهمية التى حذر منها

---

(١) البداية والنهاية ١٠ / ٢٧ ـ ٢٩ ·

(٢) انظر فتوى الحموية الكبرى · لابن تيمية ص ٩٨ مع نفائس بتحقيق محمد حامد الفقى . الطبعة الثالثة سنة ١٣٧٤ هـ ·

(٣) مقدمة عقائد السلف ص ١٨ بتحقيق على سامى النشار ·

العلماء ، فالمعتقد لما جاء به الجهم جهميا وإن تسمى باسم آخر إذ الأسماء لا تغير الحقائق ، ولذا فان نشر كتب السلف هذه من واجب الأمة ليستضيء بها الشباب المسلم · فهي من أمور الساعة ، فحصوننا مهددة من داخلها ـ كما قال محمد محمد حسين ـ فى السلوك والاعتقاد ، ذلك ان بعض الدعاة المعاصرين يقولون : إن الجهمية وفرقا أخرى كالمعتزلة وغيرها قد انقرضت فلا حاجة الى البحث فيها ، فنشر مثل هذه الكتب لا حاجة اليه لأنها تبحث فى أمور لا يوجد من يعتنقها ويؤمن بها ، وحتى نثبت ما أشرنا اليه من أن آراء الجهمية منتشرة بين أبناء الأمة الاسلامية ، وأن الشباب فى حاجة الى بيان ذلك ، ليعرف قيمة كتب السلف التى تبنى عليها العقيدة الصحيحة ، فسنذكر بعضا مما انكره الجهمية من صفات الله تعالى ، فنقول :

من الصفات التى انكرها الجهمية :

(١) كون الله عز وجل فى السماء ، وأنه مستوٍ على عرشه كما قال تعالى : « أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض فاذا هى تمور » (الملك : آية ١٦) وقوله : « الرحمن على العرش استوى » (طه : آية ٥) ·

(٢) تأويل صفة النزول ·

(٣) القول بأن القرآن مخلوق ·

(٤) انكار رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة ·

وغير ذلك من الصفات الثابتة فى الكتاب ، وفى السنة الصحيحة ، كصفة الرحمة ، والرضى ، والغضب ، والقدم ، والضحك وغيرها · يقول الذهبي فى كتابه (العلو للعلي الغفار فى صحيح الأخبار وسقيمها) بعد أن أورد الآيات ، ثم الأحاديث وبين الصحيح من الضعيف منها · قال : « ذكر ما قاله الأئمة عند ظهور الجهم ومقالته (١) » ·

فذكر ما نقل عن أبى حنيفة وابن جريج ، والأوزاعى ، ومقاتل بن حيان عالم خراسان ، وسفيان الثورى ، **ومالك امام دار الهجرة حيث قال عنه :**

---

(١) العلو للذهبى ص ١٠١ ·

قال اسحاق بن عيسى الطباع قال مالك : كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما نزل به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم لجدله · قال : وساق البيهقي باسناد صحيح عن أبى الربيع الرشدينى عن ابن وهب قال : كنت عند مالك فدخل رجل فقال : يا أبا عبد الله « الرحمن على العرش استوى » (طه : آية ٥) ، كيف استوى ؟ فأطرق مالك وأخذته الرحضاء ، ثم رفع رأسه فقال : الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه ، ولا يقال كيف ، وكيف عنه مرفوع ، وأنت صاحب بدعة ، أخرجوه ·

قال الذهبى : هذا ثابت عن مالك ، وتقدم نحوه عن ربيعة شيخ مالك ، وهو قول أهل السنة قاطبة « إن كيفية الاستواء لا نعقلها بل نجهلها ، وان استواءه معلوم كما أخبر فى كتابه ، وأنه كما يليق به ، لا نتعمق ولا نتحذلق ، ولا نخوض فى لوازم ذلك نفيا ولا اثباتا ، بل نسكت ونقف كما وقف السلف ، ونعلم أنه لو كان له تأويل لبادر الى بيانه الصحابة والتابعون ، ولَماَ وسعهم اقراره وامراره والسكوت عنه ، ونعلم يقينا مع ذلك ان الله جل جلاله لا مِثْلَ له فى صفاته ، ولا فى استوائه ولا فى نزوله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا (١) » · **ثم أورد بعد** ذلك قول الليث بن سعد عالم مصر ، وسلام بن أبى مطيع ، وحماد بن سلمة · **وعبد العزيز الماجشون** مفتى المدينة وعالمها ·

وقد ذكر عنه ما يأتى : قال : أنكر الجهمية قوله تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » وقد قال المسلمون لنبيهم صلى الله عليه وسلم : هل نرى ربنا يا رسول الله ؟ فقال : هل تضارون فى رؤية الشمس ··· الحديث · الى أن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تملأ النار حتى يضع الجبار فيها قدمه فتقول قط قط ويزوى بعضها الى بعض » وقال لثابت بن قيس « لقد ضحك الله مما فعلت بضيفك البارحة » قال : وذكر فصلا طويلا فى المعنى (٢) · ثم تابع ذكر أقوال العلماء فى هذا الباب فذكر قول : حماد بن زيد البصرى الحافظ أحد الاعلام ، وابن أبى ليلى ، وسلام ، مقرى البصرة ، وشريك القاضى ، ومحمد بن اسحاق ومسعر بن كدام أحد الأئمة (٣) ·

ثم قال : **طبقة أخرى تالية لمن مضى ·** فذكر جرير الضبى محدث الري ، **وعبد الله بن المبارك** شيخ الاسلام ، ونقل عنه فقال : صح عن على بن الحسن بن شقيق ، قال : قلت لعبد الله بن المبارك كيف نعرف ربنا عز وجل ؟ قال : فى السماء السابعة على

---

(١) العلو للذهبى ص ١٠٣ ـ ١٠٤ ·
(٢) العلو للذهبى ص ١٠٦ ·
(٣) العلو للذهبى ص ١٠٩ ·

عرشه ، ولا نقول كما تقول الجهمية أنه ها هنا فى الأرض (١) • ثم ذكر أقوال عدد من العلماء الى أن قال : **طبقة الشافعى وأحمد رضى الله عنهما** • روى شيخ الاسلام أبو الحسن الهكارى ، والحافظ أبو محمد المقدسي باسنادهما الى أبى ثور وأبى شعيب كلاهما عن الإمام محمد بن ادريس الشافعى ناصر الحديث رحمه الله تعالى قال : القول فى السنة التى أنا عليها ورأيت عليها الذين رأيتهم مثل سفيان ، ومالك وغيرهما ، اقرار بشهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وأن الله **على عرشه** فى سمائه يقرب من خلقه كيف شاء ، وينزل الى السماء الدنيا كيف شاء ، وذكر سائر الاعتقاد (٢) •

وكذلك استمر فى ذكر أقوال العلماء الى أن ذكر أبا الحسن الأشعرى فقال : قال الإمام أبو الحسن على بن اسماعيل بن أبى بشر الأشعرى البصرى المتكلم فى كتابه الذى سماه (اختلاف المصلين ومقالات الاسلاميين) فذكر فِرَقَ الخوارج والروافض والجهمية وغيرهم الى أن قال : (ذكر مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث جملة) فقال : قولهم الاقرار بالله وملائكته ورسله وبما جاء عن الله ، وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يردون من ذلك شيئا ، وأن الله على عرشه كما قال (الرحمن على العرش استوى) وان له يدين بلا كيف ، كما قال (لما خلقت بيدي) ويصدقون الأحاديث التى جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الله ينزل الى السماء الدنيا فيقول هل من مستغفر) ويقرون ان الله يجىء يوم القيامة كما قال (وجاء ربك والملك صفا صفا) •

ثم قال : وقال الأشعرى فى كتاب (الابانة فى أصول الديانة له) فى باب الاستواء **فان قال قائل ما تقولون في الاستواء ؟ قيل نقول : إن الله مستو على عرشه كما قال :** (الرحمن على العرش استوى) وقال (اليه يصعد الكلم الطيب) وقال (بل رفعه الله اليه) • ثم قال أى الذهبى : (وكتاب الابانة) من أشهر تصانيف أبى الحسن ، شهّره الحافظ ابن عساكر ، واعتمد عليه ، ونسخه بخطه الامام محي الدين النواوى ، ونقل الامام ابن فورك المقالة المذكورة عن أصحاب الحديث عن أبى الحسن الأشعري فى كتاب « المقالات والخلاف » بين الأشعري وبين أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب البصرى ، تأليف ابن فورك فقال : الفصل الأول فى ذكر ما حكى أبو الحسن رضي الله عنه فى كتاب المقالات من جمل مذاهب أصحاب الحديث ، وما أبان فى آخره أنه يقول بجميع ذلك ، ثم سرد ابن فورك

---

(١) العلو للذهبى ص ١١٠ •
(٢) العلو للذهبى ص ١٢٠ •

المقالة بهيئتها ، ثم قال فى آخره : فهذا تحقيق لك من ألفاظه أنه معتقد لهذه الأصول التى هي قواعد أصحاب الحديث وأساس توحيدهم (١) ٠

ثم قال فى ص ١٦٢ ٠ قال الحافظ الحجة أبو القاسم بن عساكر فى كتاب (تبيين كذب المفترى فيما نسب الى الأشعرى) فاذا كان أبو الحسن رحمه الله كما ذكرنا عنه من حسن الاعتقاد ٠ مستصوب المذهب عند أهل المعرفة والانتقاد ، يوافقه فى أكثر ما يذهب اليه أكابر العباد ، ... الى ان قال : فاسمع ما ذكره فى كتاب الابانة ، فانه قال : الحمد لله ... الى أن قال : وجملة قولنا أن نقر بالله وملائكته ... وان الله مستو على عرشه كما قال (الرحمن على العرش استوى) وان له وجها كما قال (ويبقى وجه ربك) وأن له يدين كما قال (بل يداه مبسوطتان) (٢) ٠

ثم قال الذهبى : فلو انتهى أصحابنا المتكلمون الى مقالة أبى الحسن هذه ولزموها لأحسنوا ، ولكنهم خاضوا كخوض حكماء الأوائل فى الأشياء ومشوا خلف المنطق فلا قوة إلا بالله (٣) ٠

وبعد هذا العرض لأقوال بعض الأئمة نرى أن الصفات التى ردوا فيها على الجهمية هى : صفة الاستواء على العرش ، وصفة النزول ، وصفة الكلام ، ورؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة ٠

فهل المحرفون لهذه الصفات باسم التأويل انقرضوا ؟؟

الجواب : لا ٠ هم موجودون ويدعون العالم والشباب المسلم لاعتقادها ٠ فما عقيدة أبي منصور الماتوريدي فى هذه الصفات التى يدعو لها ويدّعي بعض الكتاب أن الأمة سلمت ، بل أجمعت على عقيدة أبى منصور الماتوريدي ، وأبى الحسن الأشعرى - ولا يقصد بعقيدة أبى الحسن الأشعري التى سبق بيانها فى الابانة والمقالات كما نقلها ابن عساكر فى تبيين كذب المفترى ، وعنه الذهبى فى العلو للعلى الغفار - وانما يريد عقيدة الأشاعرة التى ذكرها صاحب جوهرة التوحيد فى قوله :

وكل نص أوهم التشبيها أوّله أو فوض ورم تَنْزِيها

قال الشارح البيجورى بعد أن بين أنّ المقصود بالنص فى قوله « وكل نص » هو الدليل من الكتاب أو السنة : أن التفويض بعد التأويل الاجمالى وهو صرف اللفظ عن ظاهره

---

(١) العلو للذهبى ص ١٦١ ٠

(٢) انظر تبيين كذب المفترى ، لابن عساكر ص ١٥٢ - ١٦٣ طبعة سنة ١٣٩٩ هـ دار الكتاب العربى بيروت ٠

(٣) العلو للذهبى ص ١٦٣ ٠

ثم ذكر بعض النصوص التى توهم التشبيه فقال : فمما يوهم الجهة - أى جهة العلو لله ، قوله تعالى : (يخافون ربهم من فوقهم) قال : فالسلف يقولون فوقية لا نعلمها • والخلف يقولون : المراد بالفوقية التعالى فى العظمة •

قال : ومنه قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) فالسلف يقولون استواء لا نعلمه (١) • والخلف يقولون المراد به الاستيلاء والملك كما قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ودم مهراق (٢)

ويقول الآمدى فى غاية المرام فى علم الكلام ص ٢٠٠ محاولا نفى الجهة عن الله تعالى وهى جهة العلو ، وراداً للنصوص القرآنية الواردة فى ذلك • قال : ولعل الخصم قد يتمسك هاهنا بظواهر من الكتاب والسنة ، وأقوال بعض الأئمة وهى بأسرها ظنية ولا يسوغ استعمالها في المسائل القطعية ، فلهذا آثرنا الاعراض عنها ولم نشغل الزمان بايرادها • اهـ

القرآن كلام الله - قال الجهمية والمعتزلة انه مخلوق ورد عليهم السلف وضُرِب الامام أحمد بن حنبل على ذلك بين يدي المعتصم •

لكنْ ماذا قال الأشاعرة الذين يدعو لمذهبهم من سبقت الاشارة اليه ، يقول صاحب جوهرة التوحيد ص ٥٤ •

نـزّه القرآن أيْ كلامـــه   عن الحدوث واحذر انتقامه

يقول الشارح البيجوري بعد أن رد على المعتزلة فى قولهم ان القرآن مخلوق ، قال : ومذهب أهل السنة - يعنى بهم الأشاعرة - ان القرآن بمعنى الكلام النفسي ليس بمخلوق • وأما القرآن بمعنى اللفظ الذي نقرؤه فهو مخلوق ، لكن يمتنع أن يقال القرآن مخلوق ويراد به اللفظ الذى نقرؤه الا فى مقام التعليم ، لانه ربما أوهم ان القرآن بمعنى كلامه تعالى مخلوق • أي الكلام النفسي •

صفة النزول : أولوها بأن المقصود اقباله تعالى على أهل الأرض بالرحمة • أو أن الله يأمر ملائكة بالنزول إلى السماء الدنيا بهذا النداء والدعاء (٣) •

---

(١) السلف يقولون : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، وتقدم قول الامام مالك •

(٢) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ٤٣ -٥٤ المطبعة الخيرية شهر رمضان سنة ١٣١٠ هـ •

(٣) مشكل الآثار لا بن فورك ص ٧٥ - ٨٢ • طبعة دائرة المعارف العثمانية سنة ١٣٩١ هـ

رؤية المؤمنين ربهم فى الآخرة : أنكرها المعتزلة رداً للنصوص النبوية ، وتأويلا للآيات القرآنية ، ونفيا للجهة ـ أي جهة العلو ٠ ومعلوم أن الشيعة ، والزيدية معتزلة ٠ وأثبتها الأشاعرة مع نفي الجهة ٠

كما قال صاحب الجوهرة :

ويستحيل ضد ذى الصفات   فى حقه كالكون فى الجهات

قال الشارح : أي الجهات الست الفوق ... الخ ٠ ولا يستطيع أن يفسر هذه الرؤية الا الأشاعرة اذ لا توجد ذات تُرَى ، ولا تكون فى جهة من الرائي ٠ والحمد لله الهادى الى التمسك بما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ٠

ثم تأويل جميع الصفات الثابتة فى كتاب الله تعالى ، وفى صحيح سنة رسوله صلى الله عليه وسلم كصفة الرضى ، والرحمة ، والغضب ، واليدين ، والضحك وغيرها ٠ اعتمادا على قول صاحب الجوهرة السابق وهو تأويل كل نص أوهم تشبيها فى عقولهم ، ذلك أنهم لم يعرفوا من صفات الخالق جل جلاله ، الا ما شاهدوه فى المخلوق الضعيف المسكين الذي كان معدوما ثم وجد ، فتوهموا أنهم ان أثبتوا صفة لله ، والمخلوق يتصف بها فقد شبهوا ، فجرهم هذا التنزيه المتوهم الى التعطيل ٠ لأن كل لفظ يأتى وهو مشترك فى الاسم لا فى الحقيقة ، فلا بد من تأويله ، أى صرف اللفظ عن ظاهره ٠

وقد أحسن الأستاذ الزنداني فى المثل الذي ذكره فى محاضرته التى ألقاها فى الجامعة الاسلامية ، حينما تعرض لهؤلاء المؤولين لصفات الباري عز وجل فقال : ان هؤلاء لم يروا الا رأس الديك ؟

يقول فى شرح هذا المثل : يقال إن رجلًا أعمى رُدّ بصره عليه لحظة فرأى رأس ديك ثم عاد أعمى كما كان ٠ فكان إذا قيل له : ان فلانا بنى قصرا عظيما ، قال : كيف هو من رأس الديك ، وإذا قيل له وصلت اليوم الميناء سفينة ضخمة ٠ قال كيف هي من رأس الديك ٠ وهكذا كلما ذُكِرَ له شيء قال : كيف هو من رأس الديك ، لأنه لم يشاهد غيره ويريد أن يقيس كل شيء على الذى شاهده ٠

وهكذا هؤلاء المؤلون لصفات الله تعالى ، لم يشاهدوا الا هذا المخلوق الضعيف الفاني المتصف بهذه الصفات الفانية بفنائه ، فتوهموا أنهم ان أثبتوا لله هذه الصفات التى ذكرها فى كتابه وهو أعلم بنفسه من خلقه أو أثبتها له رسوله وهو أعلم الخلق وأتقاهم وأخشاهم لله

تعالى ، فقد شبهوه بخلقه · والله تعالى أجل وأعظم من كل ما شاهدته الأبصار أو توهمته العقول « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » ·

واقرأ قول الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى في ذلك يقول في الفقه الأكبر : وله يد ووجه ونفس كما ذكر الله تعالى في القرآن ، فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف ولا يقال إن يده قدرته أو نعمته لأن فيه ابطال الصفة وهو قول أهل القدر والاعتزال ، ولكن يده صفته بلا كيف وغضبه ورضاه صفتان من صفاته تعالى بلا كيف (١) ·

أما الذين ألفوا في الرد على الجهمية فمنهم إمام أهل السنة وقامع البدعة الامام أحمد ابن حنبل ، وقد ذكر في كتابه (الرد على الزنادقة والجهمية) (٢) إن كثيرا من أصحاب أبي حنيفة وأصحاب عمرو بن عبيد (٣) بالبصرة تأثروا بمذهب الجهم بن صفوان يقول رحمه الله بعد أن ذكر مناظرة الجهم للسُّمَنِيّة ... (ووجد ثلاث آيات من المتشابه · قوله : (ليس كمثله شيء) (الشورى / ١١) (وهو الله في السموات وفي الأرض) (الأنعام / ٣) (لا تُدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) (الأنعام / ١٠٣) ، فبنى أصل كلامه على هذه الآيات وتأول القرآن على غير تأويله ، وكذّب بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزعم أن من وصف الله بشيء مما وصف به نفسه في كتابه أو حدث عنه رسوله كان كافرا ، وكان من المشبهة ، فأضل بكلامه بشرا كثيرا ، وتبعه على قوله رجال من أصحاب أبي حنيفة وأصحاب عمرو بن عبيد بالبصرة ، ووضع دين الجهمية · فاذا سألهم الناس عن قول الله : « ليس كمثله شيء »

---

(١) الفقه الأكبر . للامام أبي حنيفة رحمه الله ص ١٦٧ ـ ١٦٨ طبعة دار الكتاب العربي بيروت سنة ١٣٩٩ هـ ·

(٢) وقد شكك زاهد الكوثري في نسبته الى الامام أحمد في تعليقه على كتاب ابن قتيبة (الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية) مكتبة القدسي . القاهرة ١٣٤٩ هـ ص ٥٥ بدعوى ان نسبته اليه انما كانت تعزى اليه في القرن الرابع الهجري عن طريق رواية مجهولة · يقول الدكتور علي سامي النشار ـ وأتى بعلل قادحة ـ حسب تصوره ـ للمتن والسند . ولا ندري ما هي هذه العلل القادحة التي صرح بأنه ذكرها في موضع آخر . ولم نجد لها ذكرا في تعليقاته التي نعلمها · أنظر مقدمة عقائد السلف ص ١٣ للدكتور علي سامي النشار · وقد أثبت صحة نسبة الكتاب للامام أحمد حيث قال : إنّ الخلاّل رواه عن طريق ابن أحمد بن حنبل وهو عبد الله . وقد نص الخلال على هذا الكتاب في كتابه السنة . وأورده بجملته . لأنه قد جمع في هذا الكتاب نصوص الامام أحمد وكلامه · ثم ذكر أن ممن أثبته أيضا . البيهقي . في كتابه الذي سماه « جامع النصوص » وابن القيم في كتابه « اجتماع الجيوش الإسلامية » ص ٧٨ ، ٨٢ ، وقال : ولم يسمع عن أحد من متقدمي أصحابه ولا متأخيرهم طعن فيه . وذكره أيضاً القاضي أبو الحسين بن القاضي بن يعلي . كما ذكره صاحب المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الامام أحمد . انظر مقدمة العقائد المشار اليها من ص ١٣ ـ ١٥ ·

(٣) عمرو بن عبيد بن البصري المعتزلي التيمي مولاهم أبو عثمان البصري . من أبناء فارس شيخ القدرية والمعتزلة . قال الامام أحمد بن حنبل : ليس بأهل ان يحدث عنه وقال علي بن المديني ويحي بن معين ليس بشيء . وزاد ابن معين وكان رجل سوء وكان من الدهرية الذين يقولون انما الناس مثل الزرع · وقال الفلاس : متروك صاحب بدعة . وقد ذكر ابن كثير الأقوال فيه وان ما نسب اليه من زهد كان يغُرُّ الناس به . وان الزهد لا يدل على الصلاح وضرب أمثلة لذلك · البداية والنهاية ١٠ / ٧٨ ـ ٨٠ ·

يقولون : ليس كمثله شيء من الأشياء وهو تحت الأرضين السبع ، كما هو على العرش ، ولا يخلو منه مكان ، ولا يكون فى مكان دون مكان ، ولم يتكلم ، ولا يتكلم . ولا ينظر اليه أحد فى الدنيا ولا فى الآخرة . ولا يوصف ، ولا يعرف بصفة ، ولا بفعل (١) ... الخ . .
قلت : وهذا يوضح لنا أن كثيرا من المتكلمين أخذوا بآراء الجهم بن صفوان . فكان هذا الكتاب ردا عليهم جميعا .

ولقول الجهم هذا الذى أحدث تصدعا فى صفوف المسلمين وفرق كلمتهم وجعلهم فرقا وأحزابا ، هَبّ علماء السلف فى الرد عليه وبيان فساد آرائه .

فممن رد عليه وفَنّد أقواله وبيّن زيفها

ـ الامام أحمد بن حنبل (٢٤٥) إمام أهل السنة وقامع البدعة بما جاء فى كتابه الرد على الجهمية والزنادقة . وهو ما سبقت الإشارة اليه .

ـ ثم الإمام البخارى محمد بن اسماعيل ، رد على الجهمية القائلين بخلق القرآن بكتابه خلق أفعال العباد فقد رد فيه على الجهمية التى تشمل المعتزلة والجهمية الأولى .

ـ وابن قتيبة عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ـ ٣٧٦) فقد رد على الجهمية بكتابه (الاختلاف فى اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة) كما بين المذهب الحق فى أحاديث الصفات حيث قال : وعَدْل القول فى هذه الأخبار أن نؤمن بما صح منها بنقل الثقات لها فنؤمن بالرؤية والتجلى ، وانه يعجب وينزل الى السماء ، وانه على العرش استوى ، وبالنفس واليدين من غير أن نقول فى ذلك بكيفية أو بحد أو أن نقيس على ما جاء ما لم يأت . فنرجو ان نكون فى ذلك القول والعقد على سبيل النجاة غدا ان شاء الله (٢) .

ـ والإمام أبو سعيد الدارمى المتوفى سنة ٢٨٠ هـ . فقد ألف كتابا فى الرد على الجهمية ، وهو من أقوى ما كتب فى الرد على الجهمية أسلوباً ومنهجا وأمتنها حجة مستندا الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . ومثله كتابه فى الرد على بشر المريسى وهو بشر ابن غياث بن أبى كريمة أبو عبد الرحمن المريسى وقد سماه جهميا . وغير هؤلاء من علماء السلف (٣) .

---

(١) الرد على الجهمية للامام أحمد بن حنبل ص ٦٧ . تحقيق على سامى النشار . و ص ١٠٤ تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة . طبعة دار اللواء الرياض .

(٢) الاختلاف فى اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة . لابن قتيبة ص ٢٤٣ تحقيق على سامى النشار .

(٣) أنظر ص ٣٥٩ ـ مجموع عقائد السلف : تحقيق على سامى النشار .

نسبة الكتاب الى ابن منـدة :

جاء على ظهر الكتاب ما يأتى :

(الرد على الجهمية تأليف أبى عبد الله محمد بن اسحاق بن محمد بن يحي بن مندة الحافظ) وقال فؤاد سزكين فى تاريخ التراث ص ٥٢٩ : رفان كوشك رقم ٥١٠ / ٥ من ورقة ٥٥ - ٦٦ ، ١٠٨٤ هـ · وذكر السيوطى فى الدر المنثور ج ٣ / ١٤٢ أحاديث فى تفسير قوله تعالى : « واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم » الآية · عن ابن عباس وأبى بن كعب ، وعبد الله بن عمر ·

فقال : واخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن أبى حاتم وابن مندة فى كتاب الرد على الجهمية وأبو الشيخ عن ابن عباس فى الآية ··· الخ وهو الحديث رقم ٢٣١ ·

وقال : وأخرج عبد بن حميد وعبد الله بن أحمد بن حنبل فى زوائد المسند وابن جرير وابن أبى حاتم وأبو الشيخ وابن مندة فى كتاب الرد على الجهمية ··· عن أبى بن كعب فى قوله (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم) وهو الحديث رقم ٣٠ ·

ثم قال : وأخرج ابن جرير وابن مندة فى كتاب الرد على الجهمية عن عبد الله بن عمر . ص ٢٩ كما ذكر فى الجزء ٦ / ٢٤٤ ، ٢٤٥ فى تفسير قوله تعالى (يوم يكشف عن ساق) عددا من النصوص منسوبة الى ابن مندة فى كتابه الرد على الجهمية اشرنا الى ذلك فى هامش كل صفحة ورد فيها النص ، هذه النصوص التى ذكرها السيوطى نقلا عن كتاب الرد على الجهمية لابن مندة وهى مطابقة لما فى الكتاب تثبت بما لا يدع مجالا للشك ان هذا هو كتاب الرد على الجهمية لابن مندة ·

وصف المخطوطـة : تقع فى عشر ورقات وتحوى الصفحة ، واحداً وثلاثين سطرا · وكتبت فى عام أربعة وثمانين بعد الألف ضمن مجموعة من العقائد فى مكتبة ريفان كوشك تحت رقم ٥١٠ / ٥ (ص ورقة ٥٥ -٦٦ ، ١٠٨٤ هـ) ·

أما منهج المصنف فى الكتاب فقد سلك فيه مسلك المحدثين من حيث ايراد النصوص بأسانيدها وقد اشتمل على اثنين وتسعين حديثا وأثرا ·

« عمــلى فى الكتــاب »

١) ترجمت للمؤلف ترجمة مختصرة ، كما أشرت الى مصادر ترجمته فى الحاشية .
٢) حققت النص ، وذلك بمقابلته بالنصوص مكان ورودها .
٣) خرجت الآيات القرآنية .
٤) خرجت الأحاديث والآثار الواردة فى الكتاب ، وقد عزوتها الى مصادرها مشيرا الى الجزء والصفحة .
٥) شرحت الألفاظ الغريبة .
٦) ذكرت فى المقدمة موضوع الكتاب ، ومنهج السلف فى الرد على الجهمية ومن سلك مسلكهم ولذلك فقد اكتفيت بالتعليق على الباب الأول من أبواب الكتاب لبيان منهج السلف فى ذلك حتى لا نثقل الكتاب بالتعليقات ولأن القول فى صفة كالقول فى جميع الصفات .
٧) وضعت فهرسا للموضوعات وآخر للمراجــع .

« الرمـــوز المستعملــة فى التخريــج »

خ ـ البخـــارى .
م ـ مســـلم .
حم ـ مســند الامام أحمـــد .
جه ـ ابن مـاجـه .
ن ـ النســائى .

وما عدا ذلك أصرح باسم الكتــاب .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أخبرنا الامام الحافظ أبو عبد الله محمد بن اسحاق بن يحي بن مندة (١) ٠ قال : قول الله جل وعز (يوم يكشف عن ساق) (٢) ٠ وما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك ، واختلاف الصحابة والتابعين فى معنى تأويله ٠

١ ـ حدثنا محمد بن يعقوب بن يوسف الأصم بنيسابور ، ثنا محمد بن عبد الوهاب ابن حبيب النيسابورى البصرى ، ثنا جعفر بن عون ، ثنا هشام بن سعد ، ح وثنا ابراهيم بن محمد الديبلى بمكة ، ثنا ابراهيم بن عيسى الشيبانى البصرى ، ثنا سويد بن سعيد ، ثنا جعفر بن ميسرة الصنعانى جميعا عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى ٠

أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل نرى ربنا عز وجل يوم القيامة ؟ قال : هل تضامون (٣) فى رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب ؟ قالوا : لا ٠ قال : فانكم لا تضامون فى رؤية أحدهما (٤) ٠ فاذا كان يوم القيامة نودى ليتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد شيئا الا تبعه حتى لا يبقى الا المؤمنون ٠ فيأتيهم الله عز وجل فيقول : أنا ربكم ٠ فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا ٠ فيقول : هل بينكم وبينه آية : فيقولون : نعم ٠ يكشف عن ساق فلا يبقى أحد ممن كان يعبد الله عز وجل إلا خر له ساجدا (٥) ٠ وذكر الحديث ٠

٢ ـ أخبرنا أحمد بن الحسن بن عتبة الرازى بمصر ، ثنا روح بن الفرح ، ح / وثنا عبد الله بن جعفر الوردى بمصر ، ثنا يحيى بن أيوب المصرى ، ثنا (٦) يحيى بن بكير

---

(١) هو المصنف تقدم التعريف به ٠

(٢) القلم : آية ٤٢ ٠

(٣) (لا تضامون ٠٠) يروى بالتشديد والتخفيف . فالتشديد معناه : لا ينضم بعضكم الى بعض وتزدحمون وقت النظر اليه ٠ ومعنى التخفيف : لا ينالكم ضيم فى رؤيته . فيراه بعضكم دون بعض ٠ والضيم : الظلم ٠ النهاية ٣ / ١٠١ ٠ ط الأولى عام ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٣ م ٠

(٤) فى مسلم ١ / ١٦٧ ح ٣٠٢ ٠ قال : (ما تضارون فى رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة الا كما تضارون فى رؤية أحدهما) ٠

(٥) م / فى كتاب الايمان باب معرفة طريق الرؤية ١ / ١٦٧ ح ٣٠٣ من طريق سويد بن سعيد قال حدثنى حفص بن ميسرة عن زيد بن أسلم به ٠

(٦) فى الأصل (وثنا) ٠

ثنا الليث بن سعد عن خالد بن يزيد ، عن سعيد بن هلال ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء ابن يسار ، عن أبى سعيد الخدرى ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال فيه : ويكشف عن ساقيه جل وعز ٠

قال **أبو عبد الله** (١) : وهذا حديث ثابت باتفاق من البخارى (٢) ومسلم بن الحجاج (٣) ، وقد رواه آدم بن أبى إياس عن الليث بن سعد ، عن خالد ، عن سعيد بن أبى هلال عن زيد بن أسلم مثله وقال : يكشف عن ساقه جل وعز ٠

وقد اختلف الصحابة فى معنى قوله جل وعز يكشف عن ساق ٠

٣ ـ أخبرنا على بن العباس بن الأشعث الغزى بغزة ، ثنا محمد بن حماد الطهرانى ، ثنا عبد الرزاق ، أنبا الثورى ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبى الزعراء ، عن ابن مسعود فى قوله جل وعز (يوم يكشف عن ساق) (٤) ٠ قال : عن ساقيه ٠ قال **أبو عبد الله** : هكذا فى قراءة ابن مسعود ٠

ويكشف بفتح الياء وكسر الشين (٥) ٠

٤ ـ وأخبرنا على بن العباس ، ثنا محمد بن حماد ، ثنا عبد الرزاق ، أنبا ابن التيمى (٦) ٠ عن أبيه (٧) ، عن مغيرة (٨) ، عن ابراهيم (٩) فى قوله جل وعز (يوم يكشف عن ساق) قال ابن عباس : يكشف عن أمر عظيم ، ثم قال : قد قامت الحرب على ساق (١٠) قال ابراهيم : وقال ابن مسعود : يكشف عن ساقه فيسجد كل مؤمن ، ويقسو كل كافر فيكون عظما واحدا ٠

---

(١) أبو عبد الله : هو المصنف ، تقدم التعريف به ٠

(٢) خ / فى التوحيد / باب وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ٠ فتح البارى ١٣ / ٤٢٠ ح ٧٤٣٩ من طريق يحيى بن بكير ٠

(٣) م / فى الايمان تقدم ح رقم ١ ٠

(٤) سورة القلم آية : ٤٢ ٠

(٥) وذكر السيوطى فى الدر المنثور ٦ / ٢٥٤ ان الحديث أخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مندة عن ابن مسعود ، قال ابن مندة لعله فى قراءة ابن مسعود يكشف بفتح الياء وكسر الشين ٠

(٦) هو معتمر بن سليمان بن طرخان التيمى أبو محمد البصرى ٠ ثقة ، انظر تهذيب التهذيب ١٠ / ٢٢٧ ٠

(٧) هو سليمان بن طرخان التيمى أبو المعتمر البصرى ٠ ثقة ٠ تهذيب التهذيب ٤ / ٢٠٢ ٠

(٨) مغيرة بن مقسم ، بكسر الميم ، الضبي ، مولاهم ، أبو هشام الكوفى الأعمى ، ثقة متقن ، الا انه كان يدلس ولا سيما عن ابراهيم ٠ من السادسة مات سنة ست وثلاثين ، /ع ٠ تقريب التهذيب ٢ / ٢٧٠ ٠ قلت وهنا روى عن ابراهيم ، وهو النخعى ، ولم يصرح بالسماع ، وانما عنعن ٠

(٩) ابراهيم هو ابن يزيد بن قيس بن الأسود النخعى ، فقيه ثقة كثير الارسال ٠ قال ابن معين : مراسيل ابراهيم أحب إلي من مراسيل الشعبي ٠ وقال الأعمش قلت لابراهيم : اسند لى عن ابن مسعود ، فقال ابراهيم اذا حدثتكم عن رجل عن عبد الله فهو الذى سمعت ٠ واذا قلت : قال عبد الله فهو عن غير واحد عن عبد الله ٠ مات سنة ست وتسعين أنظر تهذيب التهذيب ١/ ١٧٧ ٠ وتقريب التهذيب ١ / ٤٦ ٠

(١٠) أخرجه ابن جرير فى التفسير ج ٢٩ / ٣٨ ٠ من طريق ابن حميد ، ثنا جرير ، عن مغيرة عن ابراهيم به ٠

٥ ـ (ثنا) عمر بن الربيع بن سليمان بمصر ، ثنا بكر بن سهل ، ثنا عبد الغنى ابن سعيد ، ثنا موسى بن عبد الرحمن ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، وعن مقاتل ، عن الضحاك ، عن ابن عباس فى قوله (يوم يكشف عن ساق) قال : شدة الآخرة (١) ٠

٦ ـ وأخبرنا محمد بن أيوب بن حبيب الرقى ، ثنا عبد الله بن محمد بن سعيد ابن أبى مريم ، ثنا محمد بن يوسف الفريابي ، ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله جل وعز (يوم يكشف عن ساق) (٢) ٠ قال : عن شدة الأمر ٠ قال ابن عباس : أشد ساعة تكون يوم القيامة (٣) ٠

١ / ب

٧ ـ أخبرنا على بن العباس ، ثنا محمد بن حماد ، أنبا عبد الرزاق ، أنبا معمر ، عن قتادة فى قوله جل وعز « يوم يكشف عن ساق » ٠ قال : عن شدة الأمر (٤) ٠

قال **أبو عبد الله** : اختلفت الروايات عن عبد الله بن عباس فى قوله جل وعز « يوم يكشف عن ساق » فروى أسامة بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس « يوم يكشف عن ساق » بالياء وضمها ٠ قال يعقوب الحضرمى عن ابن عباس أنه قرأ يوم يكشف عن ساق ، بالتاء مفتوحة (٥) ٠

قال أبو حاتم : من قرأ بالتاء ، أى تكشف الآخرة عن ساق ، يستبين منها ما هو غائب عنه ٠ ومن قرأ يكشف ، يبين عن شدة وهى قراءة الأئمة السبعة ، وكذلك قرأ طلحة بن مصرف ، والأعمش ٠ قال أبو عبد الله (عن) ابن مسعود ، يوم يكشف عن ساق بفتح الياء وكسر الشين (٦) ٠ قال أبو حاتم السختيانى : وقرأ الأخفش نكشف عن ساق بالنون على معنى قراءة عبد الله ٠

---

(١) أخرجه ابن جرير فى التفسير ج ٢٩ / ٣٩ ، وذكر السيوطى في الدر المنثور ٦ / ٢٥٥ أن ابن مندة أخرجه ٠

(٢) سورة القلم : آية / ٤٢ ٠

(٣) ابن جرير الطبرى ، التفسير ج ٢٩ / ٣٩ ٠

(٤) ابن جرير الطبرى ، التفسير ج ٢٩ / ٣٩ ٠

(٥) ابن جرير الطبرى ، التفسير ج ٢٩ / ٤٢ ، من طريق عكرمة ثم قال : وذكر ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك (يوم يكشف عن ساق) بمعنى تكشف القيامة عن شدة شديدة ، والعرب تقول : كشف هذا الأمر عن ساق ، اذا صار الى شدة ومنه قول الشاعر :

كشفت لهم عن ساقها — وبدا من الشر الصراح

وذكر السيوطى فى الدر المنثور ٦ / ٢٥٥ ان الحديث أخرجه سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن مندة من طريق عمرو بن دينار ٠

(٦) فى الدر المنثور ٦ / ٢٥٤ قال ابن مندة : لعله فى قراءة ابن مسعود ، يكشف ، بفتح الياء وكسر الشين ٠

٨ ـ أخبرنا على بن أحمد بن الأزرق بمصر، ثنا أحمد بن محمد بن مروان ... ثنا أحمد بن محمد بن أبى عبد الله البغدادى، ثنا يحيى بن حماد، ثنا أبو عوانة عن الأعمش، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوم يكشف عن ساق » (١) . قال: يكشف الله عز وجل عن ساقه (٢) .

« بـــاب » في قوله عز وجل :

(يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) (٣) . وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم: ان الله جل وعز يضع رجله فى النار فتقول قط قط .

١ ـ (٩) ـ أخبرنا محمد بن الحسين بن الحسن القطان بنيسابور، ثنا أحمد بن يوسف السلمى، ثنا عبد الرزاق، ثنا معمر، عن همام بن منبه، قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: تحاجت الجنة والنار، فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة فإنى لا يدخلنى إلا ضعفاء الناس وسقطهم، فقال جل وعز للنار: إنما أنت عذابى أعذب بك من أشاء من عبادى، وقال للجنة: أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى، ولكل واحدة منكما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله فيها رجله فتقول قط قط، فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها الى بعض، ولا يظلم الله عز وجل

---

(١) القلم: آية / ٤٢ .

(٢) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٦ / ٢٥٤ قال: أخرجه ابن مندة فى الرد على الجهمية عن أبى هريرة وأصل الحديث فى الصحيحين كما تقدم ح رقم ٢ . وانما الغرض من ذكره عن السيوطى هو إثبات نسبة الكتاب لابن مندة لأن السيوطى اطلع على هذا الكتاب ونقل منه نصوصا سنشير اليها فى مواضعها لهذا الغرض .

(٣) سورة ق: آية / ٣٠ .

● **التعليـــق :**

مذهب سلف هذه الأمة فى آيات الصفات وأحاديثها اثبات معانيها لله عز وجل على مراد الله لأنه أعلم بنفسه من خلقه. وكذلك ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مما وصف به ربه عز وجل فهو أعلم الخلق بما يليق بجلال الله. كل ذلك على ما يليق بجلاله وكماله من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل. بل على أساس قوله تعالى « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » وهذا هو منهج السلف فى إثبات آيات الصفات وأحاديثها. وقد اتبع ابن مندة الآيات والأحاديث التى أوردها تحت أبواب هذا الكتاب بأقوال الصحابة والتابعين. ليبين أن ذلك هو منهجهم فى إثبات صفات الله تعالى. وأن الخير كل الخير فى اتباع سلف هذه الأمة لا سيما أهل القرون المفضلة . والله الهادى إلى سواء السبيل .

من خلقه أحدا وأما الجنة فإن الله جل وعز ينشئ لها خلقا (١) · وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله (آدم) على صورته طوله ستون ذراعا ، فلما خلقه قال : اذهب فسلم على أولئك النفر وهم نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فانها تحيتك وتحية ذريتك · فقال : فذهب اليهم فقال : السلام عليكم ، فقالوا عليك السلام ورحمة الله « قال : فزادوه ورحمة الله » (٢) فكل من يدخل (الجنة) على صورة آدم طوله ستون ذراعا فلا يزال الخلق ينقص (بعده) حتى الآن (٣) قال **أبو عبد الله** : وهذا حديث ثابت باتفاق من أهل المعرفة بالأثر ·

٢ / أ

٢ - (١٠) - أخبرنا أحمد بن محمد بن ابراهيم الوراق ، ثنا عبد الله بن يحيى ، ثنا المقدمى ، ثنا أشعث بن عبد الله الخراسانى ، ثنا شعبة ، عن قتادة ، عن أنس ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : يلقى فى النار وتقول هل من مزيد حتى يضع رجله أو قدمه فتقول : قط قط ·

ورواه القواريرى عن حرمى بن عمارة عن شعبة عن قتادة عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : يضع الله رجله فى النار فتقول : قط قط (٤) ·

قال **أبو عبد الله** : وهذا حديث ثابت باتفاق ·

((ذكر خبر آخر يدل على ما تقدم))

٣ - (١١) - أخبرنا أحمد بن محمد بن عمر ، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، ثنا ابراهيم بن أبى الليث ، ثنا ابراهيم بن سعد ، عن محمد بن اسحاق ، عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشد قول أمية بن أبى الصلت :

---

(١) خ / التفسير / باب (وتقول هل من مزيد) فتح البارى ٨ / ٥٩٥ ح ٤٨٥٠ .من طريق عبد الله بن محمد.ثنا عبد الرزاق به ·
* و م / الجنة / باب النار يدخلها الجبارون.والجنة يدخلها الضعفاء.٤ / ٢١٨٦ ح ٣٦ من طريق محمد بن رافع ثنا عبد الرزاق به ·
* و حم / ٢ / ٢١٤ من طريق عبد الرزاق به ·
(٢) ما بين القوسين من البخارى ومسلم ·
(٣) خ / الأنبياء / باب خلق آدم وذريته / فتح البارى ٦ / ٣٦٢ ح ٣٣٢٦ من طريق عبد الله بن محمد ثنا عبد الرزاق به ·
* وفى الاستئذان / باب بدء السلام.فتح البارى ١١ / ٣ ح ٦٢٢٧ من طريق يحيى بن جعفر ثنا عبد الرزاق ·
* م / فى الجنة / باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير.٤ / ٢١٨٣ ح ٢٨ من طريق محمد بن رافع ثنا عبد الرزاق به ·
(٤) خ / التفسير / باب (وتقول هل من مزيد) فتح البارى ٨ / ٥٩٤ ح ٤٨٤٨ من طريق عبد الله بن أبى الأسود ثنا حرمى بن عمارة به ·
* وفى الأيمان والنذور / باب الحلف بعزة الله · فتح البارى ١١ / ٥٤٥ ح ٦٦٦١ من طريق آدم.ثنا شيبان.ثنا قتادة به ·
* م / الجنة / باب النار يدخلها الجبارون.٤ / ٢١٨٧ ح ٣٧ من طريق عبد بن حميد.ثنا يونس بن محمد ثنا شيبان عن قتادة به ·

رجل وثور تحت رجل يمينه — والنسر للأخرى وليث مرصد

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق صدق ، وقـال :

والشمس تطلع كل آخر ليلة — حمراء يصبح لونهـا يتورد

تأتى فما تطلع لنا في رسلها — الا معـذبة والا تجلـد

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق ٠

قال **أبو عبد الله :** وهذا حديث مشهور عن محمد بن اسحاق ، رواه عبدة بن سليمان (١) ويونس بن بكير وغيرهما ٠

٤ ـ (١٢) ـ أخبرنا أحمد بن سليمان بن حذلم ، ثنا أبو زرعة ، ثنا يوسف بن بهلول (٢) ٠ ثنا عبدة بن سليمان ، عن محمد بن اسحاق ، عن يعقوب بن عتبة ، عن عكرمة عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق أمية بن أبى الصلت فى شعره حيث قـال :

رجل وثور تحت رجل يمينه — والنسر للأخرى وليث مرصد

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : صدق ٠ ثم ذكر الحديث ٠

٥ ـ (١٣) ـ أخبرنا عبد الرحمن بن عبد الله البجلى ، ثنا يزيد بن محمد بن عبد الصمد ، ثنا أبو النضر اسحاق بن ابراهيم ، ثنا يزيد بن ربيعة ، ثنا أبو الأشعث الصنعانى ، سمعت ثوبان يحدث عن النبى صلى الله عليه وسلم ٠ أنه يقبل الجبار عز وجل فيثنى رجله على الجسر فيقول : وعزتى وجلالى لا يجاوزني اليوم ظلم فينصف الخلق بعضهم من بعض حتى إنه لينصف الجماء من العضباء تنطحها النطحة (٣) ٠

٦ ـ (١٤) ـ أخبرنا أحمد بن سليمان بن حذلم ، ثنا أبو زرعة ، ثنا أبو صالح ، ثنا معاوية بن صالح ٠ عن **راشد بن سعد** : عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن الله عز وجل يطوى المظالم يوم الجمعة فيجعلها تحت قدمه ، الا ما كان من أجر الأجير ، وعقر البهيمة وفض الختم يعنى الأبكار (٤) ٠

---

(١) أخرجه حم / ١ / ٢٥٦ من طريق عبد الله بن محمد قال ثنا عبدة بن سليمان به.وهو الحديث التالي ٠

(٢) يوسف بن بهلول التميمى الأنبارى، بفتح الهمزة وسكون النون بعدها موحده.نزيل الكوفة ثقة.عن العاشرة.مات سنة ثمانى عشرة ٠ خ.تقريب ٢ / ٢٧٩ ـ٢٨٠ ٠

(٣) لم أعثر على من خرجه.وتقدم الحديث رقم ١٠ المتفق عليه يغنى عنه ٠

(٤) مشكل الآثار لابن فورك ص ٩٧.وراشد بن سعد هو المقرائي.لم يدرك النبي (صلى الله عليه وسلم) أنظر تهذيب التهذيب ٣ / ٢٢٦ ٠

(خبر آخر يدل على ما تقدم من ذكر القدمين)

٧ - (١٥) أخبرنا خيثمة بن سليمان ، ثنا اسحاق بن سيار النصيبى ، ثنا أبو حاتم ح وثنا ابراهيم بن محمد بن عمارة ، ثنا أحمد بن يحيى الصوفى ، ثنا شجاع بن مخلد ، ثنا أبو عاصم عن سفيان ، عن عمار الدهنى عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال شجاع فى حديثه أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن قول الله جل وعز : (وسع كرسيه السماوات والأرض) قال : كرسيه موضع قدمه ، والعرش لا يقادر قدره (١) .

٢ / ب

قال **أبو عبد الله** : هكذا رواه شجاع بن مخلد فى التفسير مرفوعاً عن النبى صلى الله عليه وسلم . وقال إسحاق بن سيار فى حديثه عن أبى عاصم : من قول ابن عباس (٢) . وكذلك رواه أصحاب الثورى عنه . وكذلك روى عن عمار الدهنى موقوفاً . ورواه أبو بكر الهذلى وغيره عن سعيد بن جبير من قوله ، قال : الكرسى موضع القدمين ، ورواه جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : الكرسي علمه (٣) ، ولم يتابع عليه جعفر ، وليس هو بالقوي فى سعيد بن جبير .

٨ - (١٦) أخبرنا بذلك أحمد بن محمد بن ابراهيم مولى بنى هاشم ، ثنا محمد بن عبد الوهاب عن ابن أبى تمام ، ثنا آدم بن أبى إياس ، ثنا هشيم عن مطرف ، عن جعفر ابن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله جل وعز (وسع كرسيه السموات والأرض) . قال : علمه (٤) .

قال **أبو عبد الله** : وهذا حديث مشهور عن مطرف عن جعفر بن أبى المغيرة لم يتابع عليه . وروى عن أبى موسى الأشعرى ، أن الكرسى موضع القدمين .

٩ - (١٧) أخبرنا بذلك أحمد بن ابراهيم البغدادى بمكة ، ثنا محمد بن يزيد ، ثنا على بن مسلم ، ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ثنا محمد بن جحادة ، عن سلمة بن كهيل ، عن عمارة بن عمير ، عن **أبى موسى** قال : الكرسي موضع القدمين ، وله أطيط كأطيط الرحل (٥) .

قال **أبو عبد الله** : وروى نهشل عن الضحاك عن ابن عباس (وسع كرسيه

---

(١) الدارقطنى / فى الصفات ،ورقة ٣ / ب . خ .

(٢) ابن جرير الطبرى التفسير ٣ / ١٠ .

(٣) ابن جرير الطبرى التفسير ٣ / ١١ .

(٤) تقدم قول المصنف أن جعفر بن أبي المغيرة ليس بالقوى فى سعيد بن جبير ولم يتابع .

(٥) ابن جرير الطبرى . التفسير ٣ / ١٠ من طريق علي بن مسلم بن سعيد الطوسي . واسناده حسن .

السموات) قال : علمه . وهذا خبر **لا يثبت ، لأن الضحاك لم يسمع من ابن عباس ، نهشل متروك** . ومما يدل على صحة قول ابن عباس ، وأبي موسى فى الكرسي ما ذكره الربيع بن أنس عن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم :

هذا الكرسي وسع السموات والأرض ، فكيف بالعرش ، فأنزل الله عز وجل : (وما قدروا الله حق قدره) (١) .

بـــاب في قول الله عز وجل :
(ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما) (٢)

١ ـ (١٨) أخبرنا محمد بن محمد ، ثنا أحمد بن عصام ، ثنا أبو أحمد الزبيرى ، ثنا مسعر بن كدام ، ح / وأخبرنا على بن العباس الغزى ، ثنا محمد بن حماد ، ثنا عبد الرزاق ، أنبا الثورى جميعا عن الأعمش ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : إنّما سُمّيَ الإنسان إنساناً لأنه عهد اليه فنسى (٣) .

وقال **أبو عبد الله :** هكذا رواه الثورى ، ومسعر عن الأعمش ، ورواه أسباط بن محمد وعبدة بن سليمان ، وغيرهما عن الأعمش ، عن أبي الضحى (٤) ، عن ابن عباس مثله .

٢ ـ (١٩) وأخبرنا اسحاق بن ابراهيم بن هاشم الأذرعى ، ثنا هارون بن كامل ، ثنا عبد الله بن صالح ، ثنا معاوية بن صالح ، ثنا على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قال : عهد الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما . يقول : لم نجد له عزما (٥) .

٣ ـ (٢٠) أخبرنا خيثمة بن سليمان ، ثنا محمد بن سعد العوفى ، ثنا أبي ، عن أبيه ، عن جده ، عن ابن عباس فى قوله : « ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما (٦) » يقول : لم نجد له حفظا (٧) . ٣ / أ

---

(١) ابن جرير الطبرى . التفسير ٣ / ١٠ .

(٢) طه : آية / ١١٥ .

(٣) ابن جرير . التفسير ١٦ / ٢٢١ .

(٤) أبو الضّحى : هو مسلم بن صبيح بالتصغير الهمذانى الكوفى العطار . مشهور بكنيته . ثقة فاضل . من الرابعة . مات سنة مائة . ع تقريب ٢ / ٢٤٥ .

(٥) ابن جرير . التفسير ١٦ / ٢٢١ . وفيه : لم نجعل له عزما .

(٦) طه : آية / ١١٥ .

(٧) ابن جرير . التفسير ١٦ / ٢٢١ .

٤ ـ (٢١) أخبرنا عمر بن الربيع بن سليمان بمصر ، ثنا بكر بن سهل ، ثنا عبد الغنى بن سعيد ، ثنا موسى بن عبد الرحمن ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس . ومقاتل ، عن الضحاك ، عن ابن عباس فى قوله عز وجل (ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما) (١) يريد ولقد عهدنا الى آدم الا يقرب الشجرة ، فنسي فترك عهدى ولم نجد له عزما ، يريد صبرا عن أكل الشجرة .

قال **أبو عبد الله** : وكذلك قاله قتادة (٢) والسدي ، وقال الحسن وعبيدة بن عمير ، لم يكن آدم من أولى العزم .

٥ ـ (٢٢) أخبرنا أبو عمر بن ممل أحمد بن محمد بن ابراهيم بن حكيم المدينى ، ثنا محمد بن عبد الوهاب بن أبى تمام العسقلانى ، ثنا آدم بن أبي إياس ، ثنا فرج بن فضالة ، عن لقمان بن عامر ، عن أبي أمامة الباهلى قال : ولو أن أحلام بنى آدم كلهم جُمعت فحطت فى كفة ، وحلم آدم فى كفة لرجح (حلم) آدم بأحلامهم ، يقول الله عز وجل (ولم نجد له عزما) (٣) .

قال **أبو عبد الله** : ومما يشهد لهذا المعنى ما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم وثبت عنه بأسانيد صحاح وهو :

٦ ـ (٢٣) ما أخبرنا به أبو عمر بن ممل أحمد بن محمد بن ابراهيم بن حكيم مولى بنى هاشم ، ثنا محمد بن ابراهيم بن مسلم أبو أمية ، ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، ثنا هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله آدم مسح على ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته الى يوم القيامة ، وجعل بين عينى كل انسان منهم وبيصا من نور ، ثم عرضهم على آدم فقال : أي رب من هؤلاء قال : هؤلاء ذريتك ، فرأى رجلا منهم فأعجبه وبيض ما بين عينيه ، فقال : أي رب من هذا ؟ فقال : رجل آخر الأمم من ذريتك يقال له داود قال : أي رب كم جعلت عمره ؟ قال : ستين سنة . قال أي رب زده من عمرى أربعين سنة . فلما انقضى عمر آدم جاء ملك الموت ، فقال آدم : أو لم يبق من عمرى أربعون سنة ؟ قال : أو لم

---

(١) طه : آية / ١١٥ .

(٢) ابن جرير ، التفسير ١٦ / ٢٢١ .

(٣) ابن جرير ، التفسير ١٦ / ٢٢١ ـ ٢٢٢ .

تعطها ابنك داود ؟ قال : فجحد وجحدت ذريته ، ونسي فنسيت ذريته ، وخطئ فخطئت ذريته (١) ٠

قال **أبو عبد الله :** هذا حديث صحيح من حديث هشام بن سعد عن زيد بن أسلم ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة رواه خلاد وغيره ، وروى هذا الحديث صفوان عن عيسى ، عن الحارث بن أبي ذباب ، عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله ، وهو صحيح أيضا ، ورواه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، فقال عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة ٠

٧ - (**٢٤**) أخبرنا بذلك خيثمة بن سليمان ، ثنا عباس بن الوليد بن مزيد البيروتي ، ثنا محمد بن شعيب بن سابور ، ثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه أنه حدثه عن عطاء بن يسار ٠ عن أبى هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان الله جل وعز لما خلق آدم مسح ظهره فجرت من ظهره كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة ، ونزع ضلعا من أضلاعه فخلق منه حوى ، ثم أخذ عليهم العهد والميثاق (ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين) (٢) ٠ قال ثم أقبس كل نسمة رجل من بنى آدم بنوره فى وجهه ، وجعل البلوى الذى كتب انه يبتليه بها فى الدنيا من الاسقام ، ثم عرضهم على آدم ، فقال : يا آدم هؤلاء ذريتك فاذا فيهم الأجذم والأبرص والأعمى ، وأنواع الأسقام ، فقال آدم : لم فعلت هذا بذريتى ؟ قال : كى يشكروا نعمتى يا آدم ٠ فقال عليه الصلاة والسلام : يارب من هؤلاء الذين أراهم أظهر الناس نورا ؟ قال : هؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يا آدم من ذريتك ٠ قال : فمن هذا الذى أراه أظهرهم نورا ؟ قال : هذا داود يكون فى آخر الأمم ٠ قال يارب كم جعلت عمره ؟ قال : ستين سنة ٠ قال : يارب كم جعلت عمرى ؟ قال : كذا وكذا ؟ قال : يارب فزده من عمرى أربعين سنة حتى يكون عمره مائة سنة قال : أتفعل يا آدم ؟ قال : نعم يارب ٠ قال : نكتب ونختم ، إنا إن كتبنا وختمنا لم نغير ٠ قال : فافعل أي رب ٠ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلما جاء ملك الموت الى آدم ليقبض روحه ، قال : ماذا تريد يا ملك الموت ؟ قال : أريد قبض روحك ٠ قال : ألم يبق من

/ ب

---

(١) أخرجه ت / فى تفسير سورة الأعراف تحفة الأحوذى ٨ / ٤٥٧ ح ٥٠٧٢ وقال : هذا حديث حسن صحيح ٠

* المستدرك فى التفسير ج ٢ / ٣٢٥ من طريق على بن حمشاذ العدل ، ثنا بشر بن موسى الأسدى ، وعلى بن عبد العزيز قالا : ثنا أبو نعيم ثنا هشام بن سعد به وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ورمز له الذهبى بـ (م) ولم أجد هذا اللفظ فى مسلم فى كتاب القدر ٠

* حم / ١ / ٢٥١ ، ٢٩٩ ، ٣٧١ من حديث ابن عباس ٠

(٢) الأعراف : آية / ١٧٢ ٠

أجلى أربعون سنة ؟ قال : ألم تعطها ابنك داود ؟ قال : لا ٠ قال : فكان أبو هريرة يقول : فنسي آدم فنسيت ذريته وجحد آدم فجحدت ذريته (١) ٠ قال محمد بن شعيب : وأخبرنى أبو الحفص عثمان بن أبى العاتكة (٢) أن عمر آدم كان ألف سنة ٠

٨ ـ **(٢٥)** أخبرنا أحمد بن ابراهيم البغدادى بمكة ، ثنا محمد بن يزيد الطبرى ثنا محمد بن أبى حماد الرازى ، ثنا ابن سليم ، عن عمارة ، عن أبى محمد رجل من أهل المدينة ، قال : سألت عمر بن الخطاب عن قوله « واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم » (٣) ، قال : سألت النبى صلى الله عليه وسلم كما سألتنى فقال : خلق الله جل وعز آدم بيده ، ونفخ فيه من روحه ، ثم أجلسه فمسح ظهره بيده اليمين فأخرج ذرا فقال : ذر وذراتهم للجنة ، ثم مسح ظهره بيده اليسرى وكلتا يديه يمين ، فقال : ذر ذراتهم للنار يعملون فيم شئت من عمل وأختم لهم بأسوإ أعمالهم فأدخلهم النار (٤) ٠

قال **أبو عبد الله :** أبو محمد المدنى الذى روى هذا الحديث عن عمر يقال إنه مسلم بن يسار (٥) ، وقيل نعيم بن ربيعة (٦) ، رواه مالك بن أنس فى الموطأ (٧) عن زيد ابن أبى أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن عن مسلم بن يسار ، عن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم بعض الحديث ٠ ورواه أبو عبد الرحيم الرقى عن زيد بن أبى أنيسة ، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن ، عن مسلم بن يسار ، عن نعيم بن ربيعة عن عمر ، عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه ٠

بـــــاب فى قوله جل وعز :

(واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين) (٨) وذكر ما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك ، وما جاء عن الصحابة رضى الله عنهم فى معنى صفة خلقهم ، وإقرارهم ، وإشهادهم على أنفسهم ٠

(١) فيه متابعة عطاء بن يسار لأبى صالح عن أبى هريرة ٠

(٢) عثمان بن أبي العاتكة سليمان الأزدي أبو حفص ضعفوه فى روايته عن علي بن يزيد الألهاني ٠ تقريب ٢ / ١٠

(٣) الأعراف : آية / ١٧٢ ٠

(٤) يأتى تخريجه ح رقم ٢٧ ٠

(٥) يأتى فى تخريج الحديث رقم ٢٧ ما أشار إليه المصنف ٠ ومسلم بن يسار الجهنى قال ابن حجر فيه مقبول ، من الثالثة ٠ تقريب ٢ / ٢٤٨ ٠

(٦) نعيم بن ربيعة الأزدى ، مقبول ، من الثانية ٠ تقريب ٢ / ٣٠٥ ٠

(٧) في كتاب القدر ، ويأتى ح رقم ٢٧ ٠

(٨) سورة الأعراف : آية / ١٧٢ ٠

١ - (٢٦) أخبرنا أحمد بن سليمان بن حذلم الدمشقى ، ثنا جعفر بن محمد القلانسي ثنا أبو سلمة يزيد بن خالد بن مرشد ، ثنا أبو سلمة يزيد بن خالد بن مرشد ، ثنا سليمان بن حيان (١) ، عن ابن أبى ذباب المدينى (٢) ، أخبرنى سعيد المقبرى ، ويزيد ابن هرمز عن أبى هريرة ومحمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبي هريرة ، وداود بن أبى هند عن الشعبي عن أبى هريرة قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خلق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا له فعطس فقال : الحمد لله ، فقال له ربه : يرحمك ربك ، ايت أولئك الملأ من الملائكة فقل السلام عليكم ، فأتاهم فسلم عليهم ، فقالوا : وعليك السلام ورحمة الله ، ثم رجع الى ربه ، فقال : هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم ، ثم قبض يديه وأخذ يديه ، وكلتا يديه يمين ففتحها فاذا فيها صورة ذريته كلهم ، واذا كل رجل مكتوب عنده أجله ، قال : واذا قد كتب له الف سنة ، واذا قوم عليهم النور ، قال يا رب من هؤلاء الذين عليهم النور ؟ قال : هؤلاء الأنبياء أو الرسل الذى أرسل الى عبادى أو خلقى قال : واذا فيهم رجل هو أضوؤهم نورا ولم يكتب له الا أربعين سنة (٣) ، قال يا رب ما بال هذا هو من اضوئهم نورا ولم يكتب له الا أربعين سنة ، قال : ذلك ما كتبت ، قال يارب زده من عمرى ستين سنة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اسكنه الله الجنة ، واهبط الى الأرض كما ذكره الله فى القرآن فأتاه الموت ، فقال عجلت على فقال : ما فعلت ، قال : بقى من عمرى ستون سنة قال : ما بقى من عمرك شىء ، سألت ربك أن يكتبه لابنك داود ، قال : ما فعلت · قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فنسي فنسيت ذريته فجحد فجحدت ذريته ، فمن يومئذ وضع الكتاب وأمر بالشهود (٤) · فلقيه موسى فقال : أنت آدم خلقك (الله) بيده ونفخ فيك من روحه · وأمر الملائكة أن يسجدوا لك ، وأسكنك الجنة فأخرجتنا (٥) من الجنة بذنبك ، فقال له آدم أنت موسى الذى اصطفاك الله جل وعز برسالته وبكلامه ، وآتاك التوراة فيها بينات كل شىء فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل ان يخلقنى ، قال : بأربعين عاما ·

٤ / أ

---

(١) سليمان بن حيان الأزدى ، أبو خالد الأحمد الكوفى ، صدوق يخطىء · / ع تقريب ١ / ٣٢٣ ·

(٢) ابن أبى ذباب بضم المعجمة وبموحدتين ، هو الحارث بن عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد الدوسي المدنى ، صدوق يهم ، من الخامسة ، مات سنة ست وأربعين ·

/ عخ م مد س ق · تقريب ١ / ١٤٢ · تهذيب ٢ / ١٤٧ _ ١٤٨ ·

(٣) تقدم فى الحديث رقم ٢٤ : أن عمره ستون سنة : وكذلك فى رواية المستدرك والترمذى ٢ / ٣٢٥ ·

(٤) توحيد ابن خزيمة ص ٦٧ _ ٦٨ ·

(٥) فى الأصل : ورقة ٤ / ب فأخرجتك ·

قال : فوجدت فيها فعصى آدم ربه فغوى ، قال : نعم ۰ قال : فتلومني على عمل كتبه الله على من قبل أن أخلق بأربعين عاما ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فحج آدم (١) موسى (٢) ۰

قال **أبو عبد الله** : روى هذا الحديث أحمد بن عبد العزيز الواسطي ، ومخلد بن مالك جميعا عن أبي خالد الأحمر (٣) بهذا الاسناد ، ورواه آدم بن أبي إياس عن أبي خالد الأحمر على هذا الاقرار بين هذه الاسانيد ۰

٢ ـ (٢٧) أخبرنا أحمد بن مهران الفارسي ، ثنا عبيد الله بن سعيد بن عفير ، ثنا أبي ، ح وأنبا اسحاق بن ابراهيم بن هاشم الأذرعي ، ثنا يحيى بن أيوب المصري ، ثنا يحيى ابن بكير جميعا عن مالك بن أنس عن زيد بن أبي أنيسة ، ان عبد الحميد بن عبد الرحمن ابن زيد بن الخطاب أخبره أن مسلم بن يسار أخبره ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل عن هذه الآية (واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا) (٤) ۰ فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمعت

---

(١) آخر الحديث وهو محاجة آدم وموسى أخرجه م / في القدر / باب محاجة آدم وموسى عليهما السلام ٤ / ٢٠٤٢ ـ ٣٠٢٤ من حديث أبي هريرة ۰ وتقدم ح رقم ٢٣ وهو نحوه ۰

(٢) يقول ابن تيميه معلقاً على الحديث في كتابه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ١١٥ في معرض رده على المحتجين بالقدر ، وهذا الحديث ضلت فيه طائفتان ۰

طائفة ـ كذبت به لما ظنوا أنه يقتضي رفع الذم والعقاب عمن عصى الله لأجل القدر ۰

وطائفة ـ شر من هؤلاء جعلوه حجة ، وقد يقولون القدر حجة لأهل الحقيقة الذين شهدوه أو الذين لا يرون أن لهم فعلا ، ومن الناس من قال : انما حج آدم موسى لأنه أبوه ، أو لأنه قد تاب ، أو لأن الذنب كان في شريعة واللوم في أخرى ، أو لأن هذا يكون في الدنيا دون الأخرى وكل هذا باطل ۰ ثم قال :

ولكن وجه الحديث أن موسى عليه السلام لم يلم أباه إلا لأجل المصيبة التي لحقتهم من أجل أكله من الشجرة فقال له : لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ لم يلمه لمجرد كونه أذنب ذنبا وتاب منه ، فإن موسى يعلم أن التائب من الذنب لا يلام وهو قد تاب منه أيضا ، ولو كان آدم يعتقد رفع الملام عنه لأجل القدر لم يقل (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) والمؤمن مأمور عند المصائب أن يصبر ويسلم ، وعند الذنوب أن يستغفر ويتوب ۰ قال الله تعالى (فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك) فأمره بالصبر على المصائب والاستغفار من المعائب ۰ اهـ

وذكر في ص ١١٤ ، أنه لا يحتج أحد بالقدر الا اذا كان متبعا لهواه بغير هدى من الله ، ومن رأى القدر حجة لأهل الذنوب يرفع عنهم الذنب والعقاب فعليه ان لا يذم أحدا ولا يعاقبه اذا اعتدى عليه ، بل يستوى عنده ما يوجب اللذة وما يوجب الألم فلا يفرق بين من يفعل معه خيرا وبين من يفعل معه شرا ، وهذا ممتنع طبعا وعقلا وشرعا ۰ اهـ

كما ذكر ابن القيم في كتابه شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، الباب الثالث في ذكر احتجاج آدم وموسى ... ص ١٣ ـ ١٩ ، هذا الحديث وقال : إنه قد رد هذا الحديث من لم يفهمه من المعتزلة كأبي علي الجبائي ومن وافقه على ذلك ، وقال لو صح لبطلت نبوات الأنبياء فإن القدر إذا كان حجة للعاصي بطل الأمر والنهي ۰ ثم أورد الأقوال في ذلك ، ورجح ما ذكره ابن تيمية في شرح الحديث ۰ كما اعتذر لشيخ الإسلام أبي اسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري فقد جاء في كلامه ما يوهم أنه يقول بقول من يدعى الحقيقة والمعرفة إذ قالوا : العارف إذا شاهد الحكم سقط عنه اللوم ۰

وهذا قول الصوفية الذين يدعون كشف الحجاب عما في اللوح المحفوظ ۰

حيث قال : وقد أعاذه الله منه ۰ ثم ذكر كلامه الذي يوهم ذلك ۰ وبين وجه اعتذاره له من ص ١٥ ـ ١٩ ۰

(٣) أبو خالد الأحمد هو سليمان بن حيان الأزدي تقدمت ترجمته ۰

(٤) الأعراف : آية / ١٧٢ ۰

رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عنها فقال : ان الله عز وجل خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته فقال : خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال : خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون ، فقال رجل : يا رسول الله ففيم العمل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله جل وعز إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة ، واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل أهل النار فيدخله به النار (١) ·

٤ / ب

٣ - (٢٨) أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى بن مندة ، وعبد الله بن ابراهيم المقرى ، قالا ثنا أبو مسعود الرازى ، أنبا مسلم بن ابراهيم ، ثنا روح بن المسيب ، عن يزيد البصرى ، عن غنيم بن قيس ، عن أبى موسى ، قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله آدم قبض من صلبه قبضتين فوقع كل طيب بيمينه ، وكل خبيث بيده الأخرى فقال : هؤلاء أصحاب اليمين أهل الجنة ، وهؤلاء أصحاب الشمال أهل النار ولا أبالى ، ثم ردهم فى صلب آدم فعلى ذلك ينسلون ·

٤ - (٢٩) أخبرنا أحمد بن محمد بن ابراهيم مولى بنى هاشم ، ثنا أبو أمية الطوسى محمد بن ابراهيم ثنا حسين بن محمد المروزى ، ثنا جرير بن حازم عن كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس · عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : أخذ الله الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يعنى عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها ، فنثرهم بين يديه كالذر ، ثم كلمهم قبلا وقال : ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين الى قوله بما فعل المبطلون (٢) ·

---

(١) الموطأ / كتاب القدر / باب النهى عن القول بالقدر ص ٥٦٠ ح ٢ · طبعة الشعب

* د / فى السنة / باب القدر ٥ / ٧٩ ح ٤٧٠٣ ·

* حم / ١ / ٤٤ ·

* ابن جرير فى التفسير ٩ / ١١٣ ·

* ت / فى التفسير ٨ / ٤٥٢ ح ٥٠٧١ وقال : هذا حديث حسن ، ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر ، وقد ذكر بعضهم فى هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وبين عمر رجلاً ·

* الحاكم فى المستدرك / التفسير ٢ / ٣٢٤ - ٣٢٥ : وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبى ·

* البيهقى فى الأسماء والصفات ص ٣٢٥ ·

(٢) حم / ١ / ٢٧٢ ، من طريق حسين بن محمد به ·

* ابن جرير الطبرى التفسير ٩ / ١١٠ ·

* البيهقي في الأسماء والصفات ص ٣٢٧ ·

قال **أبو عبد الله** : وهذا حديث تفرد به حسين المروزى ، عن جرير بن حازم وهو أحد الثقات ورواه حماد بن زيد ، وعبد الوارث ، وابن علية وربيعة بن كلثوم كلهم عن كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس موقوفا (١) . وكذلك رواه حبيب بن أبى ثابت ، وعلى بن بذيمة ، وعطاء بن السائب (٢) كلهم عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس مثله ، وزاد عطاء فى حديثه قال : اهبط الله عز وجل آدم (بدخنا) (٣) ومسح الله ظهره (٤) .

قال **أبو عبد الله** : وقد اختلف أهل التأويل فى قوله جل وعز ، شهدنا . فقالت طائفة هو خبر من الله عز وجل عن نفسه وملائكته اذا أقروا بربوبيته حين قال لهم « ألست بربكم قالوا بلى . » فقال الله وملائكته : شهدنا بإقراركم .

« ذكــر مــن قــال ذلك »

٥ - (٣٠) أخبرنا محمد بن يعقوب بن يوسف النيسابورى ، والحسن بن يوسف الطرائفى بمصر ، قالا : ثنا ابراهيم بن مرزوق ، ثنا روح بن أسلم ، ثنا معتمر بن سليمان قال : سمعت أبى يحدث عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عن (أبي) (٥) بن كعب فى قوله جل وعز (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون) (٦) . قال : جمعهم جميعا فجعلهم أرواحا ثم صورهم واستنطقهم ليتكلموا وأخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . الآية . فانى أشهد عليكم السموات السبع وأشهد عليكم أباكم آدم عليه السلام أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا اعلموا انه لا اله غيري (ولا رب غيري) (٧) . فلا تشركوا بى شيئا ، وإنى سأرسل

---

(١) ابن جرير الطبرى التفسير ٩ / ١١١ .

(٢) عطاء بن السائب ، أبو محمد ، صدوق ، اختلط ، تقريب ٢ / ٢٢ . التقييد والإيضاح ص ٤٤٢ .

(٣) كذا فى الأصل (بدخنا) ورقة ٤ / ب بالخاء المعجمة والنون . وفى تفسير ابن جرير ج ٩ / ١١١ (بدجنى) بالجيم والنون . قال المعلق : لعل المقصود بهذه الكلمة : هضبة الدكن من بلاد الهند .

(٤) ابن جرير التفسير ٩ / ١١١ .

(٥) (أبى) ساقط فى الأصل .

(٦) الأعراف : آية / ٢٧٢ .

(٧) ما بين القوسين من ابن جرير .

اليكم رسلا يذكرونكم عهدى وميثاقى وأنزل عليكم كتبى ، قالوا : نشهد انك ربنا لا رب لنا غيرك ... ولا اله لنا غيرك ، فأقروا له يومئذ بالطاعة (١) .

٥ / أ

وقال آخرون : قوله جل وعز (ألست بربكم قالوا بلى) ، يعنى الرسل أجابوا من بينهم ، قاله وهب بن منبه ، وعبد الملك بن أبى يزيد الصنعانى ، وهذا مما يوافق قراءة من قرأ بالياء أن يقولوا ، وهو قراءة أهل مكة والبصرة ، وقراءة عامة المدينة ، أن تقولوا بالتاء على وجه الخطاب ، كيلا يقولوا يوم القيامة كنا لا نعلم .

واختلف أهل التأويل فى معنى الذرية ، ومعرفتهم حين أخرجهم من صلب آدم وأخذ عليهم الميثاق الأول واشهدهم على أنفسهم ألست بربكم . اجمعوا على أنهم كانوا فى صور الذر .

ثم اختلفوا فقال بعضهم : أرواح بلا أجسام (٢) ، ومعرفة بلا عقول .

وقال بعضهم : أرواح بأجسام ، ومعرفة بعقول ، وأولها أصحها فى الرواية أن الله أخذ عليهم الميثاق حين أخرجهم من صلب آدم كأنهم الذر من آذى من الماء .

٦ - **(٣١)** أخبرنا ابراهيم بن محمد الرملى ، ثنا موسى بن هارون ، ثنا شيبان ، ثنا أبو هلال ، ثنا أبو حمزة ، عن ابن عباس ، واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ، قال : أخذ الله ميثاق بنى آدم من ظهورهم من اذى الماء كأنهم الذر فى **آذى الماء** (٣) .

(ذكر من قال أخرجهم من صلبه نطفا ووجوه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كالسرج)

٧ - **(٣٢)** أخبرنا محمد بن يحيى العجيقى بمكة ، ثنا عبد الله بن على النيسابورى ، ثنا عبد الله بن سعيد ، عن يحيى بن يمان (٤) : عن أبى جعفر الرازى ، عن

---

(١) ابن جرير الطبرى ، التفسير ٩ / ١١٥ .

* والحاكم فى المستدرك ، التفسير - ٢ / ٣٢٣ - ٣٢٤ . قال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى .

(٢) قاله محمد بن كعب القرظى ، انظر تفسير بن جرير الطبرى ٩ / ١١٧ .

* كما ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٣ / ١٤١ .

(٣) ابن جرير الطبرى التفسير ٩ / ١١٢ ، وذكره السيوطى فى الدر المنثور ٣ / ١٤١ قال : وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن أبى حاتم وابن مندة فى كتاب الرد على الجهمية وأبو الشيخ عن ابن عباس فى الآية ... الحديث .

قوله : **أذيّ الماء** : الآذيّ - بالمدّ والتشديد - : الموج الشديد . ويجمع على أواذي . النهاية ١ / ٣٤ .

(٤) يحيى بن يمان العجلى الكوفى ، صدوق عابد ، يخطئ كثيرا ، وقد تغير ، تقريب ٢ / ٣٦١ .

أبى العالية عن أبيّ فى قوله جل وعز (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم) • قال استخرجهم من صلبه نطفا ، ووجوه الأنبياء كالسرج (١) • وكذلك رواه النضر بن عربى (٢) عن عكرمة ، قال : كلمته النطف وأقرت بالعبودية وهذا لا يعرف الا من هذا الوجه عن عكرمة ولا يثبت •

(ذكـر من قـال أخرجهم صورا ثم استنطقهم)

٨ ـ (٣٣) أخبرنا محمد بن يعقوب ، والحسن بن يوسف الطرائقى بمصر قالا : ثنا ابراهيم بن مرزوق ثنا روح بن مسلم ، ثنا معتمر بن سليمان ، (سمعت) (٣) أبى يحدث عن الربيع بن أنس عن أبى العالية ، عن أبيّ ، فى قوله (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى) (٤) قال جمعهم فجعلهم أرواحا ثم صورهم واستنطقهم ، قال : فما كان روح عيسى فى تلك الأرواح التى أخذ الله تعالى عليها العهد والميثاق قال : نعم ارسل ذلك الروح الى مريم ، قال الله جل وعز « فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت إنىّ أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا • قال إنما أنا رسول ربك ليهب لك غلاما زكيا • الى قوله : أمرا مقضيا » (٥) • قال حملت الذى خاطبها وهو روح عيسى عليه السلام فقال فسأله مقاتل بن حيان من أين دخل الروح ؟ فذكر عن أبى العالية عن أبيّ أنه دخل من فيها (٦) •

(ذكـر من قـال كانـوا مثل الخردل)

قال أبو عبد الله : روى طلحة بن عمرو عن عطاء عن ابن عباس ، قال : أخذهم فى كفه كأنهم الخردل الأولين والآخرين فيميلهم فى يده مرتين أو ثلاثا يرفع يده ويطأطيها ما شاء من ذلك ، ثم ردهم فى أصلاب آبائهم حتى أخرجهم قرنا بعد قرن •

---

(١) ذكره ابن كثير فى التفسير ٣ / ٤٦٩ من طريق أبى جعفر الرازى ... عن أبى بن كعب به •

(٢) النضر بن عربى الباهلى مولاهم . أبو روح . ويقال أبو عمر الحرانى لا بأس به . من السادسة مات سنة ثمان وستين / دت • تقريب ٢ / ٢ . ٣ . وقد اشار المصنف أن هذا الأثر لا يثبت •

(٣) ساقط فى الأصل والسياق يدل عليه •

(٤) الأعراف : آية / ١٧٢ •

(٥) مريم : الآيات من ١٧ ـ ٢١ •

(٦) الحاكم فى المستدرك : التفسير ٢ / ٣٢٤ •

وفى مجمع الزوائد ٧ / ٢٥ قال : رواه عبد الله بن أحمد عن شيخه محمد بن يعقوب الربالى وهو مستور وبقية رجاله رجال الصحيح •

(ذكـر من قـال سـماهم بأسـمائهم)

٩ - (٣٤) أخبرنا أحمد بن محمد بن أبان ، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدثنى أبى ، ثنا ابن نمير عن الأعمش ، عن حبيب ، عن سعيد عن ابن عباس قال : أخرج الله ذرية آدم من ظهره مثل الذر فسماهم فقال : هذا فلان وهذا فلان ، ثم قبض قبضتين فقال للتى فى يمينه ادخلوا الجنة ، وقال للتى فى يده الأخرى أدخلوا النار ولا أبالى (١) ·

(ذكـر من قـال استخرجهم كمـا يستخرج المشط)

رواه عن مجاهد عن ابن عمر وقال : استخرج الله من ظهر آدم عليه السلام كما يستخرج المشط (٢) ·

(ذكـر من قـال أقـرت الأرواح قبل أن تخلق الأجسـاد)

رواه موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظى ، ولا يثبت ·

(ذكـر من قال أقرت الأجساد بأرواح فى صورهم التى خلقوا فيها على ما يخلقهم من البلاء)

رواه حوشب عن الحسن قوله ·

والذى يدل على ان الله عز وجل استنطقهم فنطقوا عن أجساد وأرواح ومعرفة وأفهام ، ما أخبرنا به ·

---

(١) ابن جرير فى التفسير ٩ / ١١١ من طريق أبى كريب ثنا يحيى بن عيسى عن الأعمش دون قوله فسماهم ··· الخ ·
* وذكره السيوطى فى الدر المنثور ٣ / ١٤١ ·

(٢) ابن جرير الطبرى فى التفسير ٩ / ١١٣ · من طريق ابن بشار ··· عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو به ·
* وذكر السيوطى ان ابن مندة أخرجه فى كتاب الرد على الجهمية ·· انظر الدر المنثور ٣ / ١٤٢ ·

١٠ - (٣٥) أحمد بن محمد الوراق، ثنا محمد بن اسماعيل،عن حجاج بن محمد (١)،عن ابن جريج،عن الزبير بن موسى (٢)،عن سعيد بن جبير،عن ابن عباس قال :

ان (الله) (٣) ضرب منكبه الأيمن فخرجت كل نفس مخلوقة للجنة بيضاء نقية، فقال : هؤلاء أهل الجنة · ثم ضرب منكبه الأيسر فخرجت كل نسمة مخلوقة للنار سوداء فقال : هؤلاء أهل النار،ثم أخذ عليهم (عهودهم) على الايمان والمعرفة له ولأمره،والتصديق به،وبأمره بنى آدم كلهم فأشهدهم على أنفسهم وصدقوا وعرفوا وأقروا ·

وبلغنى أنه أخرجهم على كفه أمثال الخردل ·

قال مجاهد (٤) عن ابن عباس،قال : ان الله جل وعز لما أخرجهم قال : يا عبادي أجيبوا الله،والاجابة الطاعة،فقالوا : أطعناك اللهم اطعناك،لبيك اللهم لبيك،فأعطيها ابراهيم عليه السلام فى المناسك لبيك اللهم لبيك ·قال : وضرب مَتْنَ آدم عليه السلام حين خلقه ·

قال ابن عباس : خلق آدم ثم أخرج ذريته من ظهره مثل الذر فكلمهم ثم أعادهم فى صلبه،فليس أحد الا قد تكلم وقال ربي الله،وكل مخلوق خلق وهو كائن الى يوم القيامة، وهى الفطرة التى فطر الناس عليها (٥) ·

قال ابن عباس وأبيّ بن كعب من رواية أخرى استنطقهم فنطقوا ·

١١ - (٣٦) أخبرنا مسلم بن الفضل بمكة ، ثنا محمد بن عثمان بن ابراهيم القيسي ثنا أبو بلال الأشعرى ، ثنا أبو بشر ، عن الحكم (٦) ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال :

ان الله جل وعز ضرب منكبه الأيمن ، يعنى آدم · فخرجت كل نفس مخلوقة للجنة بيضاء فقال : هؤلاء للجنة ، ثم ضرب منكبه الأيسر فخرجت كل نفس مخلوقة للنار سوداء ،

---

(١) حجاج بن محمد المصيصى الأعور ، أبو محمد الترمذى الأصل ، ثقة ثبت ، لكنه اختلط فى آخر عمره لما قدم بغداد قبل موته ، من التاسعة ، مات ببغداد سنة ست ومائتين · / ع تقريب ١ / ١٥٤ ·

(٢) الزبير بن موسى بن مينا المكى ، روى عن سعيد بن جبير ، وعنه ابن جريج ، قال ابن نمير : روى عنه الكبار القدماء ، وذكره ابن حبان فى الثقات ، تهذيب ٣ / ٣٢٠ ·

(٣) ما بين القوسين من تفسير ابن جرير ·

(٤) فى تفسير ابن جرير ، قال : ابن جريج عن مجاهد ·

(٥) ابن جرير الطبرى ، التفسير ٩ / ١١٤ - ١١٥ ·

(٦) الحكم - هو ابن عتبة الكندى مولاهم أبو محمد ويقال : أبو عبد الله ، روى عن سعيد بن جبير وغيره ، ثقة ثبت ، ربما رمي بالتدليس ، مات سنة ثلاث عشرة أو بعدها ، من الخامسة · / ع تهذيب ٢ / ٤٣٢ - ٤٣٤ · تقريب ١ / ١٩٢ ·

فقال : هؤلاء أهل النار ، ثم أخذ عهودهم على الا يمان ، والمعرفة والتصديق له ، كلهم وأشهدهم على أنفسهم فآمنوا وصدقوا وعرفوا وقروا (١) .

قال **أبو عبد الله** : واختلفوا فى معنى الاجابة لما أخذ عليهم الميثاق فقال عامتهم : أجابوا كلهم طائعين غير مكرهين ، رواه الربيع بن أنس عن أبى العالية ، عن أبيّ قال : أقروا له يومئذ بالطاعة (١) . وكذلك غيره من التابعين .

٦ / أ

قال **أبو عبد الله** : وقال غيره أجابوه على معنى الوحدانية أنه ربّهم لا يسأل كافر ولا غيره الا قال : ربيَ الله (٣) .

١٢ - (٣٧) أخبرنا على بن العباس بغزة ، ثنا محمد بن حماد ، ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن محمد يعنى ابن السائب ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم) (٤) قال : فمسح الله جل وعز صلب آدم عليه السلام فأخرج من صلبه ما يكون من ذريته الى يوم القيامة ، وأخذ ميثاقهم أنه ربهم فأعطوه ذلك فلا يسأل أحد كافر ولا غيره ، من ربك الا قال : الله ربي .

وقال السدى : بل أعطاه طائفة طائعين ، وطائفة كارهين (٥) .

(البقيـة في العـدد القـادم)

---

(١) فى هذه الرواية متابعة الحكم ، للزبير بن موسى عن سعيد بن جبير .

(٢) ابن جرير الطبرى ، التفسير ٩ / ١١٥ .

(٣) قاله ابن عباس ، تفسير ابن جرير ٩ / ١١٥ .

(٤) الأعراف : آية / ١٧٢ .

(٥) قول السدى ، أخرجه ابن جرير فى التفسير ٩ / ١١٧ .

التعريف بكتاب:
محنة الإمام أحمد بن حنبل

للدكتور محمد نغش
أستاذ مساعد بكلية الشريعة بالجامعة

إن في ذكر محنة الإمام أحمد بن حنبل لعبرة للذين يتصدون للبدع والمبتدعين ، تظهر مكانة الإمام أحمد بن حنبل في إعلاء كلمة الدين ، وكيف حقق الله له ولأتباعه المخلصين النصر المبين ، فحفظ بمنه وكرمه للسنة مكانتها وأعلى رايتها .

وكتاب محنة الإمام أحمد بن حنبل الذى وفقنى الله تعالى الى تحقيقه وضح فضل الإمام أحمد ، وجهوده في الدفاع عن دين الله ، وصبره على ما قاسى في محنته ، رحمه الله ، وجزاه عن الإسلام خيرا ـ وإليك تلخيص وتعريف بهذا الكتاب ، فيما يلى :

نبذة عن حيـاة الإمـام أحمد بن حنبل :

كان الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله) خيار الناس ، وأكرمهم نفسا ، وأحسنهم عشرة وأدبا ، كثير الإطراق والغض ، معرضا عن القبيح واللغو ، لا يسمع منه إلا المذاكرة بالحديث وذكر الصالحين والزهاد ، فى وقار وسكون ولفظ حسن ، وإذا لقيه إنسان بش به وأقبل عليه ، وكان يتواضع للشيوخ تواضعا شديدا ، وكانوا يكرمونه ويعظمونه ، وكان قدوة عالية لأهل زمانه بعلمه وخلقه وورعه ، وصبره وقوة احتماله ، واستهانته بالأذى في سبيل الله .

وكانت روح الجد والسكينة هى التى تظل مجلسه ، لأن ذلك هو الذى يتفق مع رواية السنة النبوية الشريفة ، وآثار الرسول الكريم ، وفتاوى السلف الصالح رضوان الله تعالى عنهم ، ومن شأن السكينة أن تجعل للقول مكانه من القلب ومنزلته ، وإنه وإن كانت الدعابة تذهب بالملال ، فإن كثرتها تذهب بالروعة ورواء العلم ، وقد تجنب الإمام أحمد المزاح جملة إذ أن رواية السنة عبادة عنده ، ولا مزح في وقت العبادة ، بل المزاح ينافيها .

إن لنشأة الإمام أحمد أثرا بالغا فى سلوكه ، فهو من أصل كريم من ناحية أبيه وأمه . وقد كان لليتم فضل فى صبره على أذى أعدائه ، إذ قد حرم حنان الأب وعطفه ونشأ يحمل المسئولية من صغره ، وورث الذكاء عن والده ، الذى كان فى مكانة مرموقة ، وعن أمه الفاضلة .

وتكفى شهادات الناس له فى مراحل حياته كافة بالفضل وبإجماعهم على علو مكانته ، ويجدر بنا أن نذكر بعضها لأن المقام لا يتسع لحصرها .

والحلم من السمات التى تحلى بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وشاركه فى هذه الصفة الحميدة الأنبياء والمرسلون عليهم السلام ، والحلم صفة لازمة للعلماء ، الذين يقصدون وجه ربهم الكريم ، وهذا أحمد بن حنبل يقول : « أحللت المعتصم من دمى » (١) وكم من صنوف العذاب صب المعتصم على الإمام أحمد رضى الله عنه وأرضاه ، وقد أحب الناس الإمام أحمد وأرادوا أن يغدقوا عليه من أموالهم ، لأنهم يعلمون فقره وحاجته ، ويريدون أن يمدوا يد المعونة له ولأولاده ، ولكنه يتعفف فى أدب جم ، وشكر جزيل ، فيرهن متاعه ، ويأكل من عرق جبينه ، ومن كسب يديه .

ونسوق على ذلك مثالا واحدا من أمثلة عديدة « عرض عليه بعض التجار عشرة آلاف درهم ربحها من بضاعة ، جعلها باسم ـ الإمام أحمد ـ فأبى أن يقبلها ، وقال : نحن فى كفاية وجزاك الله عن قصدك خيرا (٢) .

وقد كان الإمام أحمد إماما فى الزهد ومن أقواله فيه « أسرُّ أيامى إلَىَّ يوم أصبح وليس عندى شىء » (٣) وقوله « إنما هو طعام دون طعام ، ولباس دون لباس ، وإنها أيام قلائل » (٤) . وهكذا من يزهد فى الدنيا ، يجود بما ملكت يداه ، فما بالك بهذا الإمام الذى باع نفسه ابتغاء مرضاة مولاه .

وقد ذكر المؤرخون عن جوده وكرمه الكثير ، ونضرب لذلك مثلا ، قال هارون المستملى « لقيت أحمد فقلت : ما عندنا شىء ، فأعطانى خمسة دراهم ، وقال : ما عندنا غيرها » (٥) .
وقيل إن الشافعى ، قال له : ألا تقبل قضاء اليمن ؟ فامتنع من ذلك امتناعا شديدا ،

---

(١) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص ٣٢١ .
(٢) البداية والنهاية لابن كثير جـ ١٠ ص ٣٣٠ .
(٣) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص ٢٤٨ .
(٤) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص ٢٤٨ .
(٥) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص ٤٠ .

وقال للشافعى : « إنى إنما اختلف إليك لأجل العلم المزهد فى الدنيا ، فتأمرنى أن أليَ القضاء ، ولولا العلم لما أكلمك بعد اليوم ، فاستحى الشافعى منه » (١) ٠

والأمثلة على ورعه كثيرة ، نحو قول أبى عبد الله السمسار : « كانت لأم عبد الله بن أحمد دار معنا فى الدرب ، يأخذ منها أحمد درهما بحق ميراثه ، فاحتاجت إلى نفقة لتصلحها فأصلحها ابنه عبد الله فترك أبو عبد الله أحمد الدرهم الذى كان يأخذه ، وقال : قد أفسده علىّ ٠ قلت : إنما تورع من أخذ حقه من الأجرة ، خشية أن يكون ابنه انفق على الدار مما يصل إليه من مال الخليفة () ٠

إن الإمام أحمد لم يذق طعاما من حاكم تنزها عنه ، وكان يتصدق بخلع المتوكل ولا يقبل أن يلبسها على جسده ، وأبى أن يسكن فى قصر يبنيه له ، وأوصى أن يكفن فى ملابسه خشية أن يقبل أولاده من أحد كفنا له ٠

ولم يكن ورعه قاصرا على مأكله وملبسه ومسكنه ، بل شمل علمه الذى كان يتقنه ، وهو درايته بالحديث وإجادة حفظه ، فهذا على بن المدينى يقول : « ليس فى أصحابنا أحفظ من أحمد بن حنبل ، وبلغنى أنه لا يحدث إلا من كتاب ، ولنا فيه أسوة » (٣) ٠

وهذا ابن الحربى يقول : « لزمت أحمد بن حنبل سنتين ، فكان إذا خرج يحدثنا يخرج معه محبرة مجلدة بجلد أحمر وقلما ، فإذا مر به سقط أو خطأ فى كتابه أصلحه بقلمه من محبرته ، يتورع أن يأخذ من محبرة أحدنا شيئا ، وكنا نقول لأحمد فى الشىء يحفظه ، فيقول : لا ، إلا من كتاب » (٤) ٠

وشهد له الناس بالتواضع ، فهو لا يتقدم الناس فى الخروج من المسجد ، بل يجعلهم يتقدمونه ٠ وهو لا يفتخر بحسبه ولا نسبه ولا بعلمه وفضله ، وكان يسأل الله دائما أن يجعله خيرا مما يظنون ويغفر له مالا يعلمون ٠

يقول فيه يحيى بن معين : « ما رأيت مثل أحمد بن حنبل ، صحبناه خمسين سنة ما افتخر علينا مما كان فيه من الصلاح والخير » (٥) ٠

وكان يؤثر العزلة والوحدة ، هروبا من الشهرة ، وتحصيلا للمعرفة ، وتجنباً للقيل والقال ، فهو يرى الخلوة أروح لقلبه تذكره بربه ، ولكنه كان لا يتخلى عن واجب اجتماعى

---

(١) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص ١٠٧ ٠

(٢) طبقات الحنابلة للقاضى ابن أبى يعلى جـ ١ ص ١٠ ٠

(٣) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص ٢٦٠ ٠

(٤) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص ٢٢٦ ٠

(٥) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص ٢٧٤ ٠

أو حضور صلاة جماعة . وقد رآه الناس حين تحدى الحاكمين ، وصبر على إيذائهم ليعلى كلمة الحق والدين .

وانعقد إجماع أهل الأقطار الإسلامية المتنائية على أنه رجل صالح وتسايرت الركبان بذكر صلاحه ، وتقواه وورعه وقوة إيمانه وزهده وإذا كان الإجماع حجة فقد قامت الحجة على صلاح الإمام أحمد بن حنبل (١) .

ومما قيل فيه من شعر ، قول الإمام الشافعي ، رضى الله عنه :

أضحىَا بنُ حنبلٍ حُجّةً وبحب أحمد يُعرف المتُنَسكُ (٢)

ومن ذلك ما قال أبو محمد جعفر بن الحسن السراج البغدادى فيه :

سواه فلم يسمع ولم يتأوَّلِ دَعوهُ الى خَلْق القرآن كما دَعَوا
عن السنُّة الغرّاء والمذهب الجَلّيِ ولا رَدَّه ضربُ السياط وسجْنُه
وصار الى الأخرى إلى خير منزِل لقد عاش في الدنيا حميداً موفقاً
تولاه من شيخ ومن متكهل وإنى لأرجو أن يكون شفيع مَنْ
إذا سألوا عن أصله قال : حنبلى (٣) ومن حَدث قد نوَّرَ الله قلبَه

هذه هى السيرة العطرة للامام أحمد بن حنبل أحد الأئمة الأربعة ، رضوان الله وسلامه عليهم أجمعين . إنه قد وضع روحه على كفه ليقدمها فى سبيل ربه ، لم يساوره الخوف لحظة من مخلوق مهما كانت لديه من قوة ، إنه يدافع من أجل أن ينتصر الحق ويزهق الباطل .

فقد قدم الإمام أحمد بن حنبل كل ما يملك ليرد البدع والخرافات عن الدين الاسلامى الحنيف ، صبر وصابر حتى لقى ربه .

أعز الله به دينه ، فما نراه اليوم من تمسك بالكتاب والسنة أثر من آثاره الخالدة .
فهنيئاً له برضوان الواحد الديان وبرفقته لنبيه الكريم خير الأنام محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام .

مؤلفاته :

صنف « المسند » وهو ثلاثون ألف حديث ، وكان ابتداؤه فيه سنة ثمانين ومائة ، وكان يقول لابنه عبد الله : احتفظ بهذا المسند فإنه سيكون للناس إماما (٤) ، وقد اشتهر من

---

(١) أحمد بن حنبل لأبى زهرة ص ٥ .
(٢) المنهج الأحمد لأبى اليمن العليمى جـ ١ ص ٥٣ .
(٣) المنهج الأحمد لأبى اليمن العليمى حـ ١ ص ٥٠ : ٥١ .
(٤) المنهج الأحمد لأبى اليمن العليمى حـ ١ ص ١٩ .

مؤلفات أحمد بن حنبل بنوع خاص كتابه المسند : وهو كتاب جامع فى الأحاديث ونشر له غير المسند « كتاب الصلاة وما يلزم فيها » .

ويذكرون له « كتاب طاعة الرسول » الذى بين فيه ما ينبغى اتباعه عندما يبدو الحديث متعارضا مع بعض آيات القرآن . ولقد قرر ابن حنبل عقائده فى مصنفه « كتاب السنة » .

وله كتب تبين وجهة نظره الفقهية نذكر منها على سبيل المثال « مسائل صالح » وهى المسائل التى وجهها إليه ابنه صالح وكذلك أجوبته على مسائل تلميذه حرب (١) وقد بلغت فتاواه التى استطاع ابن القيم أن يرجع إليها نحو عشرين مجلداً (٢) .

تلاميذه :

روى عنه أقرانه على بن المدينى ويحيى بن معين ودحيم الشامى وغيرهم (٣) . وروى عنه عبد الرازق بن همام ويحيى بن آدم وأبو الوليد هاشم بن عبد الملك الطيالسى ، وأبو عبد الله محمد بن ادريس الشافعى ، والأسود بن عامر شاذان ، والبخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، وأكثر عنه في كتاب السنن ، وروى الترمذى عن أحمد بن الحسن الترمذى عنه ، وروى النسائى عن عبد الله بن أحمد بن حنبل وعن ابن عبد الله عنه ، وروى ابن ماجه عن محمد ابن يحيى الذهلى عنه ، وابراهيم الحربى الأثرم ، وأبو بكر أحمد الدارمى ، وعمر بن سعيد الدارمى ، ومحمد بن يحيى الذهلى النيسابورى وخلق لا يحصون (٤) .

وفاته :

توفي الإمام أحمد بن حنبل - رحمة الله عليه - ضحوة نهار الجمعة الثانى عشر من ربيع الأول (٥) . وقيل : بل لثلاث عشرة ليلة بقيت من الشهر المذكور ، وقيل : من ربيع الآخر (٦) ، سنة إحدى وأربعين ومائتين للهجرة (٧) ٣١ تموز ٨٥٥ للميلاد (٨) ، فكانت سنه سبعا وسبعين سنة عند وفاته . ودفن في مقابر الشهداء في حى الحربية ببغداد (٩) .

(١) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن قيم الجوزية ص ٢٥١ ، ٢٩٣ وما بعدها .
(٢) هداية الحيارى ص ١٢١ .
(٣) طبقات الشافعية الكبرى حـ ١ ص ١٩٩ .
(٤) شذرات الذهب لأبى الفلاح حـ ٢ ص ٩٧ .
(٥) وفيات الأعيان حـ ١ ص ٤٨ ، وطبقات الشافعية الكبرى حـ ١ ص ٢٠٣ ، وتهذيب الأسماء واللغات حـ ١ص ١١٢ والبداية والنهاية حـ ١٠ ص ٣٢٦ ومصادر أخرى .
(٦) وفيات الأعيان حـ ١ ص ٤٨ ، وتاريخ بغداد جـ ٤ ص ٤٢٢ .
(٧) لم تختلف المصادر في سنة الوفاة .
(٨) دائرة المعارف الإسلامية حـ ١ ص ٤٩٢ .
(٩) دائرة المعارف الإسلامية حـ ١ ص ٤٩٢ .

وقيل : أسلم يوم مات أحمد بن حنبل عشرة آلاف من اليهود والنصارى والمجوس ٠
قال الوركانى : يوم مات أحمد بن حنبل وقع المأتم والنوح في أربعة أصناف من الناس : المسلمين ، واليهود ، والنصارى ، والمجوس (١) ٠

أولاده :

كان له ولدان عالمان هما : صالح ، وعبد الله ، فأما صالح فتوفى في شهر رمضان سنة ست وستين ومائتين ، وكان قاضى أصفهان فمات بها ، وأما عبد الله فإنه بقى إلى سنة تسعين ومائتين ، وتوفي يوم الأحد لثمان بقين من جمادى الأولى ، وقيل : الآخرة ـ وله سبع وسبعون سنة ـ وكنيته أبو عبد الرحمن ، وبه كان يكنى الإمام أحمد ، رحمهم الله أجمعين (٢) ٠

محنة الإمام أحمد بن حنبل

بداية المحنة فى عهد المأمون

استطاع الإمام أحمد بن حنبل ، بإيمانه الصادق وصلابته فى الحق ، أن يهزم المعتزلة الذين ادعوا فيما ادعوا خلق القرآن واتخذوا الخليفة المأمون أبا جعفر عبد الله بن هارون الرشيد أداة لنشر بدعتهم ، وترويج ضلالهم فقد زينوا له طريق الباطل ، وحسَّنوا له قبيح القول بخلق القرآن ، فصار إلى مقالتهم ، وكانت ولاية المأمون فى المحرم ، وقيل فى رجب سنة ١٩٨ للهجرة ٠

وقدر أنه فى آخر عمره خرج من بغداد لغزو بلاد الروم فعَنَّ له أن يكتب إلى إسحاق ابن مصعب صاحب الشرطة أن يدعو الناس إلى القول بخلق القرآن ، فاستدعى جماعة من العلماء والقضاة وأئمة الحديث ، ودعاهم إلى ذلك ، ولكنهم امتنعوا ، فاشتد غضبه (٣) ٠

الإمـــام أحمـــد مكبلا فى الاغلال

ولما استعصى على المأمون وأذنابه التأثير على الإمام أحمد بن حنبل فى ميدان الحجة والإقناع ، أمر بإشخاصه مكبلا فى الأغلال ، هو ورفيقه فى المحنة محمد بن نوح ـ رضى الله عنهما ـ وتوفى محمد بن نوح وهو فى طريقه إلى المأمون ، وصلى عليه الإمام أحمد بن حنبل

---

(١) حلية الأولياء للحافظ الأصفهانى حـ ٩ ص ١٨٠ ٠
(٢) وفيات الأعيان لا بن خلكان حـ ١ ص ٤٩ ٠
(٣) المنهج الأحمد لأ بى اليمن العليمى حـ ١ ص ٣١ ٠

الذى بقى وحده ، والخليفة يتوعده بالتعذيب والقتل إن لم يجبه إلى القول بخلق القرآن ٠ فتوجه الإمام أحمد بالدعاء إلى الله تعالى أن لا يجمع بينه وبينه فبينما هو فى الطريق قبل وصوله إليه إذ جاءهم الصريخ بموت المأمون وكان موته فى شهر رجب سنة ثمانى عشرة ومائتين ، فرد الإمام أحمد إلى بغداد وحبس هناك ٠

الترغيب والترهيب والتعذيب فى عهد المعتصم

ثم ولى الخلافة المعتصم وهو أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد ، الذى قدم من بلاد الروم ، فدخل بغداد فى مستهل شهر رمضان سنة ثمانى عشرة ومائتين ، فامتحن الإمام أحمد وضرب بين يديه (١) ٠ ويقف الإمام أحمد بين يدى الخليفة المعتصم ثابت الجنان قوى الإيمان ، وقد ازدحم الناس ليشاهدوا مشهدا رهيبا فهذا الخليفة وحوله جنوده ، وهذا أحمد فى قيوده ٠ الأول سلاحه البطش والجبروت ، والثانى سلاحه القرآن والسنة يستعذب العذاب فى سبيل الله ، ويسأله وحده العفو والمغفرة ، ويرجوه رضاه ورضوانه يجلس الخليفة على كرسيه ، ويقف الإمام أحمد بين يديه والسيوف قد جردت ، والرماح قد ركزت ، والأتراس قد نصبت ، والسياط قد طرحت ، يريدون إرهابه وهو قد باع نفسه ربه ، وبكل ما يصنعون وأكثر لا يأبه ٠

يرد على الخليفة بالبرهان الساطع والدليل القاطع ، ويعجز الخليفة فى ترغيبه أو ترهيبه ليقول بكلام المعتزلة « القرآن مخلوق » ويُحضر المعتصم له الفقهاء والقضاة فيناظرونه بحضرته ثلاثة أيام ، وهو يناظرهم ويقهرهم ، فيقول ابن أبى دؤاد وبشر المريسى للخليفة : اقتله حتى نستريح منه ٠

ولكن المعتصم يقيم مباراة بين الجلادين لقتله بالسياط الموجعة ويحدثونه فى الرجوع عن إصراره ، ولكنه يقول لهم فى صلابة : أعطونى شيئا من كتاب الله وسنة رسوله أقول به ٠

ويستمر الضرب وتزداد شدته ، حتى يقع الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ على الأرض فى غيبوبة ، لا يدرى ما يفعلون به ٠

وعندما عادت لأحمد ذاكرته ، تقدم إليه ابن أبى دؤاد ، وقال له : يا أحمد قل فى أذنى القرآن مخلوق حتى أخلصك من يد الخليفة فقال له الإمام أحمد : يابن أبى دؤاد قل

---

(١) المنهج الأحمد لأبى اليمن العليمى حـ ١ ص ٣٢ ٠

فى أذنى القرآن كلام الله عز وجل وليس بمخلوق حتىٰ أخلصك من عذاب الله عز وجل ، فقال المعتصم : أدخلوه الحبس فحمل إلى الحبس وانصرف الناس (١) ٠

وهكذا واجه الإمام أحمد بن حنبل المحنة فى صبر جميل وشجاعة نادرة ، يقول أحد جلاديه : « ضربت أحمد بن حنبل ثمانين سوطا لو ضربته فيلا لهدمته » (٢) ٠

والراجح أن المحنة كانت فى سنة تسع عشرة ومائتين من واقع ما جاء فى هذا الكتاب الذى يرويه ابن عمه وفى كتاب النجوم الزاهرة (٣) وذهب العليمى إلى احتمال أن تكون المحنة فى سنة تسع عشرة (٤) ، بخلاف مما ذكره ابن خلكان من أن ضربه فى العشر الأخير من رمضان سنة عشرين ومائتين (٥) ٠

وكانت مدة حبس الإمام ثلاثين شهرا منذ بداية المحنة فى عهد المأمون إلى أن خرج من السجن فى شهر رمضان سنة عشرين ومائتين ٠

وقد رأى الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ أن الأخذ بالتقية فى دار الإسلام لا يصح ، لأن المنكر فى دار الإسلام يجب استنكاره وإلا تحولت صفتها ، ولم يعد لها اسمها وأن الاستنكار له مراتب ، والتقية تكون حيث لا يكون للإسلام قوة وسلطان كبلاد يضطهد الإسلام فيها ، ولا سبيل للمسلم فى الخروج منها فيستخفى بدينه ، وتلك رخصة رخصت له تيسيرا وتسهيلا وكل نفس وما تطيق ٠

ولأن التقية لا تجوز من الأئمة الذين يقتدى بهم ويهتدى بهديهم ، حتى لا يضل الناس ، لأنهم إن نطقوا بغير ما يعتقدون وليس للناس علم ما فى الصدر ، اتبعوهم فى مظهرهم ، وظنوا أنه الحق الذى ارتضوه دينا وبذلك يكون الفساد عاما ولا يخص وحق على الإمام أن يكون الممتحن المبتلى ، فتنتشر الفكرة السليمة ويكون الابتلاء سبيل نشرها وذيوعها (٦) ٠ وينتصر الدين بصاحب العقيدة القوية ، وبتحمله فى سبيل نصرة دين الله كل بلية ، وترفع راية الإسلام عالية ويندحر أصحاب البدعة والضلالة ٠

ويصفح الإمام أحمد رضوان الله عليه عن المعتصم ، راجيا غفران ربه ، وحسن ثوابه ،

---

(١) المنهج الأحمد لأبى اليمن العليمى حـ ١ ص ٣٥ ٠
(٢) المنهج الأحمد لأبى اليمن العليمى حـ ١ ص ٣٦ ٠
(٣) ابن تغرى بردى حـ ٢ ص ٢٣٠ ٠
(٤) المنهج الأحمد حـ ١ ص ٣٧ ٠
(٥) وفيات الأعيان حـ ١ ص ٤٨ ٠
(٦) أحمد بن حنبل لأبى زهرة ص ٦٧ ٠

مستجيبا لأوامره (**وليعفوا وليصفحوا ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم**) (١) ولقوله عز وجل (**فمن عفا وأصلح فأجره على الله**) (٢) ٠

تحديد إقامة الإمام أحمد فى عهد الواثق

وتولى الواثق الحكم بعد المعتصم فى ربيع الأول سبع وعشرين ومائتين ولم يتعرض للإمام ، وقد رأى أن التعذيب لا يفيد فيمن كانت إرادته كالحديد ، وعرف فيه أنه عن الحق لا ولن يحيد ، ورأى أتباعه فى مزيد ولكنه كتب إلى محمد بن أبى الليث بامتحان الناس أجمعين ، فلم يبق أحد فقيه ولا محدث ولا مؤذن ولا معلم حتى أخذ بالمحنة ، فهرب كثير من الناس وملئت السجون بمن أنكر المحنة وأمر ابن أبى الليث أن يكتب على المساجد (لا إله إلا الله رب القرآن المخلوق) فكتب ذلك على المساجد بفسطاط مصر ومُنع الفقهاء من أصحاب مالك والشافعى من الجلوس فى المساجد (٣) ٠

وبعث إلى الإمام أحمد يحدد إقامته : « لا تساكنى بأرض » وقيل : أمره ألا يخرج من بيته ، ويظل الإمام أحمد متخفيا حتى مات الواثق ، ووقاه الله شره ، وأراه سبحانه ثمرة جهاده وصبره ، فكرمه وأعلى ذكره ، وخسف بأعدائه ، وأذلهم وكان فى ذلك عبرة ٠

انتصار أهل السنة واندحار أهل البدعة

ففى عهد المتوكل بعد الواثق - وهو أبو الفضل جعفر بن المعتصم وكانت ولايته فى ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين خالف ما كان عليه المأمون والمعتصم والواثق من الاعتقاد ، وطعن عليهم فيما كانوا يقولونه من خلق القرآن ، ونهى عن الجدال والمناظرة فى الآراء وعاقب عليهما ، وأمر بإظهار الرواية للحديث فأظهر الله به السنة ، وأمات به البدعة ، وكشف عن الخلق تلك الغمة ، وأنار به تلك الظلمة ، وأطلق من كان قد اعتقل بسبب القول بخلق القرآن ، ورفع المحنة عن الناس فاستبشر الناس بولايته ، وأمر بالقبض على محمد بن عبد الملك الزيات الوزير ووضعه فى تنور إلى أن مات وذلك فى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ، وابتلى الله أحمد بن أبى دؤاد بالفالج بعد موت الوزير بسبعة وأربعين يوما ، فولى القضاء مكانه ولده أبو الوليد محمد ، فلم تكن طريقته مرضية ، وكثر ذاموه ، وقل شاكروه ، ثم

---

(١) سورة النور الآية ٢٢ ٠

(٢) سورة الشورى الآية ٤٠ ٠

(٣) ضحى الإسلام لأحمد أمين جـ ٣ ص ١٨٤ ٠

سخط المتوكل على أحمد بن أبى دؤاد وولده محمد فى سنة تسع وثلاثين ومائتين وأخذ جميع ضياع الأب وأمواله من الولد : مائة وعشرين ألف دينار وجوهراً بأربعين ألف دينار ، وسيره من بغداد من سر من رأى وولى القضاء يحيى بن أكثم قاضى القضاة فإنه كان من أئمة الدين وعلماء السنة ، ثم مات أحمد ابن أبى دؤاد بمرض الفالج فى المحرم سنة أربعين ومائتين ، ومات ولده محمد قبله بعشرين يوما ، وكان بشر المريسي قد أهلكه الله ومات فى ذى الحجة سنة ثمانى عشرة وقيل : تسع عشرة ومائتين .

وعن عمران بن موسى قال : دخلت على أبى العروق الجلاد الذى ضرب أحمد لأنظر إليه فمكث خمسة وأربعين يوما ينبح كما ينبح الكلب (١) .

وقد أقبلت الدنيا على الإمام أحمد وهو زاهد فيها ، لا يريد منصبا ولا جاها ، ولا يريد طعاما فاخرا ، أو خلعة سنية ، أو مسكنا شاهقا فى الدنيا الدنية ، وهو يريد أخرى فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، لا يريد بعد صبره الطويل فى محنته ، أن يبيع الآجلة بالعاجلة إنه لا يرفض عطايا السلطان حتى لا يوجده عليه ، ولكنه يتصدق بها ، ويأتيه طعام الخليفة المتوكل الخاص ، فلا يأكل منه لقمة ، رغم فقره المدقع ، ولكن الغنى غنى النفس فيالها من نفس أبية غنية .

وعظمت مكانة الإمام أحمد لدى الخليفة المتوكل فكان لا يولى أحدا إلا بمشورته . « ومكث الإمام إلى حين وفاته قل أن يأتى يوم إلا ورسالة الخليفة تنفذ إليه فى أمور يشاوره فيها ويستشيره ، رحمهما الله ورضى عنهما » (٢) .

وهكذا خرج من الاختبار رجلا صالحا ، وقد تنوعت طرائق الاختبار ، اختبره المأمون بالقيد ، فساقه إليه مقيداً مغلولا يثقله الحديد مع بعد الشقة وعظم المشقة واختبره المعتصم بالحبس والضرب ، واختبره الواثق بالمنع والتضييق ، فما نهنهوا من نفسه وما يعتقد ، وبعد تلك البلايا ابتلى بالبلاء الأكبر ، فساق إليه المتوكل بالنعم ، فردها وهو عيوف النفس ، وكان يشد على بطنه من الجوع ، ولا يتناول مما يشك فى حلّه أو يتورع عنه ، ثم ابتلى أحمد بعد كل هذا بأعظم بلاء ينزل بالنفس البشرية ، وهو إعجاب الناس فقد ابتلى بعد أن انتصر على كل الرزايا بإعجاب الناس ، فما أورثه ذلك عجبا ولا ولاه بغرور ، بل كان المؤمن المحتسب المتواضع لعزة الله وجلاله الذى لم يأخذه الثناء ، وبذلك نجح فى أعظم البلاء (٣) .

---

(١) المنهج الأحمد لأبى اليمن العليمى حـ ١ ص ٣٩ ، ٤٠ .

(٢) المنهج الأحمد لأبى اليمن العليمى حـ ١ ص ٤١ .

(٣) أحمد بن حنبل لأبى زهرة ص ٦٠٥ .

وتعالت سلطة المحدثين وعلى رأسهم الحنابلة وقوي نفوذهم حتى كانوا حكومة داخل الحكومة (١) . حتى أنه فى سنة ٣٢٣ هـ « عظم أمر الحنابلة ببغداد وقويت شوكتهم ، وصاروا يكبسون دور القواد والعوام وإن وجدوا نبيذا أراقوه وإن وجدوا مغنية ضربوها وكسروا آلة الغناء فأرهبوا بغداد » (٢) .

مشهدان من محنة الإمام أحمد بن حنبل

الأول : مشهد من دفاعه عن الكتاب والسنة :

قال لى عبد الرحمن : ما تقول في القرآن ؟ فقال لى أبو اسحاق : أجبه . فقلت له : ما تقول في العلم ؟ فسكت . فقلت لعبد الرحمن القزاز (القرآن) من علم الله ، ومن زعم أن علم الله مخلوق فقد كفر بالله . قال : فسكت عبد الرحمن ، فلم يرد عليَّ شيئاً . فقالوا بينهم ياأمير المؤمنين ، أكفرنا وأكفرك . فلم يلتفت إليهم .

قال أبو عبد الله : فقال لى عبد الرحمن ، كان الله ولا قرآن ، قلت له : فكان الله ولا علم ؟ فأمسك . ولو زعم أن الله كان ولاعلم لكفر بالله ، ثم قال أبو عبد الله ، لم يزل الله عالما متكلما ، نعبد الله لصفاته غير محدودة ولا معلومة إلا بما وصف به نفسه ، ونرد القرآن إلى عالمه تبارك وتعالى ، إلى الله فهو أعلم به ، منه بدأ وإليه يعود .

قال أبو عبد الله : وجعلوا يتكلمون من ها هنا ومن ها هنا ، فأقول ياأمير المؤمنين ، ما أعطونى شيئا من كتاب الله ، ولاسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقول به ، قال : فقال ابن أبى دؤاد : وأنت لاتقول إلا ما في كتاب الله أو سنة رسوله ؟ فقلت له : وهل يقوم الإسلام إلا بالكتاب والسنة ؟ ثم قلت له : تأولت تأويلا تدعو الناس إليه ، فأنت أعلم وما تأولت ، وتحبس عليه وتقتل عليه . فقال ابن أبى دؤاد : هو والله ياأمير المؤمنين ضال مضل مبتدع ، وهؤلاء قضاتك والفقهاء فسلهم : فقال لهم : ما تقولون ؟ فقالوا : ياأمير المومنين ، هو ضال مضل مبتدع ، فلم يزالوا يكلمونى ، وجعل صوتى يعلو على أصواتهم إلى أن قال لى عبد

---

(١) ضحى الإسلام لأحمد أمين جـ ٣ ص ٢٠٠ .

(٢) كتاب أخبار سيبويه المصرى ص ١٨ .

الرحمن بن إسحاق : قال الله عز وجل (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) (١) أفيكون محدثا إلا مخلوقا ؟ فقلت له : قال الله عز وجل (ص والقرآن ذى الذكر) (٢) فالذكر هو القرآن ، وتلك ليس (٣) فيها ألف ولا لام ؟ قال : وكان ابن سماعة (٤) لا يفهم ما أقول ، فقال : ما يقول : قالوا : إنه يقول : كذا وكذا ، وقال لى إنسان منهم : حديث خبَّاب : يا هناه تقرب الى الله بما استطعت فإنك لن تقرب إليه بشىء أحب إليه من كلامه (٥) . قلت : نعم ، هو هكذا (٦) .

الثانى : مشهد جلده وتعذيبه :

قال - الخليفة المعتصم - حدُّوه ، اخلعوه ، واسحبوه . قال : فأخذت ثم خلعت ، ثم قال : العقابين (٧) والأسياط ، فجىء بعقابين وأسياط .

قال أبو عبد الله : وأنا أنظر ، وكان معى شعر النبى (صلى الله عليه وسلم) (٨) أعطانيه ابن الفضل بن الربيع ، وكان في صرة من قميص . فقال : انزعوا عنه قميصه ولا تخرقوه ، ثم قال : ما هذا في ثوبه ؟ فقالوا لى : ما هذا في ثوبك ؟ قلت : هذا شعر من شعر النبى صلى الله عليه وسلم . قال : صُيرت بين العقابين ، فقلت : ياأمير المومنين : الله الله ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « لا يحل دم امرئ مسلم ، يشهد ألا إله إلا الله وأنى رسول الله ، إلا باحدى ثلاث » وتلوت الحديث (٩) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم » (١٠) . فبم تستحل دمى ولم آت شيئا من هذا ياأمير المؤمنين ؟ الله الله ، لا يكفى الله وبينى وبينك مطالبة ، ياأمير المؤمنين : اذكر وقوفك بين يدى الله كوقوفي بين يديك ، ياأمير المؤمنين : راقب الله ، فكأنه أمسك ولم يترك (١١) . فقال ابن أبى دؤاد

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٢ .

(٢) سورة ص الآية ١ .

(٣) في الأصل : أليس .

(٤) ابن سماعة : محمد بن سماعة بن عبيد الله هلال بن وكيع ، كان إماما عالما صالحا بارعا ، صاحب اختيارات وأقوال في المذاهب ، وله المصنفات الحسان . ولى القضاء ، وتوفى سنة ٢٣٣ هـ (النجوم الزاهرة حـ ٢ ص ٧١) والبداية والنهاية حـ ١٠ ص ٣١٢) .

(٥) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص ٣٢٢ ، وبدلا من هناه ، هنتاه .

(٦) ذكر محنة الإمام أحمد ص ٤٨ : ٥٠ .

(٧) العقابين : خشبتان يُشْبَحُ الرجل بينهما للجلد (لسان العرب) .

(٨) ناقصة في الأصل : صلى الله عليه وسلم .

(٩) رواه الشيخان .

(١٠) رواه الشيخان وأبو داود .

(١١) لعل الصواب ما أثبتناه .

وخاف أن يكون منه عطف أو رأفة ، ياأمير المومنين : إنه ضال مضل كافر بالله . قلت ياأمير المؤمنين : اتق الله في دمى ونفسى ، فقال : هذا كافر ، وقال : هذا كافر . فأمرنى حينئذ فأقمت بين العقابين ، وجيء بكرسى فوضع له ، فجلس عليه وابن أبى دؤاد وأصحابه قيام على رأسه ، فقال لى انسان : خذ الخشبتين بيدك وشد عليهما ، فلم أفهم منه ذاك فتخلعت يداى . ثم قال أبو إسحاق للجلادين : أرونى سياطكم ، فنظر فقال : ائتونى بغيرها (١) . فأتوه بغيرها ، ثم قال لهم : تقدموا . وقال لهم : ادنوا واحدا واحدا ، ثم قال : أوجع قطع الله يدك . فتقدم فضربنى سوطين ثم تأخر . ثم قال لآخر : أُدْنُ ، شد ، قطع الله يدك . فضربنى سوطين ، ثم جاء آخر ، فلم يزل كذلك ، فأغمى على لما ضربنى أسواطا ، فلم أعقل حتى أرخى عنى ، فجاء فوقف وهم محدقون به ، فقال ياأحمد : ويلك تقتل نفسك ، ويحك أجبنى ، أطلق عنك ، وقال لى بعضهم : ويلك أمير المؤمنين قائم ، ويلك إمامك على رأسك قائم ، ويعجنى عجيف بقائمة سيفه . فقال لى : يريد يغلب هؤلاء كلهم .

وجعل إسحاق بن إبراهيم يقول لى : ويلك الخليفة على رأسك قائم . وهذا يقول : ياأمير المؤمنين ، دمه في عنقى . ثم يرجع فيجلس على الكرسى ، ثم يقول للجلاد : ادنه ، أوجع ، قطع الله يدك ، ولم (يزل يدعو) (٢) واحدا واحدا حتى يضربنى سوطين سوطين ، ويتنحى وهو يقول : (شد ، قطع الله يدك) (٣) أوجع . قال : ثم قام إلَّى الثالثة ، وما أعقل ، فجعل يقول : يا أحمد ، أجبنى . قال : وجعل عبد الرحمن يقول لى : أصحابك يحيى وفلان وفلان ، أليس قد أجابوا ؟ قال للجلاد : أوجع . وذهب عقلى ، فما عقلت واسترخيت . فلما أحس أنى ميت ، كأنه أرْعَبَه ذلك ، فأمر بتخليتي حينئذ ، وأنا على ذلك لا أعقل ، فما عقلت إلا وأنا في حجرة مطلق الأقياد » (٤) .

وهكذا صور هذا الكتاب تلك البطولة الفذة في مواجهة الجيوش الخاسرة أبدع تصوير وأصدقه . صور الزبد والحق « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال » (٥) صور الجبروت والإيمان ، صور سيف الحق ، صور سجن الدار وحرية النفس ، صور قيد الحديد

---

(١) في الأصل : فأتوه بغيرها .

(٢) غير واضحة في الأصل .

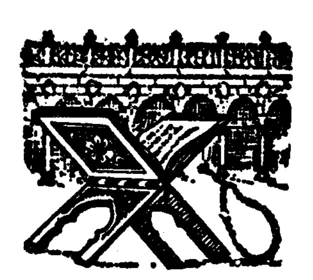
(٣) العبارة من كتاب طبقات الشافعية الكبرى للسبكى .

(٤) ذكر محنة الإمام أحمد ص ٦١ : ٦٣ .

(٥) سورة الرعد الآية ١٧ .

وانطلاق القلب واللسان ، صور أن دولة الباطل ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة ، صور واجب العلماء في مواجهة المنكر .

فكان هذا الكتاب دليل الحيران في هذا الزمان ، ومصباح الرشاد في بحر الظلمات ، وكان نشره اليوم إسهاما في الدعوة إلى الله ، ورسما للسلوك القويم ، وما ينبغى أن يكون عليه الداعية من ثبات في العقيدة وقوة في الإيمان وصلابة في الحق » (١) .



(١) تصدير : د . موسى شاهين لاشين لكتاب ذكر محنة الإمام أحمد بن حنبل .


باب
الفتاوى

الاعتماد على الحساب الفلكي

في إثبات دخول شهر رمضان وخروجه وتحديد الأعياد

لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان الى يوم الدين ، أما بعـــــد : -

فقد كثر الكلام حول العمل بالحساب الفلكي في دخول شهر رمضان وخروجه وتحديد الأعياد فرأيت إيضاح الحكم وبيانه لعامة الناس في هذه البلاد وغيرها ليكونوا على بصيرة في عبادتهم لربهم ، فأقول وبالله التوفيق : -

إن الله سبحانه وتعالى علق بالهلال أحكاما كثيرة كالصوم والحج والأعياد والعدد والإيلاء وغيرها لأن الهلال أمر مشهود مرئى بالأبصار ومن أصح المعلومات ما شوهد بالأبصار وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الحكم بالهلال معلقا على الرؤية وحدها لأنها الأمر الطبيعى الظاهر الذى يستطيعه عامة الناس فلا يحصل لبس على أحد في أمر دينه كما قال صلى الله عليه وسلم : « إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب ، الشهر هكذا وهكذا يعنى مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين » وقال : « لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين » ومن هذا يتبين أن المعول عليه في إثبات الصوم والفطر وسائر الشهور هو الرؤية أو إكمال العدة ولا عبرة شرعا بمجرد ولادة القمر في إثبات الشهر القمرى بدءاً وانتهاءاً بإجماع أهل العلم المعتد بهم ما لم تثبت رؤيته شرعا ، وهذا بالنسبة لتوقيت العبادات ، ومن خالف في ذلك من المعاصرين فمسبوق بإجماع من قبله وقوله مردود لأنه لا كلام لأحد مع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . أما حساب سير الشمس والقمر فلا يعتبر في هذا المقام لما يأتى : -

(أ) إن النبى صلى الله عليه وسلم أمر بالصوم لرؤية الهلال والإفطار لها في قوله : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » وحصر ذلك فيها بقوله : « لا تصوموا حتى تروه ولا تفطروا حتى تروه » وأمر المسلمين اذا كان غيم ليلة الثلاثين أن يكملوا العدة ولم يأمر بالرجوع الى علماء النجوم ، ولو كان قولهم هو الأصل وحده أو أصلا آخر مع الرؤية في إثبات الشهر لبيّن ذلك ، فلمّا لم ينقل ذلك بل نقل ما يخالفه دل ذلك على أنه لا اعتبار شرعا لما سوى الرؤية أو إكمال العدة ثلاثين في إثبات الشهر وأن هذا شرع مستمر الى يوم القيامة ، وما كان ربك نسيا . ودعوى أن الرؤية في الحديث يراد بها العلم أو غلبة الظن بوجود الهلال أو امكان رؤيته لا التعبد بنفس الرؤية مردودة لأن الرؤية في الحديث متعدية الى مفعول واحد فكانت بصرية لا علمية ، ولأن الصحابة فهموا أنها رؤية بالعين ، وهم أعلم باللغة ومقاصد الشريعة من غيرهم .

وجرى العمل في عهد النبى صلى الله عليه وسلم وعهدهم على ذلك ولم يرجعوا الى علماء النجوم في التوقيت ، ولا يصح أيضا أن يقال : إن النبى صلى الله عليه وسلم حين قال « فإن غم عليكم فاقدروا له » أراد أمرنا بتقدير منازل القمر لِنعلَمَ بالحساب بدء الشهر ونهايته لأن هذه الرواية فسرتها رواية « فاقدروا له ثلاثين » وما في معناها ، ومع ذلك فالذين يدعون الى توحيد أوائل الشهور يقولون بالاعتماد على حساب المنازل في الصحو والغيم والحديث قيد القدر له بحالة الغيم .

(ب) إن تعليق إثبات الشهر القمرى بالرؤية يتفق مع مقاصد الشريعة السمحة لأن رؤية الهلال أمرها عام يتيسر لأكثر الناس من العامة والخاصة في الصحارى والبنيان بخلاف ما لو علق الحكم بالحساب فإنه يحصل به الحرج ويتنافى مع مقاصد الشريعة لأن أغلب الأمة لا يعرف الحساب ودعوى زوال وصف الأمية بعلم النجوم عن الأمة غير مسلمة ولو سلمت فذلك لا يغير حكم الله لأن التشريع عام للأمة في جميع الأزمنة .

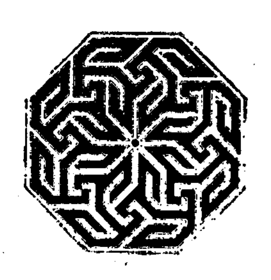
(جـ) إن علماء الأمة في صدر الإسلام قد أجمعوا على اعتبار الرؤية في إثبات الشهور القمرية دون الحساب ، فلم يعرف أن أحدا منهم رجع اليه في ذلك عند الغيم ونحوه ، أما عند الصحو فمن باب أولى .

(د) تقدير المدة التى يمكن معها رؤية الهلال بعد غروب الشمس لولا المانع من الأمور الاعتبارية الاجتهادية التى تختلف فيها أنظارأهل الحساب ، وكذا تقدير المانع فالاعتماد على ذلك في توقيت العبادات لا يحقق الوحدة المنشودة ، ولهذا جاء الشرع باعتبار الرؤية فقط دون الحساب رحمة للأمة وحسما لمادة الاختلاف وردا لهم الى أمر يعرفونه جميعا أينما كانوا .

هذا وينبغى الانتباه الى أن اختلاف المطالع من المسائل التى حصل فيها الاختلاف بين أهل العلم وقد درستها هيئة كبار العلماء في إحدى دوراتها السابقة واتخذت قرارا بالأكثرية مضمونه : أن الأرجح قول من قال إن لكل أهل بلد رؤيته وعليهم أن يرجعوا الى علمائهم في ذلك عملا بما رواه مسلم في صحيحه من حديث كريب عن ابن عباس ونصه : « عن كريب أن أم الفضل بنت الحارث بعثته الى معاوية في الشام قال فقدمت الشام فقضيت حاجتها واستهل على رمضان وأنا بالشام فرأيت الهلال ليلة الجمعة ثم قدمت المدينة آخر الشهر فسألنى عبد الله بن عباس ثم ذكر الهلال فقال متى رأيتم الهلال فقلت رأيناه ليلة الجمعة ، فقال : أنت رأيته ، فقلت نعم ورآه الناس وصاموا وصام معاوية فقال لكنا رأيناه ليلة السبت فلا نزال نصوم حتى نكمل الثلاثين أو نراه فقلت : أولا تكتفي برؤية معاوية فقال : لا هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشك يحيى بن يحيى في نكتفى أو تكتفى . إ هـ .

فأما قول من قال إنه ينبغى أن يكون المعتبر رؤية هلال مكة خاصة فلا أصل له ولا دليل عليه ويلزم منه أن لا يجب الصوم على من ثبتت رؤية الهلال عندهم من سكان جهات أخرى إذا لم ير الهلال بمكة .

وختاما أسأل الله أن يمن على المسلمين بالفقه فى دينه والعمل بكتابه وسنة نبيه وأن يعيذهم من مضلات الفتن وأن يولى عليهم خيارهم إنه سميع قريب . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .



عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ،

أَنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

" صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ ،

فَإِنْ غَبِيَ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ

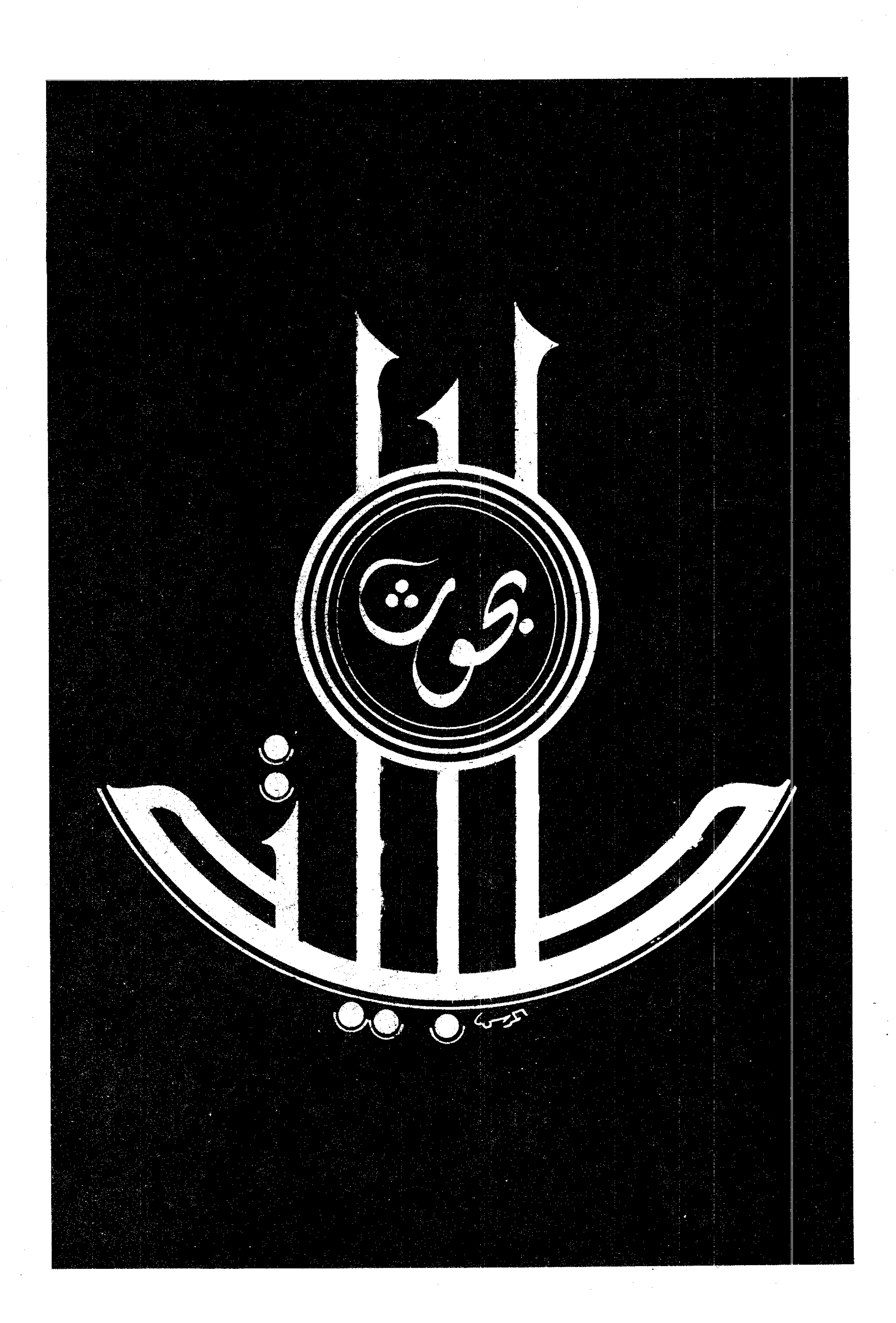
شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ "

متفق عليه ، وهذا لفظ البخاري

وفي رواية مسلم :

" فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَصُومُوا ثَلَاثِينَ

يَوْمًا "


بحوث



الحمد لله صاحب الفضل والنعم ، بيده الأمر كله ومنه القوة والعون ، أعطانا نعمة الصحة لنستعين بها على دنيانا وعبادته ، وسوف يسألنا عن مدى اهتمامنا بها ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد الذى اهتم بمعالجة القلوب والأبدان ، وعلى آله وصحبه رضوان الله عليهم وعن السلف الصالح ، وعن كل من سلك سبيلهم الى يوم الدين ٠ وبعـــــــد :

كتبت بصفة عامة عن الفم والأسنان ، وفي هذا المقال أريد أن أوضح بعض الموضوعات التى تهمنا معشر المسلمين المؤمنين ، فقد روى عن أسامة بن شريك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **تداووا عباد الله فإن الله تعالى لم يضع داءً إلا وضع له دواء غير داء واحد الهرم** » (١) ، يحثنا ديننا على البحث عن العلاج لنأخذ بالأسباب ، والشفاء من الله سبحانه وتعالى ٠ إن الكثيرين منا لا يعنون بصحة الفم والأسنان علما بأن سلامة الفم والأسنان هى سلامة للجسم وكما ذكرنا في مقالنا السابق أن الفم هو مدخل الجهاز الهضمى ، ففيه يمضغ الطعام مضغا جيداً بواسطة الأسنان والقواطع والأضراس ليختلط باللعاب ، وتتم بعض عمليات الهضم به ، فيسهل بلعه ويكون مهيأ لباقى عمليات الهضم في المعدة والأمعاء بطريقة سليمة وصحيحة ٠

ما أحوجنا أن نتبع تعاليم الدين الاسلامى لنحافظ على صحة أفواهنا وأسناننا ، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول : « **لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة** » **(٢)** فالسواك نظافة للفم والأسنان ٠ ولقد كثرت في هذا المجال الأبحاث والتجارب والمقالات ، وظهرت حديثا أنواع من المعجونات الطبية وفرش الأسنان ٠ وفي كل يوم نطالع في الصحف اختراع نوع جديد من المعاجين : هذا يحتوى على الفيتامين ، والآخر

---

(١) رواه الإمام أحمد وأصحاب السنن وابن حبان والحاكم ٠

(٢) رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه ٠

يحتوى على الفلورين ، وفرش للأسنان من النايلون والألياف الصناعية ، منها يدار بالكهرباء ، ومنها كالمعتاد يستعمل باليد . ولاشك في أن المواد الخام الطبيعية أثبتت فاعليتها وصلاحيتها أكثر من الصناعية . وأثبت العلم أن السواك ومافيه من خصائص ومواد هو الأفضل . فإذا أردنا أن تصح أبداننا فلنتبع تعاليم ديننا القويم . فمعظم الأمراض التى انتشرت وأصابت الإنسان هى من نتائج هذه المدنية الزائفة التى اخترعها الغرب وقلدها بعضنا .. فمثلا نرى في الغرب بالرغم مما يدعونه من مدنية واختراعات ، انتشرت أمراض الفم والأسنان ، ونسمع أن الكثيرين من الغربيين يضطرون الى خلع أسنانهم ، وعمل الاستعاضات الصناعية في سن مبكرة ، فما هى الأسباب ؟ الأسباب كثيرة ومتعددة : فلقد أهملت المرأة الغربية بيتها وتركت رضيعها ، فانتشرت الرضاعة الصناعية ، وتركت الأم أبناءها لتغذيتهم بالألبان والأغذية الصناعية ، ونسيت أن الرضاعة الطبيعية من ثديها فيها منافع كثيرة وعظيمة لها ولطفلها ، ففضلا على أن لبن الأم يحتوى على مجموعة من العناصر الغذائية والفيتامينات التى لا يمكن بحال من الأحوال مضاهاتها صناعيا ، فإنه يحتوى على عناصر تعطى مناعة ضد كثير من الأمراض .

كذلك التصاق الطفل بصدر أمه ورضاعته الطبيعية ، وعملية الشفط والسحب من الصدر لها تأثير كبير على نمو الفكين ، وارتفاع سقف الحلق ، وتقوية عضلات الفم ، والتنفس من الأنف طبيعيا . لقد أثبتت التجارب أن كثيراً من التشوهات الحلقية في الفم والفكين سببها الرضاعة الصناعية ، وتكون النتيجة عدم الانتظام في مواضع الأسنان ، وبروز بعضها والتصاق بعضها ببعض بطريقة غير طبيعية ولا منتظمة ، وهذا يؤثر مستقبلا على سلامة الأسنان وتكون عرضة للتسوس أكثر من غيرها . كذلك فأحيانا لا تنبت الأسنان في أماكنها الطبيعية ، وربما لا تظهر وتظل مدفونة في عظام الفك ويكون سببا في صداع دائم أو التهاب يؤدى الى كيس حول السن المدفون ، وربما إلى مرض خبيث . وبالنسبة للأم فرضاعتها لطفلها سلامة ووقاية لها من أورام خبيثة تتعرض لها أو لاضطرابات في هرمونات الجسم . أشياء كثيرة لا أستطيع حصرها في هذا المقال نتيجة للرضاعة الصناعية ، ولست مبالغاً إذا قلت إنها تؤثر على ذكاء الطفل ونشاطه ، فلنتدبر أمور ديننا يقول الله تعالى : **(والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة)** والحولان زمن يكفى للأمور التى ذكرتها واكتشفها العلم الحديث ، وفي عامين من عمر الوليد يكتمل ظهور أسنانه وأضراسه اللبنية ويصبح قادراً على أن يأكل المواد الطبيعية ، فلنعود أولادنا ونعلمهم من القرآن والسنة أننا في كل يوم نتجه الى الله سبحانه وتعالى في صلاتنا خمس مرات ، نتوضأ فيها

ونغسل أفواهنا ، إنها نظافة وتطهير للفم ، ولنتعود أن تكون لنا مواعيد منتظمة في تناول وجباتنا ، والمعدة بيت الداء ، وليكن لنا في رسول الله أسوة حسنة ، فحديث الرسول عليه الصلاة والسلام « **ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه ...** » (١) الحديث · ولنكن معتدلين في تناول أطعمتنا وشرابنا وفي قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « **نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع** » · وعلى هذا فلسنا في حاجة الى الطبيب ، عندما أهدى المقوقس للرسول عليه الصلاة والسلام طبيبا وجارية ودابة · فقبل الاثنتين ورد الطبيب وقال حديثه السابق ·

لقد استوردنا عادات وتقاليد لا بد لنا أن نمجها لأنها مفسدة فمثلا التدخين وماله من مضار أولا على الصحة العامة ، وأثبتت التجارب والأبحاث أن معظم حالات سرطان الرئة سببه التدخين · كذلك التهابات الفم واللسان والبقع البيضاء التى تظهر بالأغشية المخاطية للفم هى بداية لسرطان الفم أخطر الأنواع وأخبثها ·

إن لبدنك عليك حقاً · إنه أمانة سوف تحاسب عليها ، فنعم الله كثيرة وعظيمة (**وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها**) فلنحافظ على هذه النعم والمواهب العظيمة التى أنعم الله بها علينا في نفوسنا وفي أجسامنا ·

الإسلام دين النظافة والتزين بلا إسراف ولا خيلاء والتواضع في عز وبدون ذل والأسنان السليمة النظيفة مظهر جميل وكريم للإنسان ، كذلك مخارج الألفاظ تتحكم فيها حركة اللسان مع الأسنان ، فيكون النطق السليم · اعتن بنظافة فمك وأسنانك حتى لا تؤذى من كان على مقربة منك · والإسلام دين الألفة والمحبة ويبغض الفرقه والبغضاء · الاسلام دين النظافة والتزين فنهى عن أكل الثوم والبصل إذا ذهب المسلم لصلاة الجماعة حتى لا يشم المسلم من أخيه ريحا غير طيبة فيؤذيه · فالإسلام دين الأدب والذوق ودين النظافة والإيمان ·

فعلينا أن نبادر بالعلاج · إذ أن آلام الأسنان صعبة وشديدة ،فكلما كانت منطقة الألم قريبة من منطقة المخ ومركز الألم كان الألم أشد وأقوى ، والعلاج في البداية سهل ومفيد ، والإهمال في العلاج ربما لا يأتى بالنتيجة المرجوة ، وتكون النهاية فقد جزء من أجزاء الجسم ، ولا يمكن بأى حال من الأحوال مهما كانت مهارة الصانع والطبيب وقوة تقليد الانسان أن تعوض الإنسان ما فقده ، فسبحان الذى خلق فأبدع ·

---

(١) رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم ·

نصيحتى إليكم ـ والدين النصيحة ـ أن نهتم بصحة أبداننا باتباع سنه نبينا عليه الصلاة والسلام ، ونبادر باستشارة الطبيب المختص أولاً بأول ، حتى لا يستفحل المرض ويصعب العلاج ، وعلينا زيارة طبيب الأسنان مرة كل ستة شهور ، حتى ولو لم يكن لدينا أى شكوى أو مرض ولنعد الى أطعمتنا التى اعتادها أجدادنا من مأكولات طازجة لم تفقد الكثير من عناصرها ، نتيجة للحفظ والتبريد والتجميد ، والخبز الجاف أكثر فائدة من غيره ، فهو يحتاج لقوة في المضغ فيقوى الفك والعضلات ، والخبز كامل العناصر ، خير من الخبز الأ بيض الصافى ، والآن وقد تعودنا أكل الفطائر والحلوى وأنواع البسكوت وكلها أشياء سهلة لينة ، لاتحتاج للمضغ فتضعف الفك والأسنان فضلا عما يتخلف من بقايا المواد اللينة التى تعلق بالأسنان ، وتكون بؤرة ومرتعا للجراثيم والتسويس ٠ فإذا تناولت غذاءً لينا مثل البسكوت فضع أصبعك بين شدقك والأسنان فستجد أن بقايا كثيرة من العجين قد التصقت بالأسنان ٠

إن المأكولات الطازجة ، والخبز الجاف ، والخضروات تحتاج لقوة المضغ ، وتحريك الفكين ونشاط الخلايا وسلامة الأسنان ، فلو أننا نظرنا الى أجدادنا لوجدنا أنهم كانوا أكثر صحة ونشاطا منا ، فقد عاشوا على طبيعتهم ، فأكلوا من الطيبات غذاءهم الطبيعى ، وكل ما هو صعب ذللوه بقوة إيمانهم وبجهدهم وتفكيرهم ، فلم يصعب أمام قوة ايمانهم شىء ٠ أما نحن الآن وقد استسهلنا كل شيء ، وتعودنا الكسل ، فأصبح الطعام اللين الذى لا يحتاج لقوة المضغ والبلع هوايتنا ، وأخذ منا أولادنا هذه العادات فنادرا ما تجتمع الأسرة الآن على فطور واحد في الصباح الباكر ، بل أخذ التلميذ ما يسمى بالساندوتش وأعطى آخر المصروف ليشترى فطائر الحلوى والشيكولاته وخلافه ٠ أكلنا جميعا الهين اللين الذى لا يحتاج لتمرين عضلات الفم وتنشيط الأنسجة ٠ والقاعدة أن الخمول يؤدى الى الضعف والشلل ، والحركة والتمرين تساعد على النشاط والبناء وقدرة الجسم على المناعة ضد الأمراض ٠ وتكون النتيجة انتشار أمراض الفم وتسوس الأسنان بين الأطفال ، ونحن نجد أطفالا صغارا لم يتجاوزوا الخامسة من عمرهم يشتكون من التسوس والتهاب الفم والتقرح والتقيحات باللثة وربما يؤدى ذلك الى خراج باللثة وتحت الأسنان وبذلك نرى خلع الأسنان للأطفال بنسبة كبيرة ، علما بأن الخلع المبكر له أضراره الكثيرة التى تؤثر على نمو الفكين وعلى سلامة الفم وصحة الجسم وتؤثر أيضا على نمو وسلامة الأسنان الدائمة في الكبر ٠

أعود فأقول لقد عاش أجدادنا في الماضى وبالرغم من الظروف الصعبة وقلة سبل العلاج بعيدين عن الأمراض ومضاعفاتها ، وفكروا وتعلموا الحكمة ، وظهر النبهاء من العلماء

في كافة العلوم من طب وعلوم وفلك بينما كانت أوربا في جهل عميق ، لقد جمع الاسلام الأسرة ووحد شملها ودرب المسلمين على النظام ، إذ حثهم على القيام من نومهم مبكرين ليصلوا الفجر وليتناولوا فطورهم المكون عادة من اللبن وأنواع التمور وتوجهوا الى أعمالهم مبكرين واستقبلوا يومهم متوكلين على الله ومستعينين به في كل أعمالهم ، وأدوا حق الله عليهم ، فخشعت قلوبهم ، وأطمأنت بذكر الله نفوسهم ، وعاشوا جميعا أخوة متحابين ، وذكروا اسم الله في كل عمل يستقبلونه · فلم تكن هناك أمراض نفسية ولا عصبية · ولقد أثبتت التجارب أن الأمراض النفسية تؤثر على صحة الإنسان وعلى سلامة أعضائه ، فكثير من الأمراض العضوية سببها الاضطرابات النفسية والعصبية · فلنرجع الى الله سبحانه وتعالى ونستغفره ونتوب اليه لتطمئن نفوسنا ويصلح حالنا وتشفى نفوسنا وأجسادنا · فالجسم البشرى جهاز متعاون متكامل ، وصدق الرسول عليه الصلاة والسلام في حديثه « **مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر** » (١) وأود أن أذكر أنه قبل أن تكتشف الأمراض وتظهر علاقة المرض بأعضاء الجسم وتأثيرها عليه ، كان قول رسولنا الكريم وهو لا ينطق عن الهوى لأنه وحي يوحى إليه من الله تعالى ، ومن هنا ننظر الى عظمة الاسلام وحضارته منذ أربعة عشر قرنا من الزمان وقد سبق في الفضل الغرب والشرق · إذ أننا نجد أن مرض أي عضو من أعضاء الجسم له شواهده وأعراضه على بقية أجزاء الجسم الأخرى · فكثير من الأمراض الداخلية لها شواهد تظهر أحيانا في الفم واللسان أو الأسنان أو الجلد وكذلك تظهر في ارتفاع درجة الحرارة ·

فيجب علينا أن نتجه دائما الى الله سبحانه وتعالى ولا نكون كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، فخسروا الدنيا والآخرة ، فتفشت فيهم الأمراض النفسية والعضوية ، وبالرغم من الاختراعات الحديثة والمدنية كما يدعون ووسائل العلاج فإننا نجد أن نسبة تسوس الأسنان والتهابات اللثة وأمراض الفم في البلدان المتقدمة (الغربية) أكثر من أى مكان آخر وذلك لأسباب كثيرة ، ذكرت بعضها ومنها أن الأم تترك وليدها للتغذية الصناعية وتحرمه من حقه في الرضاعة ، وأهملت الأم بيتها فلجأت الى السهل من الأطعمة اللينة وشبه المجهزة والمحفوظة ، ونشأ الطفل الأوربى في بيئة مفككة تحت غير نظام الأسرة ، فتعود العادات السيئة مثل التدخين وشرب المواد الكحولية وكل ذلك أثر على صحته وسلامة فمه وأسنانه ·

ونحن المسلمين في كل يوم وقبل كل صلاة نتوضأ ونغسل الفم ونتمضمض ، وهى عملية تنظيف وفي نفس الوقت وقاية للفم والأسنان خاصة اذا استعملنا السواك ·

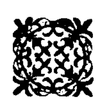
---

(١) رواه البخاري ومسلم ·

إن لبدنك عليك حقا ، وهو المحافظة عليه واستعمال كل عضو فيما أحله الله لك ٠ ولقد أنعم الله علينا بنعم كثيرة في أنفسنا وفي أجسامنا فلنحافظ على هذه النعم ، ونديم شكر الله عليها ولنتجنب ما نهانا الله عنه وما يضر أبداننا ويفسد قلوبنا ، ولنأكل من طيبات ما رزقنا الله سبحانه وتعالى ولنبتعد عن العادات الخبيثة الضارة كالتدخين ٠ فالتدخين ضياع للمال وفساد للبدن وسوف نحاسب على ذلك ٠ وإن فقد أى جزء من أجزاء الجسم خسارة كبيرة مهما بلغت الدقة في الصناعة ومهما سمعنا عن التقدم في علم زراعة الأسنان ولقد يكون ذلك تعويضا كافيا عن الأسنان التى خلقها الله مكونة في طبقات مختلفة تؤدى وظائف متعددة ٠ وأمدها بشرايين صغيرة تحمل الدم والغذاء وأمدها بالمواد الدفاعية التى تقيه السموم وجراثيم الأمراض وكذلك جعل فيه الحس والأعصاب ٠

فالحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات فلقد أنعم الله علينا بنعمة الاسلام والايمان وهى نعمة عظيمة وجليلة ولقد يسر الله لنا سبل العلاج وكان فضل الله علينا عظيما أن هيأ لهذه البلاد المباركة قادة وولاة مخلصين اهتموا بالعلاج والدواء وصحة المواطنين فانتشرت المستشفيات والمستوصفات في كل مكان ٠ وفي جامعتنا الإسلامية المباركة وبتوفيق من الله واهتمام المسئولين والقائمين على النهوض بهذه الجامعة أن هيئوا لإدارتها الطبية السبل الكفيلة للنهوض بهذه الإدارة وكان لتشجيعهم الأثر الطيب في نفوسنا جميعا بإتاحة المجال لتأمين وشراء أحدث وأعظم ما وصل اليه العلم الحديث من آلات ومعدات الكترونية وتأمين الأدوية اللازمة لكل التخصصات من أحدث الشركات العالمية ، فالدواء متوفر للجميع مهما بلغ ثمنه وكذلك التوسع في الخدمات الطبية بإنشاء مبانى جديدة وفتح عيادات متخصصة حديثة وإنشاء غرفة عمليات وانعاش واجراء عمليات جراحية كللت جميعها بالنجاح بفضل الله ثم بتوفيق وجهود المخلصين ٠ كذلك انشئ بنك للدم ٠ والإدارة الطبية بالجامعة دائما تسعى لتحسين الخدمة وتقديم كل امكانياتها لتوفير العلاج للجميع ٠

والله أسأل أن يوفق المخلصين ويجزيهم خير الجزاء



مع الخلية العصبية وبديع صنع الله

للدكتور فكرى السيد عوض

أخصائى العيون بالجامعة

يوجد بالجسم البشرى أجهزة غريبة معقدة التركيب كل منها له وظيفته ، وكل ميسر لما خلق له ، ويتحكم في ذلك كله جهاز يقوم بالتنسيق بين جميع تلك الأجهزة وينظم وظائفها ، إنه الجهاز العصبى ، حيث يتحكم في الجسم كله على الإطلاق .

وسنلقى بعض الضوء في عجالة سريعة حول ذلك الجهاز الربانى الدقيق الصنع لنقف على حقيقة يتدبرها من يتدبر ، لِنَقُولَ بعدها : سبحان الذى خلق فسوى وقدر فهدى ، وأن هذا الإنسان الذى أنشأه الله برعايته وتولاه بحفظه وعنايته ـ يقدر سبحانه وتعالى أن يخرسه أو يعميه أو يصمه أو يشله في أى لحظة من اللحظات وبدون مقدمات ، (فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء وإليه ترجعون) يس / ٨٣ .

والجهاز العصبى يتكون من شقين :

الأول : جهاز مركزى : ويشمل المخ والنخاع الشوكى .

والثانى : جهاز فرعى : ويشمل الأعصاب المخية والأعصاب الشوكية والأعصاب الذاتية .

أولا : المخ : ـ

يخرج منه اثنا عشر زوجا من الأعصاب المخية ، فالأول للشم ، والثانى للبصر ، والثالث والرابع والسادس من أجل حركة العين ، أما الخامس فيختص بنقل الأحاسيس من الوجه والجبهة والأسنان ويحرك العضلات الماضغة ، والسابع يقوم بتحريك عضلات الوجه والشفاه فيسيطر وحده على ست وأربعين عضلة موزعة على الجانبين منها ست وعشرون عضلة حول الشفتين ، **والثامن** خاص بحاسة السمع والاتزان فينقل المسموعات الى ما يزيد عن

ثلاثين ألف خلية سمعية ، **والتاسع** يختص بمنطقة البلعوم واللسان ، **والعاشر** يغذى القلب والجهاز التنفسى والجهاز الهضمى ، **والحادى عشر** لتغذية الرقبة وفوق الكتف ، **والثانى عشر** يختص بحركة عضلات اللسان الذى يحتوى على سبع عشرة عضلة ٠

ولم أقصد الى سرد محاضرة في التشريح بل هو إيضاح حتى يمكن لنا أن نتخيل ماذا يحدث لو أصيب الإنسان بشلل في أحد هذه الأعصاب ، وهنا ندرك قوله تعالى : (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الانسان لظلوم كفار) إبراهيم /٣٤ ٠ وكما يقول الدكتور وتز عميد كلية الطب في باريس وعضو أكاديمية العلوم : -

« إذا أحسستُ في حين من الأحيان أن عقيدتى بالله تزعزعت وجهتُ وجهى إلى أكاديمية العلوم لتثبيتها » وصدق الله اذ يقول : (وفي خلقكم وما يبث من دابة آيت لقوم يتفكرون) الجاثية / ٤ ٠

● ويبلغ عدد الخلايا التى في الدماغ أربعة عشر مليار خلية ، وكل منطقة من مناطق المخ تتراكم فيها أنواع خاصة من الخلايا أكثر من غيرها ، فهذه منطقة للرؤية ، وتلك للسمع ، وثالثة للحركة ، ورابعة للحس ، وهكذا ، ولوحظ أن خلايا الدماغ ترسل اشارات كهربائية أمكن تسجيلها ونقلها وتكبيرها بآلة ترسم هذه الاشارات بشكل خطوط وموجات مما فتح مجالات كثيرة أمام الطب مثل تحديد بعض الأمراض المخيفة والكشف عن بعض الأورام المدفونة في تلافيف المخ ٠

● وكلما كان تركيب الشيء معقدا ووظيفته غالية كلما كانت العناية به فائقة والمحافظة عليه ضرورية ولذلك نجد أن المخ تحميه الأشياء الآتية :

١ ـ طبقة من العظام : وهى عظام الجمجمة التى تتكون من اثنتين وعشرين عظمة ٠
٢ ـ أغشية ثلاثة تغلفه ٠
٣ ـ سائل يحيط به من جميع الجهات ليكون حاميا له من الرضوض والصدمات ٠

إنها الرعاية الإلهية الشاملة ، كما في الجنين وهو في رحم أمه حيث يحيط به السائل الأمنيوسى وثلاثة أغلفة ٠

ثانيـــــا : النخاع الشوكى :

يتصل بالمخ عن طريق فتحة كبيرة في مؤخرة الجمجمة ، ويقع النخاع الشوكى

داخل قنوات في العمود الفقرى ، وأيضا تحوطه طبقة من العظام (عظام الفقرات) والأغلفة الثلاثة ، والسائل الشوكى ، ويبلغ طوله حوالى ثلاثة وأربعين سنتيمتراً وقطره حوالى سنتيمتر واحد ،ويتفرع منه واحد وثلاثون زوجا من الأعصاب تخرج جميعها خلال ثقوب صغيرة من بين الفقرات ، وتوزع على بقية أجزاء الجسم لتقوم بنقل الأحاسيس ، وكل عصب شوكى موكل بنقل إحساس معين من مكان محدود ، ويأمر مجموعة معينة من العضلات بأوامر معينة في دقة وانسجام ٠

وعملية نقل الحس تثير الدهشة والتعجب ، حيث تنقل الأحاسيس إلى خلايا الأعصاب الشوكية في النخاع الشوكى ليصل في النهاية الى المخ الذى يقوم بترجمتها وإصدار الأوامر إلى تلك الأعصاب لتحرك عضلات معينة وفقا لما تقتضيه الحاجة ، ولنا أن نتخيل أن عدد الإشارات التى تصب في الجهاز العصبى في كل ثانية (١٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠) مائة مليون إشارة قادمة من الأعضاء الحسية . **فالجلد** مثلا يحتوى على الأجهزة الآتية :

(٣ر٠٠٠ر٠٠٠ الى ٤ر٠٠٠ر٠٠٠) من ثلاثة الى أربعة ملايين جهاز للألم ٠

(٥٠٠ر٠٠٠) خمسمائة ألف جهاز خاص باللمس أو الضغط ٠

(٢٠٠ر٠٠٠) مائتى ألف جهاز حساس للحرارة ٠

ومن هنا نستشعر قوله تعالى :

(إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما) النساء / ٥٦ ٠

وهناك نوع آخر من الإحساس هو الإحساس العميق (حس الأعضاء والعضلات والعظام) وهذا من عمل المخيخ حيث يقوم بالمحافظة على اتزان الجسم وانسجام حركاته ، وأى خلل بسيط يصيب المخيخ يعطل هذا التوازن فيضطرب المشى ، وترتجف الأطراف ، وتتقطع الكلمات .. وعندما جربوا تخريب المخيخ في الطيور ثم ألقيت في الهواء سقطت كالجسم ليس فيها حراك مع أنها تبصر مايحل بها لأنها لا تستطيع أن تنظم حركات أجنحتهـــــــا ٠

ثالثـــا : الجهاز العصبى الذاتى : ـ

وهو مجموعة من الأعصاب تنقسم إلى مجموعتين كل منهما يناقض الآخر :

المجموعة الأولى : تسمى بالأعصاب الودية أو التعاطفيـة :

وهذه تنشط في حالات **الغضب** أو **القتال** حيث ترسل الإشارات إلى المخ وتترجم لمواجهة الموقف بأقصى سرعة فتقوم تلك الأعصاب بدورها العجيب من توفير للرؤيا (حيث تتسع حدقة العين) ، وتوفير الغذاء (فيدفع السكر من مخازنه لكى تحرقه وتحوله إلى طاقة) ، وتوفير الهواء (حيث يزداد عمق التنفس) ، وتوفير الدم (حيث تزداد سرعة الدورة الدموية) .

إنه الاستعداد التام السريع لمواجهة الخطر المفاجئ : إسراع في ضربات القلب ، اندفاع الدم بسرعة إلى الأوعية الدموية ، ارتفاع في ضغط الدم ، انتفاخ في الأوداج ، إفراز للعرق ، ازدياد في عمق التنفس ، حالة شديدة من الغيظ ، وتثور شهوة الغضب ، فإذا استطاع الإنسان أن يقهر نفسه بحلمه ، ويصرعها بثباته ، فإنه يكون كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام : « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » (١) ، وقد بينت الشريعة الإسلامية الطرق العديدة لمواجهة حالة الغضب هذه كما يلى :

(أ) بالقول : وهو الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم . كما جاء في الحديث أنه استبَّ رجلان عند النبى صلى الله عليه وسلم حتى عرف الغضب في وجه أحدهما ، فقال النبى عليه الصلاة والسلام : « إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد ، لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد » (٢) .

(ب) بالوضوء : وذلك كما جاء في الحديث الذى رواه أبو وائل القاص حيث قال : دخلنا على عروة بن محمد السعدي فكلمه رجل فأغضبه فقام فتوضأ فقال : حدثنى أبى عن جدى عطية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خلق من النار ، وإنما تطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ » (٣) .

(جـ) بتغيير وضع الجسم عند حدوث الغضب ، وذلك كما جاء في الحديث الذى رواه أبو ذر الغفارى حيث قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا غضب أحدكم وهو قائم ، فليجلس ، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع » (٤) .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه الإمام أحمد والبخارى ومسلم والترمذى عن سليمان بن صرد .

(٣) رواه الإمام أحمد وأبو داود عن عطية العوفي .

(٤) رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن حبان .

وقبل كل هذا نتذكر الوصية العظيمة التى جاءت في الحديث الصحيح الذى أخرجه البخارى ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : إن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصنى ولا تكثر علىَّ ، أو قال : مرنى بأمر وأقلله لى كى لا أنسى . قال : « **لا تغضب** » .

المجموعة الثالثة : الأعصاب نظير الودية :

وهى تنشط في حالات الأمان والهدوء والاسترخاء ، عندئذ ينشط الجهاز الهضمى وتزداد الافرازات ، وتبطىء حركات القلب ، ويقل التنفس .

وهكذا يظل الجسم في حالة اتزان عجيبة ما بين جهاز يسرع (إذا جاء الخوف والغضب) وما بين جهاز يبطىء (إذا جاء الاسترخاء والهدوء) ، والإنسان لا يتحكم في هذا ولا ذاك ، ولو حدث أى خلل في ذلك الاتزان المتقن لكانت له ويلاته الوخيمة التى يضيق المجال عن ذكرها ، وصدق الله العظيم إذ يقول : (وكل شىء عنده بمقدار) الرعد / ٨ .

بقي أن نعرف أن الخلية العصبية تتغذى كباقى الخلايا ، وتتفاعل كما تتفاعل الخلايا الأخرى ، وتركيبها الداخلى أيضا لا يفترق كثيرا عن الخلايا الأخرى ، فما هو الشىء الكامن فيها بحيث تكون مقرا للتفكير والادراك والخيال ؟ ، لا جواب ، كل الذى وصل إليه العلماء أنه يوجد بداخل الخلية العصبية جسيمات (جسيمات نيسل) لا توجد في الخلايا الأخرى ووجد أنها تكثر أثناء الراحة وتقل أثناء العمل .

ولا يزال البحث جاريا للكشف عن هذا السر وللوقوف على الأشياء الكثيرة التى مازالت في عالم المجهول بالرغم من تقدم العلم إلى أقصى مداه ، وصدق الله : (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) ، وتوجد أمراض كثيرة تصيب هذا الجهاز الغالى ، وتُحدث أعراضاً غريبة ومخيفة ، وسنذكر منها أعراض حالة واحدة تجعل الإنسان يفقد أعز ما وهبه الله ، وهذه الحالة تسمى « الحبسة » وتحدث بأحد الأشكال الآتية : ـ

(أ) تجد المريض يسمع جيدا ويفهم ما يقال له ، ويرى جيدا ويفهم ما يراه ، ومع كل هذا لا يستطيع أن ينطق بالكلمة التى سمعها أو يكتب الشىء الذى رآه .

(ب) المريض يسمع ، لكنه لا يفهم ما يسمعه مع أنه يتكلم ولكن لا فائدة ولامعنى لكلامه .

(جـ) المريض يقرأ ويكتب ويرى الكتابة ، ولكنه لا يفهم معناها .

(د) له عين سليمة ، وأذن طبيعية ، وأحبال صوتية عادية ، لكنه إذا رأى لا يفهم ما يراه ، وإذا سمع لا يعقل ما سمعه ، وإذا أراد النطق عجز عن ذلك .

أظن بعد هذا الجزء القليل من هذا المرض المخيف الذى أصاب مركزا واحدا من مراكز المخ العديدة أنه لا يعقل أن يتكبر هذا الإنسان الذى خلق من الطين ، وأصبح خصيما مبينا ، بل من البديهى أن يشكر الله الذى أفاض عليه من نعمه وهداه وعافاه ٠

اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا واجعله الوارث منا ٠

وهناك نقطة أخيرة نختم بها الحديث وهى ماذا يحدث لهذا الجهاز العصبى الذى تفضل الله به علينا وأمرنا بالمحافظة عليه ، ماذا يحدث له إذا شذ الإنسان عن منهج الله وخالف أوامر ربه ، ؟؟ - الإجابة عديدة ومتفرعة وسنقتصر على جزء قليل من ناحية واحدة فقط وهى تأثير **الخمر** على ذلك الجهاز العزيز :

فالخمر كما هو معروف في اللغة خمر الشىء : ستره ٠ خمر وجهه أى غطاه ٠ فماذا تفعل الخمر ؟ إنها تستر وتغطي هذا الجهاز الدقيق فيختل عمله وتعتل وظيفته سواء كان هذا المسكر له تأثير مباشر بسمومه على الجهاز العصبى حيث يسبب ضمورا لخلايا المخ والمخيخ والعضلات ٠ أو كان تأثيرها بطريقة غير مباشرة على الجهاز العصبى ، وذلك لما تسببه من نقص في بعض مجموعة فيتامين ب المركب (وذلك لما ينتج عنها من التهابات في جدار المعدة والأمعاء وسوء الامتصاص من الأمعاء ، وكذلك لأن الخمر (الكحول) ذات سعر حرارى مرتفع يحتاج لأكسدته كميات كبيرة من فيتامين ب المركب) ٠ وإذا ما حدث هذا النقص أدى الى أمراض كثيرة وعديدة منها التهابات الأعصاب سواء كانت هذه الأعصاب مخية أو نخاعية أو ذاتية ٠

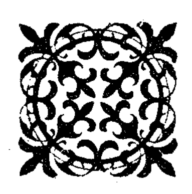
وما نراه عند المدمنين من ارتعاش في اليدين ، وحالات الهلوسة (حيث يتخيل المريض أن أمامه أشباحا يراها بعينه ، ويسمع أصواتا لا وجود لها ، ويشم روائح كريهة لا أساس لها ، وهكذا تصبح حياته كلها في خيالات وأوهام مخيفة) ، وكذلك ما نراه من حالات الصرع والتشنجات لما تسببه من تهيج لخلايا المخ ، فإن الإنسان إذا ما وصل إلى هذه المرحلة ، فإن العلاج يتطلب جهدا خارقا وتخصصات دقيقة وإمكانات هائلة لإنقاذه ، وربما مع كل هذا لا يتم شفاؤه ٠

ومن هنا كانت التنبيهات والتأكيدات المتتابعة لعدم الاقتراب من الخمر حينما قرنها الله تعالى بالميسر والأنصاب والأزلام ، وحينما وصفها بأنها رجس ، وأنها من عمل الشيطان ، وأنها وسيلة لإيقاع العداوة والبغضاء ، والصد عن ذكر الله وعدم الفلاح ، ولذا كان لا بد من

اجتنابها وسد كل الطرق المؤدية إليها والحذر دائما وفي كل حين من هذه الآفة اللعينة وصدق الله العظيم اذ يقول :

(يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ؟ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين) التوبة / ٩٠ ـ ٩٢ .

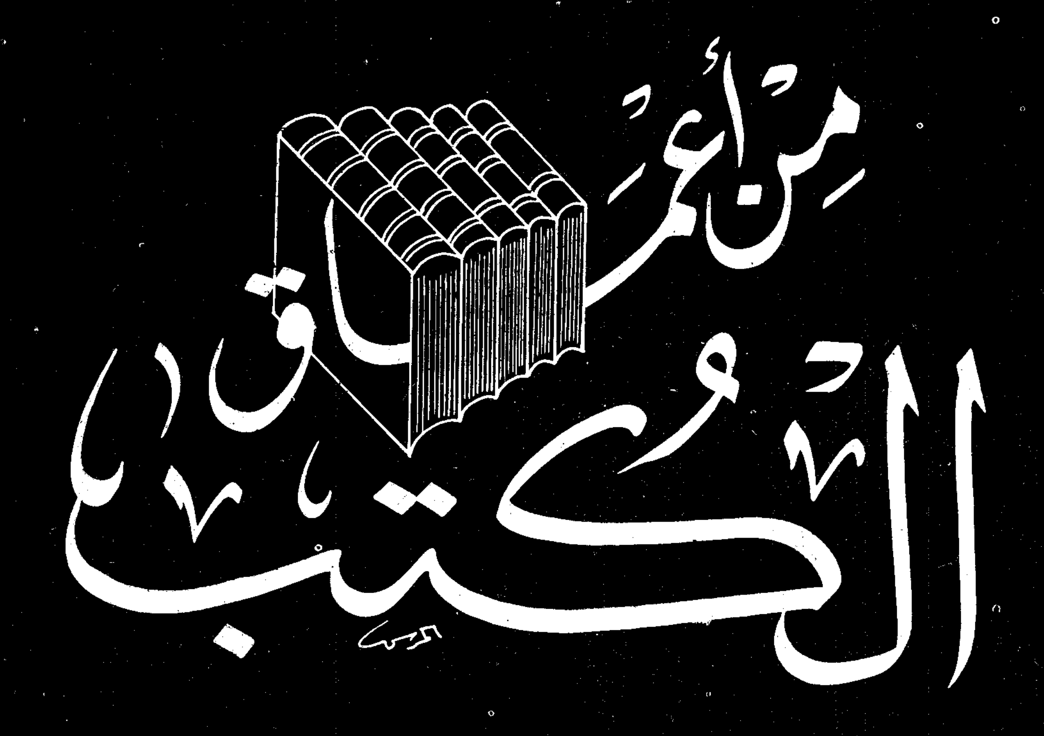
ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير .



قال الله تعالى:

سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾

سُورَة فصّلت


من أعماق الكتب

من أعمــاق الكتب

ـ لماذا اعتنقت الإسلام ؟

ـ وما الذى جذبنى منه خاصة ؟

ـ هنا يجب أن أعترف بأننى لا أعرف جواباً شافياً ٠

ـ لم يكن الذى جذبنى تعليماً خاصاً من التعاليم ، بل ذلك البناء المجموع العجيب والمتراص بما لانستطيع له تفسيراً من تلك التعاليم الأخلاقية ، بالإضافة الى منهاج الحياة العملية ٠

ـ ولا أستطيع اليوم أن أقول أى النواحى قد استهوتنى أكثر من غيرها ، فإن الإسلام على ما يبدو لى ، **بناء تام الصنعة** ، **وكل أجزائه قد صيغت ليتمم بعضها بعضاً ، ويشد بعضها بعضا ، فليس هناك شىء لا حاجة اليه ، وليس هناك نقص في شىء** ، فنتج عن ذلك كله **ائتلاف متزن مرصوص ٠**

ـ ولعل هذا الشعور من أن جميع ما في الإسلام من تعاليم وفرائض « قد وضعت مواضعها » ، هو الذى كان له أقوى الأثر في نفسي ، وربما كانت مع هذا كله أيضا مؤثرات أخرى يصعب عليّ الآن أن أحللها ٠ وبالإيجاز فقد كان ذلك قضية من قضايا الحب ، والحب يتألف من أشياء كثيرة : من رغباتنا وتوحدنا ، ومن أهدافنا السامية وعثراتنا ، ومن قوتنا وضعفنا ٠ وكذلك كان شأني ، لقد هبط على الإسلام كاللص الذى يهبط المنزل في جوف الليل ، ولكنه لا يشبه اللص لأنه **هبط ليبقى الى الأبد ٠**

ومن ذلك الحين سعيت إلى أن أتعلم من الإسلام كل ما أقدر : لقد درست القرآن الكريم ، وحديث الرسول عليه الصلاة والسلام ٠ لقد درست لغة الإسلام ، وتاريخ الإسلام ، وكثيراً مما كتب عنه ، أو كتب في الرد عليه ٠ وقد قضيت أكثر من خمس سنوات في الحجاز ، ونجد ، وأكثر ذلك في المدينة ، ليطمئن قلبى بشىء من البيئة الأصلية الذى قام النبى العربى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالدعوة إليه فيها ٠ وبما أن الحجاز ملتقى المسلمين من جميع الأقطار ، فقد تمكنت من المقارنة بين أكثر وجهات النظر الدينية والاجتماعية التى تسود العالم الإسلامى في أيامنا ٠ هذه الدراسات والمقارنات خلقت فىّ العقيدة الراسخة بأن الإسلام من

وجهتيه الروحية والاجتماعية ، لا يزال بالرغم من جميع العقبات التى خلّفها تأخر المسلمين ، أعظم قوة نهّاضة بالهمم عرفها البشر .

وهكذا تجمعت رغباتى كلها منذ ذلك الحين حول مسألة بعثه من جديد .

من كتاب (الإسلام على مفترق الطرق)

للمستشرق النمسوى المسلم « محمد أسـد »

تعليق التحـرير :

تلك كلمات رائعة صاغها الأستاذ محمد أسد ، ذلك الرجل الذى شرح الله صدره للإسلام ، فأصبح ـ بفضل الله ورحمته ـ على نور من ربه ، وعبر بها عن شعوره عن هذا الدين العظيم ، وحاول أن يضمنها سبب اعتناقه للإسلام ، وأخذ يتلمس ما استهواه منه حتى دخل حماه ،ولكنه لم يبلغ ما يريد من ذلك إلا أن يصور الإسلام بناءاً مجموعا ، عجيباً متراصاً ، تام الصنعة ، لا نقص فيه ، بل إن أجزاءه يتمم بعضها بعضا وقد وضع كل منها في موضعه فتكون ائتلافٌ متزنٌ مرصوص .

وقد ذكر الأستاذ محمد أسد أن هذا الدين هبط عليه كاللص الذى يهبط المنزل في جوف الليل ثم استدرك فقال : (ولكنه لا يشبه اللص لأنه هبط على ليبقى الى الأبد)

والذى أفهمه من تعبيره هذا انه يريد أن يقول إن الإسلام قد تسلل الى قلبه فجأة ـ دون سابق إنذار ـ فاحتله ، وسكن في جنباته ، فاطمأن به اطمئنانا يبقى معه مدى حياته .

ولقد دفعه اطمئنانه بالإسلام الى أن يعيش في مهده الأول ، ليلمس تطبيقه عمليا ، ويقارن بين المجتمع المسلم والمجتمع الأوربى الذى أعرض عن الإسلام ونأى عنه بجانبه ، ولينتهى الى النتيجة التى لا يقوى أحد على إنكارها ، وهى أن الإسلام من وجهتيه الروحية والاجتماعية ـ بالرغم من جميع العقبات التى خلّفها تأخر المسلمين ـ أعظم قوة نهّاضة بالهمم عرفها البشر .

تلك ـ في إيجاز ـ مشاعر وأحاسيس ذلك المستشرق المسلم الذى استضاء بنور الهدى ، فأنار له قلبه ، وفكره ، وحياته ، وصدق فيه وفي أمثاله قول الله ربنا سبحانه وتعالى : « **أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه** » (الزمر آية ٢٢) .

أما أولئك الذين تحجرت قلوبهم ، فعموا عن هدى الله وصمّوا ، فضلّوا وأضلّوا ، فأظلمت قلوبهم ، وأفكارهم ، وحياتهم ، فقد صدق فيهم وفي أمثالهم قول الله تعالى : « **فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ، أولئك في ضلال مبين** » (الزمر آية ٢٢) .

ولماذا لا يلحقهم الويل ، ويحيق بهم العذاب ؟ إنهم كذّبوا الله ونبذوا هديه ، **« فأذاقهم الله الخزىَ في الحياة الدنيا ، ولعذابُ الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون »** (الزمر آية ٢٦) .

فليتنبه أولئك المعرضون عن الله بصفة عامة ، والمستشرقون الذين اتخذوا بحثهم في الإسلام تجارةً به وحرباً له ، دون أن يُسْلِموا ، بصفة خاصة ، وليحذو حذو مستشرقنا المسلم الأستاذ محمد أسد في صدق الإسلام وإخلاص الدين الحق لله رب العالمين .

ثم ليعد المسلمون الى الأخذ بدينهم العظيم ، وتحكيم نهج الله في كل أمورهم ، حتى يعود لهم مجدهم ، وعزهم ، وأمنهم ، وسكينتهم ، ولن يصلح هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ...

سعد ندا

عضو تحرير مجلة الجامعة الإسلامية




مختارات من
الصحف



الطاغـوت الجديـد

لما عجزت اليهودية العالمية والصليبية العالمية ومؤتمرات التنصير عن القضاء على الإسلام في قلوب المسلمين وأخفقت أيضا في استخدام أسلوب التدخل العسكري السافر لجأت إلى حيلة ماكرة وهى إيجاد أنظمة تحمل شعار المسلمين وتكتب في دساتيرها أن دين الدولة الإسلام ، فالإسلام عند هذه الأنظمة مناسبات واحتفالات وتراث يوضع في المتاحف وفولكلور يعرض على المسارح أما أن يكون نظام حياة يغطي جميع الجوانب السياسية والاقتصادية والأخلاقية والتعليمية فهذا مرفوض ، وكل من يحاول أن يفهم الإسلام بهذا المفهوم الصحيح أو ينادي به أو يعمل لإعادة سلطان الله المغتصب في الأرض فإن أعواد المشانق في انتظاره ٠ ولقد حققت هذه الأنظمة ما لم يحققه اليهود والنصارى والشيوعيون عبر ثلاثة قرون ٠

(عن مجلـة المجتمع الكويتيـة)

الإسـلام بنظر ريجان

● في تصريح أدلى به ريجان الرئيس الجديد للولايات المتحدة لمراسلي الصحف عقيب فوزه في الانتخابات عمد إلى تحريض الأميركيين ضد المسلمين بقوله :

(إن المسلمين يرجعون إلى فكرتهم التي تقول : إن الطريق إلى الجنة هو أن يموت المسلم وهو يقاتل المسيحيين أو اليهود) ٠

وكان لهذا اللغو الشيطاني أسوأ الأثر في مسلمي العالم وبخاصة مسلمي أمريكة الشمالية ... وقد دعا الأمين العام لمجلس المساجد في أمريكة رؤساء الجمعيات الإسلامية إلى اجتماع طارئ لبحث النتائج المترتبة على هذا التصريح ، وبعث ببرقية إلى ريجان يستنكر بها تلك المحاولات المثيرة ، ويذكره بما يلقاه اليهود والنصارى في بلاد المسلمين من تسامح وعدالة تكذب ادعاءه ...

... وانديرا غاندي

• وفي الهند أيضاً أعلنت رئيسة حكومتها أنديرى غاندي نقمتها على مؤتمر القمة الإسلامي وهاجمت مفهوم التمسك بالمبادئ الإسلامية قائلة إنه بمثابة حرب نفسية من جانب أولئك الذين يتذرعون به ...

وأضافت إلى ما تقدم أن الهدف من ذلك إثارة التحيز ضد كل الذين يؤكدون شخصيتهم القومية ، وإعطاء انطباع بأنه ليس هناك عناصر ليبرالية أو رشيدة في العالم الإسلامي ...

ولا يستغرب من هذه السيدة أن تعلن نقمتها على مبادئ الإسلام على هذا الوجه من الكراهية ، وهى التى يذبح المسلمون في ظل حكمها بالمئات والآلاف فلا تزيد على القول : إن الذين يقتلون من المسلمين في بعض الدول العربية أكثر من الذين يقتلون في الهند ...

كأن دماء المسلمين موضع سباق بين الطواغيت فعلى كل منهم أن يفرغ وسعه في القضاء عليهم ...

ولا حـــول ولا قـــوة إلا بالله ...

جـرائم الشـــيوعية

أباد الروس سنة ١٩٢١ م بالقرم ١٠٠٠٠٠ مسلم بالجوع وأرغموا ٥٠٠٠٠ مسلم على الهجرة في عهد بللاكو الشيوعي الهنغاري الذي نصبوه رئيساً للجمهورية القرمية الإسلامية ٠

وقد قلد الشيوعيون فى شرق أوروبا رفاقهم في روسيا فأبادوا في يوغسلافيا بعد الحرب العالمية الثانية ٢٤٠٠٠ مسلم وهدموا المساجد وحولوها إلى دور للهو ، وبلغ مجموع المساجد التي هدمت أو حولت إلى غايات أخرى في تركستان وحدها ٦٦٨٢ جامعاً ومسجداً منها أعظم المساجد الأثرية مثل « منارة مسجد كالان » في مدينة بخارى ٠

تقرير هـام من طشقند

أذاعت وكالة الأنباء الفرنسية تقريرا هاما بعث به مراسلها فى طشقند وهى المدينة التى نظم فيها السوفيت مؤخرا مؤتمرا إسلاميا قاطعته الدول الإسلامية الرئيسية ، وقد ذكر المراسل فى تقريره أن بعض الخبراء الغربيين يتوقعون حدوث انفجار إسلامى فى الاتحاد السوفيتى الذى يقطنه حوالى ستين مليون مسلم يتجمع معظمهم فى جمهوريات آسيا الوسطى على الحدود السوفيتية ، على مقربة من بعض الدول التى تجتاحها الحركات الإسلامية العنيفة مثل ايران ، وأشار المراسل إلى أن هذه التوقعات التى تثير المخاوف فى الاتحاد السوفيتى ترجع إلى الزيادة المذهلة لعدد السكان فى الجمهوريات السوفيتية بآسيا الوسطى وهى أعلى نسبة فى الاتحاد السوفيتى بأكمله كما ترجع أيضا إلى تمسك سكان هذه الجمهوريات بالتقاليد الإسلامية .

(الأخبار الكويتية)

اللاجئون في السودان والغزو الصليبي

موجز من تقرير لفضيلة الشيخ محمد أمان بن على الجامي عميد كلية الحديث الشريف بالجامعة الإسلامية :

● لفت نظرى في عاصمة جمهورية السودان مبنى (مجمع الكنائس العالمية بالخرطوم) وهو يملك امكانات كبيرة جندها في غزو اللاجئين من الأقطار المجاورة للسودان : وهى أرتيريا وأثيوبيا وتشاد وأوغندا ، وفي ضواحى مدينة « كسلا » عدة معسكرات للاجئين في « خشم القربة » وفي « القضارف » معسكرات أخرى ، يعيش فيها هؤلاء المساكين الذين خرجوا من ديارهم ، وقد فقدوا الأمن والوطن وكل ما يملكون ، وهم يعيشون في هذه المعسكرات في حالة سيئة جداً وخاصة في موسم الأمطار ، وهذه هى المناطق التى أتيح لي المرور بها والإلمام ببعض ما يعانيه اللاجئون إليها ، وقد علمت أن هناك مناطق متعددة للاجئين في غرب السودان وجنوبه وشرقه .

● ونشاط المبشرين مخطط ومنظم فمجلس الكنائس العالمى يضع في أيدى دعاة التنصير إمكانات واسعة ويطلق أيديهم في التصرف ماليا وإداريا ، فهم يقومون بتشييد الكنائس في عدة مناطق من السودان ، بين الأهالى المسلمين على الرغم من معارضتهم ، بالإضافة الى :

١ ـ توفير مكائن الخياطة والتطريز للفتيات مع تقديم المعونة النقدية لهن .
٢ ـ توظيف الشباب في الأعمال الكتابية إن كانوا مثقفين .
٣ ـ توجيه غير المتعلمين الى المهن الحرة المناسبة ومنحهم مساعدة مالية سخية .
٤ ـ اختيار بعض الطلاب للمنح الدراسية مع التساهل في شروط القبول .
٥ ـ العمل في مجال الرياضة على احتواء الفرق الرياضية من الشباب السودانى وغيرهم من الرياضيين اللاجئين ، وتقديم أدوات الألعاب الرياضية اليهم .

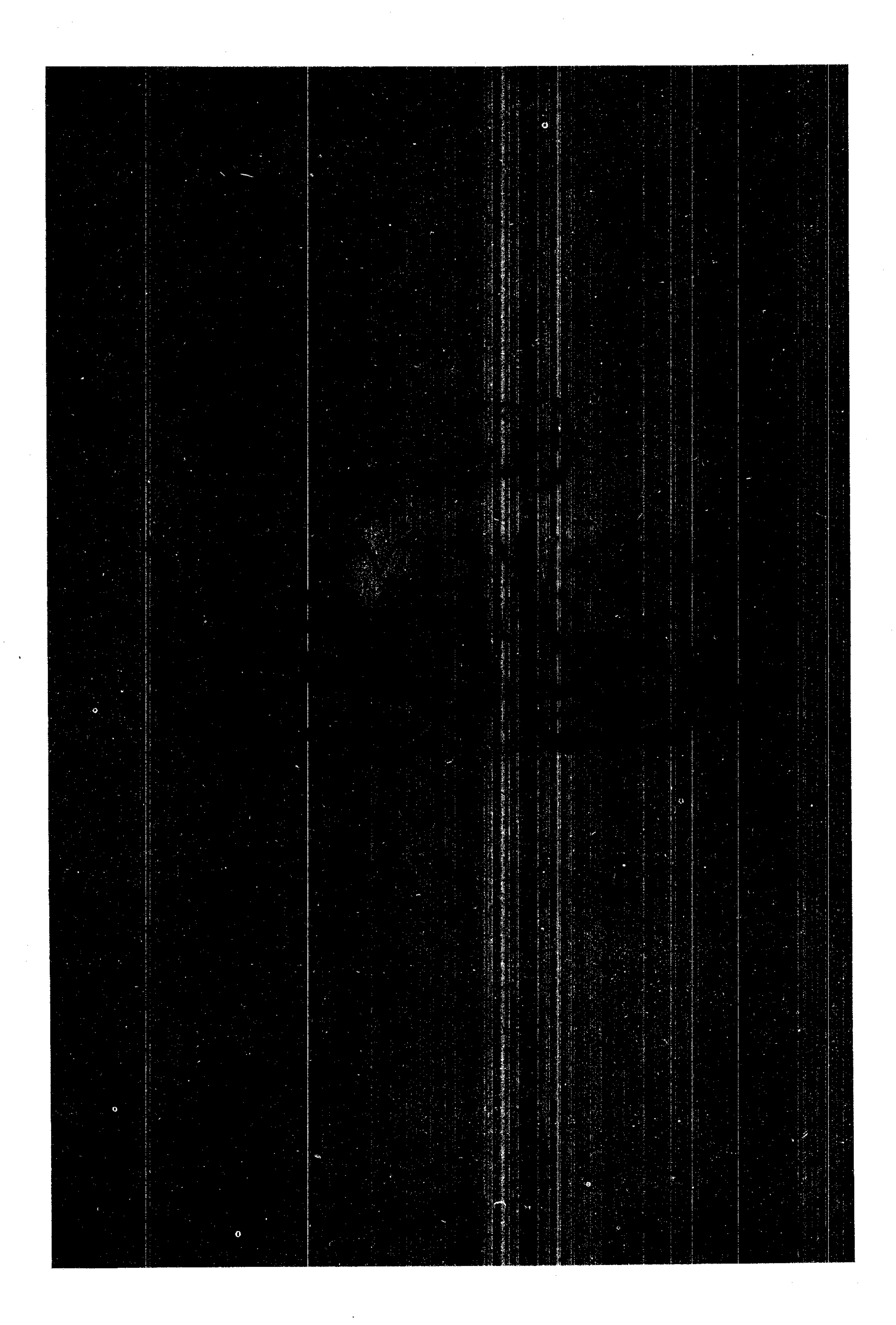
● واذا نظرنا إلى نشاط الدعاة في السودان وجهودهم فإنا نجد ضآلة هذه الجهود ، وقلة إمكاناتهم المادية والعلمية ، فلا بد من العمل على تلافي هذا النقص ، وهذا من مهمة (المجلس الأعلى العالمي للمساجد) التابع لرابطة العالم الإسلامى ، بالتعاون مع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد .

وإنى أوصى بما يلى :

أولا : إنشاء مكتب للدعوة الإسلامية يتبع المجلس الأعلى العالمى للمساجد في جمهورية السودان تكون له صلاحيات كافية للقيام بالأعباء التى يقتضيها الموقف الخطير الذى تمر به هذه البلاد .

ثانيا : الاعتناء بإيفاد الدعاة الأكفاء المؤهلين لدعوة الناس ، الذين تتوفر فيهم صفات الإخلاص والعلم والذكاء .

ثالثا : عدم إغفال المجالات الاجتماعية العملية لتدريب المسلمين على أعمال الحرف المتنوعة من خياطة وحياكة وكتابة وحدادة وزراعة ، وتمويل بعض المشاريع الصغيرة في هذه المجالات .



١٠٠ ألف فلبيني مسلم يهاجـرون

قالت وكالة أنباء انتارا الإندونسية ان أكثر من ١٠٠ ألف من المسلمين الفلبينيين لجأوا إلى مقاطعة صباح الواقعة شرقي ماليزيا وذلك نتيجة ازدياد نشاط الثوار المسلمين في جنوب الفلبين وحملات التنكيل التي تقوم بها ضدهم قوات الرئيس الفلبيني ماركوس ٠

وقالت الوكالة نقلا عن مصادر متعددة أن كلا من إندونيسيا وماليزيا تسعيان للتعرف على وجهة نظر الحكومة الفلبينية في الموضوع ٠

وحذرت هذه المصادر من أن عدم حل الخلاف في الفلبين بشكل نهائي وفي زمن قريب فإن الأمر قد يؤدي إلى زعزعة الاستقرار السياسي في المنطقة ٠ وكانت الحكومة الفلبينية قد أعلنت مؤخرا عن إلغاء اتفاقية طرابلس التي عقدتها مع زعماء الثورة الإسلامية عام ١٩٧٦ ٠

(جريدة النور)

المستشرق المجـرى المسلم
الدكتور عبد الكريم جرمانـوس

هو أحد مجموعة من مستشرقى العالم الغربى الذين شرح الله صدورهم فهداهم الى الحق ، وقد اعتنق الإسلام عام ١٩٣٠ ، ومنذ ذلك اليوم لم يفتر نشاطه في خدمة الإسلام ولغة القرآن ، عاش في مكة ردحاً من الزمن ، وجاور في الأزهر ، وتنقل ما بين استانبول والهند وأوروبة ، ورأس قسم الدراسات الإسلامية والشرقية في جامعة بودابست ، وقد بلغت تآليفه مئة وخمسين كتاباً في العلوم الإسلامية واللغات الشرقية والتاريخ والفلسفة ، كتبها في أكثر من ثمانى لغات ٠

ومن أبرز مؤلفاته : (الله أكبر) و (الحركات الحديثة في الإسلام) و (شوامخ الأدب العربى) و (بين فكرين) و (حضارات رائدة) و (العلاقات الثقافية بين العرب وأوربة الوسطى) و (معانى القرآن الكريم) ٠

ومن آرائه المشرقة بنور الحق قوله في خطاب وجهه الى الملتقى الفكرى في الجزائر :

اننى أكتب هذه السطور من قلب المدنية الغربية محاطا بآلاف الكتب ومزودا بحياة طولها تسعة وثمانون عاما بين الخبرة الغربية والشرقية ، والمجلدات الغربية والشرقية ، اننى أتشرب المعلومات والمعرفة المفيدة كما أتشرب الأحداث المؤذية في الكيان الإنسانى في كرتنا الأرضية ، اننى بحكم كونى المجرى المسلم الوحيد والحاج ٠ أحث بجسارة وشجاعة كل اخوانى المسلمين للحفاظ على الأخلاق التى هى عقائدنا الروحية في ديننا الإسلامى : حافظوا على الشريعة الإسلامية التى ترتكز على الأخلاق ، ان فلسفة التشريع الغربى قد قامت عقيدتها ومعتقداتها على فكر انسانى متأثر باعتبارات سياسية فقط ، بينما الشريعة الإسلامية قد انبثقت من الايمان والاقتناع بأن الكون ما هو الا خلق منسق منتظم للروحيات الأخلاقية ٠ أساس العقيدة هو الوحى وتنفيذها مبنى على أساس قانون استدلالات ، واستنتاجات منطقية التفكير ٠ وعلى شرح وتفسير مجتمع دنيوى زائل وأحوال مادية ...

رحم الله المستشرق المؤمن الدكتور عبد الكريم جرمانوس كفاء خدماته للإسلام ولغة القرآن ....



أخبار الجامعة

وقائع الجلسة الافتتاحية للدورة العاشرة للمجلس الأعلى للجامعة الإسلامية

عقد المجلس الأعلى جلسته الافتتاحية في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الأحد ٥ من ذى القعدة ١٤٠٠ هـ الموافق ١٤ من سبتمبر ١٩٨٠ م برئاسة حضرة صاحب السمو الملكى الأمير فهد بن عبد العزيز ولى العهد ونائب رئيس الوزراء والرئيس الأعلى للجامعة .

وقد بدئت الجلسة بتلاوة آيات من القرآن الكريم ثم افتتح سموه الدورة بكلمة قال فيها : ـ

كلمة صاحب السمو الملكى الأمير فهد بن عبد العزيز ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء والرئيس الأعلى للجامعة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

في هذا اليوم المبارك أتيحت لى هذه الفرصة الطيبة لألتقي بإخوانى من المسئولين في الجامعة الإسلامية ومن أسعدنا تفرغهم للقيام بواجبهم الاسلامى ومشاركة هذه البلاد وهذه الجامعة بمجهودهم الخير ، إن هذه الجامعة الاسلامية هى جامعة للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، واننى لأرجو من الله عز وجل أن يوفق العاملين والقائمين على ادارة هذه الجامعة بما يحب رب العزة والجلال . وأن يوفقنا جميعا في أن نؤدى هذا الواجب العظيم ، لعلنا نستطيع أن نقول إننا قمنا ببعض الواجب الذى يتوجب علينا أمام ربنا ورسالة نبينا العظيم ، محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال سموه إن هذه الجامعة تضم بين جانبيها أعدادا كبيرة من المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها . وقال إنه لاشك فيه أننا نلمس النتائج الطيبة الخيرة سواء كان بما يصلنا

من اخوأننا المسلمين المقيمين في آسيا وافريقيا أو أوربا أو أمريكا أو ما يصلنا من المسئولين السعوديين في سفارات المملكة العربية السعودية ، بأن هذه الجهود الخيرة أعطت ثمارها وسوف تعطي أكثر ان شاء الله ٠

وقال سموه : باسم جلالة الملك خالد بن عبد العزيز حفظه الله وباسم حكومته وباسم شعب المملكة العربية السعودية أقدم شكرى الجزيل لاخوانى الحضور في هذه الجلسة ، وسوف تستمر حكومة المملكة العربية السعودية في القيام بالواجب نحو هذه الجامعة ودفعها الى الامام وتهيئة جميع السبل التى تمكن القائمين عليها في أن يستمروا في هذا العمل الخير وإن من أعظم الأعمال التى سوف نفتخر بها الآن وتفتخر بها الأجيال القادمة قيام هذه الجامعة في هذه البقعة المباركة ٠

وقال سموه : إنه لا يفوتنى أن أكرر شكرى الجزيل لفضيلة الوالد الشيخ عبد العزيز ابن باز والشيخ محمد بن ابراهيم رحمه الله على ما أدوه من واجب نحو هذه الجامعة وكذلك والد الجميع المغفور له جلالة الملك عبد العزيز بما أبداه من اهتمام بهذه البقعة الطاهرة وجلالة الملك سعود رحمه الله الذى كان له كذلك اليد الطولى في قيام هذه الجامعة الإسلامية واهتمام جلالة الملك فيصل رحمه الله واهتمام جلالة الملك خالد حفظه الله في الوقت الحاضر ٠

وقال سموه : لقد أمننى جلالته أن أذكر لإخوانى المسئولين في هذه الجامعة ان نبذل ونسهل جميع الأسباب التى ترسخ هذه الجامعة ، وتهيىء لها السبل المفيدة البناءة وسوف نعمل على ذلك ان شاء الله ٠

وختاما أرجو لكم التوفيق في عملكم المبارك في هذا اليوم المبارك وفي هذه البقعة الطاهرة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

كلمة نائب رئيس الجامعة الدكتور عبد الله الزايد

ثم ألقى كلمة الجامعة فضيلة الدكتور عبد الله بن عبد الله الزايد نائب رئيس الجامعة فقال :

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده

لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، صلى الله عليــه وسلم وعلى آله وأصحابه ومن تبعه بإحسان الى يوم الدين ..... أمــا بعـــــد :

صاحب السمو الملكى الأمير فهد بن عبد العزيز ، ولى العهد ، ونائب رئيس مجلس الوزراء والرئيس الأعلى للجامعة الاسلامية .

صاحب السمو الملكى الأمير عبد المحسن بن عبد العزيز أمير منطقة المدينة المنورة
أصحاب السمو الملكى الأمراء .
أصحاب الفضيلة أعضاء المجلس الأعلى للجامعة الاسلامية
أصحاب المعالى الوزراء
أيها الضيوف الكرام
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

إنه لمن المعروف حقـاً أن المرحلة التاريخية التى تجتازها الأمة الاسلامية خاصة والعالم عامة هى مرحلة جد خطيرة ، نظرا لما أفرزته من صراعات فكرية حادة نشأت منها وستنشأ صراعات مادية تهدد حياة البشرية على هذا الكوكب بالدمار والفناء ..... وربما كان نصيبنا ـ نحن المسلمين ـ من التعرض لويلات هذه الصراعات أكبر نصيب نظرا لما عرض لنا من ضعف في هذه المرحلة التاريخية فصرنا هدفا يرمى وغنيمة يتنازع فيها المتنازعون ، أو نظرا الى تنبه أعدائنا لحقيقة ديننا وعقيدتنا ، فمتى كنا كما يريد الله ورسوله حقا وصدقا كان لنا شأن يعرفونه عن أسلافنا الصالحين . لذلك يكون نصيبنـا من كيدهم وعدائهم أكبر نصيب ان استطاعوا . ولا منجاة لنا من هذا الواقع الرهيب الا بتحقيق ذاتنا الإسلاميـة في ضوء تعاليم القرآن والسنة ، وفي ضوء السيرة النبوية الهادية ، ثم من خلال سير الأصحاب الكرام رضى الله عنهم ، ولا ننسى بهذا الصدد مذاهب أئمة الاسلام الأعلام موزونة ، ومقدرة ومنظورا اليها في ضوء أصالة ووضاءة مصدر التشريع الحقيقى ، كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وإن الجامعة الإسلامية التى أنشأتها الدولة السعودية صانها الله لهي استجابة ومواجهة حيوية تاريخية للظروف والتحديات الراهنة . لتسهم في تأصيل الذات الإسلامية وتنقيتها واثرائها لتتمكن من استئناف الوجود الاسلامى الحق المطلوب ، وإن المجلس الأعلى للجامعة الذى يضم نخبة مختارة من علماء العالم الاسلامى وشخصياته الجامعية الأصيلة وخبرائه في التربية والتعليم والتوجيه انما يرمى الى إمداد الجامعة في تحركها لتحقيق أهدافها بخبراته

القيمة ، ومدركاته الفعالة ، لتكون أقدر على تحقيق رسالتها وأداء أمانتها في معترك الأفكار والتحديات المواجهة ٠

وإنه لمن جميل صنع الله عز وجل ـ فله عظيم الحمد وجميل الثناء ـ أن وفق لاختيار أعضاء المجلس الموقر من قارتى الاسلام آسيا وافريقية ومن جنسيات وعروق إسلامية متعددة سعوديين وغير سعوديين وعرب وغيرهم فكان تركيب هذا المجلس الكريم تجاوبا سديدا مع تركيب الجامعة الاسلامية التى ينتمى طلابها الى نحو مائة جنسية أو يزيدون كما كان تجاوبا مع خاصية أمتنا الاسلامية الواحدة ، والتى هى أمة الاسلام هذه الخاصية التى تتخطى في وثوق وقطعية كل الفروق العرقية والقومية واللغوية وما ورد هذا المورد ، أو نحا هذا المنحى ٠

ونحن واثقون ، ان شاء الله أن الجامعة ستجد في خبرات أعضاء المجلس الجامعية والاكاديمية والتربوية ما يمد مسيرتها نحو أهدافها بالحيوية والفعالية في نطاق من التخطيط الحكيم والإحكام المحقق لغاياتها ، يجزيكم الله خيرا ويحسن مثوبتكم ٠

وبعد فإنه لما يثلج الصدر ويبعث الأمل حيا نشيطا في جوانب حياة الأمة الاسلامية دعوتكم ياصاحب السمو الى إعلان الجهاد بتوجيه من جلالة القائد الأعلى للقوات المسلحة والرئيس الفخرى للجامعة الاسلامية إمام المسلمين خادم الحرمين الشريفين خالد بن عبد العزيز ، الجهاد الذى هو باب من أبواب الجنة يفتحه الله لخاصة أوليائه وخاصة اصفيائه وأهل كرامته ، فجزاك الله كل خير وسدد خطاك وامدك بروح منه ، وان لهذه الدعوة لدلالات كثيرة منها دقة نظر سموكم ـ حفظكم الله ـ وبصيرتكم النافذة في مسيرة التاريخ وفي الظروف المواجهة للأمة الاسلامية وفي قدرتكم النادرة على اتخاذ الموقف المناسب في الظروف المناسبة ، ولا غرو فأنت ابن عبد العزيز رجل السياسة والمواقف والحسم الحقيقى ٠

إن دعوة سموكم الى الجهاد واجب إسلامى محتم ، الم تر أن الجهاد يكون بإجماع العلماء فرض عين في مواطن منها إذا دخل الكفار بلداً من بلاد المسلمين فيتعين على أهله ـ ومن ورائهم المسلمون ـ دفعهم وقتالهم ولاشك أن الأقطار الاسلامية التى سلمت من دخول الكفار لهـا بشكل مفتوح أو عن طريق النفوذ والتحكم قليلة جدا ومن ثم فان دعوة سموكم تحقيق لواجب اسلامى طال وبعد العهد عن لحنه الذى اشتاقت اليه القلوب وهفت اليه النفوس ٠

هذا وقد قلت في كلمة لى سابقة إن من خصائص هذه الجامعة أنها الجامعة المرشحة والمهيأة مع ما يماثلها من الجامعات إن شاء الله للاسهام في إيجاد العالم الاسلامى الواعى المستقر الذى يحتل مكانته اللائقة به تحت الشمس ، وهذا يعنى لزوما أنها الجامعة المرشحة والمهيأة في إعداد العالم الاسلامى المجاهد إن شاء الله ومن ثم واندفاعا من حدود وظيفتها الطبيعية هذه فهى بكل طاقاتها ، وامكاناتها وراء هذه الدولة في دعوتها الى الجهاد وستكون بحول الله من أمضى السيوف تضىء في يمناها اذا جد الجد ، وأزفت الساعة المنتظرة .

وأخيرا وليس آخرا لنا في اجتماع مجلسكم الموقر في هذه الدورة التى أسأل الله أن يباركها أمل كبير في أن تجد الجامعة منها في حاضر أمرها ومستقبله كل الخير لامتنا الاسلامية المجيدة .

وأسأل الله أن يكتب النصر والتأييد لعباده المجاهدين وأن يوفق ولاة أمورنا الى ترشيد مسيرة أمتنا بالهدى ودين الحق الذى بعث الله به عبده ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ....

كلمة أعضاء المجلس ألقاها الدكتور اسحاق الفرحان

وألقى الدكتور اسحق الفرحان استاذ التربية بجامعة الأردن كلمة نيابة عن أعضاء المجلس فشكر صاحب السمو الملكى الأمير فهد بن عبد العزيز ولى العهد على دعمه المتواصل للجامعة الاسلامية كما شكر حكومة جلالة الملك على رعايتها لهذه الجامعة حتى تؤدى رسالتها الاسلامية كما أدى الأزهر الشريف وجامع الزيتونة وجامع القرويين في سالف الايام مع الملوك والأمراء والمجاهدين المسلمين دورهم في قيادة الأمة الاسلامية .

وقال : ان صلاح الأمراء والعلماء فيه صلاح الناس وقد اجتمع ذلك والحمد لله منذ التقت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب مع قيادة الأمير محمد بن سعود وقد قامت الجامعة الاسلامية تلبية لحاجات المسلمين وتحقيقا لآمالهم في نشر رسالة الاسلام في مشارق الأرض ومغاربها ، وإن أعضاء المجلس يتطلعون الى اليوم الذى يجدون فيه الجامعة تضم الكليات التى تخرج الطبيب الداعية والمهندس الداعية والمهنى الداعية لمواجهة المستشرقين والمستغربين أعداء الاسلام بمثل الأسلحة التى يحاربون بها حين يرسلون الى البلاد

الاسلامية الطبيب المبشر والمهندس المبشر والمهنى المبشر محاولين غزو المسلمين في عقر دارهم ولن ينالوا ذلك مع يقظة المسلمين وتمسكهم بعقيدتهم وشريعتهم السمحاء ٠

ثم قال : ولا يفوتنى - أيها الأمير - باسمى واسم أعضاء المجلس الأعلى أن نلفت الى هذه الدعوة الكريمة التى دعوتم اليها وهى دعوة الجهاد المقدس الذى هو ذروة سنام الاسلام وهو السلاح الذى ينصر الله به المسلمين ٠ ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز ٠

وأشاد بالتقاء هذه الدعوة مع رسالة الجامعة التى تهيىء النفوس والقلوب للبذل والعطاء في سبيل الله ، فرسالتها اذن هى رسالة جهاد ودعوتها هى دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأئمة المسلمين من بعده ، وبرسالة الاسلام ينصرنا الله على كل المعتدين والى جهاد يحرر الأقصى الذى ينادي مكة المكرمة ، لتحرر أولى القبلتين وثالث المساجد التى تشد الرحال اليها ٠ ثم ختم كلمته بأن الله لن يخذل حكومة هذه المملكة ما تمسكت بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ٠

أهم قرارات المجلس الأعلى في دورته العاشرة

استمرت جلسات المجلس الأعلى في دورته العاشرة بعد الجلسة الافتتاحية ثلاثة أيام من أيام ٥ ، ٦ ، ٧ /١١/١٤٠٠ هـ وقد انعقدت هذه الجلسات مغلقة ثم كانت الجلسة التى أذيعت فيها أهم القرارات التى اتخذها المجلس في هذه الدورة ومنها :

١ - الموافقة على إنشاء قسم للاعلام في كلية الدعوة وأصول الدين ٠

٢ - الموافقة على إنشاء قسم للدراسات المسائية للطلبة السعوديين الحاصلين على الشهادة الثانوية لمتابعة الدراسة علي مستوى كليات الجامعة ٠ بشروط خاصة ضمانا لحسن سير الدراسة وجديتها ٠

٣ - الموافقة على مشروع لائحة دار القرآن الكريم ٠

٤ - الموافقة على تعيين الدكتور على ناصر فقيهى عميدا لشئون المكتبات بالجامعة ٠

الدراسات العليا في الجـــامعة

أ ـ أول رسالة دكتوراه في الجامعة الاسلامية

نوقشت أول رسالة للحصول على الدكتوراه من الجامعة الاسلامية وهى الرسالة التى تقدم بها الطالب نايف هاشم الدعيس سعودى الجنسية وموضوعها « تحقيق كتاب المقصد العلي ، في زوائد أبى يعلى الموصلى ، للحافظ الهيثمى » ٠ وذلك مساء يوم الأربعاء ٢٢ / من ذى القعدة ١٤٠٠ هـ ٠

وتكونت لجنة المناقشة من أصحاب الفضيلة :

١ ـ فضيلة الشيخ صالح بن محمد اللحيدان عضو مجلس القضاء الأعلى وعضو هيئة كبار العلماء ٠

٢ ـ فضيلة الدكتور محمد مصطفى الأعظمى الاستاذ بكلية التربية بجامعة الرياض ٠

٣ ـ فضيلة الدكتور أكرم ضياء العمرى رئيس قسم الدراسات العليا بالجامعة الاسلامية مشرفا على الرسالة ٠

٤ ـ الدكتور عمر عبد العزيز وكيل قسم الدراسات العليا بالجامعة الاسلامية ٠

هذا وقد حضر صاحب السمو الملكى الأمير عبد المحسن بن عبد العزيز جزءا من هذه المناقشة وألقى سموه كلمة قيمة بهذه المناسبة شكر فيها الجامعة على مجهوداتها العلمية ٠

كما ألقى فضيلة الدكتور عبد الله الزايد نائب رئيس الجامعة الاسلامية كلمة الجامعة تحدث فيها فضيلة الدكتور عن تطور قسم الدراسات العليا وما حرصت عليه الجامعة في أول الأمر من تخريج طلاب مسلمين لإفادة أوطانهم في مجال التدريس والدعوة ٠ ولهذا تأخر افتتاح قسم الدراسات العليا فلم يفتتح الا في عام ١٣٩٥ /١٣٩٦ هـ ٠

وقد أوصت لجنة المناقشة منح الطالب نايف هاشم الدعيس درجة الدكتوراه بتقدير « ممتاز »

ب ـ رسائل الماجستير التى نوقشت من أول العام الجامعى الجديد

نوقشت رسائل الماجستير التالية بعد أول العام الجامعى الجديد :

١ ـ (الاجتهاد وأدواره) للطالب عبد الرحيم صالح أفغانى الجنسية وتمت مناقشتها يوم ٢٩ / ١١/ / ١٤٠٠ هـ ٠

٢ ـ (أثر العلمانية في المجتمعات الإسلامية) للطالب / محمد زين الهادى سودانى الجنسية (من شعبة الدعوة) وذلك يوم ٢٧ / ١٢ / ١٤٠٠ هـ ٠

٣ ـ (حقوق الآباء والأبناء) من الطالب مصطفى سى يعقوب من ساحل العاج (شعبة السنة) وذلك يوم ١٤ / ١ / ١٤٠١ هـ ٠

٤ ـ (نواسخ القرآن لابن الجوزى) للطالب / محمد أشرف على هندى الجنسية وذلك صباح يوم الأربعاء ١٨ / ١ / ١٤٠١ هـ ٠

٥ ـ (السنة باعتبارها مصدرا من مصادر التشريع الاسلامى) للطالب / محمود صالح شريتح من الأردن (شعبة أصول الفقه) وذلك يوم ٩ / ٢ / ١٤٠١ هـ ٠

٦ ـ (الأمر ودلالته على الأحكام وأثر ذلك في اختلاف الفقهاء) للطالب ملاطف محمد صلاح من اليمن (شعبة أصول الفقه) وذلك يوم الأربعاء ٣ / ٢ / ١٤٠١ هـ ٠

٧ ـ (غرر البيان لمبهمات القرآن) للطالب / عبد الغفار بدر الدين من بنين (شعبة التفسير) وذلك يوم ٤ / ٢ / ١٤٠١ هـ ٠

٨ ـ (المتروكون ومروياتهم) للطالب / محمد راضى بن الحاج عثمان من ماليزيا (شعبة السنة) وذلك يوم الخميس ١٨ / ٢ / ١٤٠١ هـ ٠

٩ ـ (عقد القراض) للطالب بلّه الحسن عمر من السودان (شعبة الفقه) وذلك يوم ١٥ / ٢ / ١٤٠١ هـ ٠

١٠ ـ (التفسير بالرأى ما له وما عليه) للطالب / أحمد عمرَ عبد الله من غانا يوم الثلاثاء ٢٤ / ١ / ١٤٠١ هـ ٠

١١ ـ (تخريج أحاديث سورة الرعد من تفسير ابن كثير) للطالب محمد عبده عبد الرحمن من اليمن وذلك يوم الثلاثاء ١٠ / ١ / ١٤٠١ هـ ٠

موسم النشاط الثقافى
من المحاضرات والندوات

أعلنت عمادة شئون الطلاب بالجامعة عن بدء الموسم الثقافى بالجامعة بعد موسم الحج مباشرة ٠ وذلك بعد أن اعدت له الإعداد اللازم لنجاح هذا الموسم :

ومن المحاضرات التى ألقيت في اطار الموسم الثقافى للعام الجامعى ١٤٠٠ / ١٤٠١ هـ حتى إعداد المجلة للطبع ما يلى :

١ - (نظرة في الماضى وإطلالة نحو المستقبل) ألقاها فضيلة الدكتور عبد الرحمن بله على الأستاذ المشارك بكلية اللغة العربية ٠ وذلك يوم ٤ / ١ / ١٤٠١ هـ ٠

٢ - (سُئلت عن آية) هذا عنوان المحاضرة التى ألقاها فضيلة الشيخ عبد الفتاح عشماوى مدرس التفسير بكلية الحديث ٠ وذلك يوم ١١ / ١ / ١٤٠١ هـ ٠

٣ - (الحضارة الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوربية) محاضرة ألقاها الدكتور جاد محمد رمضان أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية الدعوة وذلك يوم ١٨ / ١ / ١٤٠١ هـ ٠

٤ - (تجديد الدين) محاضرة ألقاها فضيلة الدكتور جعفر شيخ إدريس الأستاذ بمركز البحوث بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض وذلك يوم ٢٥ / ١ / ١٤٠١ هـ ٠

٥ - (الاتجاهات الفكرية بين قرنين) هذا هو عنوان المحاضرة التى ألقاها فضيلة الشيخ مناع خليل قطان رئيس قسم الدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وذلك يوم ١٠ / ٢ / ١٤٠١ هـ ٠

المسابقة الكبرى في حفظ القرآن الكريم

تعد عمادة شئون الطلاب بالجامعة العدة لإجراء مسابقة كبرى بين طلاب الجامعة بمختلف مراحلها من الكليات والمعاهد والدور لحفظ القرآن الكريم ، وستجرى امتحانات التصفية الأولية يوم السبت ١٣ / ٢ / ١٤٠١ هـ وتنتهى الامتحانات النهائية لهذه المسابقة في شهر ربيع الثانى ١٤٠١ هـ بعد إجازة نصف السنة وبدء الفصل الدراسى الثانى ٠

ضيوف وزوار الجامعة الإسلامية

الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة جامعة كل المسلمين كما قال عنها صاحب السمو الملكى الأمير فهد بن عبد العزيز ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء والرئيس الأعلى للجامعة ٠ ولهذا فانها تستقبل وفود المسلمين من الجامعات الإسلامية والجماعات والهيئات الإسلامية من كل مكان من العالم وتأتى هذه الزيارات في إطار التعاون بين الجامعات

الإسلامية والعربية ، وفي إطار تدعيم التبادل الفكرى والثقافى مع كل العاملين في مجال الدعوة الإسلامية ٠

ومـمن استقبلتهم الجامعة الإسلامية خلال الفترة الماضية من العام الجامعى الجديد ٠

١ ـ الوفـــد الماليزى

قدم إلى المملكة وفد من ماليزيا برئاسة الأستــاذ عبد الجليل حسن رئيس هيئة الإفتاء العليا ٠ وهو يعمل تحت رئاسة مجلس الوزراء الماليزى ٠ وقد حرص هذا الوفد على زيارة المدينة المنورة وزيارة الجامعة الاسلامية ٠ وقد استقبله فضيلة الدكتور عبد الله الزايد نائب رئيس الجامعــة مرحبا بهم في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وفي جامعة كل المسلمين ، وتبادل فضيلته معهم أهم قضايا الإسلام والمسلمين ، وتحدث عن أهمية حرص المسلمين على العمل بالشريعة والتمسك بالعزة واجتناب الخلاف ٠ وقد ضم الوفد الماليزى المسلم برئاسة الأستــاذ عبد الجليل حسن عددا كبيرا من أعضاء هيئة الإفتاء العليا ٠ وهم الدكتور محمد زين عثمان والحاج عبد القادر اسماعيل والحاج حسن بن صالح والحاج دان عبد المنان والحاج طه بن عمر والحاج محمد سعد بن محمد والحاج عبد الوهاب بن أوانج والحاج طارق موسى وقد استضافتهم الجامعة مدة يومين في فندق قصر الرحاب يومى ١٣ ، ١٤ / ١١ / ١٤٠٠ هـ ٠

٢ ـ بعثة الحج من بنجلاديش

استضافت الجامعة معالى السيد عبد الرحمن وزير الشئون الدينية ورئيس بعثة الحج البنجلاديشية وذلك بدءا من يوم ٢٤ / ١٢ / ١٤٠٠ هـ حتى غادروا المدينة المنورة ٠

٣ ـ وفد من مسلمى دار الإسلام بجنوب الهنـــد

وزار الجامعة وفد يمثل اللجنة الإدارية للكلية العربية العالية بدار الإسلام تشمناد ـ كاسركرت ـ بكيرالا ، بجنوب الهند ، وقد ضم هذا الوفد كلا من فضيلة الشيخ أبى بكر العميد المساعد والشيخ أبى بكر الندوى الأمين العام المساعد في موسم الحج لهذا العام ٠

وقد جاءت هذه الزيارة من الوفد الهندى في إطار توثيق العلاقات مع الأوساط المعنية بدعم المعاهد الإسلامية ، ولشكر الجامعة الإسلامية على دعمها المتواصل علميا وأكاديميا ولشكر رئاسة الجامعة على الدعم الذى قدمته لإعانة مشروع مسجد الكلية المسمى بمسجد

الجامعة وقد تم هذا الدعم في أثناء الزيارة التى قام بها فضيلة الدكتور عبد الله الزايد على رأس وفد الجامعة الإسلامية للهند بمناسبة المشاركة في احتفال « جامعة ديوبند » الإسلامية ٠

٤ ـ غرباء أهل الحديث بباكستان

وزار الجامعة فضيلة الشيخ عبد الرحمن السلفى أمير جماعة غرباء أهل الحديث بباكستان ورئيس الجامعة الستارية والمدرسة العربية الإسلامية دار السلام بكراتشى ٠

٥ ـ من السنغال

كما زار الجامعة السيد محمد مصطفى درامى مفتش التعليم العربى ومستشار وزارة التربية بالسنغال ٠ في إطار جولة قام بها لتفقد الطلبة السنغاليين في الدول العربية ٠ وقام بزيارة الجامعة الإسلامية واستقبله فضيلة الدكتور عبد الله الزايد ٠ نائب رئيس الجامعة ٠

وفود من جامعات الأردن والسودان ودولة الإمارات

واستضافت الجامعة وفود الجامعات العربية التى جاءت لأداء فريضة الحج مدة اقامتها بالمدينة المنورة ، وكان من بينها وفود من طلبة جامعة الأردن وجامعة اليرموك الأردنية وجامعة أم درمان الإسلامية وجامعة دولة الإمارات العربية

وفد جامعة بايرو بكانو بنيجيريا

زار الجامعة مدير جامعة بايرو الإسلامية بمدينة « كانو » نيجيريا الدكتور ابرهيم عمر مدير الجامعة وبصحبته الدكتور محمد الثانى زهر الدين رئيس قسم الدراسات الاسلامية بجامعة بايرو وقد تمت هذه الزيارة يوم ١٦ صفر ١٤٠١ هـ وذلك لمناقشة إتمام الاتفاق الثقافى بين الجامعة الإسلامية وجامعة بايرو وذلك ما تم الاتفاق عليه في زيارة فضيلة الدكتور عبد الله الزايد نائب رئيس الجامعة الاسلامية وفضيلة الشيخ عمر فلاتة الأمين العام للجامعة لنيجيريا من العام الماضى ٠

● مواعيد الامتحانات والاجازات للعام الجامعى الجديد ١٤٠٠ / ١٤٠١ هـ

اتخذ مجلس الجامعة بجلسته يوم ٢٣ / ١ / ١٤٠١ هـ القرار رقم ٣١ / ٤٠٠ / ١٤٠١ الذى يقضى بتحديد مواعيد الامتحانات للعام الدراسى ١٤٠٠ / ١٤٠١ هـ وبداية العام الدراسى ١٤٠١ / ١٤٠٢ هـ لمختلف المراحل في الجامعة والمعاهد والدور عل النحو التالى :

١ - يبدأ اختبار الفصل الأول يوم الثلاثاء ١٤ / ٣ / ١٤٠١ هـ (٢٠ يناير ١٩٨١ م) وتتوقف الدراسة اسبوعا من يوم الأربعاء ٨ / ٣ / ١٤٠١ هـ استعدادا للاختبار ·

٢ - تبدأ إجازة نصف السنة يوم السبت ٢٥ / ٣ / ١٤٠١ هـ (٣١ / يناير ١٩٨١ م) ·

٣ - يبدأ الفصل الدراسى الثانى يوم السبت (١٤٠١/٤/٨٠ هـ الموافق ١٤ فبراير ١٩٨١ م) ·

٤ - تنتهى الدراسة في الفصل الدراسى الثانى للعام الدراسى ١٤٠٠ / ١٤٠١ هـ بنهاية يوم الأربعاء الموافق ٩ / ٧ / ١٤٠١ هـ (١٣ مايو ١٩٨١ م) ·

٥ - يبدأ امتحان الفصل الدراسى الثانى يوم السبت ١٩ / ٧ / ١٤٠١ هـ (٢٣ مايو ١٩٨١ م) ·

٦ - تبدأ الاجازة الصيفية لجميع أقسام الجامعة يوم السبت ٩ / ٩ / ١٤٠١ هـ (١٠ يوليو ١٩٨١ م) ·

٧ - عودة جميع المدرسين يوم الخميس ١٢ / ١١ / ١٤٠١ هـ ·

٨ - تبدأ امتحانات الدور الثانى لجميع المراحل في الجامعة يوم الثلاثاء ١٧ / ١١ / ١٤٠١ هـ (١٥ سبتمبر ١٩٨١ م) ·

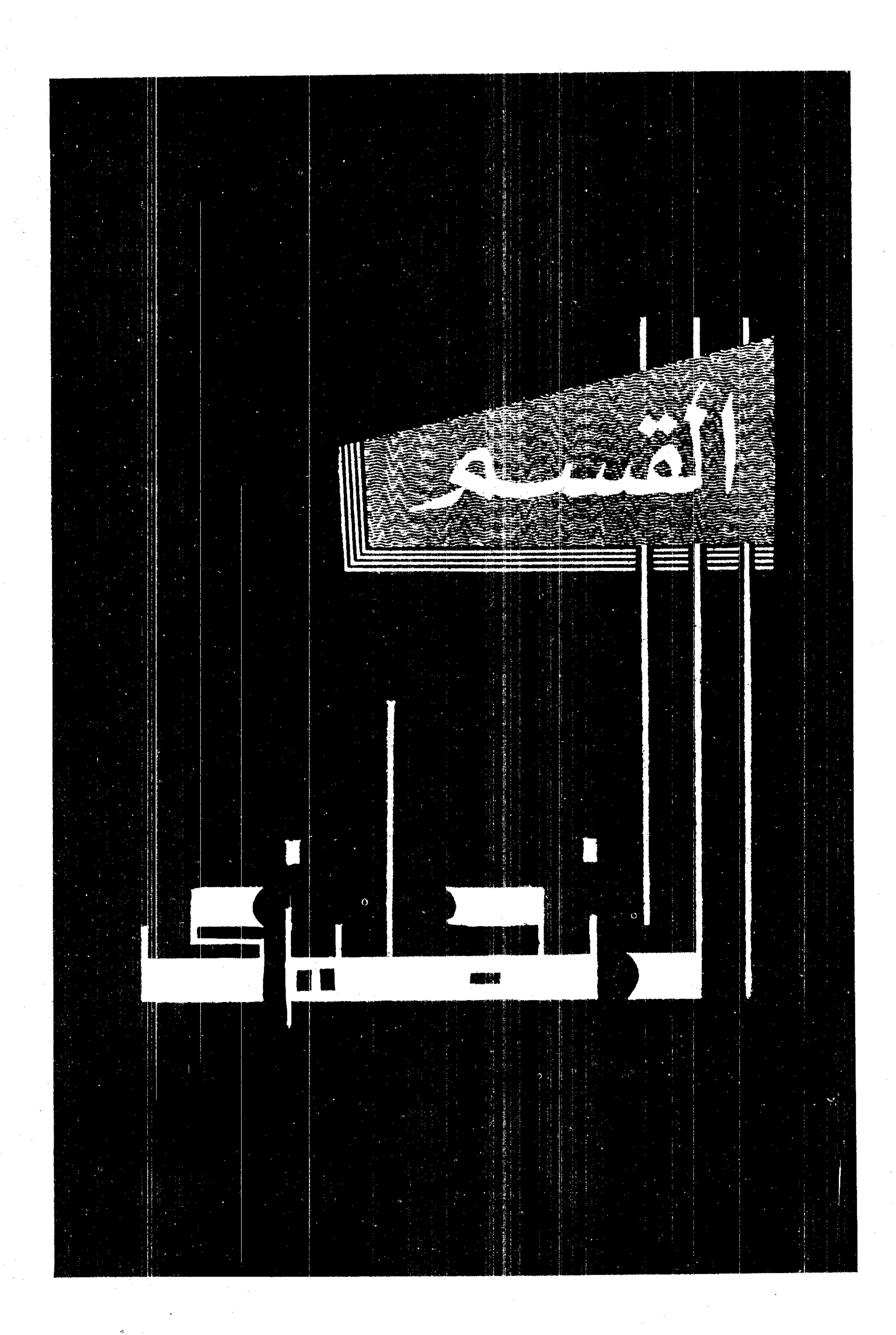
٩ - تبدأ الدراسة للعام الدراسى ١٤٠١ / ١٤٠٢ هـ يوم الثلاثاء ٢٤ / ١١ / ١٤٠١ هـ الموافق ٢٢ / سبتمبر ١٩٨١ م ·

● تنظيم العمل في بعض إدارات الجامعة

١ - في عمادة شئون الطلاب : صدرت القرارات الإدارية التى تقضى بتقسيم عمادة شئون الطلاب الى وكالتين : وكالة لشئون النشاط الطلابى وتضم النشاط والرعاية ، ووكالة لشئون الخدمات وتتبعها إدارة الإسكان والتغذية ومكتب عميد شئون الطلاب · وقد صدر قرار يقضى بتعيين فضيلة الشيخ موسى محمد القرنى وكيلا لعمادة شئون الطلاب لشئون النشاط : وتفرغ فضيلة الشيخ على الحذيفى لوكالة العمادة لشئون الخدمات · وقد حددت القرارات الادارية الصادرة في هذا الشأن تحديد الاختصاصات والصلاحيات لكل منهما في الشئون المالية والادارية الخاصة بعمادة شئون الطلاب · وقد صدرت هذه القرارات حرصا من رئاسة الجامعة على تنظيم العمل وسرعة إنجازه وحسن الأداء على أكمل وجه مستطاع وبالله التوفيق ·

٢ - صدر قرار رئاسة الجامعة بإنشاء عمادة لشئون القبول والتسجيل ، وذلك للبت في شئون قبول الطلاب والمعادلات للشهادات الدراسية والإشراف على شئونهم التعليمية وشئون الجوازات والاستقدام والترحيل لجميع منسوبى الجامعة ويتبع هذه العمادة كل من إدارة الاستقدام والترحيل ومكتب الخطوط الجوية السعودية وقد عين لها فضيلة الشيخ عبد الله أبو سيف الجهنى وكيلا للعمادة ·

محتويات العدد


القسم



MUHAMMAD ALEXANDER RUSSEL WEBB
(U.S.A.)
Diplomat, Author & Journalist

I have been requested to tell you why I, an American, born in a country which is nominally Christian, and reared under the drippings, or more properly perhaps the drivelling, of an orthodox Presbyterian pulpit.pulpit, came to adopt the faith of Islam as my guide in life. I might reply promptly and truthfully that iI adopted this religion because I , after protracted study, that it was the best and only system adapted to the spiritual needs of humanity. And here let me say that I was not born as some boys seem to be, with a fervently religious strrstrain in my character. When I reached the age of 20, and became practically my own master, I was so tired of the restraint andand dullness of the Church, that I wandered away from it and never returned to it...Fortunately I was of an enquiring turn of mind–I wanted a reason for everything, and I found that neither laymen nor clergy could give me any rational explanation of this faith, but either told me that such things were mysterious or that they were beyond my comprehension. About eleven years ageago I became interested in the study of Oriental riligions. . I saw Mill and Locke, Kant, Hegel, Fichte, Huxley, and many other more or less learned writers discoursing with a great show of wisdom concerning protoplasm and monads, and yet not one of them could tell me what the soul was or what became of it after death ... I have spoken so much of myself in order to show you that my spoken so much of myself in order to show you that my adoption of Islam was not the result of misguided sentiment, blind credulity, oror sudden emotional impulse, but it it was born of earnest, honest, persistent, unprejudiced study and investigation and an intense desire rto know the truth .

The essence of the true faith of Islam is resignation to the will of God and its corner is prayer. It reaches universal fraternity, universal love, and universal benevolence, and requires purity of mind, purity of action, purity of speech and perfect physical cleanliness. It, beyond doubt, is the simplest and most elevating form of religion known to man.

MUHAMMAD ALEXANDER RUSSEL WEBB was born in 1846 at Hudson, Columbia county, New York, Educated at Hudson and New York he became an essayist and a short-story writer.writer. He took to journalism and became the editor of *St. Yospeh Gazette* and of *Missouri RepRepublican*. In 1887 he was appointed UUnited States consul at Manila, Phillipines. It was during this assignment that he studiedstudied Islam and jiojoined its fold. AfterAfter becoming Muslim he extensively toured the word of IslamIslam and devoted the rest of his life to Missionary work. He also became the head of the Islamic Propaganda Mission in U.S.A. Mr. Webb died on Ist October 1916.

So much about the *circumstances* of my becoming a Muslim. Since then I was asked, time and again : " *why* did you embrace Islam ? What was it that attracted you particularly ? " –and I must confess : I don't know of any satisfactory answer. It was not any *particular* teaching that attracted me, but the whole wonderful, inexplicably coherent structure of moral teaching and practical life programme. I could onot say, even now, which aspect of it appeals to me more than any other. Islam appears to me like a perfect work of architecture. All its parts are harmoniously conceived to complement and support each other; nothing is superfluous and nothing lacking, with the result of an absolute balance and solid composure. Probably this feeling that everything in the teachings and postulates of Islam is " in its proper place. " has created the strongest impression on me. There might have been, along with it, other impressions also which today it is difficult for me to analyse. After all, it was a matter of love; and love is composed of many things; of our desires and our loneliness, of our high aims and our shortcomings, of our strength and our weakness. So it was in my case. Islam came over me like a robber who enters a house by night ; but, unlike a robber, it entered to remain for good .

Ever since then I endeavoured to learn as much as I could about Islam. I studied the Qur'an and the Traditions of the prophet (peace and blessings be upon him); I studied the language of Islam and its history, and a good deal of what has been written about it and against it. I spent over fivefive ywyears in the Hijaz and Najd, mostly in al-Madinah, so that I might experience something of the original surroundings in which this religion was preached by the Arabian prophet. As the Hijaz is the meeting centre of Muslims from many countries. I was able to compare most of the different religious and social views prevalent in the Islamic world in our dadays. Those studies and comparisions created in me the firm conviction that Islam, as a spiritual and social phenomenon, is still in spite of all the drawbacks caused by the deficiencies of the Muslims, by far the greatest driving force mankind has ever experienced; and all my interest became, since then, centred around the problem of its regeneration .

MUHAMMAD ASAD, Leopold Weiss, was born in Livow, Austria (later Poland) in 1900, and at the age of 22 maede his visit to the Middle East. He later became an outstanding foreing correspondent for the *Franfurtur Zeitung*. and after his conversion to Islam travelled and worked throughout the Muslim world, from North Africa to as far East as Afghanistan. After years of devoted study he became one of the leading Muslim scholars of our age. After the establishment of pakistan, he was appointed the Director of the Department of Islamc Reconstruction, West punjap and later on became pakistan's Alternate Representative at the United Nations. Muhammad Asad's two important books are : *Islam at the Crossroads* and *Road to Mecca*. He also produced a monthly journal *Arafat*. At present he is working upon an English translation of the Holv Qur'an .

- 3 -

MUHAMMAD ASAD
(Austria)
Statesman, Journalist and Author

In 1922 I left my native country, Austria, to through Africa and Asia as a Special Correspondent to some of the leading Continental newspapers, and spent from that year onward nearly the whole of my time in the Islamic East. My interest in the nations with which I came into contact was in the beginning that of an outsider only. I asaw before me a social order and an outlook on life fundamentally different rfrom the European; and from thsthe very first there grew in me a sympathy for the more tranquil–I should rather say : more human–conception of life, as compared with ththe hasty, mechanised mode of living in Eurdpe . This sympathy gradually led me to an investigation of the reasons for such a difference, and I became interested in the religious tateachings of the Muslims. At the time in question, that interest was not strong enough to draw me into the fold of Islam, but it opened to me a new vista of a progressive human society, organised with a minimum of internal conflicts and a maximum of real brotherly feeling. The reality, however, of presentday Muslim life appeared to be very forfar from the ideal possibilities given in the religious teachings of Islam. Whatever in Islam, had been progress and movement, had turnedamong the Muslims, into indolence and stagnation; whatever there had been of generosity and readiness for self-sacrifice, had become, among the present-day Muslims, perverted into narrow-mindedness and love of an easy life .

Prompted by this discovery and puzzled by the obvious incongruency between Once and *Now,* I tried to approach the problem before me from a more intimate point of view : that is, I tried to imagine myself as being *within* the circle of Islam. It was a purely intellectual experiment; and it revealed to me, within a very short time, the right solution. I realised that the one and only reason for the social and cultural decay of the Muslims consisted in the fact that they had gradually ceased to follow the teachings of Islam in sbirit. Islam was still there ; but it was a body without soul. The very element which once had stood for the strength of the Muslim world was now responsible for its weakness : Islamic society had been built, from the very outset, on religious foundations alone, and the weakening of the foundations has necessarily weakened the cultural structure–and possibly might cause its ultimate disappearance .

The more I understood how concrete and how immensely practical the teachings of Islam are, the mor eager became my questioning as to why the Muslims had abandoned their full application to real life. I discussed this problem with many thinking Muslims in almost all the countries between the Lybian Desert and the pamirs, between the Bosphorus and the Arabian Sea. It almost became an obsession which ultimately overshadowed all my other intellectual interests in the world of IaIslam. The questioning steadily grew in emphasis–until I, a non-Muslim, talked to Muslims as if I were to defend Islam from their negligence and indolence. The progress was imperceptible to me, until one day–it was in autumn 1925, in the mountains of Afghanistan–a young provincial Governor said to me : " But you are a Muslim, only you don't know it yourself. " I was struck by these words and remained silent. But when I came back to Europe once again, in 1926, I saw that the only logical consequence of my attitude was to embrace Islam .

Here is another instance of charity. I received a letter–it was of my leaning towards Islam–in which the writer told me that if I did not believe in the Divinity of Christ *I could not be saved.* The question of rthe Divinity of Christ never seemed to me nearly so important as that other question : ' Did he give God's message to mankind ? ' Now if I had any doubt about this latter ppoint it would worry me a great deal, but thank God, I have no doubts, and I hope that my faith in Christ and his inspired teachings is as firm as that of any other Muslim or Christian. As I have often asaid before, Islam and Christianity, *as taught by Christ himself,* are sister religions, only held apart by dogmas and technicalities which might very well be dispensed with .

In the present day men are prone become atheists when asked to subscribe to dogmatic and intolerant beliefs, and there is doubtless a craving for a religion appealing to the intelligence as wall as to the sentiments of men. Whoever heard of a Muslim turning atheist ? There may have been some cases, but I very much doubt it .

There are thousands of men–and women, too, I believe -who are at heart Muslims, but convwntion, fear of adverse comments, and desire to avoid any worry or change, conspire to keep them from openly admitting the fact. I have taken the step, though I am quite aware that many friends and relatives now look upon me as a lost souksoul and past praying for. And yet I am just the same in my beliefs as I was twenty years ago ; it is the outspoken utterance which has lost me their good opinion .

Having briefly given some of the reasons for adopting the teachings of Islam, and having explained that I consider myself by that very act a far better Christian than I was before, I can only hope that others will follow the example–which I honestly believrhonestly believe is a good one-which will bring happiness to any one looking upon the step as one in advance rather than one in any way hostile to true Christianity .

Lord Headley al-Farooq (Rt. Hon. Sir Rowland George Allanson] was born 1855 A.D. and was a leading British peer, statesman and author. Educated in Cambridge, he became a peer in 1877, served in the army as a captain and later on as Lieut. Colonel in 4th Battalion of North Minister Fusiliers. Although an engineer by profession he had wide literary tastes. One time he was the editor of the " Salisbury Journal ". He was also the author of several books, most well known amongst them being : *A Western Awakening to Islam.* Lord Headley embraced Islam on 16th November 1918 and adopted the Muslim name of Shaikh Rahmatullah al-Farrooq. The Lord was a widely travelled man and he visited India in 1928 .

– 1 –

HOW DID THEY CHOOSE ISLAM ?

The following pages present the imprssions of some such persons, unfolding the stories of their pilgrimage to Islam :

AL–HAJ LORD HEAIDLEY AL–FAROOQ
(England)
(Peer, Statesman and Author)

It is possible some of my firends may imagine that I have been influenced by Mahomedans, but this is not the cause, for my present convictions are solely the outcome of many years of thought. My actual conversations with educated Muslims on the subject of religion only commenced a few weeks ago, and need I say that I am overjoyed to find thah all my theories and conclusions are entirely in accord with Islam .

Conversion, according to the Koran, should come out of free choice and spontaneous judgement, and never be attained by means of compulsion. Jesus meant the same thing when he said to his discdisciples : " And whosoever shall not recevreceive you nor hear you, when ye depart there.... (St. Mark, vi.

I have known very many instances of zealous protestants who have thought it their duty to visit Roman Catholic homes in order to make 'converts' of the inmates. Such irritating and unneighbourly conduct is, of course, very obnoxious, and has invairably led to much ill-feeling–stirring up strife and hastending to bring religion into contempt. I am sorry to think that Christian missonaries have also tried these methods with their Muslim brethren; though, I am at a loss to conceive, why should they try to convert those who are already better Christians than they are themselves ? I say ' better Christians ' advisedly, because charity, tolerance and broad-mindedness in the Muslim faith come nearer to what christ himself taught than do the somewhat narrow tenets of the various Christian Churches.

To take one example : the Athnasian Creed, which treats the Trinity in a very confusing manner. In this Creed, which is very important and deals conclusively with one of the fundamental tenets of the " Churches ", it is laid down most clearly that it represents the Catholic faith, and that if we do not believe it we shall perish everlastingly. Then we are told that *we must think of the Trinity if we want to be saved* - in other words that the idea is of a God whom we in one breath hail as merciful and in the very next breath whom we accuse of injustice and cruelty, qualities which we would attribute to the most blood-thirsty human tyrant. As if God, Who is before all and above all, would be in any way influenced by what a poor mortal ' thinks of the Trinity ' .



قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي

لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي

وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا

IN THE NAME OF GOD, THE COMPASSIONATE, THE MERCIFUL

Say, "If the ocean were an ink-well for the words of my Lord, the ocean would run out before the words of my Lord run out, even if twice as much ink were provided."

(Qur'an 18:109)



أعضاء هيئة تحرير مجلة الجامعة الإسلامية :

يوجهون خالص الشكر :

- أولاً : إلى أصحاب الفضيلة الأساتذة الذين أسهموا في تزويد المجلة بمقالاتهم وبحوثهم القيمة .
- ثانياً : إلى المجلس الأعلى للجامعة لموافقته على تقرير مكافآت مناسبة للكتاب الكرام تقديراً لجهودهم .

والأمل وطيد في أن يواصل أصحاب الفضيلة الكتاب إتحاف المجلة بما تجود به قرائحهم خدمة للإسلام والمسلمين . وعلى الله قصد السبيل .

مجلة الجامعة الإسلامية

لا تلتزم برد البحوث والمقالات التي لم تنشر إلى كتابها ولا بإبداء أسباب عدم نشرها.

Journal of THE ISLAMIC UNIVERSITY

OF

MADINAH MONAWWARAH

RAJAB —— DHU AL-HEJJAH

1400 H .

[QUARTERLY]

47 ‘ 48

12 th YEAR